یا کبیکج یا حفیظ

١ سپاهیلر اغاسی محمد امین آغا قولندن

ع
المجلد الاول من تفسير ابو السعود
نسخ

٥٢٠ ورقه

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل أكرمه الله تعالى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش
بأوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق
انزل عليه اظهر بينات وابهر حجج قرانا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا
الى صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه
الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا
بان يسير به الجبال ويتيسر به كل صعب محال معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت
كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن
الاتيان بمثل ايه من اياته نزل عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل
فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع
هداه فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد تاه في موامي الردى
وتردى في مهاوي الردى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى
اله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانواء وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من
تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه
الهادي ابو السعود بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم
ما كان الحرف منها مطويا والحكمة الكبرى في تخمير طينة ادم ولم يك شيئا مذكورا
ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب
الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر
اياته في صحائف الاكوان ونصب راياته وحدته في صفائح الانفس والاعيان
وجعل كل ذرة من ذرات [illegible] وكل قطرة من قطرات العلم وكل نقطة تجري عليها قلم الابداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالع تقصر عنها مجدبزه وصحف التكوين
وايه بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو
ايات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يحمل الناس على قدر عقولهم ويرد
جوابهم بحسب مقتضى حالهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك
الايات والدلايل والاستشهاد بتيك الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية
والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضا والقدر وكنوز
اثار التعا[illegible] والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق القوي والقدر فاذن مدار المراد ليس الا كلام رب العباد

هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الايات التكوينية والكاشف عن خفايا
حظائر القدس والمطلع على خبايا اسرار الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل
الى سعادة الدنيا والاخرة هذا انه ابعد من علو الشان وسمو المكان ولغاية الغموض و
الاعضال وصعوبة الماخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ولنهاية النهايات
النائية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه
الرفيعة ولا يتاتى الرقي الى مدارجه المنيعة كيف وانه مع كونه متضمنا لحقائق العلوم
النظرية والعملية ومنطويا على دقائق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام
الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت
مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه تدور رحى الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة
الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز واحتجبت طلعته بسحائب
الاعجاز طويت حقائقه لا تدنيه عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول
ترد عيون العقول سبحاته ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير
غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات
معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لجج
وخاضوا في ثبج فنظموا زوائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير
وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والقوا زبرا جميلة الاثار اما المتقدمون المحققون فا
قتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما
بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام واما المتاخرون والمدققون
فرموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خفاياه الفائقة ليعاين الناس دلائل
اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية و
الزبر العظيمة السبحانية ودونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن
كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها اذان الاذهان
لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المنفردان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا
منهما قد احرز قصبات السبق اي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز صحائفهما مرايا
المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الايام
وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي
لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على الاستمرار اناء الليل واطراف النهار ان انظم
درر فوائدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما
ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العيا
الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب
بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر
العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف
تمد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من

كل تحرير رايق وتحقيقات رضية تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات
مبينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون و
مدارك انظار يختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكمون من دقائق السر المخزون
في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز
وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة والغامرة للبحار الزواخر بجناب من
خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان
الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر
وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع
الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد
المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه للبر
فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس وادنى بجيش عرمرم متراحم
الافواج وعسكر لجب متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين
قطبي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال
راياته الرايعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك
استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكان ربع الارض ضربت
خيامه او نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على
كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر الروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان
المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة
السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين المفخمين ناشر
القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان بن السلطان السلطان
سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموفق المشهور صاحب الغزوات
المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار السلطان
سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا
زالت سلاسل سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام
متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني
وعزة المرام اين الحضيض من الذرى شتان ما بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد
العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون
وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد
واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبينه ما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم
الاشتغال وجموم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازي و
الاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز
فرصة من الدهور وتتسنى لي القرار وتطمئن لي الدار واظفر حينئذ بوقت خال ابتهل
فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهتي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى

الى كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا
لما هو آت والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه والتولي لتكميل ما توجهت اليه برفاهة
واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر
بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات
الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالفار
من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني اي غمر غوارب ما جرى بين زيد وعمرو
فاضحيت في ضيق المجال وسعة الاشتغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول
من قال

لقد كنت اشكو الحوادث برهة ۞ واستمرض الايام وهي صحائح ۞
الى ان تغشتني وقيت حوادث ۞ تحقق ان السالفات منائح ۞

فلما انصرمت عرى الآمال عن الظفر بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات
وشمل الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنى
الاجل من الحلول وازفت شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه
وتوجهت الى املاء ما طالما ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله وانعامه
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي
وتزاحم الشدائد بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت
في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل
ما اروم وارجو ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله ذخيرة وعتادا
انتفع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي
الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على
دقائق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطق بما فيه امرك ورضاك
ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان جئناك على
جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فضلك قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت
المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور ولك الخلق
والامر واليك النشور

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

الفاتحة في الاصل
اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت
على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية
قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول
باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا
على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يقتضي في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن
بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق
بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الختام
بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد
بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها

كل بحر زاخر وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات
متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون و
مدارك انظار يختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكنون من دقائق السر المخزون
في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز
وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة والغامرة للبحار الزاخرة لجناب من
خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان
الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطنة الباهرة
وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع
الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد
المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه فبلغ
فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس اوادني بجيش عرمرم متراكم
الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين
قطبي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال
راياته الرايعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فيا لله من ملك
استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانما ضربت
خيامه او نصب عليه اوتاده واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على
كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر الروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان
المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة
السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين المحترمين ناشر
القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان بن السلطان السلطان
سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي
المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار السلطان
سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا
زالت سلاسل سلطنته مسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام
متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني
وعزة المرام اين الحضيض من الذرى وشتان ما بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد
العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون
وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد
واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبينه ما كنت اخال من تراكم المهمات وتزاحم
الاشغال وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازي و
الاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز
فرصة من الدهور ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال ابتهل
فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهتي واسلم له سري وعلانيتي وانظر

الى كل شيء بعين الشهود واعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا
لما هو آت والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه والتولي لتكميل ما توجهت اليه برفاهة
واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر
بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقع في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات
الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت مغظلة طويلة الذيول وصرت كالفار
من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وعمر في اي عمر غوارب ما جرى بين زيد وعمرو
فاصبحت في ضيق المجال وسعة الاشتغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول
من قال • لقد كنت اشكو الحوادث برهة ۞ واستمرض الايام وهي صحائح ۞
۞ الى ان تغشتني وقيت حوادث ۞ تحقق ان السالفات منائح ۞
فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات
وشمل الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتفاللت القوى والقدر ودنى
الاجل من الحلول واشرفت شمس الحيوة على الافول عزمت على نشر ما كنت انويه
وتوجهت الى اولا ما طالت ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله وانعامه
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم الكاره على
وتزاحم الشاره بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت
في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل
ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله ذخيرة وعتادا
انتفع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي
الضراعة والسوال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على
دقائق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك
ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بنا صيتنا الى الخير حيث كان جئناك على
جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فضلك قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت
المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق
والامر واليك النشور سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية الفاتحة في الاصل
اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت
على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية
قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول
باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا
على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتمشى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن
بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق
بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزأ منه وكذا الكلام في الخا
بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد
بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها

باعتبار جزيها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزايه
على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد
النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم بالاذن يكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه تعالى او في اللوح او باعتبار
انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزل على النبي
نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشي لا
بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ووجه في
التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في
النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا
في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من جهة التعليم
او من جهة النزول يستدعي مراعاة الترتيب في نفس اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب
في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القران
لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد
بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقران
هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات
والايات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية
ما ذكر في ام القران لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدا بقراءتها في الصلوة فانه
مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم انها انزلت من
كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القران وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها
عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل
داء والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة
حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين تحولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الايمة في شان التسمية
في اوايل السور الكريمة فقيل انها ليست من القران اصلا وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك
والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاوها وقيل انها اية
فذة من القران انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي اية تامة
من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه
يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو
ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة و
فقهاوهما وهو القول الجديد للشافعي رضي الله عنه ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص
من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في
ساير السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها اية تامة اولا وهو احد قولي

كما ان الوجه في تسميتها الاساس والوافية والكافية وتسمي ام

قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها اية
تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض اية في الفاتحة واية تامة في البواقي وقيل انها
بعض اية في الكل وقيل انها ايات من القران متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون
جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول اخر ذكره بعض المتاخرين ولم
ينسبه الى احد وهو انها اية تامة في الفاتحة وليست بقران في ساير السور ولو لا اعتبار كونها اية
تامة لكان ذلك احد محملي الشافعي رضي الله عنه فانه قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في
غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا او لا وقيل بين ان يكون اية تامة او لا قال
الامام الغزالي والصحيح من مذهب الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها
اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن
يقول انها ليست من القران هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على
اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى يقضي بنفي القول
الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها
جزءا من القران لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه
واما ما روي عن ابن عباس من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله
تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن
بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة من انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان دل كل واحد منها على نفي القول
الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها اية
من كتاب الله تعالى اية متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها
اية تامة من كل واحدة منها الا ان يحال الى ان يقال ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة
بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية
السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة
بمضمر ينبي عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال و
تسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا
واتلوا وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدا لاقتضائه
اقتضاء التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا
بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقديم اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشي فان
مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال
لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم
وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسوال الفضل ولذلك سميت
السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها
بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين
لام الابتدا والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السكون فقد

تردد

لاقتضايه

ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم
على اسماء وسمي وسميت وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة
واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة لم تعهد
داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه
وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها
تكون تارة به تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة
المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المفضية الى ممكنه وميسره وهي
المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه تعالى وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا
فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب
تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولك بالله عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن
الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فلتحمل الباء على التبرك ويستغنى عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا
يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم
لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف
لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس
كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف
ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر
من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم
الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل
اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما
لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق
لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه
الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف
ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب و
الفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها
فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك
الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك
تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله
مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم تعمل عملها وقيل
اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه تحار في شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا
ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة
والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته
وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به واله غيره اذا اجاره اذ العابد يفزع اليه تعالى وهو يجيره حقيقة

حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على
الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله
ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل به تعالى بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في
ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل
وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده
امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد
المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية
وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه
لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في
سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما
بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة
مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم
السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى يؤخذ باعتبار الغايات التي هي
افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى
وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود
فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة
قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة عن الصرف لتحقق
وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع من الصرف وفيه
من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون
القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد
فياض لانه باختصاصه به تعالى صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان
ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد
الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل
اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه
خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته
ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله مبني على معنى الايقاع كما في قولك كلمته فانه معرب عما
يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني
عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله
ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو
محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات
الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كافعال
الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء

منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لايقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في
النحوين الاخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة
الملابسة وبجعل كل واحد من القسمين الاخرين من قبيل التعلق بواسطة الحال المناسبة له فان
قولك اعنته مشعرا بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون مفعولان
يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث
وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على
الاول وكذا السوال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى
ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة
بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف
الفعل واختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في
كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال
مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق
الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية
فقد برح ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللايق بالارادة في مقام التعظيم واما
ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا
عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا واستتباعا بحمل الحمد على ما
يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء
واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال • افادتكم النعماء
مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى و
نقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد
بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي عمل الجوارح من الاحتمال جعل الحمد
راس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم
يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها
المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق
ما في قوله اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما قيل من انه بيان لحمدهم
له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد مع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه
فان السوال المقدر لابد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام
ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللايقة لا يخطر ببال احد ان
يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السوال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا
لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة
وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي

والتي ان فرض السوال من جهته عز وجل فانت خبير بان نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف
وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى ولهذا يتضح فساد ما قيل
انه استيناف جوابا لسوال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما
شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان توجه جانب السائل
بالكلية وبناء الجواب على خطابه تعالى مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد
عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة
للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما سيحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب
الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دايم
مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية
والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة
الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي
لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة
له تعالى فيكون الافراد الواقعة عقابلته ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى
بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل
للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه
المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل
الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين**
بالجر على انه صفة لله تعالى فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين
ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله
رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل
والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف
الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله
الى فعل بالضم كما هو المشهور وسمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى
الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى
ربك وما في الصحيحين من انه عليه السلام قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل
احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن
اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى اارباب متفرقون
خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات
اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم
عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا
كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على
نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك

امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر
وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها
اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد
على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق
على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد
مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك
العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم ينطلق عليها كانها احاد مفردة التقديرية ومن قضية
هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل تتناول كل واحد من احاد الاقوال
يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه
انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص
ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار
الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه
كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من
اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته
في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل
لايح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته تعالى للكل فمما لا
حاجة الى بيانه اذ لا شي مما حدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات
والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع
اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم
ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجانب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي
وكل ان يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا
يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شي من الممكنات بذاته
الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده
ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته
ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الدوام من خصايص الوجود الواجبي وظاهر ان
ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرايطه وان كانت متناهية
لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها
بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشي واحد موانع غير متناهية يتوقف
وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك
الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشي من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار تربيته
عز وجل الفايضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل ان من انات الوجود غير متناهية فسبحانه
سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها

شانه لا يضاهي واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون
نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك
لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة
ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه
تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى
ورحمتي وسعت كل شي فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها
للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة
على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب لحال المتبرك
المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى وتاخيره
عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف
الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب
على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر
الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني
في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما
دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية
للشي باسم سببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقوله
تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تتقوم
اسبابها بمعمولاتها نحو عاقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص
نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة به فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة
المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة ساير
الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من
بين ساير ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فانما ذكر
من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل
الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقوله
يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة
التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند
ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة
المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي
بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول

بل انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في
مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك لمعنى انه منصوب محلا وتخصيصه
بالاضافة اما للتعظيم والتهويل او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق الجارية بين
الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من
اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من انحصار العبادة
والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع
ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما
سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة
الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك
الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على
الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص إياك نعبد وإياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب
وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسالك البراعة حسبما يقتضي
المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع
من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله تعالى الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك
من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام
الجليل من النكت الرائقة الدلالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري
عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء
الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تأمل فيما
سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية
واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه
في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان
الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا
في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعوا بالخضوع والاخبات ويقرع
بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة
فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا من استحقاق ان يعبد او يستعان
ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي
مناجاة العبد لمولاه ومنية للتبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من
الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب
كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر وايا دعامة
لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية

والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضا بما فعل الله تعالى و
الاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما
في قوله واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنه
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة
من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها
من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة
فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة
من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب
وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير
كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان
المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل
والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه
ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما توجبه تلك الملاحظة
من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام
اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه
آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه
قيل واياك نستعين في ذلك فانا عاجزون عن اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب
حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف
المساعي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة التكلم مع الغير في الفعلين
للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور عن عصابة هو من جملتهم وجماعة
هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة المعرضة
لديها بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا
الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها
كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختص
بالخير وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله
تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع
لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر
عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن
من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال
وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة

من تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على
فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى سلوك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية
والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشار اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي
انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او
الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب يصححها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادة
كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما
اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة
داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان
حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة
والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة واصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر
من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسرط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد
تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد
وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في
التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين
الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله
عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند
ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام ليشمل فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز
بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في
قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لشهادة
ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل
النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي
يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما تستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله
تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها
من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه
والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين و
المطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك
العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة
عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه

هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني
مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك
عليك بالحركة غير السكون ووصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة
جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال
وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم ليكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به
الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والا
الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة
مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما
اضيف اليه صراط مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء
على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا
الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما
عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب
في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسي مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول
واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على
الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب
هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق
اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان
اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى
للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه
واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب
اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون
اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا
مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم
رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي فكانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين
ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة
على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين **آمين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء
الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة
بها والمشهور عن ابي حنيفة ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي
وعن الحسن مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي عم وعند الشافعي

المطلقة
استوا

لايجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل
في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني
والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور
الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم واستشهد بما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع و
التصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات
المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا
اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول
الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف
والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل
عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف
المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا واريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرانية
بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القران
وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع
الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في
قولك الميم مهملة والشين معجمة ونحو ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع
لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله
تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم
بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات
الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة
في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات
القرانية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح
المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول
من غير فرق بينهما الا ترى الى ما في الرواية الاخرى من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف
كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعي في هذه التسمية نكتة
رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير

اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين
مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت
عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء
وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا والا لقصر
تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان ٥ ما قال لا قط الا في تشهده
لولا التشهد لم تسمع له لاء ٥ هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها
من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب
سر وسر القران اوائل السور وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله
تعالى فلا تطلبوه وقيل اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه او صفة من صفاته
تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن
كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف
المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة
الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة
بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية
معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدي على سبيل الايقاظ
فلولا انه وحي من الله تعالى لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة
من انها اسماء للقران والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت
اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة
فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غايته الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا
محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه
ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل
لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة
على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى
بالقران وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل
من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار
وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمهازة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من
الغرابة انموذجا لما في البواقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان
كان على طرف الثمام يتناوله الخاص والعام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما
يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط
العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري

بحيث يحار في فهمها ارباب العقول ويعجز عن ادراكها ارباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الاسماء
الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على
انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير
فسبحان من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار وايراد
بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها
على السور دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل
منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت
اما الم فاية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست باية والمص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية
في شيء من سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها
كلها وكهيعص اية وحم عسق ايتان وص وق ون لم تعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين
وقيل ان جميع الفواتح ايات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا
منها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف
التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما
النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام والا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية
ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد
قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما
كان منها موازنا للمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجازها سيبويه مثل
ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله
اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون
الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف
بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا
الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا
مجال للعطف هنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين
ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك
من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكامها كل منها مشروحا في موقعها باذن الله
تعالى اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف
والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار
كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي
المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه
عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل تحققها الاخبار وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي
السورة او كل القرآن **ذلك** ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد منزلة المشاهد بالحس

المشار اليه والكاف للخطاب
والمشار اليه هو المسمى فانه
منزل

البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية
القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصو
ل من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد
ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى
بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية
في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول
مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله تعالى **الكتاب** اما خبر له او صفة
اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شأن
المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة
مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور
واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصل الجمع والضم
في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء
الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون
المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم
الله تعالى او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة
واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب
المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة
وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو
الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية
الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح
كما ترى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنالك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود
هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية ولا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب
باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة
مشعر بنقصان سائر السور وانه لا يمكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون
الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف
اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او
مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان
هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان
البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ومعنى البعد ظاهر حينئذ فان كان المسمى
هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن
فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة
على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي

الجنس في فرد من افراده
وفي الصورة الاولى
من جهة حصر كمال

المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى **لا ريب فيه**
اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثاني لالم او
لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدا المقدر اخرا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما
في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى
الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب موكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق
عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة
لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا يعول
عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها
محذوف اي لا ريب موجود ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة
لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب
الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب
فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له
والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم
استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما
يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في
حقيقته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز
ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما
نزلنا او ارتبتم فيما نزلنا الى اخره الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب
فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم
يقصد هاهنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم
الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول **هدى** مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف
على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة
في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم
مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث
التاثر والتاثير ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل
بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهو كما ترى مبني على امرين اعتبار
الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكل الامرين
بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هو معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان
الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد
فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة
بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل

تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر
في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى
اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان
لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا اما توجه الى اثبات عليه او ما توجه الى زيادة
ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة
واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة
وجوده اذ لو فارقه في ان من انات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الان مقابله الذي هو الوصول
فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه
لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه
لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا
اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم
قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا
وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه
ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا
ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك اثار شتى مترتبة
عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس
الى كل اثر من تلك الاثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس
الى سائرها وكانت تلك الاثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى
عدت من متماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم
مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص فذلك الاعتماد
اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك
من الاضافات العارضة له بالقياس الى اثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في اثاره الطبيعية
واما الاثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه
اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالاثار الاختيارية الصادرة عن موثراتها
بواسطته كونه داعيا اليها بحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له لزوم
الاثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في
مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة
المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من اثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا
لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة
لم يعدا من متماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة
بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة او لا اذا
تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور
باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الاثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا

ن
او استحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يعجز بعد ذلك فضروم

مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي الى توجهه الى ما ذكر من المسالك فعل مستقل له
صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان
كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعدا من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما
بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة
لهما بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس
الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا
وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف
الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي
المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم
لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان
تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال و
الاجابة ايجابا او سلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا اتصافه
بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة
كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين
الاجابة فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف
بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية
والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل
الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا
ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم
كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في
تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها اليه
شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر
فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري
يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها
ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون
اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو
عند وضوح المسالك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت
جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم بحيث لم
يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك ويحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى هداية على
التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار
عن الضرب الضعيف كذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها
بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير
اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف

بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة
لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها
وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه
الوصول من قبيل المجاز والكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبيانات
الشرعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات
حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من
انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مومن وكافر وبذلك الاعتبار قال
تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في
عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضر في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم جماع التقوى في قوله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما
فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي
يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن
الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا
يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من
الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن
ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة
وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما
في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين
علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري
عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى
الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض
يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية
المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي
النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين
ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وسيما فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة
تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه
تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين
اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز

لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان
اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة
وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه
هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل
فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة
او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب
او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة
او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب
حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم
وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه
جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية
مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه
اذ لا افضل مما الحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله
شائبة شك ما او دالة على تكميله بعد كماله او يتبع السابقة اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه
لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه
الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا
نقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا
الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما حققته **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله
الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون
تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة
لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى
المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار شرفها
وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع
عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه
فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول
فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية
فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا
عن التبعية لما فيهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا

الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات
ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب
فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام
المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة
من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره
اولئك على هدى في انه يستتبع جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة
ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم
للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين
وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدا في
الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا
حسبما حققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في
سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر
اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب
الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها
صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة
كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى
جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنتنيه غيري
ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امنا من التكذيب والمخالفة واستعماله
بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي
عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في
الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن
منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن شايعه والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه
جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور
اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند
الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همز والغيب اما
مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف
كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما
كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الاخر واحواله
من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما لتضمينه معنى الاعتراف

كان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام

او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به او مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلق بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم انى لم اخنه بالغيب
اى يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اى غائبين عن النبى عليه السلام غير مشاهدين لما فيه من
شواهد النبوة لما روى ان اصحاب ابن مسعود رضى الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم
تلى هذه الآية واما عن الناس اى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء للآلة وترك ذكر المؤمن به
على التقادير الثلاثة اما القصد الى احداث نفس الفعل كما فى قولهم فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الايمان
واما للاكتفاء بما سيجئ فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلاة**
اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع فى شئ من فرائضها وسننها وادابها زيغ من اقام
العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا انفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها
من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه
بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذى هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول
هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما
كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص به لاشتماله على الدعاء وقيل اصل
حركة الصلوين وهما العظمان الناتئان فى اعلى الفخذين فان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده و
اشتهار اللفظ فى المعنى الثانى دون الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها
له فى تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق فى اللغة العطاء ويطلق على
الحظ المعطى نحو ذبح ورعى للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفى العرف ما ينتفع به
الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق
لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف
فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق له بما روى عنه فى حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله
ان الله كتب على الشقوة فلا ارى ارزق الا من دفى بكفى فاذن لى فى الغناء من غير فاحشة فقال
عليه السلام لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اى عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام
رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله
رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول
والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه

قواعد والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة
وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
التبذير هذا وقد يجوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة
والباطنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك** معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه فى
زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام
اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن
به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه
او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم
عن حالتهم الاولى بالكلية لتناهيه فى كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف
الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التى لا تكاد تختلف
باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون
توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما فى قوله الى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للايذان
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية
نعت جليل على حياله وخطب خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا
يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللذين هما من جملة الشرائع المندرجة
تحت تلك الامور المؤمن بها تكميلا له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثانى بالايقان بالآخرة مع كونه
منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما فى اعتقاد اهل الكتاب من الخلل كما سيأتى
هذا على تقدير تعليق ايقانهم بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان بالغيب
المشفوع بما يصدقه من العبادات البدنية مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الناطقة بتلك
الامور التى يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم
وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات
البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين
وتباين السبيلين فليتأمل وان اريد بالموصول الثانى بعد اندراج الكل فى الاول فريق خاص منهم
وهم مؤمنو اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل بالذكر اثر جريان ذكر
الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم فى تحصيل ما لهم من الكمال والانزال
النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعانى انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها
نزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه
تعالى تلقفا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام
والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه
مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله

تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مع أن الجن كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولأن الجميع إذ
ذاك لم يكن منزلا أو بما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر ما أنزل إليه
من الأنبياء عليهم السلام لقصد الإيجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حيث تعلقه به في قوله تعالى قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل الآية والإيمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا
من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عينا حرجا وإخلالا بأمر المعاش و
بناء الفعلين للمفعول للإيذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل
وبالآخرة هم يوقنون الإيقان إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه
تعالى يقينا أي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من
جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات
واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أولا وهل هو دائم أولا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون
على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن
الوصول إلى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أن الدنيا تأنيث الأدنى غلبتا على الدارين فجريا
مجرى الأسماء وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة إجراء
لضمة ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله حب المؤقدان إلى موسى وجعدة إذا
أضاءهما الوقود وقوله تعالى أولئك إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم
بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد مرتبتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى على
هدى خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على أي هدى هدى لا
يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال
من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة
تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة
بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من
ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها
أي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة
تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون
قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من
فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستفاد من الفوز والفلاح
وقيل هو واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للموصوفين بما ذكر من النعوت اختصوا
بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك
مالكون لزمام أصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فأي ريب في استحقاقهم لما هو فرع
من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب إن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا

يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل
الرفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الأول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئنافا وقع
جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك
كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان
ما يستدعيه من النتيجة أي الذين هذه شؤونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار
الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله أولئك سواد عيني
وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك
أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك
القديم أهل لذلك ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة
بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزهم بها وانتظامهم بسبب ذلك
في سلك الأمور المشاهدة والإيماء ببعد منزلتهم كما مر وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على
المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك إلى آخره خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح
تعريضا بعدم المؤمنين من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح
وأولئك هم المفلحون تكرير اسم الإشارة لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبيه على
أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم
بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام
بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم
بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما
كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل به ما فعل
وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ
خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحون للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك
أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي
بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما أشير
إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء آثارهم والإرشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا
يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق إن الذين كفروا كلام مستأنف سيق لشرح أحوال
الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم
في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنائي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة
شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد
سواء جعل الموصول موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في
الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في
تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما

اوثرت هذه الطريقة ولم يوسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للاخرين
لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كالاول حتى يتعرض له في اثناء تعداده كما لا يخفى وان من الحروف التي
تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها
كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل ودخيلا فيه وعند الكوفيين
لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد
عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وانها تأكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتؤتى بها في مواقع الشك والانكار
لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل
عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد
به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص
منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الى اخره والكفر في اللغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه
قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه
وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد لبس الغيار وشد
الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم
لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن
بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات
التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث
العلم **سواء** اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم **عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم** مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان
عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى
الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا
مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لان والفعل انما
يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا
على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل
انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة
وام عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس
بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه
والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من
عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل البشارة اصلا ولان

مستعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر ان وقوله تعالى صح

ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تأثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم
يتأثروا به فلأن لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وتو[سيطهما]
والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن
لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب
او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من
يجوزه عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى
قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخبار
تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم
ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا
لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره
تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان
يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا
على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة
واحراز الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل
لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على
ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم**
استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة
في الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في
البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل
احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث
لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب
الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال
على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما
على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة
المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة
منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها
وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي
التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك
الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ
وان كان لها مدخل في تحقق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما
اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها
من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك

الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مما له وضع لها ليكون ما دل على الهيئة
المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من
المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد
القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تعليل الامتناع عند تلك الهيئة المشبه بها من
قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة
من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى
الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة
ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه
سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك
عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم
شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى
خالية عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا
طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى
وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء
والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية
وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية
لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه كما لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك
من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان
بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه
طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق
على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم
عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان جنايتهم
من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد
الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه
تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم
ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار
الاصل او لتقدير المضاف اي على حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم عليه كما مر من قبل

قيل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من
التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على
راي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام
مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان
تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا
اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش
مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة
وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح
والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة
والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال
اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا
لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح
وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون
العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف
العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا
من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع
عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين **ومن الناس**
شروع في بيان ان بعضا من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار
على الكفر والعناد بل يضمون اليه ذنوبا اخر من الشر والفساد وتعديد لخبائثهم الشنيعة المستتبعة
لاحوال هائلة عاجلة واجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا
كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان
المنايا يطلعن على الاناس الامنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن
جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة وتقلب واوه الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي قلبت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك
لنسيانهم ويروى عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما
للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر من الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول
الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه
او نعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع منا الى اخره ومن في
قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض
من الناس الذي يقول كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي الى اخره او فريق يقول كقوله تعالى
من المؤمنين رجال الى اخره على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما
في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما

جعل الظرف خبرا كما هو الشايع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر
فالاخبار به عار عن الفايدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب
عنه بان الفايدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لم يعلم
كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او على الجنس المقصور على
المصرين وايا ما كان فالفايدة ظاهرة بل لان جزئية الظرف يستدعي ان يكون اتصاف هولاء بتلك
الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة اية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون
مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في ابتناء حمل النظم الجليل على اجزل المعاني
واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله **آمنا بالله وباليوم الآخر** وما بعده
باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من
قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما
هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله
بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية
عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم
وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جوز دخول الباء في خبرها لتأكيد
النفي انفا في بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة
في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية ولا يتوهمن
ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين ان لا تدل على نفي
الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل
على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الا
ستمرار كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا
من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون
الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مومنا فلا
حجة فيها على الكرامية القايلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مومن
يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف
وقع جوابا عن سوال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مومنين فقيل يخادعون
الى آخره اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية
فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين
على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه
المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو عنه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي
اذا امر الحارس يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من باب آخر وكلا المعنيين مناسب للمقام

للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المومنين فيذيعونها الى المنابذين وان
يدفعوا عن انفسهم ما يصيب ساير الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله تعالى اما على طريقة الاستعارة في
التمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان
ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما
ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده
من نسبته الى الذين آمنوا للايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناه الحقيقي بناء على
زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم
او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمومنين وصنعه تعالى معهم
باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع
المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى
يخدعهم بمقابلة خدعهم لما يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد
حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غايلتها آيلة اليهم من حيث
لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله تعالى **وما يخدعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر
مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون
بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها
بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على
الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
لا يحيق الا بهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني
الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون
على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح
لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة
حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا
يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما يشعرون** حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع
انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما
لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر
المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض
للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللايق به ويوجب الخلل في افاعيله ويودي الى الموت استعير ههنا
لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المودي
الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا منهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة
مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمومنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا

يوسون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه **فزادهم الله مرضا** بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يوثر فيها
التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه نيط
كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا ويجوز ان يكون المرض
مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخوف عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى
اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم
بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الى آخره حينئذ استئناف
تعليل لقوله تعالى يخادعون الله الى آخره كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون فقيل
في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم مرض ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا **ولهم** في الآخرة **عذاب**
اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم
ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو
بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما**
كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة
كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كفرهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم
امنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان
ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول
قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما
صرح به في قول الشاعر: ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ۝ وكونك اياه عليك يسير ۝ اي لهم
عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية
اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور تركهم للمجاهرين فيما ذكر من
العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس
الى آخره واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى
كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق
العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه
ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي
ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة
والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي عليه السلام
او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه او القرآن او موصولة اي بالذي يكذبونه على
ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص او للتكثير
كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون في قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر
ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب **واذا قيل لهم لا**
تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق
واذا ظرف زمن مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه والكلام
متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ

اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء من الحالة اللائقة به والصلاح مقابله
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال
امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار
واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق
نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من
موصولة فلا محل له من الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء
الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من
اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قالوا** اراءة للناهين ان ذلك
غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا
كما سيأتي توضيحه **انما نحن مصلحون** اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة
الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما
كلام مستأنف سيق لتعديد شنائعهم واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم
حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان
يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند
السامع او لسبق ذكرها صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي
عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الآخر ولذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله تعالى
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الاضلال عن
سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان
يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله
نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين
عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة
حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد
قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا
كيف لا وقوله تعالى **الا انهم هم المفسدون** ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى
لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي الى
زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله
بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما
من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف
الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك
بقوله تعالى **ولكن لا يشعرون** للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا
حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان
المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا

بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كلما ازدادوا التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا

الباب والله أعلم بالصواب وإذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر
إتماماً للنصح وإكمالاً للإرشاد آمنوا حذف المؤمن به لظهوره أو أريد افعلوا الإيمان كما آمن
الناس الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيماناً مماثلاً لإيمانهم
فما مصدرية أو كافة كما في ربما فإنها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه
بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في
الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعاً للمعاني
الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان وقد جمعهما
من قال ◦ إذ الناس ناس والزمان زمان ◦ أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً عن
شوائب النفاق مماثلاً لإيمانهم قالوا مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للمراجيح
الرزان بضد أوصافهم الحسان أنؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس
من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة
وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابلها الحلم والأناة وإنما نسبوهم إليه مع أنهم في الغاية
القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية
وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالاً
أو لتحقير شأنهم فإن كثيراً من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم
المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأياً ما كان فالذي
يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل أن يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر
من المؤمنين الناصحين لهم جواباً عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه أولئك المشاهير الأعلام والقدح
في إيمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا
ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الإمام الواحدي إنهم كانوا يظهرون
هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عم والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خبير بأن
إبراز ما صدر عن أحد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به
في الكلام فضلاً عما هو في منصب الإعجاز فالحق الذي لا محيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم
بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فإنه ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق مصوغ
على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما أنه كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا
غير مسمع كلاماً ترضاه ونحوه وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروهاً كانوا يخاطبون به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
استهزاء به مظهرين إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به
ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الإيمان
كإيمان الناس وإنكار ما اتهموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين
لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم مرائين لإرادة المعنى الأخير وهم معولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله تعالى
ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون أبلغ رد وجهلوا أشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرف

في التأكيد حسبما أشير إليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة إلى حيث لا يدرون
أنهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله إنما نحن مصلحون فإن حمله على المعنى الأخير كما هو
رأي الجمهور مما لا يساعده النظم الكريم ضرورة أن مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما هو عندهم من الإفساد إصلاحاً
كما مر إظهار منهم للشقاق وبروز بأشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بأن المراد بما نهوا عنه مداراتهم
للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير أو بالإصلاح الذي يدعونه إصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وأن معنى
قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون أنهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لإشعارها
بإعطاء الدنية وإنبائها عن ضعفهم الملجئ إلى توسط من يتصدى لإصلاح ذات البين فضلاً عن كونهم
مصلحين مما لا سبيل إليه قطعاً فإن قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وأنه يقتضي
أن يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للإصلاح ويأتيهم الإفساد من حيث لا
يشعرون ولا ريب في أنهم فيها كاذبون لا يريدون بها إلا المضارة للدين وخيانة للمؤمنين فالطريق في
حل الإشكال ليس إلا ما أشير إليه فإن قولهم إنما نحن مصلحون محتمل حمله على الكذب وإنكار صدور
الإفساد المنسوب إليهم منهم على معنى إنما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهونا عنه من الإفساد
وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وإراءة لإرادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الأول
فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بما أودعه في تضاعيف
كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه
الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر طباقاً لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف
على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما
لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة والإفساد وما يترتب عليه من
كون من يتصف به مفسداً فأمر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة
بلا يشعرون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين أحوالهم وتناقض أقوالهم في أثناء
المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هاهنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير روي أن عبد الله
بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال ابن أبي
انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحباً
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عم ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحباً
بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل قال له علي رضه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له
مهلاً يا أبا الحسن أنى تقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال
ابن أبي لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيراً وقالوا
ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت واللقاء
والمصادفة يقال لقيته ولاقيته أي صادفته واستقبلته وقرئ إذا لاقوا وإذا خلوا من خلوت

فلان ای انفردت معه وقد تستعمل بالباء ومن خلا بمعنی مضی ومنه القرون الخالیة و قولهم خلاك
ذم ای جاوزك ومضی عنك وقد جوز کونه من خلوت به اذا سخرت منه علی ان تعدیته بالی
فی قوله تعالی **الی شیاطینهم** لتضمنه معنی الانهاء ای واذا انهوا الیهم السخریة الخ وانت خبیر بان
تقیید قولهم المحکی بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشیاطینهم المماثلون منهم للشیطان فی التمرد
والعناد المظهرون لکفرهم واضافتهم الیهم للمشارکة فی الکفر او کبار المنافقین والقائلون صغارهم
وجعل سیبویه نون الشیطان تارة اصلیة فوزنه فیعال علی انه من شطن اذا بعد فانه بعید من
الخیر والرحمة ویشهد له قولهم تشیطن واخری زائدة فوزنه فعلان علی انه من شاط ای هلك او
بطل ومن اسمائه الباطل وقیل معناه هاج واحترق **قالوا انا معکم** ای فی الدین والاعتقاد
لانفارقکم فی حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمیة المؤکدة لان مدعاهم عندهم تحقیق
الثبات علی ما کانوا علیه من الدین والتاکید للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا
لانکار الشیاطین بخلاف معاملتهم مع المؤمنین فانهم انما یدعون عندهم احداث الایمان لجزمهم
بعدم رواج ادعاء الکمال فیه او الثبات علیه **انما نحن** ای فی اظهار الایمان عند المؤمنین **مستهزؤن**
بهم من غیر ان یخطر ببالهم الایمان حقیقة وهو استیناف مبنی علی سؤال ناشئ من ادعاء المعیة کانه
قیل لهم عند قولهم انا معکم فما بالکم توافقون المؤمنین فی الاتیان بکلمة الایمان فقالوا انما نحن
مستهزؤن بهم فلا یقدح ذلك فی کوننا معکم بل یفید لکم وقد ضمنوا جوابهم انهم یهینون المؤمنین
ویعدون ذلك نصرة لدینهم او تاکید لما قبله فان المستهزئ بالشئ مصر علی خلافه او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الکفر والاستهزاء بالشئ السخریة منه یقال هزأت واستهزأت بمعنی واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السریع وهزأ یهزأ مات علی مکانه وهزأ ناقته ای تسرع بها وتخف **الله**
یستهزئ بهم ای یجازیهم علی استهزائهم سمی جزاؤه باسمه کما سمی جزاء السیئة سیئة اما للمشاکلة فی
اللفظ او للمقارنة فی الوجود او یرجع وبال الاستهزاء علیهم فیکون کالمستهزئ بهم او ینزل بهم الحقارة
والهوان الذی هو لازم الاستهزاء او یعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فی الدنیا فباجراء احکام المسلمین علیهم
واستدراجهم بالامهال والزیادة فی النعمة علی التمادی فی الطغیان واما فی الاخرة فبما یروی انه
یفتح لهم باب الی الجنة فیسرعون نحوه فاذا صاروا الیه سد علیهم الباب وذلك قوله تعالی فالیوم الذین
آمنوا من الکفار یضحکون وانما استؤنف للایذان بانهم قد بلغوا فی المبالغة فی استهزاء المؤمنین الی غایة
ظهرت شناعته عند السامعین وتعاظم ذلك علیهم حتی اضطرهم الی ان یقولوا ما مصیر امر هؤلاء وما
عاقبة حالهم وفیه انه تعالی هو الذی یتولی امرهم ولا یحوجهم الی المعارضة بالمثل ویستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذی لیس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حیث ینزل بهم من النکال ویحل علیهم من
الذل والهوان ما لا یوصف وایثار صیغة الاستقبال للدلالة علی التجدد والاستمرار کما یعرب عنه
قوله تعالی اولا یرون انهم یفتنون فی کل عام مرة او مرتین وما کانوا خالین فی اکثر الاوقات
من تهتك استار وتکشف اسرار ونزول فی شانهم واستشعار حذر من ذلك کما ینبئ عنه قوله تعالی
یحذر المنافقون ان تنزل علیهم سورة تنبئهم بما فی قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون
ویمدهم ای یزیدهم ویقویهم من مد الجیش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة
والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزیت وایثاره علی یزیدهم للرمز الی ان ذلك منوط بسوء اختیارهم لما

لما انه انما یتحقق عند الاستمداد وما یجری مجراه من الحاجة الداعیة الیه کما فی الامثلة المذکورة
وقری یمدهم من الامداد وهو صریح فی ان القراءة المشهورة لیست من المد فی العمر علی انه یستعمل
باللام کالاملاء قال تعالی ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وایصال الفعل الی الضمیر خلاف
الاصل لایصار الیه الا بدلیل **فی طغیانهم** متعلق بیمدهم والطغیان مجاوزة الحد فی کل امر
والمراد افراطهم فی العتو وغلوهم فی الکفر وقری بکسر الطاء وهی لغة فیه کلقیان لغة فی لقیان
وفی اضافته الیهم ایذان باختصاصه بهم وتایید لما اشیر الیه من ترتب المد علی سوء اختیارهم
یعمهون حال من الضمیر المنصوب او المجرور لکون المضاف مصدرا فهو مرفوع حکما والعمه فی البصیرة
کالعمی فی البصر وهو التحیر والتردد بحیث لا یدری این یتوجه واسناد هذا المد الی الله تعالی مع
اسناده فی قوله تعالی واخوانهم یمدونهم فی الغی محقق لقاعدة اهل الحق من ان جمیع الاشیاء
مسندة من حیث الخلق الیه سبحانه وان کانت افعال العباد من حیث الکسب مستندة الیهم والمعتزلة
لما تعذر علیهم اجراء النظم الکریم علی مسلکهم یلجؤا الی شعاب التاویل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا علی
کفرهم خذلهم الله تعالی ومنعهم الطافه فتزاید الرین فی قلوبهم فسمی ذلك مددا فی الطغیان
فاسند بالاول الیه تعالی ففی المسند مجاز لغوی وفی الاسناد عقلی لانه اسناد الفعل الی المسبب له
وفاعله الحقیقی هم الکفرة وثانیا بانه ارید بالمد فی الطغیان ترك القسر والالجاء الی الایمان کما
فی قوله تعالی ویذرهم فی طغیانهم یعمهون فالمجاز فی المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه
الحقیقی وهو فعل الشیطان لکنه اسند الیه سبحانه مجازا لانه بتمکینه تعالی واذنه **اولئك**
اشارة الی الموصوفین باعتبار اتصافهم بما ذکر من الصفات الشنیعة الممیزة لهم عمن عداهم اکمل تمییز
بحیث صاروا کانهم حضار مشاهدون علی ما هم علیه وما فیه من معنی البعد للایذان ببعد
منزلتهم فی الشر وسوء الحال ومحله الرفع علی الابتداء خبره قوله تعالی **الذین اشتروا الضلالة**
بالهدی والجملة مسوقة لتقریر ما قبلها وبیان لکمال جهالتهم فیما حکی عنهم من الافعال والاقوال
باظهار غایة سماجتها وتصویرها بصورة ما لا یکاد یتعاطاه من له ادنی تمییز فضلا عن العقلاء
والضلالة الجور عن القصد والهدی التوجه الیه وقد استعیر الاول للعدول عن الصواب فی
الدین والثانی للاستقامة علیه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن ای اخذها بدلا منه لا بذله لتحصیلها
کما قیل وان کان مستلزما له فان المعتبر فی عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذی هو
المعتبر فی عقد البیع ثم استعیر لاخذ شئ باعطاء ما فی یده عینا کان کل منهما او معنی لا للاعراض عما فی
یده محصلا به غیره کما قیل وان استلزمه لما مر سره ومنه قوله • اخذت بالجمة راسا ازعرا •
• وبالثنایا الواضحات الدردرا • وبالطویل العمر عمرا جیدرا • کما اشتری المسلم اذ تنصرا • فا
اشتراء الضلالة بالهدی مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فیها والاعراض عنه ولما
استدعی ذلك ان یکون ما یجری مجری الثمن حاصلا للکفرة قبل العقد وما یجری مجری المبیع غیر
حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو فی البیت ولا ریب انهم بمعزل من الهدی مستمرون علی الضلالة استدعی
الی تحقیق ما جری مجری العوضین فنقول وبالله التوفیق لیس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا
جنس الضلالة الشاملة لجمیع اصناف الکفرة حتی تکون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الکامل
الخاص بهؤلاء علی ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد فی الطغیان المترتب علی ما حکی

عنهم من القبايح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدايهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز
الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وباخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعا
كان نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى والامرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت
حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
وبما سمعوه من نصايح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان
الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهايلة التي هي العمه في تيه الطغيان
وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل واحد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولين
حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من
الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى لون
ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها
عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على ان يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكاينين في
شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة محل بروبق الترشيح الاتي هذا على
تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاذب اطراف النظم
الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته عليه السلام وقد
كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في
اخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولامساغ لحمل الهدى على ما كانوا
يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل
في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء
لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح
واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما
من الملابسة وفايدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته
الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما
فاتهم من فوايد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنده كل احد للاشباع في التخسير والتحسير
ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم
عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة
تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا
زيادة التصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا
من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله
فلما رايت النسر عز ابن داية ۞ وعشش في وكريه جاش له صدري ۞ فان لفظ الوكرين مع كونه
مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس واللحية او للفودين من جانبي
اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود

الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعا
باعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طرق
التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولين فات الربح في صفقة فربما يتدارك
في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين
كان راس مالهم الهدى فاستبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خايبين خاسرين نا
يبين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة عليها قبلها مشاركة له في
الترتب على الاشتراء المذكور والاول عطفها على اشتروا والى اخره **مثلهم** الخ زيادة كشف لحالهم
وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسا
من حيث النفس بهلاكها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزا
من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الاتي كيف لا وهو رفع
الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة
المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا
قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد
استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء
اخر تشبيه ومنه قوله تعالى ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله
تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان **كمثل الذي** اي الذين كما في قوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما
جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القايمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له
دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك
بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام
بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع وليستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح
بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد
به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها
من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفا
لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى
وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقا
اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن
والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما
مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** النور
ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفا الله نارهم التي هي مدار
نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه
وكما ينبي عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما

واستئناف اجيب به عن سوال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من
جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى
فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات
خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه
تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يوذن به تعدية
الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا
اخذه وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ
الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف
والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي
هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما
يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين
ولا اثر واما لان المراد بالنار نار لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة و[illegible]
كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب
الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق
العبث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول
واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال • فتركته جزر السباع ينشنه • يقضمن
حسن بنانه والمعصم • والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد
البصر وتمنع من الرؤية وقرئ ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي
هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعتين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو
النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق وبالهدى الذي كانوا حصلوه من النور ذكرا حسبما
كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة
لا يتسنى فيها الابصار **صم بكم عمي** اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل
المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم افة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه
الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز
باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث
سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا
بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا
الى ايات التوحيد المنصوبة في الافاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال
الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل
البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال • وتصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السماء • لما

لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية
حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير • لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم • **فهم لا يرجعون** الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم
بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي
اتخذوها والاية تتمة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في
ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا لاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر
وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالاية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما
اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقاؤهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها
بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين
في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون يتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا
منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا
اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون
واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم
فالضمير للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى
حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال
حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب
ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من
التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على
حذف المضاف لما سياتي من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان
بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب
فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ
عفى اية نسج الجنوب مع الصبا • واسحم دان صادق الرعد صيب • ولعل الاول هو المراد
ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل
الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة
الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب **من السماء** متعلق بصيب او
بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف
ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان
بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها
سماء على حدة قال • ومن بعد ارض بيننا وسماء • كما ان كل طبقة من طباقها سماء • قال تعالى
فاوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق اخذ بالافاق وقيل المراد
بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه
بتتابع القطر وظلمة اظلاله ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل

الاولى [illegible] الصاد المتعلقة
والباء المشددة [illegible]

ن

وجعل محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهم جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدة
وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تعم ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم
جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل وكظلمات فيها صيب لما
افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب
والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند
اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي
لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه
ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه
قيل فيه ظلمات شديدة داهية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية
لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر
في قوله تعالى **يجعلون أصابعهم في آذانهم** للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه
باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا
بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما اقيم مقامه من القرية قال رحمه الله
• يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • فان تذكير الضمير المستكن في يصفق
لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانثه حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار
الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع
باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها
بجملتها لا بانامليها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم
وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع
المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال
نشأ من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل
يجعلون الخ وقوله تعالى **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من
قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من
الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما
في الرواية او مصدرا كالعاقبة وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا
اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ
من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع اي مجيد **حذر الموت** منصوب بيجعلون
على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره • واصفح عن شتم اللئيم تكرما •
ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدر اي يحذرون
حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة
وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدر

معدة **والله محيط بالكافرين** اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى
لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من
شؤونه تعالى بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة
تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر
من طرفي المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ
متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم والجملة
اعتراضية على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل
لا ترد باس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان
بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا
الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم
من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه
او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه **يكاد البرق** استئناف اخر وقع
جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك **يخطف أبصارهم**
اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه
وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا
عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله • فابت الى فهم وما كدت آيبا • وكذا مجيئه
مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قوله رسم قد كاد من طول البلى ان يمحصا كما تحمل هي عليها
بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف
بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما
على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم
كلما أضاء لهم كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة
موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها
وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول افيفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم
ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف اي كلما لمع لهم على انه
لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء **مشوا فيه** اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة
مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم
استطاعتهم لهما **وإذا أظلم عليهم** اي خفي البرق واستتر والظلام وان كان لازما لكن لما كان
الاظلام دائرا على استتار واسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد
جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام • هما اظلما حالي ثمت اجليا •
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب • ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول **قاموا** اي وقفوا في اماكنهم
على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الى
الالتجاء الى ملجا يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون

لما يصح نكلما وجد وافرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير
اللب ما لا يوصف **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم** كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو
الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية مفروضية
الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل
والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره
فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول
اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك
فظاهر ان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد
انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء
الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع بكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول
وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا
فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا
اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في
زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء باطلا
في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما
في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم
بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما
في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء
كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا
ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك
تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول
منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق بصورة
عدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدار الوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس
لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود
الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم
في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر
في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عم من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته
عم بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمتين الناشئتين من كونها ربيبته عم والحرمة
الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على
اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل
حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله تعالى قل
لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله عم لو كان الايمان في الثريا لناله رجال

رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة
قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء
اسبابها او تحقق اسباب انتفائها كيف لا وان لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل رائعة حررناها في تفسير قوله تعالى اولو كنا
كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم
العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من
قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية
الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من
المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما
يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء
احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها
اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء
كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وايثار الافراد في المشهورة لان السمع مصدر في
الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما اضاء الخ وقوله
تعالى **ان الله على كل شيء قدير** تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على
ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه
كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة
به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية
اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة
تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال
لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن
الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على
المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها
يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر
يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله
تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان
يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار ونبذهم
اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم
وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته بلا بسهم الظلمات الكثيفة وابقائهم

فيها وبينهما في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية
بالصيب الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والأحزان وانكساف البال
بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال
من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من
رشد يدركونه أو رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عن
لهم مصيبة بوقوفهم إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد
من المفردات الواقعة في أحد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه
التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة أخرى منتزعة
من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن ينتزع من المنافقين وأحوالهم المفصلة في كل واحد
من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب وأحوالهم المحكية
هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الأوليين بما يضاهيها من الأخريين هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الأول إجمالا مع أمر زائد هو تشبيه
الهيئة بالهيئة وإيذانا بأن اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلا
في الغرابة **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب
الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته
وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة
بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات
هزا لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب
فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب
تنزيلا له منزلة البعيد إما إجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد
واستقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين وإما تنبيها على غفلته وسوء فهمه
وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير معتنى بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء
المعرف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزم رفعه
مع انتصاب موصوفه محلا إشعارا بأنه المقصود بالنداء وأقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء
وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه ولما في من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب
المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من
الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب
الأبية ويتلقوها بآذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ
والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجموع وأسماءها المحلاة باللام
للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون
واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعمومها شائعا ذائعا وأما من عداهم ممن سيوجد منهم
فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه عليه السلام ضرورة أن
مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يندرج

مزيد ابتهاجهم على

يندرج في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي إذ
ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه
بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين
قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة
فيها مع أنها متكررة حسب تكرر أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعني الإيمان لأن
الأمر بها منتظم للأمر بما لا تتم إلا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث بالصلاة
مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضا لما أنها عبارة
عن غاية التذلل والخشوع ويروى عن ابن عباس أن كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها
التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الأخريين ممن لا
يهتدي منهم إلى الإيمان بحرف النص القطعي لما أن الأمر قطع الأعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم
من الإيمان بعدم إيمانهم أصلا إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك
لكونهم في أنفسهم سوء اختيارهم كذلك لا أن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا إخراج أصلا ثم
لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وأنتم تعلمون وإيراده تعالى
بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة **الذي
خلقكم** صفة أجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد و
التوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي والآلهة
التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل أي قدرها
وسواها بالقياس وقرئ خلقكم بإدغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على
الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة
كخلق أنفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقكم من قبل
خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن
ضرورة عموم الخطاب وبيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي إلى عدم
التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون معلومة
الانتساب إلى الموصول عندهم أيضا مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لما أن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث
لا يتأتى لأحد إنكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بإقحام الموصول الثاني
بين الأول وصلته تأكيدا كإقحام اللام بين المضافين في لا أبا لك أو بجعله موصوفا بالظرف
خبرا لمبتدأ محذوف أي الذين هم أناس كائنون قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل
هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب فيسمى ترجيا
أو مكروه فيسمى إشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم كما في قولك
لعل الله يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال لأن معاني الإنشاءات قائمة به وإما من جهة
المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز إيذانا بأن

ها

ف

ذلك الامر فی نفسه منشیه للتوقع متصف بجنیه فصحة لدمن غیر ان یعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع
اصلا فان روعیت فی الایة الکریمة جهة المتکلم یستحیل ارادة ذلك المعنی لامتناع التوقع من علام
الغیوب فیصار اما الی الاستعارة بان یشبه طلبه تعالی من عباده التقوی مع کونهم مستبیه لها
لتقاضد اسبابها برجاء الراجی من المرجو منه امرا هین الحصول فی کون متعلق کل منهما مترددا بین
الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فیستعار له کلمة لعل استعارة تبعیة حرفیة للمبالغة فی الدلالة
علی قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الی التمثیل بان یلاحظ خلقه تعالی ایاهم
مستعدین للتقوی وطلبه ایاها منهم وهم متمکنون منها جامعون لاسبابها وینتزع من ذلك
هیئة فتشبه بهیئة منتزعة من الراجی ورجائه من المرجو منه شیئا سهل المنال فیستعمل فی الهیئة
الاولی ما حقه ان یستعمل فی الثانیة فیکون هناك استعارة تمثیلیة قد صرح من الفاظها بما هو العمدة
فی انتزاع الهیئة المشبه بها اعنی کلمة الترجی والباقی منوی بالفاظ متخیلة بها یحصل الترکیب المعتبر
فی التمثیل کما مر مرارا واما حمل التشبیه ارادته تعالی فی الاستعارة والتمثیل فامر مؤسس علی قاعدة
الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالی فالجملة حال اما من فاعل خلقکم ای طالبا
منکم التقوی او من مفعوله وما عطف علیه بطریق تغلیب المخاطبین علی الغائبین لانهم المامورون
بالعبادة ای خلقکم وایاهم مطلوبا منکم التقوی او علة له فان خلقهم علی تلك الحال فی معنی
خلقهم لاجل التقوی کانه قیل خلقکم لتتقوا او کی تتقوا اما بناء علی تجویز تعلیل افعاله بالاغراض
راجعة الی العباد کما ذهب الیه کثیر من اهل السنة واما تنزیلا لترتب الغایة علی ما هی ثمرة له منزلة
ترتب الغرض علی ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالی لغایات ومصالح متقنة جلیلة من غیر
ان یکون هی علة غائیة لها بحیث لولاها لما اقدم علیها مما لا نزاع فیه وتقیید خلقهم بما ذکر من
الحال او العلة لتکمیل علیه المامور به وتأکیدها فان اتیانهم بما خلقوا له ادخل فی الوجوب و
ایثار تتقون علی تعبدون مع موافقته لقوله تعالی وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون للمبالغة فی
ایجاب العبادة والتشدید فی الزامها لما ان التقوی قصاری امر العابد ومنتهی جهده فاذا کان الزمهم
ما هو ادنی منها الزم والاتیان به اهون وان روعیت جهة المخاطب فلعل فی معناها الحقیقی و
الجملة حال من ضمیر اعبدوا کانه قیل اعبدوا ربکم راجین للانتظام فی زمرة المتقین الفائزین بالهدی
والصلاح علی ان المراد بالتقوی مرتبتها الثالثة التی هی التبتل الی الله تعالی بالکلیة والتنزه عن کل
ما یشغل سره عن مراقبته وهی اقصی غایات العبادة التی یتنافس فیها المتنافسون وبالانتظام القدر
المشترك بین انشائه والثبات علیه لیرجی ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتی التوقی عن العذاب
الخالد والتجنب عن کل ما یؤثم من فعل او ترك کما مر فی تفسیر المتقین ولعل توسیط الحال من الفاعل
بین وصفی المفعول لما فی التقدیم من فوات الاشعار بکون الوصف الاول معظم احکام الربوبیة
وکونه عریقا فی ایجاب العبادة وفی التاخیر من زیادة طول الکلام هذا مع تقدیر اعتبار تحقق
التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقکم وما عطف علیه علی النظم
المذکور ای خلقکم وایاهم حال کونکم جمیعا بحیث یرجو منکم کل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالی
لما براهم مستعدین للتقوی جامعین لمبادیها الآفاقیة والانفسیة کان حالهم بحیث یرجو منهم کل
راج ان تتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم یتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الایة الکریمة مع

مع کونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحیده تعالی وبحتم عبادته تعالی علی کافة الناس مرشدة لهم
باشارتها الی ان مطالعة الایات التکوینیة المنصوبة فی الانفس والافاق مما یقتضی بذلك قضاء
متقنا وقد بین فیها اولا من تلك الایات ما یتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوی
شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما یتعلق بمعاشهم فقیل **الذی جعل لکم الارض فراشا** وهو
فی محل النصب علی انه صفة ثانیة لربکم موضحة او مادحة او علی تقدیر اخص وامدح او فی محل
الرفع علی المدح والتعظیم بتقدیر المبتدا قال ابن مالك التزم حذف الفعل فی المنصوب علی المدح اشعارا
بانه انشاء کما فی المنادی وبحذف المبتدا فی المرفوع اجراء للوجهین علی سنن واحد واما کونه مبتدا
خبره فلا تجعلوا کما قیل فیستدعی ان یکون مناط النهی ما فی حیز الصلة فقط من غیر ان یکون لما سلف
من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل فی ذلك مع کونه اعظم شانا وجعل بمعنی صیر والمنصوبان بعده
مفعولان وقیل هو بمعنی خلق وانتصاب الثانی علی الحالیة والظرف متعلق به علی التقدیرین و
تقدیمه علی المفعول الصریح لتعجیل المسرة ببیان کون ما یعقبه من منافع المخاطبین وللتشویق الیه
لان النفس عند تاخیر ما حقه التقدیم لا سیما بعد الاشعار بمنفعته تبقی مترقبة له فیتمکن لدیها عند
وروده علیها فضل تمکن او لما فی المؤخر وما عطف علیه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب
اطراف النظم الکریم ومعنی جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها
متوسطة بین الصلابة واللین صالحة للقعود علیها والنوم فیها کالبساط المفروش ولیس من
ضرورة ذلك کونها سطحا حقیقیا فان کریة شکلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقری بساطا
ومهادا **والسماء بناء** عطف علی المفعولین السابقین وتقدیم حال الارض لما ان احتیاجهم الیها
وانتفاعهم بها اکثر واظهر ای جعلها قبة مضروبة علیکم والسماء اسم جنس یطلق علی الواحد
والمتعدد وان جمع سماوة او سماءة والبناء فی الاصل مصدر سمی به المبنی بیتا کان او قبة او خباء
ومنه قولهم بنی علی امرأته لما انهم کانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا علیها خباء جدیدا **وانزل من
السماء ماء** عطف علی جعل ای انزل من جهتها او منها الی السحاب ومن السحاب الی الارض کما
روی ذلك عنهم والمراد بالسماء جهة العلو کما ینبئ عنه الاظهار فی موضع الاضمار وهو علی
الاولین لزیادة التقریر ومن لابتداء الغایة متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول
ای کائنا من السماء قدم علیه لکونه نکرة واما تقدیم الظرف علی الوجه الاول مع ان حقه التاخیر
عن المفعول الصریح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشویق الیه مع ما فیه من مزید
انتظام بینه وبین قوله تعالی **فاخرج به** ای بسبب الماء **من الثمرات رزقا لکم** وذلك
بان اودع فی الماء قوة فاعلیة وفی الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجری عادته
بافاضة صور الثمار وکیفیاتها المتخالفة علی المادة الممتزجة منهما وان کان المؤثر فی الحقیقة قدرته
تعالی ومشیئته فانه تعالی قادر علی ان یوجد جمیع الاشیاء بلا مبادئ ولا مواد کما ابدع نفوس المبادئ
والاسباب لکن له تعالی فی انشائها متقلبة فی الاحوال ومتبدلة فی الاطوار من بدائع حکم باهرة
تجدد لاولی الابصار عبرا ومزید طمأنینة الی عظیم قدرته ولطیف حکمته ما لیس فی ابداعها بغتة ومن
للتبعیض لقوله تعالی فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بین منکرین اعنی ماء ورزقا کانه قیل وانزل
من السماء بعض الماء ولا اخراج من الارض کل الثمرات ولا جعل کل المرزوق ثمارا وللتبیین

فاخرج به بعض الثمرات لیکون بعض رزقکم وهکذا الواقع اذ لم ینزل من السماء کل الماء

مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستان ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للايذان بتعلقه بما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او للانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تشنيع على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اى هو الذي خلقكم لهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل عن مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه من لزوم المصير الى رأي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المساوي من ند ندودا اذا نفر ونادّدته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ٭ اربا واحدا ام الف رب ٭ ادين اذا تقسمت الامور ٭ تركت اللات والعزى جميعا ٭ كذلك يفعل الرجل البصير ٭ وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان

ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبما مر في قوله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله تعالى على رسوله عليه السلام كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها تنزهه عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه في كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه منزلا من عند الله تعالى وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا تنزله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف

على الطاعة والعبادة حسبما نطق في صدر السورة الكريمة مستغنون صح صح

والتنويه والتنبيه على اختصاصه به تعالى وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد
هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله
لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام
الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور
بدلالة اشارته اليه من ان عبارته عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق
كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه
سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها
اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط
جواب وفد سورة في المجد ليس غرابها بمطار • فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل
والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرقى فيها
القارئ رتبا فرتبا وقيل واوها مبدلة من همزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في
من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من
مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها
تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا وقد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض
ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع ان المراد
ارخاء عنان الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على
التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه وو
بترجيحه وقيل هي زائدة على ما رأى الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله وقيل هي ابتدائية
فالضمير للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي
بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عم في البشرية
والعربية لا يستدعون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عم فيما ذكر من
الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم
على ذلك في الجملة فرادى ومجتمعين مع انه يستدعي عز المنزل عما قصاراه النعوت الموجبة لاستحالة
وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم
حسبما ينطق به قوله تعالى **وادعوا شهداءكم من دون الله** ويتعاونوا على الاتيان بقدر
يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى به جملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه
قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع
فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر
فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر
والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحا
ضركم ورؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين

او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند
الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم
الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتاكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة
على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح
من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على
سواه والالتفات لادخال الروع وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم
الذين هم وجوه الناس ورؤساء المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم
يابون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم
شمول التحدي لاولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم تصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله
تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حقا فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون
حقيقة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى
به فعدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال
متردد بين المماثلة وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس
الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وما نبضوا في عرق
ولا تشبثوا ببنت شفة وما متعلق بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف
مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم
الهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ مبتدأ من التجاوز وفي
التعبير عن الاصنام بالشهداء للتعيين ومدار الاستظهار بها تذكيرا لما زعموا من انها بمكان من الله تعالى
وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان من هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم
وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم
وتوجيه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة
لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي
هو ادنى مكان من شيء لقدامه كما في قول الاعشى • تريك القذى من دونها وهي دونه • اي
تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفايته رائحة الفعل فيه من غير
حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى
ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات
تربية المهابة بنوع تشنيع ذلك المعنى فانما يقوم لهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان
في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد
من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هاهنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس زيد بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما
ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من
الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف
التي لا تتصرف فتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم
ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم

شاهدهم يجاوزون في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون
بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام
كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية
التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم
المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة
البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه
مامر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولياء الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة
واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان ما بينهم وبين ذلك إِنْ
كُنتُمْ صَادِقِينَ اى في زعمكم انه من كلام البشر وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى
ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك
الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عم في البشرية والعربية مع ما بهم من
طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع
والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي
الامر به فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود و
جاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح
به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق
الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع
نكتة سرية تستقل بها المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور
به لاظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول اى المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في
الشرطية اعني الامر بالاتقاء انما هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المدلول فان مدلول لفظ
الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة
فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما
تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص
ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال
اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع ويرشدك الى هذا قوله تعالى
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما
كان مقصود يوسف عم بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية
لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر
بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقد
قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاشياء الظاهرة بالضمائر
الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال
بمعونة قرائن الحال فتدبر وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة
معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم وَلَن تَفْعَلُوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا الا ان في لن

لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه
حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية
مقرر لمضمون مقدمه ومؤكد لايجاب العمل بتاليه وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل
وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يداني في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فَاتَّقُوا
النَّارَ جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه
وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه من عند الله
سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد
بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال
العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز
البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم
العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار الَّتِي وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك و
الوقود ما يوقد به النار ويرفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا
احرقته لا كالنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف
صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها الى ما نسبت اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوا
من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا
وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون
جميع اياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند المخاطب فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله
والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم الاية أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد
اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضمير
لزمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة
موجودة الان والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به
ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها
لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وَبَشِّرِ
الَّذِينَ آمَنُوا اى بانه منزل من عند الله تعالى وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود
عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن
ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب
بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر
على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعلق التبشير بالموصول للاشعار
بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة

ها

صلى الله عليه وسلم

هم

فضلاً من أن يقتضيا ثواباً فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلاً مفيداً
للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالإيمان على إحداث الإيمان وتحذيرهم
من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في
قوله عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فإنه عليه السلام لم يأمر بذلك
واحداً بعينه بل كل واحد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز إلى أن الأمر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بأن
يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشرة وتباشير
الصبح أوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة من الجري مجرى الاسم وهي كل ما
استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال
الصالحة التي أشير إلى أمهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلف
في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق
البشارة مجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء **أن**
لهم جنات منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لأفعلن والجنة
المرة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير
● كأن عيني في غربي مقتلة ● من النواضح تسقي جنة سحقا ● أي نخلاً طوالاً كأنها لفرط تكاثفها والتفافها
وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس
ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذاً من المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها مع أن
فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لأنها
سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة
المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الأعمال
وأصحابها **تجري من تحتها الأنهار** في حيز النصب على أنه صفة جنات فإن أريد بها الأشجار فجريان
الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت
أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق
اسم الجنة على الكل عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في
قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب أو عوض عن المضاف إليه كما في قوله تعالى
واشتعل الرأس شيباً أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر
بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها
ماؤها على الإضمار أو على المجاز اللغوي أو المجاري أنفسها وقد أسند إليها الجريان مجازاً عقلياً كما
في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة
أخرى لجنات أخرت عن الأولى لأن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها
باعتبار أهلها المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه حين وصف الجنات بما ذكر من
الصفة وقع في ذهن السامع أن ثمارها كثمار جنة الدنيا أو لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقاً
مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقاً مبتدأ
من الجنات مبتدأ من ثمرة على أن الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ

مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقاً وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كونه
من ثمرة بياناً تقدم على المبين كما في قولك رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى ما رزقوا وإن وقعت
على فرد معين منه كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك وإن أشرت إلى ما يقابله بحسب
الظاهر لكنك إنما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل أي من
قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وإنما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل
النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير المعروف وتتبين لها مزيته وكنه
النعمة فيه إذ لو كان جنساً غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك أو مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة
لأن طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى
فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روي أنه
قال والذي نفسي بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه
حتى يبدل الله مكانها مثلها والأول أنسب لمحافظة عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذه
المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الأولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما
بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا
عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه المرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن
ابن عباس رضي من أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الاسم فإن ذلك لبيان كمال التفاوت
بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما أصلاً كيف لا وإطلاق الأسماء
منوط بالاتحاد النوعي قطعاً هذا وقد فسرت الآية الكريمة بأن مستلذات أهل الجنة بمقابلة ما
رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة حسب تفاوتها فيجوز أن يريدوا هذا ثواب الذي
رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من
الكرامات من قبيل الثواب **وأتوا به متشابهاً** اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الأول
راجع إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى إن يكن غنياً أو فقيراً فالله
أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني إلى الرزق **ولهم فيها أزواج مطهرة** أي مما
في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيض والقرآن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهر يستعمل
في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلة وفواعل قال ● وإذا العذارى بالدخان تقنعت ● واستعجلت نصب القدور فملت ● فالجمع
على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهراً طهرهن وما هو إلا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فيحتمل
أن يكون من قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والأنثى وهو في الأصل اسم لما
له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح إطلاقه
على أزواج أهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الأولاد كما أن المدار لبقاء الفرد ليست بمعتبرة
في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك بإطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** أي دائمون والخلود
في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من
الإنسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها أبداً

صلى الله عليه وسلم

ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضي به من الايات والسنن وما قيل من
ان الابدان مولفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المودية الى الانحلال والانفكاك
فياسه مدار ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق
تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات
متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينهما ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات
وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي
به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف
الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر المومنين بها وبدوامها
تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يودي اليها من العقد والعمل **ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص
اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من
مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن
عباس ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى
من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رض ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك
ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد
فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر
كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس
وتصوير اوابد المعاني بهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه
في ادراك الحقايق الخفية وفهم الدقايق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين المتمثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير
بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء
اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر
والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحياة
اشتقاق نسي وحشي من النسا والحشا يقال نسي الفرس وحشي اذا اعتلت منه
تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء تعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه
وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى الياءين ومنه
قوله • الا تستحي منا الملوك وتتقي • محارمنا لا يبوء الدم بالدم • وقوله • اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد • وانما اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في قوله عم ان الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد

يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل
في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك تعذيبهما حياء كذلك
اذ انتفى عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من
الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي منه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى
كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوذن بالايجاب من شانه تعالى
في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد
الدواعي الى ضربه وتاخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس
المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب
محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال • من مبلغ افناء يعرب كلها • اني بنيت
الجار قبل المنزل • وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان
انشاء الامثال السايرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان
الانشاء هنالك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها
لكن التعبير عنه بالضرب ليس لهذا الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب
الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها
بها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشا بحسبها بعد ان لم تكن
كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها كما في الامثال التنزيلية فان مضاربها
قوالبها او قبل ذلك كساير الامثال السايرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي
ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع
الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها
ومحل ان يضرب على تقدير تعديته يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند
الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها وما لا مفعول ليضرب
واما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه
قيل مثلا ما اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى
فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة
الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة
لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير
كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كانه لما رد استبعادهم
ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها كجناحها
على ما وقع في قوله عم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض
فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش
وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة

صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهي عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او
موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على جزئها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل
والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او شيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة
للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل
دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية
اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة
لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما
الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها
في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان
رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز
الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة وما تجاوزها في الالم كامثال ما حكي من الخرور **فاما الذين آمنوا** شروع في تفصيل ما
يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته وصدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما
بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المومنين على
ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين بها من احماد امر المومنين
وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن معنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد
يقتصر على واحد منها كما في قوله تعالى عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه
اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول
الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط
لفظا والمراد بالموصول فريق المومنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من
يومن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المومنون **فيعلمون انه الحق من
ربهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل
الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن
لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى
المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم
وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة
مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعولها الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون
حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بوجه كما في قوله تعالى
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهور
المعنى عن الذكر **واما الذين كفروا** ممن حكيت اقوالهم وافعالهم **فيقولون ماذا اراد
الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينه لا للدلالة على كمال علو

غلو كفرهم في الكفر وترامي امرهم في العناد فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها ولا
بدرجة التصريح او تمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد
وغير ذلك من شنائعهم المرتبة على قولهم المذكور وعلى ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم
من يعلمها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل
والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي
وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما في لفظه منزلة اسم واحد بمعنى
اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه والقوة
التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك
اختلفوا في ارادته تعالى فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره
امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الاخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي
كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى
ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في
اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه تعالى بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الركاكة و
الحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان
يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله تعالى **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب عن
تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة
الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية ووضع الفعلين موضع الفعل الواقع
في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا
عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد
بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار
صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل
اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين
فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في اعضادهم وهو في
السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم
بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل فريق
انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى
اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية حيث
دون قلتهم الاضافية للتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من

حيث العدد وفي الآخر من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا
كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة
له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه
يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز
الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها **وما يضل به** اي بالمثل وضربه **الا الفاسقين**
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة
المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتداء بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون
الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة
الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة
يذهبن في نجد وغورا غائرا • فواسقا عن قصدها جوائرا • وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله
تعالى بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي
وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها
مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه با
لتصديق الذي عليه مدار الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما
ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق و
جحوده ولم يتبين لهم ادخال الفاسق في احدهما جعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين هنا الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده
كما حكي عنهم من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على
صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للضلال وادى
بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن
التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا
فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق
والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في العهد من حيث استعارة
الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا
للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه تنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق
يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة
القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وبه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر منه والمأخوذ من جهة الرسل
على الامم من انهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة
ولم يخالفوا احكامه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
يكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذ على جميع ذرية آدم عم بان يقروا على
ربوبيته والثاني ما اخذ على الانبياء عم بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذ

على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام
واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد به
ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة فالمراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام
والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد
والميثاق مصدر من المبني للفاعل والمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه
الله تعالى بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه
موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل **ويقطعون**
ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عم والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض
خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات
من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب
لما انه مشان وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه مشيء ومحل ان يوصل اما النصب
على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن
الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها بدو رفاه نظام العالم وصلاحه **اولئك** اشارة
الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز و
منتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في
الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية
واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون**
بالله التفات الى خطاب المذكورين مبني على ابراز ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط
الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من
المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله تعالى **وكنتم امواتا** الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار
والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها
نعما عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوب على
التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى
والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة و
الاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في
قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على
التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة

بعضها متراخ عن بعض كما أشير إليه آنفا **ثم يميتكم** أي عند انقضاء آجالكم وكون الإماتة من دلائل
القدرة ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها وسيلة إلى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي
المستفاد من كلمة ثم بالنسبة إلى زمان الإحياء دون زمان الحيوة فإن زمان الإماتة غير متراخ عنه
ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في القبور وأياما كان فهو متراخ عن زمان
الإماتة وإن كان أثر زمان الموت المستمر **ثم إليه ترجعون** بعد الحشر لا إلى غيره فيجازيكم
بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر أو إليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الأفعال وإن كان
بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لما بيني تقارنه شيء منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في
الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه الأحوال المانعة منه
ومآله التعجيب من وقوع عدم تحقق ما يقتضيه وإنما نظم ما ينكرونه من الإحياء الآخر والرجع في سلك ما
يعترفون به من الإحياء الأول والإماتة تنزيلا لتمكنهم في العلم بما يعاينون من الدلائل القاطعة منزلة
العلم بذلك بالفعل في إزاحة العلل والأعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمي
الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الإنسان من العقل والعلم
والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب
قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها وقال
تعالى ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد به اتصافه
تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون
بفتح التاء والأول هو الأليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا** تقرير للإنكار و
تأكيد له من الجهتين المذكورتين بتغيير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود إيذانا بما بينهما
من التفاوت فإن ما يتعلق به وأتم من الإحياء والإماتة والحشر أدخل في الحث على الإيمان والكف
عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلال
ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق
إلى المؤخر كما سلف أي خلق لأجلكم جميع ما في الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها في أمور دنياكم بالذات
أو بالواسطة وأمور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد منها على ما
يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الأرض لا نفسها إلا إن أريد بها جهة السفل كما يراد
بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من أجزائها فإنه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل جميعا
حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فإن كل فرد من أفراد ما في الأرض بل كل جزء من
أجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام
مصالح الناس أما من جهة المعاش فظاهر وأما من جهة الدين فلما أنه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر
وما لا يتعلق به إلا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن
لم يستدل به أحد بالفعل **ثم استوى إلى السماء** أي قصد إليها بإرادته ومشيئته قصدا سويا
بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من إرادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك مأخوذ
من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا إما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي
من تخلل خلق السموات بين خلق الأرض ودحوها عن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر

الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها
الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية بإبداع العلويات و
قيل استوى استولى وملك والأول هو الظاهر وكلمة ثم للإيذان بما بينه من المزية والفضل
على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فإن تقدمه على خلق ما في الأرض المتأخر عن دحوها مما
لا مرية فيه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن والمراد بالسماء إما الأجرام
العلوية فإن القصد إليها بالإرادة لا يستدعي سابقة الوجود وإما جهات العلو **فسواهن** أي
أتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا أنه تعالى سواهن بعد أن لم يكن
كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه إشارة إلى أن لا تغير فيهن
بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الأول للسماء فإنها في معنى الجنس وقيل
هو جمع سماءة أو سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى **سبع سموات** كما في قولهم ربه
رجلا وهو على الوجه الأول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الأرض
مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما أن المنافع المنوطة بما في
الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإن كان في إبداع العلويات أيضا من المنافع الد
والدينية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل بإذن الله
تعالى **وهو بكل شيء عليم** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والأرض وما فيهما
على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فإن علمه تعالى بجميع الأشياء
ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على
الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد **وإذ قال ربك** بيان لأمر آخر من جنس
الأمور المتقدمة المؤكدة للإنكار والاستبعاد فإن خلق آدم عم وما خصه به من الكرامات
السنية المحكية من أجل النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير
لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها
وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للإيذان بأن فحوى الكلام ليس مما
يهتدى إليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل إنما طريقه الوحي
الخاص به عم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عم
من الإنباء عن تشريفه عم ما لا يخفى وإذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة أخرى مثلها
كما أن إذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى مثلها ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل وانتصابه
بمضمر صرح بمثله في قوله تعالى واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات
للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني
ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه
على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف وإقامة الظرف مقامه وأياما كان فهو
معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عم غب ما أوحي إليه ما خوطب به الكفرة
من الوحي الناطق بتفاصيل الأمور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه

النعمة لتنبيهوا بذلك لبطلان ما هم به وتوبيخهم عليه واما قيل من ان المقصود هو شكر النعمة في خلق السموات والارض اوتذكيرهم بذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير الجليل بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وابن ذلك من مقام الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انضابه بقوله تعالى قالوا وبابه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا يحيى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدء خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فايدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ونعزى ذلك الى ابي عبيد ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله تعالى **للملائكة** للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشوق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمايل في جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واستقامة من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه من الاشتغال بغيره كما نعتهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثير منهم انه عليه السلام قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني ادم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحور وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع بمنزلة سوق يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين

الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وذهب اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم الى انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى القاعدة فان مفعول التصيير في الحقيقة اسم صار وجزؤها الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم يصير في الارض خليفة ثم معناه بعد البناء والتي اني جاعل خليفة من الخلائق او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل ادم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخل الذي يبخلون به هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة هاهنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي ما صح لو وقع في اثناء ذكره عليه السلام على ما سيفصل كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهد لهم به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا في صفة كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر بيده لا يكون ما سياتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما ادم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف بخلفه فيهم عليه السلام وغيره من

خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس
وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول
الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع قالوا
استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل **قالوا اتجعل**
فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان
الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول عند قوله بلا على ما ذكر
هنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا طالما قد وشى بنا الاعداء فحذف المفعول الثاني اي لا
تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه
لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد
ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة
من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة
بدعوى احقيتهم منه يقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره
ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطيعين
على الطاعة من شأنه ان يتوعد الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه
مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من
الحكم التي بدت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه
من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه
ولا تشككا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم
اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز
في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر **ويسفك الدماء** السفك
السفح والسكب والسبك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم
اي قتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك
على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك**
ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه
وهو يأمر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شأن ذريته الفساد
مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منه بالخلافة واستفسار عما رجحه عليهم
مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها
الافراط الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراط سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا
عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة
القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى
وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن

وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقدس بسيط تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها
وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك متعلق بمحذوف وقع حالا
من الضمير اي نزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي
من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام
في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله او للبيان كما في سقيا لك فتكون
متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما
لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك
بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا
اظهارا للمنة بل بيانا للواقع **قال** استئناف كما سبق **اني اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به
بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا
الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه هو الذي
خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك
المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمون من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه
بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشأنه وايذانا
بابتناء امره على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدوره عن العظمة وقيل معناه اني اعلم من المصالح
في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة
وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم
مبنيا على تردد في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن
لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله تعالى او الى فضيلة من
جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم
ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم
بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه
وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من
المقاولة انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله
بان قيل اني نفخت الروح فيه اي جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي
لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو
اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعابر وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه
من الادمة والادمة بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه عليه السلام من انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلف الوان ذريته او من الادم
والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد هاهنا اما

الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم
بها والتعليم حقيقة عبارة عن ترتب عليه العلم ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على
استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام
والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك به البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة
منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى
تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء المسميات
واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذلك
بعير وحاله كيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عم حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه
قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس
وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة
والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله
تعالى وعلم ادم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من
المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعا
رفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة
قبل خلقه عم وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه
ونفخ فيه الروح وعلمه الخ **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في
قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي
عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله تعالى عرضها عليهم من
افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء
هؤلاء** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير
اقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان
برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم
صادقين** اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما
يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب
الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اي استخلف في
الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم اني استخلف
من غالب امره الفساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزيد من جهة اخرى اذ لا يتعلق له بامرهم
بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استئناف واقع موقع الجواب كانه
قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتسبيح
ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون
المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل
ضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك

بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا
عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف ادم عم على الحكم البالغة وعلى التنزه
عن ذلك تنزيها ناشئا عن ذاتك واراد وا به انهم قالوا عن ادعائهم لما علموا اجمالا بانه عم يكلف
كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف على الخلافة وقوله تعالى **لا علم لنا الا ما
علمتنا** اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم
المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لم
تفضه علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء
على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة
ما لا يعلمونه واشعروا بان قولهم ذلك الجملة غني عن البيان **انك انت العليم** الذي لا يخفى
عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** اي المحكم المصنوع
الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل
لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي
وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وفي
تلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله وما يفهم من ذلك من علم ادم عم بما
خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد ادم عم لما نحن بمعزل
من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور
فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم ادم عم ما هو قابل
له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر
الخلافة عليها **قال** استئناف كما سلف **يا ادم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع
في امر الملائكة عم مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عم ابانة لما بين الامرين من
التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عم بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عم
حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما **باسمائهم** التي
عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة
لجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن
الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موضع الاضمار لاظهار كمال العناية
بشانها والايذان بانه عم انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال فالمعنى انباهم باسمائهم مفصلة
وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عم
لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات
وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عم فلما انباهم بذلك **قال** تعالى تقريرا لما مر من
الجواب الاجمالي واستحضارا له **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** لكن لا لتقرير نفسه
كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة
في ادم عم لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمونه بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة

في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عم من الامور
المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا يعلمون فيما سبق ما
اشير اليه هناك كأنه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هاهو هذا الذي
عاينتموه وقوله تعالى **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا
على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه
وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما
يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق
آدم عم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه
وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان ح الى الجميع من قبيل قولهم
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان
ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله
تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ
الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم
والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا
منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عم افضل من هؤلاء الملائكة عم لانه
اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **وإذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الاول منصوب
بما نصب من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا
لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما فيه وتخصيص هذا
القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المفصلة للايذان
بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار
الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موضع الاضمار
والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم
في قوله تعالى **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اتباعا
بكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على
الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له على وجه التحية والتكرمة تعظيما واعترافا بفضله
واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم عم
قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه وسببا لوجوبه فكأنه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية
على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما
عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رض اليس اول من صلى لقبلتكم ٭ واعرف
الناس بالقرآن والسنن ٭ او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله تعالى
فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي
عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عم وقوله

تعالى **إلا إبليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن
كما روي عن ابن عباس وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة
عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه
مشبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي
في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا والآية والتي في
سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ
الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر
التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من
صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط
بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من التسوية ونفخ الروح فيه عم وقد روي عن وهب انه
كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخر وتأويل الآيات الاول بحمل ما فيها من الامر على حكاية
الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف
من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الامر التعليقي
والاعتذار بحمل التراخي على التراخي الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به
لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز
يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عم في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا
انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عم وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد للعناد
وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي
الى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف يشبه
عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظم الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب
المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عم انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع
على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به
الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه
فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ
للقطع بعدم وجوب النفي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى
وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة بل انما اوجبه
عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى وروده فيما نحن فيه لكن الامر التعليقي اثر ذي اثر
انما هو حمل الملائكة عم على التأمل في شأنه ليتدبروا في احواله ليحيطوا بما له من جزالة ليتلقوه
ما عسى يشتبه عليهم في امره عم لابتنائه على حكم ابية واسرار خفية طويت عن علومهم وليقفوا

على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا
ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا
يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر
التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب
مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك
بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد
به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف
عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه
الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل
اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عم ما ذكروا
فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي
اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في
بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما
في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله
من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ
الاعلى الملائكة عم وآدم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم في شان
خلافة آدم عم من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عم من الانباء بالاسماء ومن قضية
البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما
علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عم وعناد ابليس
وتعرضه للعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد
المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ الروح
وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر **ابى واستكبر**
استيناف مبني لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتامل والاباء
الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي
امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه ويتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار
مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي
سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين**
اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله
تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار
او صار منهم باستقباحه امره تعالى اياه بالسجود لآدم عم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يومر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما

خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا لترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها
وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء
وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عم بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة
وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستطراده وانظاره
اجرائها وصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف
وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف
على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام
بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور
به وتخصيص اصل الخطاب به عم للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو
اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح
العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه حواء فذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها
وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر
ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت
امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امراة قالوا ولم
سميت امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها
خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوه على سرير من
ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل
دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان
خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى
اهبطوا مصرا لما ان خلقه عم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء
ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما
دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها
الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف
والترغيب وللمبالغة في ازالة العلل والاعذار وللايذان بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء
اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا
واسعا رافها **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما
الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع
الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء
من قربت الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب
قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم الاشارة
او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها

مبالغة في تحريم الأكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او الكرمة او التينة وقيل شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتا تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي وايا ما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية وانقصوا حظوظهم بما شرعوا فيه مخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي اصدر زلتهما اي زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عم لم يوهم بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قدر من خلافة الارض الى حين البعث اليهما واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عم ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم عم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت بها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالة لها وملابسته له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول **ولكم في الارض** التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار **مستقر** اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع بالعيش وانتفاع به **الى حين** هو حين الموت على ان المعنى يمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا **فتلقى آدم من ربه كلمات** اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم

الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف والايذان بعلية لاكتفاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها **فتاب عليه** اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمنة لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان آدم عم لان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر مواضع الكتاب والسنة **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه **قلنا** استئناف مبني على سؤال نسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا **اهبطوا منها جميعا** كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عم من استتباع قبول التوبة العفو عن ذلك واظهارا لنوع رأفته به عم لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المودي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين فكيف المقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا **فاما ياتينكم مني هدى** الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من اتبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين

والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام و
اظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب اتباعه ولان المراد بالثاني ما
هو اعم من الهداية التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما
قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** عطف
على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تغليظا لحال الضلالة واظهارا
لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان
بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة
الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا
المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من
المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور
والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة • توهمت آيات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا
العام سابع • ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من
كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات
منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال • خرجنا من النقبين لا حي مثلنا •
بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا • واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع و
اصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آيية
كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله تعالى **اصحاب النار** اي ملازموها وملابسوها
بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب
النار خبر له **هم فيها خالدون** في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى
اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة
واللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها
متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام **يا
بني اسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم
وامر بتذكيرهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان
المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكرهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة عم وشرفناه
بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال
ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ
اسرايل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء واسرأل بهمزة مفتوحة واسرئل
بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم
كفرا بها **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد

تذكروها بالكلمة ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة
لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة
فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل اريد بها ما انعم به على
آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي عم وقرئ
اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسورة ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد
لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث تغفل عن
انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس اوفوا
بعهدي في اتباع محمد عم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة
بالنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من
الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة والتأكيد
واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى
الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد
ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى **وآمنوا بما انزلت**
افراد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود **مصدقا لما
معكم** من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه
للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات
الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان
كلا منهما حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة
دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها
وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن ان الناسخ لها نطق بنسخها
فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق
المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا
اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم
يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا **ولا تكونوا اول كافر به** اي لا تسارعوا الى الكفر به فوظيفتكم

ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجي فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم فان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او أءول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي** اي لا تأخذوا ولا تستبدلوا بالايمان بها **ثمنا قليلا** هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرن الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فخص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه حتى يشتبه احدهما بالآخر ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالآخر ليس عين الاول بل هو نعت النبي الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجي في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره **وانتم تعلمون** اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس اراد لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** اي صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتأمرون الناس بالبر** تجريد للخطاب

للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول لجميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ مع الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوت الامرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والفساد وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** اي افلا تتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او لا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك يسمى به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع والاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ روي انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت ٥ لتهدي الانام ولا تهتدي ٥ الا ان ذلك لا ينفع ٥ فيا حجر الشحذ حتى متى ٥ تسن الحديد ولا تقطع ٥ فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى **واستعينوا بالصبر والصلاة** متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي عن المفطرات هو الصبر لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوصل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما

تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر
بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب
ولذلك قال عم وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية واعتراض تذييل **الذين يظنون انهم ملاقوا**
ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه فيجازيهم
يعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون
العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين بالتعرض للعنوان المذكور
للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه
العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين
الشراسيف جائف وانما لم يجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما
عندهم **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرر التذكير للتاكيد وربط ما
بعده من الوعيد الشديد به **واني فضلتكم** عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي
فضلت اباءكم **على العالمين** اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم
انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا **واتقوا**
يوما اي حساب يوم او عذاب يوم **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق
فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوم والعائد فيها محذوف اي تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف
قال اتسع فيه فحذف الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال
فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه **ولا يقبل منها شفاعة ولا**
يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
تساوي المفدى وتجزي مجراه **ولا هم ينصرون** اي يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما
دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة
عن العباد والاناسي والنصرة هنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية
نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة
والثاني اما ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا
وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات
الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من
اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم **واذ نجيناكم من ال فرعون** تذكير لتفاصيل ما اجمل
في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم وفنون النعماء وصنوف الالاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم
فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الاخطار كالانبياء عم والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك

الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون
موسى عم مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون
فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فراى في ظاهره حملا من البطيخ
بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم
فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة
فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها
وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم
تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر واخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر
مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم
فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا
المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال
قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك
ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار فيهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال
الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وتراضى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه
فكان من امره في العدل ما كان وكان فرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة
يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء **سوء**
العذاب اي افظعه وافحشه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية
ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون راى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله تعالى شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين
الف مولود او سبعين الفا وقد اعطى الله تعالى نفس موسى عم من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك
المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة **وفي ذلكم** اشارة الى ما ذكر من
التذبيح والاستحياء او الى الانجاء وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى **بلاء** محنة
وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك
كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في
حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما
وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من جهته
تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عم وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا **عظيم** صفة بلاء وتنكيره
للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء او الضراء من قبيل الاختبار فعليه
الشكر في المسار والصبر على المضار **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر
تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق
اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا

بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد
الأسباط **فأنجيناكم** أي من الغرق بإخراجكم إلى الساحل كما يلوح به العدول إلى صيغة الإفعال بعد
إرادة التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى **وأغرقنا آل فرعون** يريد فرعون و
قومه وإنما اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه أولى به منهم وقيل شخصه كما روي أن الحسن كان يقول
اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه **وأنتم تنظرون** ذلك أي غرقهم وإطباق
البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا روي أن الله تعالى أمر موسى عم أن يسري ببني إسرائيل فخرج بهم فصبحهم
فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف أن يغرق بعض أصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى كوى فتراءوا
وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل إليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم
واعلم أن هذه الواقعة كما أنها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة
عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة
تطمئن بها القلوب الأبية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لأعقابهم أن يتلقوها بالإذعان فلا
يتأثر أوائلهم بمشاهدتها وروايتها ولا تذكر أواخرهم بتذكرها وروايتها فيا لها من عصابة
ما أعصاها وطائفة ما أطغاها **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة** لما عادوا إلى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله موسى عم أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي
الحجة وقيل وعد عم بني إسرائيل وهو بمصر إذا أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين
هو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى
الثلاثي وقيل على أصلها تنزيلا لقبول موسى عم منزلة الوعد وأربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا
على حذف المضاف أي تمام أربعين ليلة وقرئ وعدنا **ثم اتخذتم العجل** بتسويل السامري إلها
ومعبودا وثم للتراخي الرتبي **من بعده** أي من بعد مضيه إلى الميقات على حذف المضاف **وأنتم
ظالمون** بإشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم أو اعتراض تذييلي أي وأنتم
قوم عادتكم الظلم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما
قال عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحواله عفاه كل هتان كثير الوبل هطال وفي لفظ التراخي
من بعد ذلك أي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للإيذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة
من الظلم **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **وإذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان** أي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل
وقيل أريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان
يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه **وإذ قال موسى
لقومه** بيان لكيفية وقوع العفو المذكور **يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل** أي معبودا
فتوبوا أي فاعزموا على التوبة **إلى بارئكم** أي إلى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت
وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب الخلوص عن الغير إما بطريق التفصي كما

عليهم وانفلاق البحر عن طريق يابسة مذللة أو جثثهم التي قذفها البحر

في برئ المريض من مرضه أو بطريق الإنشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للإشعار
بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم
بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وأن من لم يعرف
حقوق منعمه حقيق بأن تسترد هي منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب **فاقتلوا أنفسكم**
تماما لتوبتكم بالبخع أو بقطع الشهوات وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل
بقتل من عبده يروى أن الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لأمر الله فأرسل ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون عم فكشف
السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم**
إشارة إلى ما ذكر من التوبة والقتل **خير لكم عند بارئكم** لما أنه طهرة عن الشرك ووصلة إلى الحياة
الأبدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج
الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فإن مبنى الجميع على التكلم إلى الغيبة ليكون
ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإيذان بعلية عنوان البارئية والخالقية لقبول
التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وإنما لم يقل فتاب
عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم هذا وقد جوز أن
يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على أنه من كلام موسى عم لقومه تقديره إن فعلتم ما أمرتم به
فقد تاب عليكم ولا يخفى أنه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى
عم قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقوله تعالى حتما وقد عرفت أن الآية الكريمة تفصيل لكيفية
القبول المحكي فيما قبل وأن المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة **إنه هو التواب الرحيم** تعليل
لما قبله أي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الإنعام عليهم **وإذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك** تذكير لنعمة أخرى عليهم بعدما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي
اتخاذ العجل أي لن نؤمن لأجل قولك ودعوتك أو لن نقر لك والمؤمن به إعطاء الله إياه التوراة
أو تكليمه إياه أو أنه نبي أو أنه تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم **حتى نرى الله جهرة** أي عيانا وهو
في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعير للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف
إلا أن الأول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لأنها نوع من الرؤية أو حال
من الفاعل أو المفعول وقرئ بفتح الهاء على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا من
الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي أنه
لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين أمر الله موسى عم أن
يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا إلى الطور وقع عليهم
عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عم يأمره وينهاه وكان كلما كلمه الله تعالى أوقع على
جبهته نورا ساطعا لا يستطيع أحد من السبعين النظر إليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا
تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى
وقيل عشرة آلاف من قومه **فأخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم
ظنوا أنه سبحانه وتعالى يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات

والاعيان ولاريب في استحالته اي الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك
للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب
من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم
لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض
ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله تعالى عنهم ذلك فرجعت
اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عم موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون
اي ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث به لانه
قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله ثم بعثناهم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اي
نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي
عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل
عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب
عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض
عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار
بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وما ظلمونا بذلك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر
الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة
اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه
القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل
اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير
المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى ويؤول الى ما
في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية على
ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم
بما تفعلوا من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايي كخطايع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية

الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب
للمحسنين واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان
اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى غير الذي قيل لهم
نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المخالفة
من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول
موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع والتصريح بانهم بما فعلوا
قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل
والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة
وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه
على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذا الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد
به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى
لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد
وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل
واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام
متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان طوريا
مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عم من الجنة ووقع
الى شعيب فاعطاه موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل
وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة
وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عم بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض
لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم
يعتبرون وقيل الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عم من اس الجنة
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف
للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان
النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل
اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو
ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزرع والثمار ويابى

ان المأمور به اكل النعمة العتيدة لا التبسط فيه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما
للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ
ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عم **ولا تعثوا في**
الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم **مفسدين** وقيل انما قيد به
لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة
الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عم للغلام وخرقه للسفينة ونظيره
العث خلا انه غالب فيما يدرك حسا **واذ قلتم** تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله تع
واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد **يا موسى لن نصبر على طعام واحد** لعلهم يريدوا بذلك جميع
ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة
بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتووا
ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء **فادع**
لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان
الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة **يخرج لنا** اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر **مما تنبت**
الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض والتي في قوله تعالى **من**
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة
فيه **قال** اي الله تعالى او موسى عم انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه
قيل فماذا قال لهم فقيل قال **اتستبدلون** اي تأخذون لانفسكم وتختارون **الذي هو ادنى**
اي اقرب منزلة وادون قدرا واسهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا
قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل
بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها بدل من الهمزة
بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما
في التبدل والتبديل في مثل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا
مكانه لتحقق الاستبدال بما مر من صورة المناوبة **اهبطوا مصرا** امروا به بيانا لزيادة مطلبهم
او اسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة
ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سألتم** تعليل
للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان بذكرها
كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينال كل احد بغير مشقة **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** اي جعلتا
محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة

مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر
اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم **وباؤوا** اي رجعوا **بغضب** عليهم فقوله
تعالى **من الله** متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان
اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم **بانهم** بسبب انهم
كانوا يكفرون على الاستمرار **بآيات الله** الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي
موسى عم مما عد وما لم يعد **ويقتلون النبيين بغير الحق** كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام
وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق
اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عم وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى
والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**
اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عم فان صغار الذنوب
اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها
وقيل كررت الاشارة للدلالة على ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في
قول رؤبة بن العجاج • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • اي ان كان ما ذكر
والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليستا على الحقيقة ولذلك جاء الذي
بمعنى الذين **ان الذين آمنوا** اي بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة
والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجدي
بهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا **والذين هادوا** اي تهودوا من هاد اذا دخل
في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا
به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم **والنصارى**
جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في
احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها
او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهاري **والصابئين** هم
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة
الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما
لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل **من**
آمن بالله واليوم الآخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على
الوجه اللائق **وعمل** عملا **صالحا** حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر **فلهم** بمقابلة ذلك **اجرهم**
الموعود لهم **عند ربهم** الى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في الرفع على الابتداء
خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه

منهم

والجملة كما هي خبران على المبدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق
به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم
متيقن الثبوت مأمون عن الفوات **ولا خوف عليهم** عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم
حين يخاف الكفار العقاب **ولا هم يحزنون** حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا
وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فح لا بد من تفسير من
آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات
والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر
الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف
به غير مخل بكونهم اسوة لاوليك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما
قيل ان من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا
سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل
انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه
في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من
اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا منافقين واما الصا
بئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا
عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير
الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث
هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيهم ضرورة ان من كان من اهل
الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى
وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين
مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين **واذ
اخذنا ميثاقكم** تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا لميثاقكم بالمحافظة على
ما في التورية **ورفعنا فوقكم الطور** عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم كانه ظلة
روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فكبرت عليهم فابوا قبولها فامر
جبريل عم فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** اي احفظوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فان التذكر بالقلب او اعملوا
به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي وتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا
في سلك المتقين لاتقاء الله لذلك وقد مر تحقيقه **ثم توليتم** اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك
من بعد ذلك اي اخذ ذلك الميثاق المؤكد **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة
او بمحمد عم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بالانهماك في
المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير

ونزول العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب لما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتنا
عية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها
عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا
فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم
ولقد علمتم اي عرفتم **الذين اعتدوا منكم في السبت** روي انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت
للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد
وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا
برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله التوفيق لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنا
ياتهم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** اي جامعين
بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا
عند من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين
وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم تمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار
يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده تعالى وقرئ قردة بفتح
القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز **فجعلناها** اي المسخة والعقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي
تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذا
ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم
وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه** توبيخ
آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى عم
لاجدادكم **ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة** وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه
طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة و
يضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا** استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فما
ذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل قالوا **أتتخذنا هزوا** بضم الزاي وقلب الهمزة واوا
وقرئ بالهمز مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه
استبعادا لما قاله واستخفافا به **قال** استئناف كما سبق **اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين** لان الهزو في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عم ما توهموه من قبله على
ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعطافا
لما اتوا به من العظيمة التي شافهوه عم بها **قالوا** استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد
ذلك فقيل قالوا توجهوا نحو الامتثال وقالوا **ادع لنا** لاجلنا **ربك يبين لنا ما هي** ما مبتدأ وهي
خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم
ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة
كما في ما الشارح والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم

وقيل كان تحققنا ان يستفهم اي لكنهم لما اراوا امروا ابد على حال لذ مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن
الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اي موسى عم بعد ما دعى ربه تعالى بالبيان واتاه الوحي انه
تعالى يقول انها اي البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع لانها قطعت سنها وبلغت اخرها وتركيب
البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا فحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف
بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من
بيان صفة المامور به ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا
الامر منه عم لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا
استيناف كانه قيل فماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اي موسى عم بعد المناجاة الى
الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كلامهم
الى الله تعالى لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك
واحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما ان
سواد الابل يعلوه صفرة وياباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما ياباه وصفها بفقوع
اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي عنه من لبس نعلا اصفر
قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها
كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال
المشروحة [illegible] ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف
المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقر
تشابهت [illegible] ان النعوت المعدودة ليست بمخصصة للمامور بها بل صادقة على [illegible] افراد الجنس
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح
التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه
ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة [illegible]
في الجملة وانا ان شاء الله لمهتدون [illegible] موكدا
بوجوه من التاكيد اي لمهتدون [illegible] الى المامور بذبحها [illegible] الحديث لو لم يستثنوا لما
بينت لهم اخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي
لم تذلل للكراب وسقي الحرث [illegible] ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول [illegible]
صفة ذلول [illegible] كانه قيل [illegible] مررت برجل

برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لونها [illegible] لا شية فيها اي لا لون فيها
يخالف لون جلدها [illegible]
لون اخر قالوا عندما سمعوا هذه النعوت الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث
[illegible]
فذبحوها [illegible] وما كادوا يفعلون [illegible]
[illegible]
وإذ قتلتم نفسا [illegible]

محرمة **فادارأتم فيها** اي تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح
كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله
مخرج ما كنتم تكتمون** اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم
وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او
بتأويل الشخص او القتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغرها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه
الضمير الراجع الى البقرة كأنه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها
وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة
والاستهزاء برسول الله عم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة
بان ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخص بها
من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عم مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب لما ان جنايتهم كانت
بمراجعتهم اياه عم والافتيات على رأيه **كذلك يحيي الله الموتى** على ارادة قول معطوف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي قلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي
مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند
حياة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول
بل ينتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء
العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة **ويريكم آياته** ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء
قدير ويجوز ان يراد بالآيات هو الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحياة
على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات **لعلكم تعقلون** اي
لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضيته
ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله
على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله والشفقة
على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقرب قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رض انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى
وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي
فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر
وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها
حيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والجدال **ثم قست قلوبكم** الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة
عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لقسوة قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها
الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم قاسية اما لان المراد به
بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما

ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون **من بعد ذلك** اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من
الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق ولان
المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور **فهي كالحجارة** في القساوة **او اشد** منها
قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة
اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء لتفريع تشبيهها بها على ما
ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل
كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما في التصريح بالاشد من زيادة
مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة او للتخيير او
للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى
من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** بيان
لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة
ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة **وان منها لما يشقق** اي يتشقق **فيخرج منه
الماء** اي العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بمقتضى
ما اودعه الله تعالى فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان
الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره تعالى آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست
كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر
وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم **وما الله بغافل عما
تعملون** عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد على ما هم
عليه من قساوة القلوب او ما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله
تعالى **افتطمعون** تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم
الى النبي عم ومن معه من المؤمنين والهمزة للانكار الواقعي واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار
الوقوع كما في قوله اضرب اي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا
على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا
تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه
كما اذا قدر الاول مثبتا اي اتنظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان
يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل
شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون **ان يؤمنوا** فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة
لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا
وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في **لكم** لتضمين معنى الاستجابة
كما في قوله تعالى فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل

دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وسنقف على ما فيه من
المزيد باذن الله تعالى **وقد كان فريق منهم** الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط
والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اى فريق كائن منهم وقوله تعالى **يسمعون كلام الله** خبر
كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل حالهم الشنيع المحكي
فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني
اى والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون
كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه **ثم يحرفونه** عن مواضعه لا
لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبرياء بل **من بعد ما عقلوه** اى فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام
رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا
الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا
باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رح سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فأولوه
تاويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعدما احاطوا بما فيها علما وقيل
هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه
على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب
بالسماع والكلام اذ التوراة وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر
التحريف فيها ظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما وسواهم المباشرون للتحريف فان
وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في
ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون
كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستحيون له هيهات ومن هنا ظهر ما في
ايثار لكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون** جملة حالية من فاعل يحرفونه
مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطأ
في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون **واذا لقوا** جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم
بالذات من الشنايع المؤدية الى اياسهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من
الجملة الحالية والضمير لليهود لما سنقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل لتحد الفاعل في
فعلي الشرط والجزاء حقيقة **الذين آمنوا** من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قالوا** اى اللاقون
لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من
الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة
بتقدير المضاف اى قال منافقوهم **آمنا** لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت
النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرحوا به تعويلا على شهادة

شهادة التوبيخ الآتي **واذا خلا بعضهم** اى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اى اذا فرغوا عن
الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين **الى بعض** آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم
وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال
ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند اللقاء لتوجب ان يجعل سماعهم لها
من تمام الشرط لان فيه زيادة تشنيع لهم على ما تواصوا من السكوت ثم العتاب **قالوا** اى الساكتون
موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا **اتحدثونهم** يعنون المؤمنين **بما فتح الله عليكم** ما موصولة
والعائد محذوف اى بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه
بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة
المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه بعض مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
واللام في قوله عز وجل **ليحاجوكم به** متعلق بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد
التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا
يكاد يصدر عن العاقل اى اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون وان لم
يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم **عند ربكم** اى في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله
كذا اى في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم
عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا به والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم
بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخس فيجوز ان
يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه
مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة لا سيما كما ستقف عليه باذن الله عز وجل **افلا تعقلون**
من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى الا تلاحظون فلا
تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او
اتعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم
التعقل بعد الفعل هذا وأما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى
افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى **اولا يعلمون**
فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون ادراج خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا
كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما ان الواو للعطف على
مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى يلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة
ولا يعلمون **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** اى يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم
حسبما سبق فيظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم
والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في
الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم و

اشتغال

صلى الله عليه وسلم

اى يسرون فيما بينهم من المؤمنين وما يضمرونه في قلوبهم ويثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى

وللموبخين أولاً بأنهم المحرفون أي أيفعلون ما يفعلون ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما
يعلنون ومن جملته إسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وكتم
أمر الله وإظهار ما أظهروه افتراء وإنما قدم الإسرار على الإعلان للإيذان بافتضاحهم ووقوع
ما يحذرون من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه بما يسرون
أقدم منه بما يعلنون مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق
حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الأشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وجل قل إن تخفوا ما في أنفسكم أو تبدوه يعلمه الله
حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما
في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فإن الأصل في تعلق المحاسبة هو الأمور البادية دون الخافية
ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو
مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم
على تعلقه بحالته الثانية **ومنهم أميون** وقرئ بتخفيف الياء جمع أمي وهو من لا يقدر على الكتابة
والقراءة واختلف في نسبته فقيل إلى الأم بمعنى أنه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فإنهما ليستا
من شؤون النساء بل من خلال الرجال أو بمعنى أنه على الحالة التي ولدته أمه في الخلو عن العلم والكتابة
وقيل إلى الأمة بمعنى أنه باق على سذاجتها خال عن معرفة الأشياء كقولهم عامي أي على عادة
العامة روي عن عكرمة والضحاك أن المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع
كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا أميين وعن علي رض هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه أنهم
جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم إثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي
معطوفة على الجملة الحالية فإن مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وإن لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن
إيمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فإن الجهل بالكتاب في منافاة الإيمان ليس بمثابة تحريف
كلام الله تعالى بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الأولين والنفاق والنهي عن إظهار ما في التوراة كما
وقع من الفرقتين الأخريين أي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون
الكتاب** أي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا
وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم الكريم وسياقه **إلا أماني** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع
أمنية أصلها أمنوية أفعولة من منى بمعنى قدر ومعناها تلا كما في قوله تمنى كتاب الله أول
ليلة فأعلت إعلال سيد وميت ومعناها على الأول ما يقدره الإنسان في نفسه ويتمناه وعلى
الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع إذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب أي
لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني حسبما منتهم أحبارهم من أن الله سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من أمانيهم الفارغة المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائهم أو لا يعلمون الكتاب
لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيتقبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه وأما حمل الأماني على الأكاذيب
المختلقة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وإن هم إلا
يظنون** ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم فأنى يرجى منهم
الإيمان المؤسس على قواعد اليقين وكما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الأماني واتباع الظن عقب بيان

بيان حال الذين أوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية إضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة
فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وأمثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من
المصادر المنصوبة بأفعال من غير لفظها لا يجوز إظهارها البتة فإن أضيف نصب نحو ويلك وويحك
وإذا فصل عن الإضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن
أشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويل وويح وويب وويس بذلك المعنى أو بينها فرق وقيل
ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رض الويل العذاب الأليم وعن
سفيان الثوري أنه صديد أهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب إنه
واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة قيل قيح ودم وقيل
صهريج في جهنم وحكى الزهري أنه باب من أبواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله تعالى **للذين
يكتبون** أي المحرف أو ما كتبوه من التأويلات الزائغة **الكتاب بأيديهم** تأكيد لدفع توهم
المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** أي جميعاً على الأول وبخصوصه على الثاني **من
عند الله** روي أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط
الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته عم فيكذبونه وثم للتراخي
الرتبي فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحاً أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل **ليشتروا
به** أي يأخذوا لأنفسهم بمقابلته **ثمناً** هو ما أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل و
إنما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه إيذاناً بتعكيسهم
حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصوداً بالذات **قليلاً** لا يعبأ به فإن ذلك وإن جل
في نفسه فهو أقل قليل عند ما استوجبوه به من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتأكيد وتفريع
بتعليله بما كتبت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء
للإيذان بأن ترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت أيديهم** تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار
في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف أي كتبته أو مصدرية والأول أدخل في الزجر عن تعاطي
المحرف والثاني في الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي في قبله والتكرير
لما مر من التأكيد والتشديد والفصل إلى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من
عند الله لما أنه من مبادي ترويج ما كتبت أيديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض آخر
من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب
لن تمسنا النار في الآخرة **إلا أياماً معدودة** قليلة محصورة عدد أيام عبادتهم العجل أربعين
يوماً مدة غيبة موسى عم عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروي عن
ابن عباس رض ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة
يوماً واحداً وروى الضحاك عن ابن عباس رض أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم
مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها

قل تبكيتا لهم وتوبيخا أتخذتم باسقاط الهمزة الجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها
في التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد قوى ولذلك
عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا
خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اى ان كان الامر كذلك فلن يخلف الله والجملة
اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار
العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود
دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة
الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد أم تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما
علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع انها اسندوا اليه تعالى من قبيل ما
يعلمون عدم وقوعه مبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى
بالطريق الاولى وقولهم المحكى وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم
لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وأم اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق
العلم بالشق الاخير كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار
الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده
من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى
الجواب عن قولهم المحكى وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي
شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي عم لما ان المحاجة والالزام من
وظائفه عم مع ما فيه من الاشعار بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي
خبرا واستفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث
لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها و
صارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف
بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رض وابي هريرة رض وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة
وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق
على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته
على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فأولئك مبتدأ
اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار
المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم
في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ
في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تلك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة
خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب
السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما
استوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه

عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل
هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقضي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حاجة
في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة
لما تقتضيه الحكمة الالهية في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي
بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي عم والمؤمنون ليؤديهم التامل في
احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى
اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا
تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى
فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء
عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره
ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا
له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اى وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من
السكون كأن الفقر سكنه عن الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا سماه
مبالغة حسنا وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق
وارشاد واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هما ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم
على اسلافهم بجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز
القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا
لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف
كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اى اعرضتم عن المضي على
مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ
ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم
قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب
بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق الماخوذ منهم
في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري
مجراها على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة
به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا

منصوب بفعل مضمر

تخرجون أنفسكم من دياركم كما قيل إخبار في معنى النهي غير أسلوب البيان لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به
النهي الشديد عن تعرض بعض بني إسرائيل لبعض بالقتل والإجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم
بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة
تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير أنفسكم للمخاطبين حتما إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما
أن ضمير دياركم للمخرجين قطعا إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث
إنهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله من ديارهم وإنما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة
ديار المخاطبين بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع وأما ضمير دماءكم فمحتمل
للوجهين مفاد الأول كون المسفوك دماء المخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقة
المخاطبين ادعاء وهما متقاربان في إفادة المبالغة فتدبر وأما ما قيل من أن المعنى لا تباشروا وما يؤدي
إلى قتل أنفسكم قصاصا أو ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء
الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه **ثم أقررتم** أي بالميثاق
وبوجوب المحافظة عليه **وأنتم تشهدون** توكيد للإقرار كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل
وأنتم أيها الحاضرون تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق **ثم أنتم هؤلاء** خطاب خاص
بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادة
عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الإفادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى
أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فإن قوله تعالى
تقتلون أنفسكم الخ بيان له بتفصيل أحوالهم المنكرة المندرجة تحت الإشارة ضمنا كأنه قيل كيف نحن
فقيل تقتلون أنفسكم أي الجارين مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير **وتخرجون**
فريقا منكم الضمير إما للمخاطبين والمضاف محذوف أي أنفسكم وإما للمقتولين والخطاب باعتبار أنهم
جعلوا أنفس المخاطبين وإلا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه
يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما أفصح عنه ولا يظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه **من ديارهم**
الضمير للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز
عن توهم كون المراد إخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل
هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم **تظاهرون عليهم** بحذف إحدى التاءين
وقرئ بإثباتهما وبالإدغام وتظهرون بطرح إحدى التاءين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون
وهو حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو منهما جميعا مبينة لكيفية الإخراج دافعة لتوهم
اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة **بالإثم** متعلق
بتظاهرون حال من فاعله أي متلبسين بالإثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل
هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب **والعدوان** وهو التجاوز في الظلم **وإن يأتوكم**
أسارى جمع أسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الإسار أي الشد أو جمع أسرى وهو
جمع أسير كجرحى وجريح وقد قرئ أسرى ومحله النصب على الحالية **تفادوهم** أي تخرجوهم من
الأسر بإعطاء الفدى وقرئ تفدوهم قال السدي إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن

لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه
وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة
والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم إذا أسر رجل
من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه وقد عيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيي أن نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة
وهو محرم عليكم إخراجهم هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل
وقع خبرا عن إخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محرم خبر لضمير الشأن وإخراجهم مرفوع على
أنه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما يدل عليه تخرجون من
المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون أو من فريقا أو منهما كما
مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالإخراج مع كونه قرينا
للقتل عند أخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في أمره بسبب قلة خطره بالنسبة إلى القتل ولأن
مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض أفعالهم معا وذلك مختص بصورة الإخراج
حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية أو قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق
وأما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع أن حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلأن نظم أفاعيلهم المتناقضة في
سمط واحد من الذكر أدخل في إظهار بطلانها **أفتؤمنون ببعض الكتاب** أي التوراة التي أخذ
فيها الميثاق المذكور والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي أتفعلون
ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والإخراج مع
أن من قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق
فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فإن التقديم يستدعي في المقام
الخطابي أصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما وإذ ليس ذلك باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه
فهو باعتبار الوقوع قطعا لا لإيمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل أفتكفرون ببعض
الكتاب وتؤمنون ببعض ولا لمجرد كفرهم بالبعض وإيمانهم بالبعض كما يفيده أن يقال أفتجمعون
بين الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض أو بالعكس **فما جزاء من يفعل ذلك** ما نافية ومن إن
جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الإعراب وإن جعلت موصوفة فمحله الجر على أنه صفتها وذلك
إشارة إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان ببعض أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأسارى
منكم حال من فاعل يفعل **إلا خزي** استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع
الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل
الجزية **في الحياة الدنيا** في حيز الرفع على أنه صفة خزي كائن في الحياة الدنيا أو في حيز النصب على
أنه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع أطماعهم الفارغة من ثمرات
إيمانهم ببعض الكتاب وإظهار أنه لا أثر له أصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيامة يردون** وقرئ بالتاء
أو على صيغة الجمع نظرا إلى معنى من بعد ما أوثر الإفراد نظرا إلى لفظها لما أن الرد إنما يكون
بالاجتماع **إلى أشد العذاب** لما أن معصيتهم أشد المعاصي وقيل أشد العذاب بالنسبة إلى ما لهم في
الدنيا من الخزي والصغار وإنما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا وأشد العذاب يوم القيامة

للايذان بكمال التنافي بين حزاي الشأنين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب و
تفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ
بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ
وخبره قوله تعالى **الذين اشتروا الحيوة الدنيا** اي آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها **بالآخرة** واعرضوا عنها مع
تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود
اليهم منهم من بعض المنافع الدنيئة والدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا او اخرويا **ولا هم
ينصرون** بدفعه عنهم بشفاعة او جزاء والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او هم
ينصرون تفسير المحذوف فيكون من عطف الفعلية على مثلها **ولقد آتينا موسى الكتاب**
شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد
بالكتاب التورية عن ابن عباس رض ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عم بحملها
فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عم فحملها
وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم
ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارمياء وعزير
وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام **وآتينا عيسى ابن
مريم البينات** المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والا
نجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير
من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تنديمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل **وايدناه** اي قويناه وقرئ آيدناه **بروح القدس** بضم الدال وقرئ بالسكون
اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصف بالقدس
للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عم وقيل بالانجيل كما في
القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل
عم بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام
التورية وتقريرها واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل
في حقه عم ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عم **افكلما جاءكم رسول** من اولئك الرسل
بما لا تهوى انفسكم من الحق لا يحيد عنه اي تحبه من هوي كرضي اذا رام والتعبير عنه
بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها
لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من افعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم
ذلك بهذا وللتعجب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي ولم تطيعوهم
افكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم **استكبرتم** من الاتباع له والايمان بما جاء من عند الله
تعالى **ففريقا** منهم **كذبتم** من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب
وفريقا آخر منهم **تقتلون** غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم
فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال
في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما ام بقتله

بتالوه من جهته عم وسحروه وسموا له الشاة حتى قال عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان
قطعت ابهري **وقالوا** بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعاد
عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية يتطاهرها لكل من يفهم بطلانها وقبا
حتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم **قلوبنا غلف** جمع اغلف
مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عم
ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي
عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك
خير لوعته ايضا **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل
ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطلهم استعدادهم
بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من
قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانهم ادعوا العلم الذي هو اقبل آثارها وعلى
الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها **فقليلا ما يؤمنون** ما مزيدة
للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا ايمانا حقيقة وقيل
اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان **ولما جاءهم كتاب** هو القرآن وتنكيره
للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده تعالى للتشريف **مصدق لما معهم**
من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه
مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف **وكانوا من قبل** اي من قبل مجيئه
يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رض وقتادة والذي نزلت في بني قريظة
والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وقيل معنى
يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب
اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية
مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وجل **فلما جاءهم** تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة
الحالية وقوله تعالى **ما عرفوا** عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له
والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة
ما جاءهم من مبادي الايمان ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به
من غير ان يتخلل بينهما مدة تنسيه وقوله تعالى **كفروا به** جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد وجوا
با لهما معا كما قاله ابو البقا وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا
الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه
يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي عرفوه كفروا به
فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول

هم

قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون
بما عندنا من غيرك قال ابن عباس وعطا
وقال الكلبي يعنون

فقليلا يؤمنون وهو ما قالوا
امنوا بالذي انزل على الذين
امنوا وجه النهار واكفروا
اخره

مطلب في الذين يطلبون الاستفتاح بالنبي قبل البعثة

بهما

اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم **بئسما اشتروا به**
انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها
بمعنى زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه انه لا يلائم ان يكون المذموم ما
كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى **ان يكفروا بما انزل الله** اي بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به
بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا للفصل بما هو اجنبي بالنسبة
اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما
وهو معلل بما سياتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبين علاقة هو كفرهم
بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل **ان ينزل الله من فضله**
الذي هو الوحي **على من يشاء** اي يشاؤه ويصطفيه **من عباده** المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة وماله
تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل هاهنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد
الانزال وتكثره حسب تكثره **فباءوا بغضب على غضب** اي رجعوا متلبسين بغضب كائن على غضب
مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عم بعد عيسى
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم **وللكافرين** اي لهم
والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم **عذاب مهين** يراد به اهانتهم واذلالهم
لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على
الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه السلام **واذا قيل** من جانب المؤمنين **لهم** اي لليهود وتقديم
الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ **آمنوا بما انزل الله** من الكتب الالهية جميعا والمراد به
الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث اشتراكه لما آمنوا
به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس ايمانا
بما انزل الله **قالوا نؤمن** اي نستمر على الايمان **بما انزل علينا** يعنون به التوراة وما نزل على انبياء
بني اسرائيل عم لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما
انفسهم فنفي الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله
على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم
ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ارادتها بعنوان الانزال عليهم
مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم
ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل **ويكفرون**
بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه
الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل
ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه
والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان
افراد ايمانهم بما انزل عليهم حقيقة بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعونه من الايمان

الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه **وهو الحق** اي المعروف بالحقية الحقيق
بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى **مصدقا** حال مؤكدة
لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه
الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا **لما معهم** من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا
وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وماله انهم ادعوا
الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها **قل** تبكيتا لهم من جهة الله عز من
قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم **فلم** اصله لما حذفت عنه
الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية **تقتلون انبياء الله من قبل** الخطاب للحاضرين من اليهود
والماضي على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على
اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين
بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا
وقوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** تاكيد للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم
مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل
لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد وقيل ان
نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم **ولقد جاءكم موسى بالبينات** من تمام التبكيت والتوبيخ
داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات
والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فان
المجيء بها بعد قصة العجل **ثم اتخذتم العجل** اي الها **من بعده** اي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه
الى الطور فتكون التوراة من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما
صنعوا **وانتم ظالمون** حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير
موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم **واذ اخذنا**
ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم
الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم **ورفعنا فوقكم الطور** قائلين **خذوا ما**
آتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول **قالوا**
استئناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا **سمعنا** قولك **وعصينا** امرك
فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدة تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه
العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها **واشربوا**
في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير
قالوا بتقدير قد **بكفرهم** بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا
جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري **قل** توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين من احوال

رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به إيمانكم بما أنزل عليكم من
التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف أي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي
إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم للإيذان بأنه ليس بإيمان حقيقة كما ينبئ عنه
قوله تعالى إن كنتم مؤمنين فإنه قدح في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم في التوراة وإبطال لها
وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها وإذ لا
يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة
ما سبق عليه قل كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر بتبكيتهم وإظهار كذبهم في فن
آخر من أباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفى بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث
قيل إن كانت لكم الدار الآخرة أي الجنة ونعيم الدار الآخرة عند الله خالصة أي سالمة لكم
خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحالية في الدار وعند ظرف
للاستقرار أي في الجزاء عند الله وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص له
كذا فاللام للجنس أي الناس كافة أو للعهد أي المسلمين فتمنوا الموت فإن من أيقن بدخول
الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له كما قال
علي كرم الله وجهه لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي
الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وكان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة
لا أفلح من ندم أي على التمني وقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق
إن كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط
في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضا وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق
عليه أي إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر
سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم بما
قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم و
القرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه
عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين أي بهم وإيثار الإظهار على الإضمار
لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم
والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونها أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية
إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم
موتا أحد إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان
بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الأرض ولتجدنهم أحرص الناس من الوجدان العقلي
وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص والتنكير في
قوله تعالى على حياة للإيذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف
ومن الذين أشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا و
إفرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ
اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم

حرصهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بإنباء المعطوف عليه أي وأحرص من
الذين أشركوا فقوله تعالى يود أحدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون
في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن
الله أي ومنهم طائفة يود أحدهم أي كل واحد منهم لو يعمر ألف سنة وهو حكاية لودادتهم ولو بمعنى
ليت وإنما أجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه
مفعول يود إجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير الذي
لأحدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة أن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه أي يبعده
وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر
مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل
سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون
والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أي
عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل
من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض
الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل
على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل
النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس
اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم
لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى
آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب
منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله
سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل
وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال وجبرائيل كجراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله
فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر من
غير ذكر إيذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من
صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ
وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة بإذن الله بأمره وتيسيره
مستفاد من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو

حال من فاعل نزله وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** اي من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من
مفعوله وكذا قوله تعالى **وهدى وبشرى للمؤمنين** والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل
من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته
تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف
بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة
الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه وقوله **من كان**
عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه و
مقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في
قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل **وملائكته ورسله وجبريل و**
ميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشتمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كأنهما
عم من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان
عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان
وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان
من عادى احدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى **فان الله عدو للكافرين** اي لهم جواب الشرط
والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات
ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به
وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ
ميكائيل كميكاعل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل **ولقد انزلنا اليك**
آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل **وما يكفر بها الا**
الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة
لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد
ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون
وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **أو**
كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في
غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل
عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا
عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من
غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه فريق منهم** اي رموا بالذمام ورفضوه
وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه **بل اكثرهم لا يؤمنون** اي بالتورية
وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون بها سرا **ولما جاءهم**
رسول هو النبي عم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة

لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية **مصدق**
لما معهم من التورية من حيث انه عليه السلام قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عم بما انزل عليه
من حيث انه عم جاء على وفق ما نعت فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** اي التورية
وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا الذين كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا
الذين كانوا في عهد سليمان عم كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور
منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق
منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم له عليه والمراد
بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما
مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي
بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ **كتاب الله** الذي اوتوه قال السدي
لما جاءهم محمد عم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب
آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله
الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر
بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعد ما كانوا يستفتحون
به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كأنه قيل كتاب الله
الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم عنه
بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه **كأنهم لا يعلمون** جملة حالية
اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه
الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون
او كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمون اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين
زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية من دلائل النبوة هذا ولئن اريد بما نبذوه من كتاب الله
القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول
من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل جملة اليهود اربع فرق
ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل
اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله
تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا
بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلو الشياطين** عطف على جواب لما
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا
حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع
كان حاصلا قبل مجيء الرسول عم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل
على اشربوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون
الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد
سليمان عم حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا

العلم وبه يسخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشيا المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عم وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشيا **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عم عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عم وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين** وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها ونون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا ومن الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استئناف فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكذابين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب يزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عم لابطال مقالهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالاهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزايم الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة تصديق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان ممن يستعين بالارواح الخيرة وكانت عزايمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة فظاهر انه ممن يستعين بالارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق النظام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه ومن

او من الصرف عن الجهة المعتادة لانه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار وهو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان نزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر وتمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عم لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل الناس تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد التي والتي ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السما فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السما فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عم فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذا فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي تقصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن قرا الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين قال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من احد** من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتى يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيان شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعلم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم واعتقد

حقيقته كفر ومن ثمة فرعين العمل به واتخاذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله يبقى على الايمان **فلا تكفر**
باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام
المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة
في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه
عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله
تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت
وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين
اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف
الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من
الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة
المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في
قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه وباستعماله **بين المرء** وقرئ بضم
الميم وكسرها مع الهمزة والتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرقة و
النشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول
الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيزداد الناس و
يعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم **وما هم بضارين به** اي بما يعملون واستعملوا من السحر
من احد اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في
معمول فعل منفي الا انه جملة الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم
السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين
او من مفعوله وان كان نكرة لاعتماده على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا
باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المتضايفين بالظرف
ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم** صرح بذلك
ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص
عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه
ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من عرف
الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه **ولقد علموا** اي اليهود الذين حكيت
جناياتهم **لمن اشتراه** اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية
لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى **ما له في**
الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف
وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها
خبر الموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد

الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور
وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة
بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف استغناء
عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ تكون الجملتان مقسما عليهما
ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله
لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا
انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان
المشترى متعين وهو ما تتلو الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله
تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله **لو كانوا يعلمون** اي يعلمون بعلمهم جعلوا غير
عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما
يتبعه من العذاب عليه على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا **ولو انهم آمنوا**
اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الآيات
المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة
التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن
والرسول صلى الله عليه وسلم كفر بها **واتقوا** المعاصي المحكية عنهم **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم
دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من مثوبة كائنة من عنده
تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا
للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف
ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **لو**
كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم **يا ايها الذين آمنوا** خطاب
للمؤمنين فيه ارشادهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود **لا تقولوا راعنا** المراعاة
المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله
شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا
بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم
يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلاة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة
رض سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله
لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن
التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل **وقولوا انظرنا** اي انظر الينا بالحذف والايصال
او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

صيغة الجمع للتوقير وراعينا على صيغة الفاعل اى قولا راعنا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعنا
وكان سببا للسب بالرعن اتصف به **واسمعوا** واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا ما كلفتموه من النهى والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة
وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا **وللكافرين** اى لليهود الذين
توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له
ما قالوا **عذاب اليم** لما اجترءوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع
تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه **ما يود الذين كفروا** الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في
كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم
ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه
الاية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل
الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا
لهم في ذلك ومن في قوله تعالى **من اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما في قوله عز وجل لم
يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة كما ستعرفه **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على انه
مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاتي وقوله تعالى **من خير** هو القائم
مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله
على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع
ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية
والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست
كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعلقه بهم بما فيهم ولم يضمهم بذلك لسعادة الدارين كيف وهم
من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وفي
صيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن
الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في
مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة
كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثناء ذكر ابتلائهم لم يلزم من نفي ودادهم
لما ذكر نفي وداد المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي **والله يختص برحمته** جملة ابتدائية
سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما
في قوله سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى
بالرحمة قال علي رض بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء
عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على
من يشاء لمزيدة لتنزيهه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة

على

على المقصود اى يؤتى رحمته **من يشاء** من عباده ويجعله مقصورا عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه
بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا لتعداد الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد محذوف
على التقدير من وقوله تعالى **والله ذو الفضل العظيم** تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان
بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك
ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان
بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية مبنى على تفرعها على
الاول **ما ننسخ من اية او ننسها** كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد
تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا
قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم
عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب
اى نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها
او نجدها منسوخة وننسأها من النسء اى نؤخرها وننسها بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب الرسول
عليه السلام مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية او ننسكها وقرئ من اية او ننسخها والمعنى ان كل اية
نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل
نأت بخير منها اى نوع اخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب
الهمزة الفا **او مثلها** اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها
بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف
لا وتنزيل الايات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح
وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب
حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام
من النظام **الم تعلم** الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح
لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان الله على كل شيء قدير** ساد مسد
مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد
بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من
جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية
المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور
خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان لله ملك السموات
والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر
وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما لزيادة التأكيد واشعار باستقلال العلم بكل منها
وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء
الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي ايجادا

واعدادا او امرا لهما حسبما يقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن
قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** معطوف على الجملة الواقعة
خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب بين السابقين للامة ايضا
وانما افرده عم بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عم ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم
لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من
العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على
ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى
وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر
بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ موخر زيدت
فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن
مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى
لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه و
تفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله
تعالى **ام تريدون** تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة
ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة
منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع
الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها
للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى
بل تريدون **ان تسألوا** وانتم مؤمنون **رسولكم** وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا
عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه
قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عم بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سالوه عليه السلام قوم من
المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول
والمشروب وقوله تعالى **كما سئل موسى** مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما
مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى عم حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى
الظاهر ان يقال كما سال موسى لان التشبيه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من
المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عم حتى تشبه بمسؤولية موسى عم فلعله اريد التشبيه بينهما معا
ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع
عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى
وقوله تعالى **من قبل** متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة
بين بين **ومن يتبدل الكفر** اي يختره وياخذه لنفسه **بالايمان** بمقابلته بدلا منه ومن قرئ

ويتبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور او ارادته
وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي
خير محض وحق بحت واقترح غيرها **فقد ضل سواء السبيل** اي عدل وجار من حيث لا يدري عن
الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى
وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر
واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما
للشرطية رمزا للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف
لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة
وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول عم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة
الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان تركهم صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك
وايثارهم للكفر عليه **ود كثير من اهل الكتاب** هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص
بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد
الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى
منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عم ما
عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله عم
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **لو يردونكم** حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني و
صيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك
منها ومما بعدها مصدر يقع مفعول الود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها
محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك **من بعد ايمانكم** متعلق بيردونكم وقوله تعالى
كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله • رمى الحدثان
نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض
سودا • وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض
بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين ولاستحالة
تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه
وغاية بعد ما بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان
له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى **حسدا** علة لود او حال
اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره **من عند انفسهم** متعلق بود
اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم
او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات
الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل
فاعفوا واصفحوا العفو ترك المواخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب **حتى ياتي**

الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال
وعن بن عباس رح انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا
ولا يخرج الوارد بذلك عن ان يكون ناسخا بما قد قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله
على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا
الصلاة واتوا الزكاة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة
البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلاة او صدقة او غير ذلك اي شيء من
الخيرات تقدموه لصلاح انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافر
وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى فلف بين القولين ثقة
بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم
باولية من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم
انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل
والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك
امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا
وتلك اشارة والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم
وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ورده
قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليستا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق
والكذب قيل هات اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم
صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل
الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص
فان قوله تعالى بلى الى اخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به
مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو
اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو
الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح
ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات
مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم
من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته
فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الغاية بعد من استظهره قوله سبحانه وتعالى من
اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع
المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله
التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي

لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ح

اى ح

اليه ح

الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل به هو فيه دخولا او
وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله
تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع
اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة
اي فله اجر عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون
من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر ولما
ما كان تعلق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاضيا بان
اوليك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول
باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل كل فريق صاحبه
بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او
على شيء ما منه اصلا امبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك
بناء للامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما
ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل
النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول
بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا
لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال
القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف
واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي
بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال
بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله
وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من
العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة
على رؤوس الاي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون اظلم
ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف
الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم

من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رض ان ططيوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رض وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه حالا وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على الحق شيء **ان يذكر فيها اسمه** ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه **وسعى في خرابها** بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر **اولئك** المانعون الظالمون الساعون في خرابها **ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره **لهم** اي لاولئك المذكورين **في الدنيا خزي** اي خزي فظيع لا يوصف كالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك **ولله المشرق والمغرب** اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام **فاينما تولوا** اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة **فثم وجه الله** ثم اسم اشارة للمكان خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلاة

صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة **وقالوا اتخذ الله ولدا** حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا **سبحانه** تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي سبحته اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى **بل له ما في السموات والارض** رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن رعدية بعد الموجود الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية عما ذكر لطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة **كل** التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم **له قانتون** منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون معترفون بربوبيته كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **بديع السموات والارض** اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى به ولا قانون ينتحى فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع عليه نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد تحويلها على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم **واذا قضى امرا** اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة

الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ **فانما يقول له كن فيكون** كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده الى مباد يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك **وقال الذين لا يعلمون** حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنهم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا **لولا يكلمنا الله** اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك **او تأتينا آية** حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون **كذلك** مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد **قال الذين من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم** هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الابد وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ **تشابهت قلوبهم** اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة **قد بينا الآيات** اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل لانا بيناها بعد ان لم تكن بينة **لقوم يوقنون** اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب **انا ارسلناك بالحق** اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله تعالى **بشيرا ونذيرا** حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا **ولا تسئل عن اصحاب الجحيم** ما لهم لم يؤمنوا بعدما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي عم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من

من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه عم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه عم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عم ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عم وهذه حالهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي عم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله تعالى **قل ان هدى الله هو الهدى** صريح في ان ما وقع في هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية في الدعاء الى الاهتداء بهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى **ولئن اتبعت اهواءهم** اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا **بعد الذي جاءك من العلم** اي الوحي او الدين المعلوم صحته **ما لك من الله** من جهته العزيزة **من ولي** يلي امرك عموما **ولا نصير** يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتأكيد لا بين المعطوفين لتأكيد النفي بلا وهذا من باب التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب القسم الذي وطأه اللام واكتفي به عن جواب الشرط **الذين آتيناهم الكتاب** هم المؤمنون اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له **اولئك** اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل **يؤمنون به** اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك هم الخاسرون** حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عم **واني فضلتكم على العالمين** ايراده عقيب النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم **واتقوا** ان لم تؤمنوا **يوما لا تجزي** في ذلك اليوم **نفس** من النفوس **عن نفس** اخرى **شيئا** من الاشياء او شيئا من الجزاء **ولا يقبل منها عدل** اي فدية **ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد وافحش **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي عم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عم وان ما عليه اهل

الكتابين اهوائهم زاعمين ان ما يدعونه من انهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابرهيم وابنائه
الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة
نبوة النبي عم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابرهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم مخوطب به النبي عم بطريق التلوين اي واذكر
لهم وقت ابتلائه عم ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا
الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجي من قوله
تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا
خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابرهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال
والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما
من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا
هو من مبادي العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابرهيم
اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي الا يرى ان ابرهيم تفسيره
راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة
على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابرهيم عم وحوله
اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عم
وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه
اوامر ونواهي يظهر بها بحسن قيامه بها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة هذه
الثالثة ويذكرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور بترتيبها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي
ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عم للنبوة العامة كيف وهي التي اجيب
بها دعوة ابرهيم عم كما سياتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه
الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة
في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابرهيم عم اول
من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رض لم يبتل
احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابرهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها
في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين وسأل
سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشيا بالشمس
والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجته قومه
والصلوة والصوم والزكاة والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عم الذي خلقني فهو يهدين الى الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء

الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة
الى الخلق وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا
فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابرهيم
الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا الايات وقوله عز وجل **قال** على تقدير انتصاب
اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور
فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فعند حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا
كان بعد ذلك فقيل قال **اني جاعلك للناس اماما** او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل
الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير
انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة
على قال اي وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل
بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه واللام
متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام
اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عم عامة مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته
مأمورا باتباع ملته **قال** استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابرهيم عم عنده فقيل
قال **ومن ذريتي** عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي
كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض
بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية
نسل الرجل فعولة من ذرو والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية
فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية منه والاصل
في الاول ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية
فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذر بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها
ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة
قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة
منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرئ
ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها **قال** استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما
سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته عم بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية
منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عم من غير تعيين لهم
بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك اذ ليس
معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على
تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المعدودون
بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب لا يخفى مع ما في هذه الطريقة
من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على

الجعل اياه الى ان امامة الانبياء من ذريته عم كاسمعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون
وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابرهيم عم تناول كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل
وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى **واذ جعلنا**
البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان الفاعل فيه
هو الفاعل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل **مثابة**
اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماده
مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى **للناس** متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد التائبين **وامنا** اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع
اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا من يحجه
من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا
حتى يخرج على ما هو راي ابي حنيفة رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل
فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتبر فيه من الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم
فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه **واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى** على ارادة قول هو عطف على جعلنا
او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه
قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل
جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عم وللامة والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر
مرحيا كان او مفهوما في الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر
قدمه عم والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه
اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روي انه عم اخذ بيد عمر رض فقال هذا
مقام ابرهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد
به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رض انه عم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم
كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز
وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي
وسم لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل**
اي امرناهما امرا مؤكدا **ان طهرا بيتي** بان طهراه على ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا
والجار يكون صلتها امرا ونهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز
كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول
الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول
الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الفعل يتجرد

فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي
طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه
الامر بالتطهير هنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عم فان ذلك واقع قبل
بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت وكان اسمعيل عم حينئذ بمعزل من
مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كل شيء عند ارادة
ان يحكى بجعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب و
الحائض وغير ذلك مما لا يليق به **للطائفين** حوله **والعاكفين** المجاورين المقيمين عنده والمعتكفين
او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين **والركع السجود** جمع راكع وساجد اي
للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا او زمانا
ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاص هؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم
وان كانت مع مقارنتها مرضيا من قبيل توثيقه وتدبيبه **واذ قال ابرهيم** عطف على ما قبله
من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر **رب اجعل هذا بلدا امنا** ذا امن
كعيشة راضية او امنا اهله كليل نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم
عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض انه عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها
الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البقيع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله
امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي
فقال ربنا اني اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابرهيم اما لحمل على تعدد
السؤال لما انه عم سال اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته
المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان
المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن
المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على
سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق
بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين
وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية
سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سياتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل **وارزق اهله**
من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن
عباس رض ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عم
من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان
وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن
الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب **قال** استئناف مبني على السؤال
كما مر مرارا وقوله تعالى **ومن كفر** عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من امن ومن كفر

مرين

وقوله عز وجل فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتدا وقوله تعالى فامتعه جزء اى فانا
امتعه وانما دخلت الفا تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله
وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف تلقين كالتذييل قال وارزق من كفر فانه اقيس
محاب كالرزق قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على ان رحمة دنيويه شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة
الخاصة بالخواص وقرى فامتعه من امتع وقرى فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا ثم اضطره
الى عذاب النار اى الجئه اليه لزا المضطر بكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرى ثم نضطره على
وفق قراءة فنمتعه وقرى فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابرهيم عم
وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب
لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من امن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرى بكسر الهمزة
على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم
شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اى بئس المصير النار او
عذابها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وجل واذ قال ابرهيم
على احد الطريقين المذكورين في اول واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى
الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بنى عليها لكنهما لما التأما صارا
شيئا واحدا ذا ارتفاع فكانها ارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة لما يبتنى عليه
ويرفعها بناؤها بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه
وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى
استوطا يعني جعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت
ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به
كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه
خاليا الى زمن ابرهيم عم فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله
عليه فتبعها ابرهيم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله سبحانه سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها
الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه
من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من
السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت
الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي
يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عم وذكره النووي في
تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق ادم عم ومنها بناء ادم عم
ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

بعث الله عز وجل جبريل الى ادم عم فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم
يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصابه الماء نودي من تحته حسبك يا ادم فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف
به وقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه
ومنها بناء بني ادم عم بعد ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها ادم عليه السلام وكانت في موضع
البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان جاء الغرق
في زمن نوح عم ذكره الازرقي في سنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عم وهو منصوص عليه
في القرآن مشهور فيما بين قاصي وداني ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي في نسبه
الى علي بن ابي طالب رض ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها
بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ومنها بناء الحجاج بن يوسف
وما كان ذلك بناء لكلها بل الجدار من جدر بنائها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر
الا خمس مرات الاول حين بناها شيث عم انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم
ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابرهيم واسمعيل تبع له وقيل كان يناوله الحجارة
وهو يبنيها وقيل كانا يبنيان في طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اى يقولان وقد
قرئ به على ان الجملة حال منهما وقيل على انه حال والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير
ويقولان ربنا تقبل منا او يرفعانها اى وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو
العامل في ربنا تقبل فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية
اى واذ يرفع ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما لتحريك سلسلة الاجابة وترك
مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي
من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع
لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة
تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل والجملة
من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع لذلك بموجب الوعد تفضلا و
تاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص
دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان ما جرى من الاحوال
الحكية هو الابتلاء وما يتبعه من عهد الامامة والامن وما يتعلق به ثم جعل البيت وما يتلوه ثم
جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الاسلوب في الحكاية لتنظيم الشؤون الصادرة عن
جنابه عز وجل في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل عم من الافعال والاقوال
في سلك اخر واستيفاؤه تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضاء
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد من ادراجه في وقع ما وقع ومن ثم تحكى
في خلال كلامه سبحانه ذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك ومستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص
والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع

ومن ذريتنا أمة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة
ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا يقتضى اتفاق
الكل على الاخلاص والاقبال الكلى على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا
الحمقا لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد عم وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت
على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة
مسلمة لك من ذريتنا وأرنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اى بصرنا وعرفنا مناسكنا
اى متعبداتنا فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة
دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
انك أنت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اى فى الامة
المسلمة رسولا منهم اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث فى ذريتهما غير النبى عم
فهو الذى اجيبت دعوتهما عليهما السلام روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فال عم
انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى وتخصيص ابرهيم عم بالاستجابة له لما انه الاصل فى
الدعاء واسمعيل تبع له عم يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم
بحسب قوتهم النظرية الكتاب اى القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة
ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى انك انت العزيز الذى لا
يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء
واجابة المسئول فان وصف الحكمة مقتض لانه افاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التى من جملتها بعث الرسول
ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار واستبعاد لان
يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته التى هى الحق الصريح والدين الصحيح اى لا يرغب عن ملته احد العقلاء
الا من سفه نفسه اى اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل وبق واهلك او جهل
نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد فى الخبر الكبر ان تسفه الحق و
تغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن
رأيه وألم رأسه ونحو قوله تعالى وتأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله
وما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من
العقلاء فقد بالغ فى اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله
بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه فى الدنيا اخترناه بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق واصله
اتخاذ صفوة الشئ كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة
مقررة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه دو قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى

اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل فى حيز القسم موكد لمضمونها مقرر
لما تقرر ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد فى الدنيا مشهود
له بالصلاح فى الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والا
عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه فى زمرة صالحى اهل الآخرة امر مستمر فى الدارين لا انه
يحدث فى الآخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد
اشد من الامور التى تشاهد آثارها وكلمة فى متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة
حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره كما فى قوله ربيته حتى
اذا تمعددا كان جزائى بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه اى وانه لصالح فى الآخرة لمن
الصالحين او من غير لفظه اى اعنى فى الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هى متعلقة باصطفيناه
فى الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبى بل
هو مقرر له لان اصطفاه فى الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب
باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقديم وانه ما نال
ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له
ربه أسلم اى لربك قال أسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر
بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل أسلم اى اذعن
واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر
على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عم لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء
بتربيته واضافة الرب فى جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه حيث ايقن حين النظر
بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ووصى بها ابرهيم بنيه شروع
فى بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله فى نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة فى ملته عم والتوصية التقدم
الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا
فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة
كما عبر بها عن قوله تعالى اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فى قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية
فى عقبه وقرئ وصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ
بالنصب عطفا على بنيه يا بنى على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين
لانه فى معنى القول كما فى قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند
الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذى هو فى معنى القول وقرئ ان يا بنى
وبنو ابرهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب
اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا ويشسوخر وزبولون وذواها ونفتونا
وكوزا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذى هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهى عن
الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا
تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام

عرض

تعليل لما فى النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه

وقيل ثابتة بنوه

موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذر غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد
روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات
فنزلت **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت** ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب
الراغبين عن ملة ابرهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور
الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين
ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابرهيم عم الى توبيخهم على
افترائهم على يعقوب عم باليهودية حسبما حكى عنهم واما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام
كما قيل بناء على تخصيص يعقوب عم بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابرهيم الخ ومعنى
الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تعالى **اذ قال لبنيه** بدل من اذ حضر
اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عم وقوله لبنيه **ما تعبدون من بعدي** اي اي شيء تعبدونه
بعد موتي فاني لكم ان تدعوا عم ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت
ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد
والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما
يسأل به كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل
ما زيد افقيه ام طبيب وقوله تعالى **قالوا** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب
عم كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا **نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل و**
اسحاق حسبما كان مراد ابيهم عم بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد
اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد لقوله عم عم الرجل صنو ابيه وقوله عم في العباس هذا بقية ابائي
وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد
سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك **الها**
واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع
التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص **ونحن له مسلمون**
حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق **تلك امة**
مبتدا وخبر والاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس
اي يقصدونها ويقتدون بها **قد خلت** صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله
صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها **لها ما كسبت** جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة
اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال
الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه كما هو المشهور **ولكم ما**
كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابطة ولا بد منه
في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيرهم فان تقديم
المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم
وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده
المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع

اتباع هؤلاء بكسبهم بين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء
الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عم يا بني هاشم لا
ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون** ان اجري السؤال على
ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم
لما سبق جار مجرى النتيجة واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع
بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا
وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون عن كسب السيئات فمن
اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه **وقالوا** شروع في بيان فن اخر من فنون
كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات
المؤذن باستجلاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم
اي قالوا للمؤمنين **كونوا هودا او نصارى** ليس هذا القول مقولا لكلهم ولا لاي طائفة كانت من
الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهم اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود
كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فقد فعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام **تهتدوا** جواب للامر اي تكونوا كذلك
تهتدوا **قل** خطاب للنبي عم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم
اليه **بل ملة ابرهيم** اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عم وقيل بل نتبع ملته عم وقد
جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملته ملتنا او
ملتنا او نحن ملته اي اهل ملته **حنيفا** اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه
كما في رايت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ **وما كان من**
المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله و
المسيح ابن الله **قولوا** خطاب للمؤمنين بعد خطابه عم برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى
طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا للحق وارشادا ضمنيا
لهم اليه **امنا بالله وما انزل الينا** يعني القران قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها
نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها **وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب**
والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم عم لكن من بعده عم حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها
داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القران منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد بهم حفدة يعقوب عم او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق **وما اوتي**
موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في
التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود
والنصارى **وما اوتي النبيون** اي جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الايات البينات والمعجزات
الباهرات **لا نفرق بين احد منهم** كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم
التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق

امرنا

بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لما يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع
والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما فى مثل المال بين الناس ومنه ما فى قوله عم ما احلت
الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما بدل من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه
فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين غيره كما فى
قول النابغة: فما كان بين الخير لو جاء سالما ⁂ ابو حجر الا ليال قلائل ⁂ اى بين الخير وبينى وفيه من الدلالة
صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس فى ان يقال
لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير فى امنا وقوله عز وجل **ونحن له مسلمون** اى مخلصون له وعنون
حال اخرى منه او عطف على امنا **فان امنوا** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم
من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم
بمثل ما امنتم به اى بما امنتم به على الوجه الذى فصل على ان المثل مقحم كما فى قوله تعالى وشهد
شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابى بالذى امنتم به
ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بركونه انفا او على ان الفعل
يجرى مجرى اللازم اى فان امنوا بما مر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون
الاولى زائدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اى فان امنوا بمثل ما امنتم ملتبسين به او فان امنوا
ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عم
فان ما وجد منهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن
به فانه لا يتصور فيه التعدد **فقد اهتدوا** الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق
واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد
لا تابى تعدد الطرق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون
لطريق اخر وراءه **وان تولوا** اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشئ من ذلك
كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم وديدانهم **فانما هم فى شقاق** الشقاق والشقاق من الشق
كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة من العدوة اى الجانب فان احد المخالفين يعرض عن
الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ فى شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون
فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون
والجملة اما جواب الشرط كما هى على ان المراد منها فهم الحادث بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى
وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم فى ذلك واما بتاويل فاعلموا انما هم فى شقاق
هذا هو الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله فان امنوا الخ من باب التعجيز و
التبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له فى الصحة
والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فى انه لا يليق بجزل النظم الكريم
ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك
بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز
بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل **فسيكفيكهم الله** اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية
لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى

فى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى عم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة
فى ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد فى مناهضة
الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى فى الكفاية والنصر فى حقه عم اتم واكمل **وهو السميع العليم**
تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما فى نيتك من اظهار الدين
فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه فى
قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد
للمؤمنين **صبغة الله** الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ عبر بها
عن الايمان بما ذكر على الوجه الذى فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره
الجميلة ومتداخلا فى قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه
تحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها وهى ذات مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه فى
حكم قولوا منتصب عنه وعد الله مما تقدم لكونه بمنزلة كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هى
منصوبة بفعل الاغراء اى الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء بشان
الايمان الحق وبدا بالاهتداء ومسارعة الى تسليته عم **ومن احسن من الله** مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار
والنفى وقوله تعالى **صبغة** نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من
صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن
من كل صبغة على ما اشير اليه فى قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الخ وحيث كان مدار التفضيل
على تعميم الحسن الحقيقى والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون فى صبغة غيره تعالى حسن
فى الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما فى صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج **ونحن له** اى لله الذى اولانا
تلك النعمة الجليلة **عابدون** شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل
وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير
القول اى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجرى
مجرى التعليل للاغراء **قل اتحاجوننا** تجريد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل
تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظائف الخاصة به عم وقرئ بادغام النون
والهمزة للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا **فى الله** اى فى دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية
والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا **وهو ربنا وربكم** جملة حالية وكذلك ما عطف
عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم **ولنا اعمالنا**
الحسنة الموافقة لامره **ولكم اعمالكم** السيئة المخالفة لحكمه **ونحن له مخلصون** فى تلك الاعمال لا
نبتغى بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة
الناس اليه وكلمة ام فى قوله تعالى **ام تقولون** اما معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا داخلة فى
حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام

التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبيا وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى نحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة
ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافترا على الانبيا عليهم السلام
وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم
وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله
واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب
برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سوا واما افاضة حق على
المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا
ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملايمته لسياق النظم الكريم وسباقه لاسيما على تقدير كون كلمة
ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا
ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك
الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم اعلم ام الله اعادة
الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما
كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عند الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا
عليه من الافترا على الانبيا عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا أأسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول
والثاني بالبقية والاستتباع كما حرر في محله اي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد
نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون
ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده
كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي انفا فعنده صفة لشهادة
وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل
من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعات
طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا
نقيضها بما ذكر من الافترا وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في
الظلم خارج عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمهم عدم اقامتها في مقام المحاجة
وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر
من الشهادة المعينة تعريض لكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما
الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبيا
عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ

وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم
الى اخر الاية وارد من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآبا
والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتدا بهم وقيل المراد بالامة
الاولى الانبيا عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل
السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء اليهود على ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة
وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء او الطعن
لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما يقولونه
كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها وليرجعن
الى دينهم ايضا وقيل هم الفارقون في التحويل منهم جميعا ويكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان
ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المعتادين
بالخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد
فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضاءهم اياه بل عدم الشفوق بما
للقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن
قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة
التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الا
في الصلوة والمراد ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها
لما انهم كانوا مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها بالتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء
والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم
للتحويل عنها وزعمهم انه خطا وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في
امكانه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها والتوجه
الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان نزاع الدين
القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عند
هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى
انهم المشركون بناء على انه المنكر عندهم زوال القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة
لانها الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل
الوقوع مع كونه من دلايل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واستعداد لما يبكتهم فان مفاجاة المكروه
على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اي لله تعالى ناحيتا الارض اي
الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما
هو بامر الله سبحانه وتعالى ومشيته يهدي من يشاء اي يهدي بمشيئته التابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو

نسان

هم

الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس
تارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه مشية المقارنة لحكم اسم ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه
للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام
من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع
القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه
في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على
انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل
لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل
البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب
اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار
والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابي تمام الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل عن الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة
بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة
المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها
التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة
من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه بين
المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا
نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط
المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا
كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن
ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك
الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء
على الناس ان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وافصل من ذكر هو
غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت الكيفية المتشابهة الحاصلة من صفة
العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي
فضيلة القوة العقلية الملكية المشار اليه لما بينها بقوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان
المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم
اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم
الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في
كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته
فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء

لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا
من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليهم بهم وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقية
بان يختص معرفته به عم وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل
الشيء من حالة الى اخرى فالملتبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين
خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي يتسارع اليه
الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادة تعيين جعل الجهة
قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد
بالموصول هي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود
او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رض من ان قبلته عم بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على
الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اولا يعني وهي الكعبة وعلى
الثاني وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ
من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس ونعلم اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم
ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده
عم بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه
الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبع وما كان لعارض يزول بزواله وعلى
الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد
علم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او ليتميز الثابت من المتزلزل
كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم
على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان
المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان
كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو
اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة
او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان
هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم
والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عم
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد
لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عم لما توجه الى الكعبة
قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة
بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او قاصدا

لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واللام مزيدة للتاكيد
ناصبة للفعل بنفسه لا كما هو راى الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها
وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما
يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة بروف وتقديمه على رحيم
مع كونه ابلغ لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها
في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع
الالام كقطع العضو المتاكل وقرئ روف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد
وجهك وتصرف نظرك في جهتها متطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع
من ربه عز وجل التحول الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عم بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء
للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها او هي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي
فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او
لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو مفعول
ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء
لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد
كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية مع زوال او على نزع الخافض او على انه
مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشئ ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم
استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا
له في ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا
عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر
شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره خص الرسول عم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع
التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة
على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية
بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي
اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل والتوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته
سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وعلمهم لما هو مسطور في كتبهم من انه صلى الله عليه وسلم
يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها
ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن
من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة

صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر
للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما زعمهم به من الكتاب الناطق بحقيقة ما كابروا في قوله
بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك
جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك
مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي عم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف
الخاصة به عم وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها
مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له عم وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره
وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو
التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت
اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية
الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا
لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة اليهود فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي
عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظنك في من ليس كذلك
واذا حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم
او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب
القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التوكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على
اقتضائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين
آتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في اثباته وضع الموصول موضع المضمر مع قرب
العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول عم والالتفات
الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عم من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا
في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عم يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب
يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عم
وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او لسببه الذي هو الوحي او القران او التحويل ويؤيد الاول
قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عم باوصافه الشريفة المذكورة في كتابهم لا يشتبه عليهم
كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب
اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به
بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين
آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه
فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما ذكرهم على وجه التعليل الحق بالرفع على انه مبتدأ وقوله
تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه

او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه خبر
مبتدا محذوف اى هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من
الاول ومفعول يعلمون وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من اظهار اللطف به عم
ما لا يخفى **فلا تكونن من الممترين** اى الشاكين فى كتمانهم الحق عالمين به وقيل فى انه من ربك وليس المراد به نهى
الرسول عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عم وليس بقصد واختيار بل ان تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر او لامته باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل** اى لكل امة فاللام
على ان التنوين عوض من المضاف اليه **وجهة** اى قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جهة
من جوانب الكعبة **هو موليها** احد المفعولين محذوف اى موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل
وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها فاللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ
مولاها اى مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** اى تسابقوا اليها بنزع الجار كما فى قوله
ثنائى عليكم ال حرب ومن يمل ٭ سواكم فانى مهتد غير مايل ٭ وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على
احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلة
من الجهات وهى المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** اى فى اى موضع تكونوا من موافق
او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل
الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق **ومن حيث
خرجت** تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر فى حالتى السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تع **فول**
او بمحذوف عطف هو عليه اى من اى مكان خرجت اليه للسفر فول **وجهك** عند صلوتك **شطر
المسجد الحرام** او افعل ما امرت به من اى مكان خرجت اليه فول الخ **وانه** اى هذا الامر **للحق من ربك**
اى الثابت الموافق للحكمة **وما الله بغافل عما تعملون** فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد
للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين **ومن حيث خرجت** اليه فى اسفارك
ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة **فول وجهك شطر المسجد الحرام** الكلام فيه كما مر **وحيث
ما كنتم** من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب
عام لكافة المؤمنين المنتشرين فى الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب
المقيمين فى الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها **فولوا وجوهكم** من محالكم **شطره** والتكرير لما ان
القبلة لها شان خطير والنسخ من مكان الشبهة والفتنة فبالحرى ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد
ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة **لئلا يكون للناس عليكم حجة** متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل
عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
فى التوراة من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته **الا
الذين ظلموا منهم** وهم اهل مكة اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع
الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من حيث انها كما فى قوله تعالى حجتهم داحضة
حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة

الحجة راسا كالذى فى قوله ٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ٭ وقرئ الا لا حجة
للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف **فلا تخشوهم** فان مطاعنهم لا تضركم شيئا
واخشونى فلا تخالفوا امرى **ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون** علة لمحذوف يدل عليه
النظم الكريم اى وامرتكم بما ذكر لاتمامى النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتى اهتداءكم لما انه صراط مستقيم
مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه فى قوله عز وجل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وفى التعبير عن
الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجى على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية
ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اى واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون
الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفى الخبر تمام
النعمة دخول الجنة وعن على رض تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما
قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف الثانى متعلق
بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة اتماما كائنا
كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط
وقيل متصل بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى الخ وايثار صيغة المتكلم مع العظمة بعد التوحيد فيما
قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء **يتلوا عليكم اياتنا** صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة
ويزكيكم عطف على يتلوا اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء **ويعلمكم الكتاب والحكمة** صفة اخرى
مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة النظرية
الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره فى قصة
البقرة وهو السر فى التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل
عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله
عز وجل **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** صريح فى ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب و
الحكمة قطعا قد عطف على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعمة فى مقام يقتضيه كما فى قوله
تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد
بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق
فى الوحى **فاذكرونى** الفاء للدلالة على ترتيب الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكرونى بالطاعة
اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه **واشكروا لى** ما انعمت به عليكم من النعم
ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم **يا ايها الذين امنوا** وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه
ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يقتضيه الامر **استعينوا** فى كل ما تاتون وما تذرون
بالصبر على الامور الشاقة على النفس التى من جملتها معاداة الكفرة ومقاساتهم المؤدية الى مقاتلتهم **والصلوة**
التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين **ان الله مع الصابرين** تعليل للامر
بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب
كما ينبئ عنه قوله عم وجعلت قرة عينى فى الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية

الولاية الدائمة المستتبعة للمغفرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم المبارزون للصبر حقيقة
فهم متنوعون من تلك الحيثية **ولا تقولوا** عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمامور به
وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية **لمن يقتل في سبيل الله اموات** اي هم اموات **بل احياء**
اي بل هم احياء **ولكن لا تشعرون** وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية
وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رض ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على
ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع
قال رايت في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة بانى ازور قبور شهداء احد رض وانا اتلو هذه الاية وما
في سورة آل عمران واردّدها متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا
على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئات والمنظر
ليس عليه شئ من اللباس قد بدا نصفه ما فوق السرة والباقي في القبر فلاني اعلم يقينا ان ذلك الجسم كما ظهر
وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الي مبتسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ذلك
سبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على
ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا التخصيص الشهداء لما
يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا **و**
لنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشئ من الخوف و**
الجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم
هم وانما اخبرهم قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبرهم به و
ليعلموا انه شئ يسير له عاقبة حميدة **ونقص من الاموال والانفس والثمرات** عطف على شئ وقيل
على الخوف وعند الشافعي رح الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكاة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا**
اليه راجعون الخطاب للرسول ع م او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله ع م كل شئ يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما
خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده **اولئك** اشارة الى الصابرين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم **عليهم صلوات من ربهم ورحمة** الصلوة
من الله المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في
قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة
الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند

المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك** اشارة اليهم اما
بالاعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوة والرحمة
المترتبة على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل **هم المهتدون** هو
الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم
عليهما فلا بد من جزء عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا
لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم
الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب **ان الصفا والمروة** علمان
لجبلين بمكة المعظمة كالصفوان والمقطم **من شعائر الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت
وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وجبت اظهر البيت وجب تجريده عن
التعلق به **فلا جناح عليه ان يطوف بهما** اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء
فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعيل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في
الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي انه ركن وايراده
بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة
آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان
يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل
اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير
فان الله شاكر اي مجازيه عن الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد **عليم**
مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب
الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم **ان**
الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي ع م وغير ذلك
من الاحكام وعن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت
في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم
الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك
اظهار الشئ قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره
واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء **ما انزلنا من**
البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم **والهدى** اي والآيات الهادية الى
سبيله امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة
بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى
الادلة العقلية وياباه الانزال والكتم **من بعد ما بيناه للناس** متعلق بيكتمون والمراد بالناس

الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى **في الكتاب** فإن تعلق جارين
بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه والأخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أي كائنا
في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وإيضاحه بحيث يتلقاه كل أحد منهم من غير أن يكون له فيه شبهة وهذا عنوان
مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى موكد لقبح الكتم أو تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والأول أنسب بقوله تعالى
في الكتاب والمراد بكتمه إزالته ووضع غيره في موضعه فإنهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه
ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب الخ **أولئك** إشارة إليهم باعتبار
ما وصفوا به للإشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بترامي أمرهم وبعد منزلتهم في
الفساد **يلعنهم الله** أي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات إلى الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع
للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال
المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة **ويلعنهم اللاعنون** أي الذين يتأتى
منهم اللعن أي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه
يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى **إلا الذين تابوا** أي عن الكتمان **وأصلحوا** أي ما أفسدوا
بأن أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف **وبينوا** للناس معاينته فإنه غير
الإصلاح المذكور أو بينوا لهم ما وقع منهم أولا وآخرا فإنه أدخل في إرشاد الناس إلى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا أوقعوهم فيه أو بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم أضرابهم وحيث
كانت هذه التوبة المقرونة بالإصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالإيمان
وقوله تعالى **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للإشعار بعلية الحكم والفاء
لتأكيد ذلك **أتوب عليهم** أي بالقبول وإفاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى **وأنا التواب الرحيم**
أي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات إلى التكلم
للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه السابق واللاحق
إن الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره
على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والإصلاح
والتبيين مبني على ما أشير إليه فكما أن وجود تلك الأمور الثلاثة مستلزم للإيمان الموجب لعدم
الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا أي الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم
التوبة **وماتوا وهم كفار** لا يرعوون عن حالتهم الأولى **أولئك** الكلام فيه كما قبله **عليهم** أي
مستقر عليهم **لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي
بعد بيان دوامها التجددي وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنتهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس
أجمعون عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من
أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أي لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل الفعل مقدر
أي ويلعنهم الملائكة **خالدين فيها** أي في اللعنة أو في النار على أنها أضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها
وتهويلا لأمرها **لا يخفف عنهم العذاب** إما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان
كثرته من حيث الكم أو حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل أو من الضمير في عليهم على طريقة
الترادف **ولا هم ينظرون** عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وإيثار الجملة الاسمية لإفادة

لا إفادة دوام النفي واستمراره أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة
وإلهكم خطاب عام لكافة الناس أي المستحق منكم للعبادة **إله واحد** فرد في الإلهية لا صحة لتسمية غيره
إلها أصلا **لا إله إلا هو** خبر ثان للمبتدأ وصفة أخرى للخبر أو اعتراض وأيا ما كان فهو مقرر للوحدانية
ومزيح لما عسى يتوهم أن في الوجود إلها لكن لا يستحق العبادة **الرحمن الرحيم** خبران آخران للمبتدأ
أو لمبتدأ محذوف وهو تقرير للوحدانية فإنه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم أصولها وفروعها جليلها
ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا إليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت
وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت
إن في خلق السموات والأرض أي في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع
صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من أنها طبقات متخالفة الحقائق دون
الأرض **واختلاف الليل والنهار** أي تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة أو اختلاف كل منهما في أنفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره
الله تعالى **والفلك التي تجري في البحر** عطف على ما قبله وتأنيثه إما بتأويل السفينة
أو بأنه جمع فإن ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير إذ الأولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ
بضم اللام **بما ينفع الناس** أي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من أنواع المنافع أو ينفعهم **وما
أنزل الله من السماء من ماء** عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه أعم منها نفعا لما
فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب
الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب
الأمر ومن الأولى ابتدائية والثانية بيانية أو تبعيضية وأيا ما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق
والمراد بالسماء الفلك أو السحاب أو جهة العلو **فأحيا به الأرض** بأنواع النبات والأزهار وما عليها
من الأشجار **بعد موتها** باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به إيراد الموت في
مقابلة الإحياء **وبث فيها** أي فرق ونشر **من كل دابة** من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على
أنزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فأحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كأنه في حكم شيء واحد
كأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها الخ أو على أحيا بحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول
وإن لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله • وإن لساني شهدة يشتفي بها • ولكن على من تصب الله علقم
أي علقم عليه وقوله • لعل الذي أصعد تني أن يردني • إلى الأرض إن لم يقدر الخير قادر • على
معنى فأحيا بالماء الأرض وبث فيها من كل دابة فإنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا **وتصريف
الرياح** عطف على ما أنزل أي تقليبها من مهب إلى آخر أو من حال إلى أخرى وقرئ على الإفراد **و
السحاب** عطف على تصريف أو الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في
الجو **المسخر بين السماء والأرض** صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في
قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى و
لعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب
الخارجي لما مر في قصة البقرة من الإشعار باستقلال كل من الأمور المعدودة في كونها آية ولو روعي

الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة **لآيات** اسم ان دخلته اللام
لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كمًا وكيفًا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة
الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه **لقوم يعقلون** اى يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم
آية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل فى تلك الآيات
وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى
واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعًا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضى ذاته وجوده فضلا عن
وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجود قادر حكيم يوجده حسبما
تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه
لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد والتمانع المؤدى لفساد العالم **ومن الناس من يتخذ من دون**
الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة
للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شىء من الموجودات فى صفة من صفات الكمال
فضلا عن المشاركة فى صفة الالوهية والكلام فى اعرابه كما فصل فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد
الذى ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات بحسب تعينه بالصفات
اندادًا اى امثالا الا رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما فى الاوامر والنواهى
كما يفصح عنه ما سيأتى من وصفهم بالتبرى من المتبعين وقيل هى اصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله
عز وجل **يحبونهم** مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة
ميل القلب من الحب استعير لحبته ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على
حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب
اقل منه ومحبة العبد له سبحانه ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم
يطيعونهم ويعظمونهم والجملة فى حيز النصب اما صفة لانداد او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار
معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها **كحب الله** مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق
ومن قضيته كونه مبنيًا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون به تعالى
ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم
وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المثل
بينهما فى اصل الحب لا فى وصفه كما او كيفا لما سيأتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبنى للمفعول
اى كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم
لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما اسلفناه فى تفسير قوله عز وعلا كما سئل موسى من
قبل واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه **و**
الذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جئ بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة
عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم ومآل ان حب اولئك له

تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبنى للفاعل ما لا يخفى
لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور فى حبهم
لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة وما هو بصدد الزوال يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد
الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام
المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها فى الدنيا وليس الكلام فيه بل فى
انقطاعه فى الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتى بل لا اعتبار محل عما يقتضيه مقام
المبالغة فى بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه والايثار الاظهار فى موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار
بعلته **ولو يرى الذين ظلموا** اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود **اذ يرون العذاب** المعد
لهم يوم القيمة اى لو علموا اذ عاينوه وانما اوثرت صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضى فى الدلالة على
التحقق فى اخبار علام الغيوب **ان القوة لله جميعا** ساد مسد مفعولى يرى **وان الله شديد العذاب**
عطف عليه وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب
لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الا
حاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع
عليه اى لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله جميعا
ولا مدخل لاحد فى شىء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية
على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب لرأيت امرا لا
يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على
الاستئناف او اضمار القول **اذ تبرأ الذين اتبعوا** بدل من اذ يرون اى تبرأ الرؤساء **من الذين**
اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر
والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس انى كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ
بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو فى قوله تعالى **ورأوا العذاب** حالية وقد مضمرة وقيل
عاطفة على تبرأ والضمير راجع للموصولين جميعا **وتقطعت بهم الاسباب** والوصل التى كانت
بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذى يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى
وقد جوز عطفها على الجملة الحالية **وقال الذين اتبعوا** حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على
ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا **لو ان لنا كرة** اى ليت لنا رجعة الى الدنيا **فنتبرأ منهم** هنالك
كما تبرؤوا منا اليوم **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده لا الى شىء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه فى سلك الامور
المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اى ذلك
الاراء الفظيع **يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم** اى ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد
وهى تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير اى منقطع القوة وهى ثالث مفاعيل
يرى ان كان من رؤية القلب والا فهى حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات
مكان اعمالهم **وما هم بخارجين من النار** كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون

والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير لله لا للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله
هم يفرشون اللبد كل طمرة • واجرد سباق يبذ المغاليا • يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض
ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في
قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر
والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا
على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاولين قوله تعالى طيبا فانه
صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة و
الملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح
في ان الخطاب للكفرة كيف وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان
فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة
وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انها
جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم
في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا حزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال
الجوارح وافعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك
ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه
تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدمه ووقوع عدمه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير
من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان
بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال اي فضلا عن ان
يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع
المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم
لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على
وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما
على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من
الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم
الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا
منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله تعالى اولو كان

اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى رد لمقالتهم الحمقاء و
اظهار لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه ورد التعجب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله
تعالى او لو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره
فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال
بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما
عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل
الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو
كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء
على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا
ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال
هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وانما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستمرار
عليها بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه
على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور
من حيث هو متعلق بالمذكور وان المقصود بالذات انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما
تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وانما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاستبعاد
بالذات ام محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التفريج
بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة لجلالة ما ارتكبوا من الفساد ومبالغة في الانكار من جهة ان
اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون
منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا
يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من ابائهم على طريقة ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا كانه قيل ان يتبعون دين ابائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين انكار لما
افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية تنبيها على
انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي
تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى
ثم ان الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة
النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت
عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند
الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون ابائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل
عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان
تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه

وهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما
الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة
النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في
قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل لو وحالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في
سائر اللغات ايضا **ومثل الذين كفروا** جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير
وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما ذكر عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة
لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما ثبت لهم من الحكم والتقدير ومثل ذلك القائل وحالته الحقيقية لتقريرها
بان يسمى مثلا ويسير في الافاق فيما ذكر من دعوتهم اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم
في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعاء من غير ان يلقوا
اذهانهم الى ما يلقى عليهم **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء** من البهايم فانها لا تسمع
الا صوت الداعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني
لدلالة الكلمة ما عليه فانها عبارة عنه منضمة مع ما في حيز صلته بما هو مدار التمثيل اي ومثل الذين كفروا
فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل البهايم الذي ينعق بها
وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم
جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو تصويته على البهايم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء فان
الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تستند به افراد الطرفين **صم بكم عمي** بالرفع على
الذم اي هم صم الخ **فهم لا يعقلون** شيئا لان طريق التعقل هو التدرج في مبادي الامور المعقولة
والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ
منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد سد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية **يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** اي من مستلذاته **واشكروا لله** الذي رزقكموها والالتفات
لتربية المهابة **ان كنتم اياه تعبدون** فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري **انما
حرم عليكم الميتة** اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة والسمك والجراد خارجان
عنها بالعرف او استثنا بالشرع حرمة الطحال من الدم **والدم ولحم الخنزير** انما خص لحمه مع ان سائر
اجزائه بمنزلته لانه المعظم **وما اهل به لغير الله** اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستيثار على مضطر اخر **ولا عاد** سد الرمق والجوعة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب
الشافعي وقول احمد رحمه **فلا اثم عليه** في تناوله **ان الله غفور** لما فعل **رحيم** بالرخصة فان قيل
كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا
مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها **ان
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب** المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات

المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا قيل نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم **ويشترون به** اي ياخذون بدله **ثمنا قليلا** عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن
الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما
في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار
مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى **ما يأكلون في بطونهم الا النار** والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان
او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمه
فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
او يأكلون في المآل يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق
بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم
اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطونكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه
بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدي الى
قصر ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها **ولا يكلمهم الله يوم
القيمة** عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية
والزلفى **ولا يزكيهم** لا يثني عليهم **ولهم** مع ما ذكر **عذاب اليم** مؤلم **اولئك** اشارة الى ما اشير
اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي
يراد اثباته ههنا فان المقصود تصويرهم باشنع من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها
عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابداء قطاعة شناعته وهو مبتدأ خبره
الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله تعالى ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم **الذين
اشتروا** بالنسبة الى الدنيا **الضلالة** التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا **بالهدى** الذي ليس
من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل **والعذاب** اي اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذي
لا يتوهم كونه مما يشترى **بالمغفرة** التي يتنافس فيها المتنافسون **فما اصبرهم على النار** تعجيب
من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانهم عينها وما عند سيبويه نكرة تامة
مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها
اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على
النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء
اصبرهم على النار امر عجيب وفظيع **ذلك** العذاب **بان الله نزل الكتاب** اي جنس الكتاب
بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويرتكب متن الجهل والغواية مبتلى
بمثل هذا من افانين العذاب **وان الذين اختلفوا في الكتاب** اي في جنس الكتاب الالهي بان
امنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها او في التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات
المعرفة المشتملة على امر بعثة النبي عم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن طريق الحق او الاختلاف
في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المفسرين
لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل**

المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في
امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي في خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين
وتقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية مقابلتهما من الترتيب المتفرع على
ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من
المدينة المنورة في جانب الغرب فتقديمهم ليس لما ذكرتم من التوجه الى تلك الجهتين على ان البر ليس
صفة قائما على اسمها كما في قوله • سلي ان جهلت الناس عني وعنهم • فليس سواء عالم وجهول • وقوله
• اليس عظيما ان تلم ملمة • وليس علينا في الخطوب معول • وانما اخر ذلك كما ان المصدر المؤول
اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية
في الاسم طولا فلو وعى الترتيب المعهود لفات تجاذب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر هذا فيجب
ان يكون على الترتيب موافقا لدعواهم وما ذاك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله خبرا عند في الاسند
بقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر
مما لا يختلف باختلاف الشرايع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه
ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى
المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما زعموا
من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبيا يستشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل
الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق الامر بهما من ولاء الامر عقيب
نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ و
المعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسـ
طون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من
افراده القرآن الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي عم واشترائهم بما انزل
الله ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين وحيث توسط الكتاب
بين حملة الوحي وبين النبيين وضح سبب ان في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وآتى المال على حبه حال من الضمير بل اتى والضمير المجرور للمال اي اتاه كائنا على حب المال كما
في قوله عم حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان
تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا او قيل الضمير لله تعالى اي اتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع
تعريض لبادي الرؤية واخذه لتعبير التورية وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى
مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه
طولا لو روعي الترتيب لفات تجاذب الاطراف في الكلام وهو الذي تقدم الحال ايضا وقيل هو المفعول
الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة
وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم
السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عم اعطوا السائل ولو جاء على فرس

فرس وفي الرقاب اي وصرفه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل ان فك
الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها واياما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للكينونة
كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته
راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في الطريقة المنبئة
عن محليهم لما يؤتى وأقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكاة اي المفروضة على ان المراد بما
مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد بهما المفروضة
والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن
فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفا
والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى
اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير
سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا
ذكرت صفات للمدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان
تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مر في صدر السورة
وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفون في البأساء اي في الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة
وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا
وسرعة انقضائه والجملة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم
وسمو رتبتهم اولئك الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم
الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه بشانهم
وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية
برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى
الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحايزين لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى
اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخالفين
ذكر من اصول الدين وقواعدها التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم
عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام
والقاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله عم ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها
اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من
احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء
الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم
قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم
بالمنطوق وقد رايت الوجه هاهنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رض بما روي عن علي رض ان رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله عم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رض انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذمي

ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس
على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فانه شريعة من قبلنا اذا قصه علينا
من غير دلالة على نسخها فالعمل به واجب على انه شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة
وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من
اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفى لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص
وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفى ترك وشيء
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال
• وبار عفاها جور كل معاند • وقوله عفاه كل حنان • كثير الوبل هطال • فيكون المعنى فمن عفي له من اخيه
شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور والمعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال
الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا بما ذكر من قبل وعفى يعدى الى الجاني والذنب قال
الله تعالى عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته
من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني ادم عم لتحريك
سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي
بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله تعالى واداء اليه باحسان حث للمعفو
على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة
لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى
العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا
للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل
بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما
في الاخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال
غايته حيث جعل الشيء محل الضد وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة
عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب بحياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة
والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما
قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة
عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة
القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم عليه
والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم اخر من الاحكام
المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنى نفسه من الحضور وتقديم المفعول
لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا
لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رض ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة

دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف
درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وانما ذكر الفعل مع جواز
تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد
ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدوره عنه بل من حيث تعلقه بهم تعلقا
تعليقيا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية
لتقدمه عليه وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قول من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث بقوله عم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته
للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان
انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب
استحقاقهم ولا تعيين لمقاديرها بل فوض ذلك الى ارائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل
فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم
بالذات واعطى كل ذي حق حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع لكم شيئا
فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا
تحققت ذلك ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل
على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله
احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية
للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ
الايصاء فهم منها بتنبيه النبي عم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى
اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة
على رفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان تفويض الامر الى اراء المكلفين على الاطلاق
وتسني الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اراؤهم بالمعروف تكون اية المواريث الناطقة
بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة
من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اي
حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه
فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم
الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان لعلية ما في حيز الصلة الاولى
وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان
الله سميع عليم وعيد وتهديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان
يرسل السماء وقرئ موص جنفا اي ميلا بالخطا في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح بينهم
اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل

عز وجل فرض توريث الوالدين والاقربين
بقوله تعالى يوصيكم الله ... اولادكم ... المحض
... اوصى الله ٥ و

باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية
وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه
قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا الآية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه
صامت الريح اذا امسكت عن الهبوب والفرس اذا امسكت عن العدو قال خيل صيام واخرى غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشرع هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي
معظم ما تشتهيه النفس كما كتب في محل النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على
انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية
او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة
او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء و
الامم من لدن آدم عم وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم
سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان
صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى فتركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم
غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشورا واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صا
دفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع
وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا
عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها
كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك
الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا
والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا وثلاثة
ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه صوموا
اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست
محلا بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي
مرض يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم
لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف
ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة رض وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية
اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند
اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطيقونه ويتطوقونه ويطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في
الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطوقونه ويطيوقونه من فيعل وتفعيل من
الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احد
هما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هولاء

الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار
من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة و
الجواب محذوف تقديره تطلبوه اي اخترتموه اي سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ سيأتي خبره او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلك شهر
رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انه مفعول تصوموا او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله
عم من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمي بذلك اما
لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند
نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر المبتدأ على الوجه الاول وصفة لشهر
رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدأ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل في شانه القرآن
وهو قوله تعالى كتب عليكم وعن النبي عم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة
مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم
يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن
المبتدأ معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له دون الجملة خبر له
وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم
فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا
وان كان مقيما حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام
اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد
الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه
الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعات عدة ما افطر فيه ومن الترخيص
في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعات العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين
على ما هديكم ويجوز ان يكون معطوفا على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير

باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية
وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه
قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا الاية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه
صام الريح اذا امسكت عن الهبوب والفرس اذا امسكت عن العدو وقال خيل صيام واخرى غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي
معظم ما تشتهيه النفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على
انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية
او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة
او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء
والامم من لدن ادم عم وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم
سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان
صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم
غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشورا واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صا
دفوا حرا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع
وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم ووقع فيهم موتان فزادوا
عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها
كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك
الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا
والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا وثلاثة
ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه صوموا
اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست
محلا بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي
مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم
لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف
ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة رض وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية
اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند
اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في
الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من
الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما
نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هولاء

وحكم هولاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار
من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة و
الجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه اي سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر لمبتدا محذوف اي ذلك شهر
رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انه مفعول تصوموا او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله
عم من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سموه بذلك اما
لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند
نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران خبر المبتدا على الوجه الاول وصفة لشهر
رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدا انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المصلحة الربانية او انزل في شانه القران
وهو قوله تعالى كتب عليكم وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان حالان من القران اي انزل حال كونه هداية للناس باعجازه وغيره وايات واضحة
مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم
يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن
المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له
وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم
فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا
وان كان مقيما حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام
اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي وهذه
الامور شرع ما امر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص
في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين
على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير

تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة
اى على هدايته اياكم وعلى الذى هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد وَاِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فى تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فَإِنِّي قَرِيبٌ
اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب
مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعى بالاجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وَلْيُؤْمِنُوا بِي امر بالثبات
على ما هم عليه لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ راجين اصابة الرشد اى الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله
تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة
على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع
فى بيان احكام الصيام فقال أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ روى ان المسلمين كانوا اذا
امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد
العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التى يصبح فيها صايما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك
سمى خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القايم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه
التقديم اذا اخر بقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَهُنَّ استيناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة
بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ استيناف اخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فَتَابَ
عَلَيْكُمْ عطف على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وَعَفَا عَنْكُمْ اى محا اثره عنكم فَالْآنَ
لما نسخ التحريم بَاشِرُوهُنَّ المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها
وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ اى واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته
فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح
لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم وَكُلُوا
وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ شبه اول ما يبدو من الفجر
المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ولذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون
من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود
وطفقوا يأكلون ويشربون حتى يتبين لهم فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة
جائز او اكتفى اولا باستعارتها فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة

دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ بيان لاخر وقته وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ
وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ اى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى
امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد غير مختص ببعض
دون بعض وان الوطى فيه حرام ومفسد له لان النهى فى العبادات يوجب الفساد تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
اى الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فَلَا تَقْرَبُوهَا فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب
الحاجز بين الحق والباطل مبالغة فى النهى عن تخطيها كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع
حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يريد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كَذَلِكَ اى مثل ذلك
التبيين يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ الدالة على الاحكام التى شرعها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفة اوامره و
نواهيه وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ نهى عن اكل بعضهم اموال بعض على خلاف حكم الله
تعالى بعد النهى عن اكل اموال انفسهم فى نهار رمضان اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ عطف على المنهى عنه او نصب باضمار
ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم اليهم فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ
بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او متلبسين بالاثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انكم مبطلون فان ارتكاب
المعاصى مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة
فحكم رسول الله عليه السلام بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا
قليلا الاية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وروى انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام
انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن
قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا
فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ سأله معاذ بن جبل وثعلبة
بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قُلْ
هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ كانوا سألوه عليه السلام عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز
الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس فى عباداتهم لاسيما الحج فان الوقت مراعى
فيه اداء وقضاء وكذا فى معاملتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه
وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة
الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى اى بر من اتقى المحارم و
الشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج ذكر عقيبه ما هو من
افعالهم فى الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرايع لا
لبيان حقايق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيها
على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم فى السؤال
وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك
ولم يجترئ على مثله وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها وَاتَّقُوا

الله في تغيير احكامه او في جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر من اتقى اظهارا لزيادة الاعتنا
بشان التقوى وتمهيدا لقوله تعالى **لعلكم تفلحون** اى لكى تظفروا بالبر والهدى **وقاتلوا في سبيل الله**
اى جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم
الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا
فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في
اثناء بيان احكام الحج **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او
بالمثلة وقتل من نهيتم عنه من النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم **ان الله لا يحب المعتدين** اى لا
يريد بهم الخير وهو تعليل للنهى **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اى حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل
الثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا ففيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفونى
فاقتلونى فمن اثقف فليس الى خلود **واخرجوهم من حيث اخرجوكم** اى من مكة وقد فعل
بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها **والفتنة اشد من القتل** اى المحنة التي يفتتن بها الانسان
كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه
اشد من قتلكم اياهم فيه **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** اى لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة
المسجد الحرام **حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم** فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين
هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة
بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم
كقولهم قتلنا بنو اسد **كذلك جزاء الكافرين** يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم **فان انتهوا** عن القتال
والكفر بعدما راوا قتالكم **فان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما قد سلف **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**
اى شرك **ويكون الدين لله** خالصا ليس للشيطان فيه نصيب **فان انتهوا** بعد مقاتلتكم عن الشرك **فلا
عدوان الا على الظالمين** اى فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم
وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهى صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء **الشهر الحرام بالشهر
الحرام** قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة
ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **والحرمات
قصاص** اى كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم** وهو فذلكة مقررة لما قبلها **واتقوا الله** في شان الانتصار واحذروا
ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم **واعلموا ان الله مع المتقين** فيحرسهم ويصلح شانهم بالنصر والتمكين
وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى لا تمسكوا كل الامساك **ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة** بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوى العدو

العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر
اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك
المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدى بالى لتضمنه
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهى والهلك
والهلاك واحد اى لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول **واحسنوا** اى اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء **ان الله يحب المحسنين**
اى يريد بهم الخير **واتموا الحج والعمرة لله** بيان لوجوب اتمام افعالهما من العوارض المخلة بذلك من
الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب
عليكم الصيام الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام
فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا واما
ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر
للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج
المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة
افعالهما كما ينبغى من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما
المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما
سفرا كما قيل محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان يخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا
واما ما روى عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رض محدث لسنة نبيك حين قال له رجل
وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب
مع كونه معارضا بما روى عن جابر رض انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر
خير لك وبقوله عم الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر **فان احصرتم** اى منعتم من الحج يقال حصره العدو
واحصره اذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعى
لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل ممنوع من
عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة لما روى عن النبى عم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل
فما استيسر من الهدى اى فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر
واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا
يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى **ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله** اى لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه
الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او
حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله عم ذبح عام الحديبية الذى الى اسفل مكة وهى من الحرم
وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف

الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية **فمن كان منكم مريضا** مرضا محوجا الى الحلق **او به اذى من**
راسه كجراحة او قمل **ففدية** اي فعليه فدية ان حلق **من صيام او صدقة او نسك** بيان لجنس الفدية واما
قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع **فاذا امنتم** اي الاحصار او
كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما**
استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسره عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل
منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية **فمن لم يجد** الهدي **فصيام ثلثة ايام في الحج** اي في اشهره بين
الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع
ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق **وسبعة اذا رجعتم** اي نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو احد قولي الشافعي او اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام **تلك**
عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص
دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا **كاملة** صفة موكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة
لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي **ذلك**
اشارة الى ان التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام**
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند
طاوس وغير اهل مكة عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج **واعلموا**
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة **الحج** اي وقته **اشهر معلومات** معروفات بين الناس هي شوال و
ذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان
المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا
كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين و
بعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء
يجيء بالالف والتاء **فمن فرض فيهن الحج** اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي
فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب
المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب **ولا جدال** اي لا مراء مع الخدم والرفقة
اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة
البيت المعظم والتقرب بها الى الله تعالى من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي
والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج
افحش كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة
وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء

الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان
امروا ان يقفوا ايضا بعرفات **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** فيجازيكم به خيرا وهو حث على فعل الخير
اثر النهي عن الشر **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا
ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي الالباب** فان قضية
اللب استشعار خشية الله تعالى وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله
تعالى فيتبرؤوا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى من شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا
الالباب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** اي في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه اي
الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام موسم الحج او
كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** اي دفعتم منها بكثرة
من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا
تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف و
هنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي
قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تابى تقديرها لانها كالبدل
لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه او
لان جبريل عم كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان
الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا من وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة فمن ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين **عند المشعر الحرام** هو جبل يقف عليه
الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر
يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هداكم** اي كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** من قبل
ما ذكر من هدايته اياكم **لمن الضالين** عن العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كقوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث**
افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة
ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى
الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام
وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به ادم عم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك **ان الله غفور رحيم**

يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عبادات الحج المتعلقة بالحج
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخر
وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم
او كذكر اشد منه وابلغ على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم
وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين
والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين من يقول اي في ذكره ربنا اتنا في الدنيا اي
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همهم على
الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب
الدنيوية ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة
حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في
الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة
الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو
درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول
للتعظيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شانه قدرته او يوشك
ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في
اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن
تعجل اي استعجل في النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان بمعنى الفعل لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل
فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل
الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ
من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجيله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده
وعند ابي حنيفة بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح
فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فيه فمنهم من يؤثم المتعجل
ومنهم من يؤثم المتاخر لمن اتقى خبر مبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام
لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع
اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبا بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص
او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله تعالى واعلموا انكم اليه تحشرون اي
للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب
للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن

الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب والتوجيه له اليه عم وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في
شان التقوى الى حزبين وتعيين مال كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك
لما تشاهد فيه من ملاءمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما
يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق الحياة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده
بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول عم وفيه اشارة الى ان له قولا اخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك
اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الاخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه
من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مدخل للفتح في سوء حاله فان ما له بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه
في الاخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحياة اي لا يصدر منه فيها الا القول الحسن ويشهد الله
على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف
على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس والله يشهد على
ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو
الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في
كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس
بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله عم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في
المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على
القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من محلك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او
كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث و
النسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة
وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه فيغضب على
من يتعاطاه وهو اعتراض تذييل واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله ولا تفعل ما يأثم من
الفساد او النفاق واحذر سوء عاقبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم
الذي يؤمر باتقائه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ
وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه سد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده
على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن
الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها
للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان يترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا
لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يامر
بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد
فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا
منه ماله فاتى المدينة ويشري يجيء بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشراء والله رؤف بالعباد ق

ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة
حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله ٭ خرجت بها امشي تجر وراءنا ٭ على اثرينا ذيل
مرط مرحل ٭ وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى
يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله ٭ السلم
تاخذ منها ما رضيت به ٭ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٭ وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة
والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد
اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم
بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا يخلوا بشيء
منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن
ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وبمخالفة ما
امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهرها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم
اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات البينات والحجج
القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام
انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما
نهوا عنه الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال
عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم
من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة
كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ
في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما تأتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة
فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه
من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في
اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا
من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام
لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم
وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه
فكانه قد كان او جملة مستانفة جيء بها ايذانا بان وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتاء مبنيا على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء
للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول عم او لكل احد من اهل الخطاب
والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة
على ايدي الانبياء عم وآية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة

مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله
التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم ويبدلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس وبتحر
يفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور
قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما
عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة
فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحياة
الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها
والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل
اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء
الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا
هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها محلة
بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيامة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين
او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم
كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله
يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح
عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عم
مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون
وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه
الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم
وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه لمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
او متعلق بانزل لقوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله تعالى او كل واحد من
النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه
في الحق الذي اختلفوا فيه وفيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو
حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال
بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد
تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من
بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما

به
ون
جنس الكتاب اولى
و

اختلاف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الاعتبار كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة **بغيا بينهم** متعلق
بما تعلق به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا **فهدى الله الذين آمنوا** بالكتاب **لما اختلفوا فيه**
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف **من الحق** بيان لما في ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم
باذنه بامره او بتيسيره ولطفه **والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر
لمضمون ما سبق **ام حسبتم** خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات
على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عم وقد بين فيه مآل اختلاف
وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة
فيها للانكار والاستبعاد اي بل حسبتم **ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** من
الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل
في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر **مستهم** استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف
كان مثلهم فقيل مستهم **البأساء** اي الشدة من الخوف والفاقة **والضراء** اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا
ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع **وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه** اي انتهى
امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره
والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره **متى** اي متى يأتي **نصر الله** طلبا وتمنيا له واستطالة
لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ
من الضجر والضيق علم ان الامر بلغ الى نهاية لا مطمح وراءها **الا ان نصر الله قريب** على تقدير القول
اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها
وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس
النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى
عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى
الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات **يسألونك**
ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم **قل ما انفقتم من خير** ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها
اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل
من جملة ما في حيز الشرط والصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل **فللوالدين والاقربين** للايذان
بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس
انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
واليتامى اي المحتاجين **والمساكين وابن السبيل** ولم يتعرض للسائلين وفي الرقاب اما اكتفاء بما ذكر في
المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى **وما تفعلوا من خير** فانه شامل لكل خير واقع
في اي مصرف كان **فان الله به عليم** فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي
كتب عليكم القتال بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ مبنيا للفاعل وهو
الله تعالى ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى **وهو كره لكم**

لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز
بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة
التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله
لا محل لها من الاعراب **والله يعلم** ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به **وانتم لا تعلمون** اي لا تعلمونه
ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا
بامره تعالى **يسألونك عن الشهر الحرام** روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على
سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي و
ثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب
وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه
الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رض لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله تعالى **قتال فيه** بدل
الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود
ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه **قل** في جوابهم **قتال فيه كبير** جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما
جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال
كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق
القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله
تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله** مبتدأ وقد تخصص بالعمل فيما بعده اي
ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى **وكفر به** عطف على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله
تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن
عطف قوله تعالى **والمسجد الحرام** على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على
صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام **واخراج اهله** وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون **منه** اي
من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به **اكبر عند الله** خبر للاشياء المعدودة اي كبائر قريش اكبر عند الله
مما عندهم بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث **والفتنة** اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء **اكبر**
من القتل اي افظع من قتل الحضرمي **ولا يزالون يقاتلونكم** بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على
الفتنة في الدين **حتى يردوكم عن دينكم** الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تأكد ما
بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق **ان استطاعوا** اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم
فيه كانه قيل وانى لهم ذلك **ومن يرتدد منكم عن دينه** تحذير من الارتداد اي ومن يفعل ذلك

صلى الله عليه وسلم

بامثالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام و يرغب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع بالنظر الى المعنى اى اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت
حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا
والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا
من القبائح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين
امنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في
تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمت
الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر
وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من
عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسئلونك
عن الخمر والميسر نزلت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم
قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام احدهم فقرأ يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص في
نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي
بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رض انتهينا يا رب وعن علي رض لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رض لو دخلت اصبعي فيها
لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره سمي بها من عصير العنب
ما غلا واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها تستر العقل كما سميت سكرا لانها تسكرها اى تحجزها
والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ
المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام
والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها
نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة
وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح
من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه
وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه
ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عم اياكم وهاتين اللعبتين
المشؤمتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه

خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اى في تعاطيهما
ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع
للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالثاء المثلثة
وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول
ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من
الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسئلونك عن
الخمر الخ عطف القصة على القصة اى شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا عن اي
جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا من اى اصنافها ينفق
اى من خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفق فقيل قل العفو بالنصب اى ينفقون العفو او انفقوا
العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية مبتدأ وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذي ينفقونه العفو قال الواحدي
اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة و
عطاء والسدي وكانت الصحابة رض يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر
ذلك مرارا حتى قال عم مغضبا هاتها فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل
الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك
في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع
تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة يبين الله
لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الجوى واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان
كانت مشتبهة وملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها
وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق اما بتبين
اى يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اى يبينها لكم كائنة
فيهما اى مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تعالى
تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسئلة المارة فتختارون
منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعدد الاحكام الجزئية ويجوز
التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك في اشارة الى ما مر من البيانات كلا وبعضا لا الى
مصدر ما بعده فانه في فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى
مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك
الآيات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكر

للبنيء ع م نزلت **قل اصلاح لهم خير** اى التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم
اتقاء **وان تخالطوهم** وتعاشروهم على وجه ينفعهم **فاخوانكم** اى فهم اخوانكم اى فى الدين الذى هو
اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على
المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التميز
اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها
او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان فى تقديم المفسد مزيد تهديد
وتاكيد للوعيد **ولو شاء الله لاعنتكم** اى لو شاء ان يعنتكم اى يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو
المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم **ان الله عزيز** غالب على امره لا يعجز عليه اكثر من الامور التى من
جملتها اعناتكم وهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله تعالى **حكيم** اى فاعل لافعاله حسبما تقتضيه
الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها **ولا تنكحوا**
المشركات اى لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اى لا تزوجوهن من المسلمين **حتى يؤمن** والمراد
بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة وروى ان رسول الله صلى الله عليه
بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها
عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى قال
نعم ولكن ارجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت **ولامة مؤمنة** تعليل للنهى عن مواصلتهن
وترغيب فى مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم فى افادة التاكيد مبالغة فى الحمل على
الازدجار واصل امة اموة حذفت لامها على غير قياس وعوض عنها تاء التانيث ودليل كونها لامها واوا
رجوعها فى الجمع قال الكلابى اما الاماء فلا يدعوننى ولدا اذا تداعى بنو الاموات بالعار وظهورها
فى المصدر يقال هى امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف
اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر **خير** بحسب الدين والدنيا **من مشركة** اى امرأة
مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن **ولو اعجبتكم** قد مر ان كلمة لو فى امثال هذه المواقع لبيان
انتفاء الشئ فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انتصاب
المعنى على تقديره بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه
من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل
لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة مؤمنة خير من امرأة
مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات
الرغبة فيها اى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه
فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة

عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستأنفة
مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر **ولا تنكحوا المشركين** من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اى
لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء **حتى يؤمنوا** ويتركوا ما هم فيه من الكفر **ولعبد مؤمن**
مع ما به من ذل المملوكية **خير من مشرك** مع ما له من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعى الرغبة
الراجعة الى ذاته وصفاته **اولئك** استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اى اولئك المذكورون
من المشركات والمشركين **يدعون** من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار** اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق
فلا بد من الاجتناب عن مقاربتهم ومقارنتهم **والله يدعو** بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم **الى**
الجنة والمغفرة اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان
حق التخلية ان تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء **باذنه** متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه
الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة **ويبين آياته**
المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** اى لكى يتذكروا ويعملوا بما
فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون
وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم ورد بان الضمير فى
الموصوف على الخبر اعنى قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو
باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد
مرجع الضميرين الكائنين فى الجملتين المتقاطعتين او المتعقبتين خبرا للمبتدأ لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه
وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر
هنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة **ويسألونك عن المحيض** عطف
على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما
عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجئ والمبيت روى
ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى
ان سأل عن ذلك ابو الدحداح فى نفر من الصحابة رض فنزلت **قل هو اذى** اى شئ يستقذر ويؤذى من
يقربه نفرة منه وكراهة **فاعتزلوا النساء فى المحيض** اى فاجتنبوا مجامعتهن فى حالة الحيض قيل اخذ
المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون فى الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين **ولا تقربوهن**
حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته
وهو انقطاع الدم عند ابى ح فان ذلك فى اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او
مضى وقت صلوة وعند الشافعى ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله
تعالى **فاذا تطهرن** فان التطهر هو الاغتسال **فأتوهن من حيث امركم الله** من المأتى الذى حلله لكم وهو
القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يبدر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه من سائر الذنوب **و**
يحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفى ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب الناس

لما هو عنده وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اى مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى
فى ارحامهن وبين البذور من المناسبة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فأتوا حرثكم لما عبر عنهن
بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة
شئتم روى ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولده احول فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اى ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو
التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه
فتزودوا ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا
به من الاوامر والنواهى بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر
به من الامور التى تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه ما فى تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المبالغة فى تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت فى
عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل فى الصديق
حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه فى حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة
تطلق على ما يعرض دون الشئ فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما فى قوله
فلا تجعلونى عرضة اللوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا اسمه مانعا للامور الحسنة التى تحلفون على تركها
وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما فى قوله عم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان
لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام فى لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة
لما فيها من معنى الاعتراض اى لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اى برزخا حاجزا بان
تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اى شيئا يعترض فى الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر
من الحلف به تعالى على تركها وتجويز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بعرضة
فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدى الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبى وعلى الوجه الثانى لا
تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين
باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط فى اصلاح
ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به فى الايمان ما لا عقد معه
ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شئ يظنه فاحلف عليه ثم يظهر خلافه فانه
لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعى رض هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير
خطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم ظانا
انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفت قلوبكم من اثم القصد الى الكذب فى اليمين وذلك فى الغموس وعلى
الثانى لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكم بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم
يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم

حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض لتقرير مضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الله الخ وفيه ايذان بان المراد
بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هى التى يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم
الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اى للذين يحلفون متباعدين من
نسائهم ويحتمل ان يراد بهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم
وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد
بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها فى المدة بالوطئ ان
امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفئ وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت
الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتربيص اضيف الى الظرف اتساعا اى لهم ان ينتظروا
فى هذه المدة من غير مطالبة بفئ او طلاق فان فاؤا اى رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا
قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور
رحيم يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا
الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع لما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة
التى لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات
اى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض
لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر فى معنى الامر مفيد
للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص
فيخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بانفسهن الباء للتعدية اى يقمعنها
ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الانباء عن
الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما
امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن
مضى ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عم دعى الصلوة ايام اقرائك وقوله عم
طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلى من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة
اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهى الحيض الثلاث ولم يرد جمع الكثرة
فى مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شايع ذايع وقرئ ثلاثة قرو
بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الحيض والولد استعجالا فى العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن فى ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
جواب الشرط محذوف عليه ما قبله دلالة واضحة اى فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى
واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو
فى الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل
بعولتهن اى ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير بالبعولة فالضمير راجع لبعض افراد المطلقات
احق بردهن الى ملكهم بالرجعة اليهن فى ذلك اى فى زمان التربص وصيغة التفضيل للافادة ان الرجل
اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله على قولها الا ان لها ايضا حقا فى الرجعة ان ارادوا

اى الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد
الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذى
لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التى يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة
اى زيادة فى الحق لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن فى المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية
فى الفضل لانهم قوامون عليهن وحراس لهن وفى ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوى
شرايعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما
ان السابق الاقرب حكمه ولما روى انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير
مضاف خبره ما بعده اى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان
اى اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة
وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن
عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روى عنه عليه السلام او بترك الرجعة الى ان
تنقضى العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعى مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى
ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع بين الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدأ والتخيير مستانف
والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان
تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها فى الحكم
سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند
خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اى نزرا يسيرا
فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم
الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن
ان لا يقيما حدود الله اى ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول
وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام
ان لا يقيما اى الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اى على
الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج فى اخذ ما افتدت به ولا عليها فى اعطائه اياه روى ان
جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكن اكره الكفر فى
الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اى الاحكام المذكورة
حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المعتدون
والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع
الاسم الجليل فى المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهى بالوعيد

بالوعيد للمبالغة فى التهديد فان طلقها اى بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد
اى من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اى حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل
منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن ابن الزبير تزوجنى وانما
معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقى
عسيلته ويذوق من عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد
مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط
مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اى الزوج الثانى
فلا جناح عليهما اى على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان
ظنا ان يقيما حدود الله التى اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن
بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافى للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم
زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اى احكامه المعينة المحمية من التعرض
لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتى بناء على ان بعضها يلحقه زيادة
كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر فان عند من يجوز كون الجملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية
تسعى وحال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اى يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع
عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا
الراسخون فى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشىء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا لقوله
تعالى فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل
اى فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى ينقضى اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة
للحكم فى بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة فى ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد
للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا للرغبة فيها بل ليطول عليها
العدة فنهى عنه بعد امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين
واللام فى قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضرارا اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك
اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته فى الشر والفساد
فقد ظلم نفسه فى ضمن الجملة لها بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة
او جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة
على ما فى تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن يجد فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ
بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها
والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهى عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها
عمل بموجب آيات الله تعالى بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزؤ وقيل كان الرجل ينكح

ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال عم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح
والطلاق والعتاق **واذكروا نعمت الله عليكم** حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية
اي فقابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله ان كانت عليكم او صفة
لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها
الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله
فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد **وما انزل عليكم** عطف على
نعمت الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله تعالى **من الكتاب والحكمة** بيانية
اي من القران والسنة او القران الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم
وابن الهمام وفي ابهامه والاتيان من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول من دخل في النعمة الاولى ربه
ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام **يعظكم به** اي بما انزل حال من فاعل
انزل او من مفعوله او منهما معا **واتقوا الله** في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة **واعلموا
ان الله بكل شيء عليم** فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم باقسام العقاب **واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن** بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة
بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب
بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا
ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله رض حين عضل بنت عم له واسناد التطليق
اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول
قبله ايضا لوقوع العضل المذكور ح وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي
الاولياء عن العضل لما ان النهي لرفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن
عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن
ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى
اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم
وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره
عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة **ان ينكحن** اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر
عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على
صحة النكاح بعبارتهن **ازواجهن** ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما
يكون والاولياء بالاعتبار الاخير **اذا تراضوا** ظرف فلا تعضلوهن وصيغة المذكر باعتبار تغليب الخطاب
على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى
بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه **بالمعروف** الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء
متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما
بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل
ليس من باب العضل **ذلك** اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى التعظيم للمشار اليه والخطاب
لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان

لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم
كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المسارع الى الامتثال بالاوامر والنواهي اجلالا لله
وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف
وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم **ذلكم** اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه **ازكى لكم** اي انمى وانفع
واطهر من ادناس الاثام واوزار الذنوب **والله يعلم** ما فيه من الزكاء والطهر **وانتم لا تعلمون**
ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بين ههنا وانتم لا تعلمونها
فدعوا رايكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه في كل ما تاتون وما تذرون **والوالدات يرضعن اولادهن**
شروع في بيان الاحكام المتعلقة بالاولاد خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل
على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بما اذا لم يقبل الصبي ثدي الغير او فقدان الغير
او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات
وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي
لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة **لمن اراد ان يتم الرضاعة** بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد
اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له كما يقال فلانة ارضعت لفلان ولده **وعلى المولود له** اي الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه **رزقهن و
كسوتهن** اجرة لهن واختلف في استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة جائز عند
الشافعي رح **بالمعروف** حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها** تعليل لايجاب المؤن
بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه **لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما
لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر
بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه والتنبيه
على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضررا بسببه **وعلى الوارث مثل
ذلك** عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به
وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصبته وقال الشافعي رح هو وارث الاب وهو
الصبي اي ثمن المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال
وقيل الباقي من الابوين من قوله عم واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من
الرزق والكسوة **فان ارادا** اي الوالدان **فصالا** اي فطاما عن الارضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان
بانه فصال غير معتاد **عن تراض** متعلق بمحذوف يسبق اليه الذهن اي صادرا عن تراض **منهما** اي
من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة من الارضاع ويبخل
الاب باعطاء الاجرة **وتشاور** في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام

والتشاور من المشورة وهو استخراج الرأي من شرت العسل إذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم **فلا جناح عليهما** في ذلك لما أن تراضيهما إنما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على أن صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ **وإن أردتم** بيان حكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات إلى خطاب الآباء لهزهم إلى الامتثال بما أمروا به **أن تسترضعوا أولادكم** بحذف المفعول الأول استغناء عنه أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها إياه وقيل إنما يتعدى إلى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أي أن تسترضعوا المراضع لأولادكم فحذف حرف الجر أيضا كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم **فلا جناح عليكم** في الاسترضاع وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع الولد ويمنع الأم من الإرضاع **إذا سلمتم** إلى المراضع **ما آتيتم** أي ما أردتم إيتاءه كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحسانا إذا فعله وقرئ ما أوتيتم أي من جهة الله تعالى كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم إلى التسليم **بالمعروف** متعلق بسلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس شرطا للصحة والجواز بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك أدخل في استصلاح شئون الأطفال **واتقوا الله** في شأن مراعاة الأحكام المذكورة **واعلموا أن الله بما تعملون بصير** فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى **والذين يتوفون منكم** على حذف المضاف أي وأزواج الذين **يتوفون منكم** أي يقبض أرواحهم بالموت فإن التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه أي أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين **ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** أو على حذف العائد إلى المبتدأ في الخبر أي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله أصلا حتى إنهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا إذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والأمة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الأمة وقوله تعالى وأولات الأحمال خص الحامل منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطا **فإذا بلغن أجلهن** أي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** أيها الأئمة والحكام والمسلمون جميعا **فيما فعلن في أنفسهن** من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه إشارة إلى أنهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم أن يكفوهن عن ذلك وإلا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به **ولا جناح عليكم** خطاب للكل **فيما عرضتم به** التعريض والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لأسلم عليك وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه أي جانب والكناية هي الدلالة على شيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف **من خطبة النساء** الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر لما أنها شأن من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة و

للوفاة والتعريض بخطبتهن أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافعة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح **أو أكننتم في أنفسكم** أي أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه لا تصريحا ولا تعريضا **علم الله أنكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وإيثاره على اسمه للإيذان بأنه مما ينبغي أن يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية أي لا تواعدوهن في السر على أن المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه **إلا أن تقولوا قولا معروفا** استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي أي لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا تواعدوهن بشيء من الأشياء إلا بأن تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لأدائه إلى جعل التعريض موعودا وليس كذلك **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الأمر إذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح أي لا تعزموا عزم عقدة النكاح **حتى يبلغ الكتاب أجله** أي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح أي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تنفذوها فيكون نهيا عن نفس العقد لا عن قصده **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم** من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه **فاحذروه** بالاجتناب عن العزم ابتداء أو إقلاعا عنه بعد تحققه **واعلموا أن الله غفور** يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإدخال الروعة **لا جناح عليكم** أي لا تبعة من مهر وهو الأظهر وقيل من وزر إذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه جناحا فنفى ذلك **إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن** أي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع أي مدة عدم مسيسكم إياهن على أن ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل أبو البقاء أنها شرطية بمعنى إن فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للأول كما في قولك إن تأتني إن تحسن إلي أكرمك أي إن تأتني محسنا إلي والمعنى إن طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى أقعد من الأول لما أن ما الظرفية إنما يحسن موقعها فيما إذا كان المظروف أمرا ممتدا منطبقا على ما أضيف إليها من المدة أو الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى أن التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم إمكان المسيس بعد الطلاق فالوجه أن يقدر الحال مكان الزمان والمدة **أو تفرضوا لهن فريضة** أي إلا أن تفرضوا لهن مهرا على أن فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز أن تكون مصدرا وإعرابا والمعنى أنه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر أصلا إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال إلا في حال تسمية المهر فإن عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل وأما إذا

أو حتى تفرضوا لهن بعد العقد مهرا

كان بعد المساس فتعلبه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها
على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر تسبب
عليه الكلام اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار
على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحال كل منهما وقرئ
بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ويساره
واقتاره او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اى على الموسع منكم او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف
اليه عند من يجوزه اى على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان فلها الاقل من نصف
مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اى تمتيعا بالمعروف اى بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين اى الذين يحسنون الى
انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة قبل ذلك اى وان طلقتموهن
قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اى عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن
ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفي الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان
لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال
في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او
فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تسمية المهر وقرئ بالنصب اى فادوا
نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة
نزلت في انصارى تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله
فقال له عم عند طلاقها ان لا شئ لها متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى
فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة
في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون علامة
الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ناثر فيما عطف على محله
من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اى يترك الزوج
المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه
عليها عفو بلا شبهة او سمى ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه
فرجع الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى منع النقصان فمعناه فلهن هذا القدر
بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه ح لا يكون لهن القدر المذكور بل ينبغي ذلك
او يحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول
واما على التفسير الثاني فلابد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب
عليه هذا عندنا وفي القول القديم عند الشافعي رح ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة
وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الخ فان اسقاط حق
الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رض انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق
وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي

المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون
بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادا
اوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان
احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بها والمثابرة عليها
من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها
في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلاة الوسطى
اى المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى
صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام
وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملئكة الليل والنهار حينئذ وقيل
هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله عم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة لانها من صلاتي
الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها
متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي الليل والنهار وهي وتر النهار ولا تنقص في السفر
وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم
انه عم يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما
بالفضل وقرئ وعلى الصلوات الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى في الصلوة قا
نتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال
بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اى من عدو وغيره
فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد
ايضا وقرئ فرجلا اى راجلا او ركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا
تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رض اداءها على المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال
الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف
وقع وصفا لمصدر محذوف اى ذكرا كائنا كما علمكم اى كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون
من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك
العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرايع
والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة
ان المنبئة عن قلة وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع
الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المستتبع لتنزيل مقام وقوع
المأمور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى
مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت
بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اى يوصون او ليوصوا وصية او ليتوصوا
او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على

تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون
اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية **متاعا الى الحول**
منصوب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة **غير اخراج** بدل منه او مصدر موكد
كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام
ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع والثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي رحمه الله هي باقية **فان خرجن** عن منزل
الازواج باختيارهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن من معروف** لا ينكره
الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحذور اخراجها عند
ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانها كانت مخيرة بين الملازمة
مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها **والله عزيز** غالب على امره يعاقب من خالفه **حكيم** يراعي
في احكامه مصالح عباده **وللمطلقات** سواء كن مدخولا بهن او لا **متاع** اي مطلق المتعة الشاملة
للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة
وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن وذلك التكرير للتاكيد **بالمعروف** عرفا وعادة **حقا على
المتقين** اي مما لا ينبغي **كذلك** اي مثل ذلك البيان الواضح **يبين الله لكم آياته** الدالة على
احكامه التي شرعها لعباده **لعلكم تعقلون** لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها **الم تر** تقرير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظر
والعلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد
ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام
قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال من لم ير الشيء العجيب بحال الراي له بناء على ادعاء ظهور
امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا
الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعديته بالى وهو بالياء في قوله **الى الذين خرجوا من ديارهم**
على تقدير كونه بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونه ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء
على معنى الم ينته علمك اليهم **وهم الوف** اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون
الف والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل **حذر الموت** مفعول له روي ان اهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا
ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحى اليه ناد فيهم
ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام
ثم احياهم وقوله عز وجل **فقال لهم الله موتوا** اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة
واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه
بامر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون **ثم احياهم**

عطف

عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة
تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض
لاسباب الشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى **ان الله
لذو فضل** عظيم **على الناس** قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة
العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار **ولكن اكثر الناس لا يشكرون**
اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد
التشنيع **وقاتلوا في سبيل الله** عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما
قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان
الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب **واعلموا ان الله سميع** لما يقوله
السابقون والمتخلفون **عليم** بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال
واحذروا المخالفة والمساهلة **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا
خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل
والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته
واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا **قرضا حسنا** اي اقراضا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا **فيضاعفه له** بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه
في معنى ايقرض الله وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من
المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب **اضعافا**
جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول بان يضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر موكد
على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع **كثيرة** لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما يقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط
عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ ويبصط بالصاد لمجاورة الطاء
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا **الم تر** تقرير وتعجيب كما سبق
وقطع عما قبله للايذان باستقلاله في التعجيب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال **الى
الملا من بني اسرائيل** الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه
كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليون بما يبتغى منهم
ومن تبعيضية وما في قوله تعالى **من بعد موسى** ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملا اي
كائنين من بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما
معنى **اذ قالوا** منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملا او حديثهم حين قالوا **لنبي
لهم** هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن
يعقوب عليه السلام وقيل شمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسماعيل قال مقاتل هو من نسل هارون
عليه السلام قال مجاهد اشمويل ابن هلقايا **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** اي انهض للقتال
معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب

للامر والوصف لـ ملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي عم
ح فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به
اى هل قاربتم الا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط
ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم
لما انه المزيد في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا
عند عدم فرضيته اولى ولان المراد مما ذكر مما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال
وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل اى اى سبب لنا
في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى والحال انه قد عرض لنا ما
يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد
الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار
من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على
بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا
عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عم ذلك وبعث الملك
تولوا اى اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله
وانما ذكرها هنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم
وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد رتبا في قولهم وافعالهم والجملة
اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عم وبينهم من الاقوال والافعال
اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اى قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي
انه عم لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك علينا اى من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم
اى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك
من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط
لاوي بن يعقوب عم وسبط المملكة سبط يهودا ومنه داود وسليمان عم ولم يكن طالوت من احد هذين
السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه
عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء
الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة
الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب
وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل وزاده بسطة في العلم اى العلم المتعلق
بالملك وبه او بالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبيء والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول
من غيره براسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي

ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله
واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وقال لهم نبيهم توسيط فيما بين قوليه المحكيين عنه عم للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام
من جهة المخاطبين متفرع على السابق ومستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عم آية تدل على انه تعالى اصطفى
طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اى
الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه
مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان يقلبها هاء ومنهم من يقلبها
اياها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عم سخطا على بني
اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى
نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا
فيه تماثيل الانبياء عليهم من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان
عند آدم عم الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عم ثم بقي في
ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عم فكان عم يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت
تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا
في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به
على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا
النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول
والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت
من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين
فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما
سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه
عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اى في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت
ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن اليه
نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن
علي رضه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عم
وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من
التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على
الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت
فهو من تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين
بتأويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين بتمليكه عليكم او بشئ من الايات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ **فلما فصل طالوت بالجنود** اى انفصل بهم عن بيت المقدس واصله فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدى بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اى ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روى انه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجرى الله تعالى لهم نهرا فقال لهم ما ظهر له مما تعلقت به مشيئة الله تعالى من جهة النبى صلى الله عليه وسلم او بطريق الوحى عند من يقول بنبوته **قال ان الله مبتليكم بنهر** بفتح الهاء وقرئ بسكونها **فمن شرب منه** اى ابتدأ شربه من النهر بان كرع لان الشرب منه حقيقة **فليس منى** اى من جملتى واشياعى المؤمنين وقيل ليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كانه بعضه لكمال اختلاطهما **ومن لم يطعمه** اى لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اى نوما **الا من اغترف غرفة بيده** استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى وانما اخرت الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والغرفة ما يغترف وبفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اى كائنة بيده روى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه وادواته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش **فشربوا منه** عطف على مقدر يقتضيه المقام اى فابتلوا به فشربوا منه **الا قليلا منهم** وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولى وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه فى قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما فى قول الفرزدق • وعض زمان يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف • فان قوله لم يدع فى حكم لم يبق **فلما جاوزه** اى النهر **هو** اى طالوت **والذين آمنوا معه** عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان **قالوا** اى بعض من معه من المؤمنين لبعض **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح **قال** استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال **الذين يظنون انهم ملاقوا الله** قيل هم الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافى ايمان الباقين فان درجات المؤمنين فى التيقن والتوقع متفاوتة وقيل الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير فى قالوا للمنخذلين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما **كم من فئة** اى فرقة جماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته ومن فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثانى فلة **قليلة غلبت فئة كثيرة** وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير

للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة **باذن الله** اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعى فى الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع فى كلام اصحابهم مبالغة فى رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب فى ان ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى نصره تعالى وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنته سبحانه حيث قيل **والله مع الصابرين** فان المراد به معيته تعالى لهم ونصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلى تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدى الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جئ به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبى او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد جزائه اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه فنحن ايضا نغلب **ولما برزوا** اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض فى موطن الحرب **لجالوت وجنوده** وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين عادة **قالوا** اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى مستعينين به **ربنا افرغ علينا صبرا** على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفى التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى **وثبت اقدامنا** فى مداحض القتال ومزال النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر فى حيز واحد **وانصرنا على القوم الكافرين** بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين فى موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذى هو الغاية القصوى **فهزموهم** اى كسروهم بلا مكث **باذن الله** بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله **وقتل داود جالوت** كان ايشى ابو داود فى عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته فى المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم فى المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فتنحى ناحية اخرى ليس فيها اخوته ومر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف فقال طالوت انكحه ابنتى واعطيه شطر مملكتى

ع

برز له داود فرماه بما معه من الأحجار بالمقلاع فأصابه في صدره فنفذت الأحجار منه وقتلت بعده ناساً كثيراً
وقيل إنما كلمه الأحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فأنجز له طالوت ما وعده وقيل إنه حسده وأخرجه من
مملكته ثم ندم على ما صنع فذهب يطلبه إلى أن قتل وملك داود عليه السلام وأعطي النبوة وذلك قوله عز وجل
وآتاه الله الملك أي ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها والحكمة أي النبوة
ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة قبل إلا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر ولم
يجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء أي مما يشاء الله تعالى تعليمه إياه لا مما يشاء داود عليه السلام
كما قيل لأن معظم ما علمه تعالى إياه مما لا يكاد يخطر ببال أحد ولا يقع في أمنية بشر ليتمكن من طلبه
ومشيئته كالسرد باتخاذ الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الأمور الخفية ولولا دفع
الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدره
الله تعالى من القتال كما في القصة المحكية أو غيره وقرئ دفاع الله على أن صيغة المغالبة للمبالغة
لفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها
وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أو لو لم يدفعهم
بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض قاطبة ولكن الله ذو فضل
عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض
المقدم منتج لنقيض التالي خلا أنه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه أعني كونه تعالى ذا
فضل على العالمين إيذاناً بأنه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله
تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض
فلا يفسد الأرض وينتظم به مصالح العالم وينصلح أحوال الأمم تلك إشارة إلى ما سلف من حديث
الألوف وحديث طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه آيات
الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها نتلوها عليك أي بواسطة جبريل
إما حال من الآيات والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستقلة لا محل لها من الإعراب بالحق في حيز
النصب على أنه حال من مفعول نتلوها أي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب
وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم أو من فاعله أي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب
أو من الضمير المجرور أي ملتبساً بالحق والصدق وإنك لمن المرسلين أي من جملة الذين أرسلوا إلى
الأمم لتبليغ رسالاتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فإن هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة
منه سبحانه برسالته عليه السلام إثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين لها تلك الرسل
استئناف فيه رمز إلى أنه عليه السلام من أفاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم
والإشارة إلى الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه السلام واللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد
للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل إلى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل إلى الذين ثبت
علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبما يقتضيه مشيئتنا
بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير
سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من
المكالمة فإنه كلم الله تعالى كما أنه تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه وإيراد الاسم الجليل بطريق

بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق
من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات أي ومنهم من رفعه
على غيره من الرسل المتقدمين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الأسلوب
لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
ينبئ عنه الإخبار لكونه عليه السلام منهم فإن ذلك في قوة بعضهم فإنه قد خص بالدعوة العامة والحجج
والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام
لتفخيم شأنه وللإشعار بأنه العلم الفرد المغني عن التعيين وقيل إبراهيم عليه السلام حيث خصه الله
تعالى بكرامة الخلة وقيل إدريس عليه السلام حيث رفعه مكاناً علياً وقيل أولو العزم من الرسل عليهم السلام
وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وأيدناه أي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ
بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وإنما وصفت بالقدس للكرامة أو لأنه
عليه السلام لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالإنجيل كما مر وإفراده عليه السلام بما ذكر لرد
ما بين أهل الكتاب في شأنه عليه السلام من التفريط والإفراط والآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار
فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم أي جاؤوا من بعد
الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على
كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس
جميعاً لما اقتتل إلخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة أولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات
الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سننهم المؤدي إلى الاقتتال
من متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض
مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للإيذان بأن الاقتتال
ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً
فمنهم من آمن أي بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفراً لا ارعواء
له فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم ولو شاء الله عدم
اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا
وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن
بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه
في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد أي من الأمور الوجودية والعدمية
التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسبما يريد
من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل مبني على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه
كائنة ما كانت خيراً أو شراً إيماناً كان أو كفراً يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم أي شيئاً مما رزقناكم
على أن ما موصولة حذف عائدها والأمر لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل أن يأتي يوم

لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنيهما فان
الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون على
تلافى ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم
به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون
لكم فى حط ما فى ذممكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او
شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اى والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد
كما فى قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا
المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اى هو المستحق للعبودية
لا غير وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحى الباقى الذى
لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله
او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا
حفظه اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا
نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملى * وسنان اقصده النعاس فرنقت
فى عينه سنة وليس بنائم * والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة
المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شىء منهما له
سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه
فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقى بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر
على دفع النوم القوى كما فى قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على
ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما كما فى قوله عز وجل
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة
الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما اى يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل
والجملة تاكيد لما تضمنه من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موف الحيوة قاصرا فى
الحفظ والتدبير وقيل استئناف موكد لما سبق وقيل حال موكدة من الضمير المستكن فى القيوم له ما فى
السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما
هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما او من الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من
ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده
شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما
قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس
وما يحسونه وما يعقلونه وما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما فى السموات بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم
او لما دل عليه من ذا الذى من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشىء من علمه اى من
معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى
التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد

مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسى الذى هو الملبد وليس ثمة كرسى ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل
لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه
اخذا من كرسى العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسى الملك فان الكرسى كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد
اكثر واوفر عبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية
والسفلية وقيل هو جسم بين يدى العرش محيط بالسموات لقوله عم ما السموات السبع والارضون السبع
مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك الثامن وعن الحسن البصرى انه العرش ولا يؤده اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
اى حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلى
المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما زرى من انطواء
هذه الاية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجليلة فانها ناطقة
بانه تعالى موجود منفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو
القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح
ولا يعتريه ما يعترى النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان
متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها
اخواتها قال عم ان اعظم اية فى القران اية الكرسى من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عم ما قرئت هذه الاية فى دار الا هجرتها الشياطين
ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما
نزلت اية اعظم منها وقال عم من قرا اية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على
نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عم سيد البشر ادم عم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام
يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسى وتخصيص
سيادته عم للعرب بالذكر فى اثناء تعداد السادات الخاصة لانه ليس فى نفى ما دلت عليه الاخبار
المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عم لجميع افراد البشر لا اكراه فى الدين جملة
مستانفة جىء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا
بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل
هو خبر فى معنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروى انه كان لانصارى من بنى
سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعثه عم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من

الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني
عذرا اي قد تبين لما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد
الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المودي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت
هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه
ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الآلهة وهو راي سيبويه
وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يميل الى ما
يميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد
من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويومن بالله
وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد
استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة
فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل
على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من
العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى وقولها في حيز النصب اي كائنا لها
والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض
اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه
ولا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان و
التوحيد لا للنظر الصحيح المودي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما
ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد
والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع من الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله
ولي الذين آمنوا اي محبهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة
مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي
من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الا
ستدلالية من نوع ضعف وصفا بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة
العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته
وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان
جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان
والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز
عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين
الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوسواس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء
من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي عم بتنزيل
تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في

قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير للولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية
الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها
بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه
استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في
كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمومنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية
الاقتران بينه وبين مدلوله والاستقلال بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة
في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولانه فيما بعده تعدد وتفصيلا
يورث تقديمه استتار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله ايضا بواسطة ابرهيم عم فان
ما حكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار
النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او لم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس
واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا
يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ان آتاه
الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة
التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه
الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح الياء وربي وقرئ بحذفها روي انه عم لما كسر الاصنام
سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة في الاجساد
قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاج في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي
واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابرهيم استئناف كما
سلف كانه قيل فماذا قال ابرهيم لمن في هذه الرتبة من الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس
من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت
عم الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد
وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه
والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب
ابرهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاج كافرا
والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق
الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمومنين وتقرير له
معطوف على الموصول السابق وايثار او على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه
من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها
فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي

أو إلى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود أي قد
رأيت ذلك وشاهدته فإذن لا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا الخ هذا وأما جعل الهمزة لمجرد التعجب على
أن يكون المعنى في الأول ألم تنظر إلى الذي حاج إبراهيم أي انظر إليه وتعجب من أمره وفي الثاني أو
أرأيت مثل الذي مر الخ أي انظر إلى حاله وما جرى عليه في القرية بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي
الجمهور فغير حقيق بجزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر والمار عزير بن شرخيا قاله قتادة
والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو أرميا بن حلقيا
من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل أرميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد
كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل
هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلمان والأول هو
الأظهر والأشهر روي أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان
كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بختنصر البابلي فسار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب
بيت المقدس وجعل بني إسرائيل أثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم أقرهم بالشام وثلث منهم سباهم
وكانوا مائة ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة
غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على أقبح
مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل **وهي خاوية على عروشها** أي ساقطة على سقوفها
بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خويت الأرض أي تهدمت والجملة
حال من ضميرها أو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا **قال** أي تلهفا عليها وتشوقا إلى عمارتها
مع استشعار اليأس عنها **أنى يحيي هذه الله** وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديم على
الفاعل للاعتناء به من حيث إن الاستبعاد ناشئ من جهته لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية
إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وأيا ما كان فالمراد استبعاد
عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أيدي سبا ومن غيرهم وإنما عبر عنها بالإحياء الذي
هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد كما أنه لأجل ذلك عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل **بعد موتها** وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ
وجه وآكده أراه الله عز وجل أبعد الأمرين في نفسه وفي غيره ثم أراه ما استبعده صريحا
مبالغة في إزاحة ما عسى يختلج في خلده وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينته
للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينته
المار لها كما ستحيط به خبرا **فأماته الله** والبنية على الموت **مائة عام** روي أنه لما دخل القرية
ربط حماره وطاف بها ولم ير بها أحدا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب
وشرب من عصيره ونام فأماته الله تعالى في منامه وهو شاب وأمات حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره
ثم أعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا
ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان
ثلاثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله

الله من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى بيت المقدس ورجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين
سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير أحياه الله تعالى وذلك قوله
تعالى **ثم بعثه** وإيثاره على أحياه للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري تعالى كأنه بعثه من النوم
وللإيذان بأنه عاد كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال **قال** استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال **كم لبثت** ليظهر له عجزه عن الإحاطة
بشؤونه تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم
مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء
المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها
محذوف أي كم وقت لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي
من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت **قال لبثت يوما أو بعض يوم** قاله بناء على التقريب والتخمين
أو استقصار المدة لبثه وأما ما يقال من أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر
إلى الشمس يوما فالتفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب فبمعزل من التحقيق
إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان أولا **قال** استئناف كما
سبق **بل لبثت مائة عام** عطف على مقدر أي ما لبثت ذلك القدر بل لبثت مائة عام **فانظر** لتعاين
أمرا آخر من دلائل قدرتنا **إلى طعامك وشرابك لم يتسنه** أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع
تداعيه إلى الفساد روي أنه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير
واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء أما من الطعام أو الشراب وإفراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء
وأما من الأخير اكتفاء بذلك لأنه حالة على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسن والهاء
أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة لما أن لامها هاء أو واو وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي
مرت عليه حقيقة بل تشبيها أي هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بإدغام التاء في
السين **وانظر إلى حمارك** كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما
ذكر من اللبث المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل **ولنجعلك آية للناس** عطف على مقدر متعلق
بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أي فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر لتعاين
ما استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك
وأنت من أهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتي أو متعلق
بفعل مقدر بعده أي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقدير من دليل على
ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره وتكرار الأمر في قوله تعالى **وانظر إلى
العظام** مع أن المراد عظام الحمار أيضا لما أن المأمور به أولا هو النظر إليها من حيث دلالتها على ما ذكر
من اللبث المديد وثانيا هو النظر إليها من حيث يعتريها الحياة ومباديها أي وانظر إلى عظام الحمار
لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك **كيف ننشزها** بالزاي المعجمة أي
نرفع بعضها إلى بعض ونردها إلى أماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلقيها ونعظمها ولعل
[illegible] بتحييها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من أنشر الله تعالى الموتى أحياها إلا أنها

الحقيقة لقوله تعالى **ثم نكسوها لحما** اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم
الشين فلعله اراد ضد الطي كما قال الفرا فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها
مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية
نفخ الروح لما انها مما لا يقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع
كل جزء من اجزائها التي ذهبت بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض
والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط
عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينطق **فلما تبين له** اي ما
دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحيا بمباديه والفا للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما
حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما
راه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها
لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما **قال اعلم ان الله على**
كل شي قدير من الاشيا التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار **قدير** لا يستعصي
عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير
ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بنا على الاستبعاد العادي واستعظاما
للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شي قدير قال اعلم ان
الله على كل شي قدير فقدير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر
روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى
منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين
ذكر عزير فقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكا شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون
ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي بالرد
على بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت
صحيحة كانها نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في
انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد
جاكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه
كان لابي شامة سودا بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت
المقدس من قراء التورية اربعين الف رجل ولم يكن يوجد بينهم نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية
فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس
بعد هلاك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني
كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عن ظهر القلب فما
اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا عزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **واذ قال ابرهيم**
دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد
كالذي قبله بان يقال او كالذي قال رب ارني لجريان ذكره عم في اثنا المحاجة ولانه لا دخل للمشبه به في
اصل الدليل كذا . عزير عم فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته

تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صريح مثل في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا اي واذكر
وقت قوله عم وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه
الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالذات
لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ
عنها شي مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا **رب** كلمة استعطاف قدمت بين يدي
الدعا مبالغة في استدعا الاجابة **ارني** من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل
طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا
كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه او بالحال
عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو
سؤال عن حال شي متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحيا المتقرر عند
السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله عم ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على
اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال له ابرهيم عم ان احيا الله برد الارواح الى الاجساد
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك
فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان **قال** استئناف كما مر غير مرة **اولم تؤمن** عطف على مقدر اي الم
تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحيا كيف اشا حتى تسألني اراءته قاله عز وجل وهو اعلم بانه عم
اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين **قال بلى**
علمت وآمنت بانك قادر على الاحيا على اي كيفية شئت **ولكن** سألت **ليطمئن قلبي** بمضامة العيان
الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته **قال فخذ** الفا لجواب شرط محذوف اي ان اردت
ذلك فخذ **اربعة من الطير** قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر
سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة
لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل
الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من
التجزئة والتفريق وغير ذلك **فصرهن** من صاره يصوره اي امالة وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره
اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ
فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن **اليك** لتتأملها وتعرف شانها مفصلة حتى تعلم بعد الاحيا
ان جزءا منها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق
اجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك
قوله تعالى **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** اي جزءا منهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك
من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا
بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجرا الوصل مجرى
الوقف **ثم ادعهن** **ياتينك** في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث
سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية امره عز وجل

من غير تعرض لامتثاله عم ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روى انه عم نادى فقال تعالين
باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن اليه سعيا فانضمت كل
جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على
الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة
دليلا على فضل الخليل وبمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله
فى الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واراى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام **واعلم ان الله**
عزيز غالب على امره لا يعجزه شئ عما يريده **حكيم** ذو حكمة بالغة فى افعاله فليس بناء افعاله
على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل **كمثل حبة** لا بد
من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة **انبتت سبع سنابل**
اى اخرجت ساقا تشعب منه سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة **فى كل سنبلة مائة حبة** كما يشاهد
ذلك فى الذرة والدخن فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازى كاسناده
الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها حاضرة بين يدى الناظر **والله يضاعف** تلك
المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى **لمن يشاء** ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه
وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير الثواب **والله واسع** لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة **عليم** بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه **الذين ينفقون اموالهم**
فى سبيل الله جملة مبتدأة جئ بها لبيان كيفية الانفاق الذى بين فضله بالتمثيل المذكور **ثم لا يتبعون**
ما انفقوا اى ما انفقوه او انفاقهم **منا ولا اذى** المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه
انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه
وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفى لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت
فى عثمان رضه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضه حين اتى
النبى صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شئ من المن والاذى **لهم اجرهم**
اى حسبما وعد لهم فى ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفى تكرير الاسناد
وتقييد الاجر بقوله **عند ربهم** من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية
ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر
بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه
مقام الترغيب فى الفعل والحث عليه **ولا خوف عليهم** فى الدارين من لحوق مكروه من المكاره **ولا**
هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اى لا يعتريهم ما يوجبه لا انهم يعتريهم ذلك لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف
لا واستشعار الخوف استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق
العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام **قول معروف** اى كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شئ

شئ **ومغفرة** اى ستر لما وقع من السائل من الالحاف فى المسألة وغيره مما يثقل على المسؤل وصفح عنه
وانما صح الابتداء بالنكرة فى الاول لاختصاصها بالوصف وفى الثانى بالعطف او بالصفة المقدرة اى
مغفرة كائنة من المسؤل **خير** اى للسائل **من صدقة يتبعها اذى** لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها
وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة
بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤل
يؤدى الى ان يكون فى الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير فى الجملة مع بطلانها بالمرة **والله غنى**
لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى **حليم** لا يعاجل اصحاب المن والاذى
بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار
الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا **يا ايها الذين آمنوا** اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق
الغيبة مبالغة فى ايجاب العمل بموجب النهى **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى** اى لا تحبطوا اجرها
بواحد منهما **كالذى** فى محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال
الذى **ينفق ماله رئاء الناس** واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذى
ينفق اى الذى يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأى سيبويه وانتصاب رئاء
اما على انه علة لينفق اى لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق
لقوله تعالى **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا **فمثله** الفاء لربط ما بعدها
بما قبلها اى فمثل المرائى فى الانفاق وحالته العجيبة **كمثل صفوان** اى حجر املس **عليه تراب** اى شئ يسير
فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر **فتركه صلدا** املس ليس عليه شئ من الغبار اصلا **لا يقدرون على**
شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة
استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورته كون مثلهم
كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الاخير للموصول باعتبار المعنى
كما فى قوله عز وجل وخضتم كالذى خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة
السابقة له باعتبار اللفظ **والله لا يهدى القوم الكافرين** الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان
يجتنبوها **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله** اى لطلب رضاه **وتثبيتا من** اى
لتثبيت بعض **انفسهم** على الايمان فمن تبعيضية كأن قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان
المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد
ثبتها كلها او تصديقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل
ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا
من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو رأس
كل خطيئة **كمثل جنة بربوة** بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم فى الزكاة
كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له
فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد
لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة **اصابها وابل** مطر عظيم القطر **فآتت اكلها**

ثمرها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل
والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من أكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل
اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل فا
لذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة و
القليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من الطرفين
يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عند الله والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير
من الرياء ونحوه أيود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع
كما في قولك أأضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك أتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به
الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل
واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون
المنافع والباقي من المشتملات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة
قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول
الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها
وكذا لا بد من جعل اسناد الاحراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان
قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات
الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتدأ قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما
في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو
التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى
منافعها ووقت كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية ضعفاء لا يقدرون على ذلك وترتيب مبادي
المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى
السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل
اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من الرياء ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها
هباء منثورا في التحسر والتأسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا
اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من
طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم
وخياره لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما
اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله
تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الردي الخسيس
وهو كالطيب من الصفات الغالبة التي لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير

للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصدين الانفاق عليه او من
الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث
خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا
عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصول على
طريقة قوله كأنه في الجلد توليع البهق وللثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون
حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم او مما
اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقون
والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه
الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض
بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه وتوجدوا
مغمضين وقرئ تغمضون وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا
الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا
اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكأنه قيل أمنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
وانما يأمركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث
وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ
محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون
من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها
الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالو
عد مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كأنه نزله في تقرره
في الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ
بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اي بالخصلة الفحشاء اي ويغريكم على
البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم
اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة المغفرة مؤكدة
لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور
عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي وفضلا كائنا منه تعالى اي خلفا
مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا
فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع
اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للتخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما
قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح الاصابة في القول
والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي
الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ
القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما

عد

ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين وصغى ايتائها تنبيهاً والتوفيق للعلم
والعمل اي يعينها ويوفقها للعلم والعمل من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه
كما اتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلاح دنيا وعقبى فاغتنموها وسارعوا الى العمل
بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها
ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار
لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيراً كثيراً اي اي خير كثير فانه قد حاز خير
الدارين وما يذكر وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او ما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان
الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع
افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها
من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او
نذرتم النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعل كضرب ونصر من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط
او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوها فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على
الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف
بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما وهذا صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن
غنياً او فقيراً فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وجل واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب
خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة
بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف عليه بالواو الجامعة تعسف
مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها
افادة لتحقيق الجزاء اي فان الله تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيراً فخير وان شراً فشر فهو ترغيب ووعد
ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي وبمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق
الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه
الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد
صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف مقررة لما
قبلها من الوعيد مفيد لقطع اطماع من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الاخلاء
ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف
بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئاً ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين
على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بسكون النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات
المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها
خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضاً لما ان الاخفاء مظنة
الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سراً ولا يفعل ذلك عند الناس

الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر
بالعكس لرفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر بالاخفاء ومن تبعيضية
اي شيئاً من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعاً ومجزوماً على ان الفعل
للصدقات وقرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون
من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم
مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب
عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر
الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتماً من يشاء هدايته الى ذلك
ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم
على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي عليه السلام مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به
ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين كي يحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس
عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام و
ضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على
الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب
بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية
ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن
من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا
تنفقوا من الخبيث او تنفعه الذي بذلكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من
فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما
بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما
تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافاً مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر
لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف
اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وقيل حجت اسماء
بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان
يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناساً من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون
عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه
الى الكافر وان كان قريباً وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئاً مما وعدتم من الثواب المضاعف
ومن الخلف للفقراء متعلق بمحذوف يساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون
اي اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل
الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضرباً في الارض اي ذهاباً فيها للكسب

والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون
صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اى من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اى
تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول عم او لكل احد
ممن له حظ من الخطاب مبالغة فى بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا
وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده
والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا الحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفى للكلام الامرين جميعا
على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اى لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت
فى شان الصديق رضى الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل فى على كرم الله وجهه لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق
بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان
بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل فى ربط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول
والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين الخ ولذلك
جوز الوقوف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون
الربوا اى يأخذونه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه فى المطعومات مع ما فيه من
زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة فى المقدار او فى الاجل حسبما فصل فى كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة
على لغة من يفخم فى امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اى من قبورهم اذا بعثوا الا
كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اى الجنون
وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من
الفعل المنفى اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم و
سقوطهم مما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها
عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا البيع
والربوا فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين
كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا فى الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق
بينهما فان احد الدرهمين فى الاول ضائع حتما وفى الثانى منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع
رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهته تعالى لتسويتهم وابطال القياس لوقوعه
فى مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك فى المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب
فمن جاءه موعظة اى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهى عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاء
او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجئ الموعظة

للتربية فانتهى عطف على جاء اى فاتعظ بلا تراخ وتبع النهى فله ما سلف اى ما تقدم اخذه التحريم
ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه
لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من
عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم فى الشر والفساد اصحاب النار اى ملازموها هم فيها خالدون اى ماكثون ابدا
والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى
الصدقات اى يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم
ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكاة من مال قط والله لا
يحب اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك
فى ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
وآتوا الزكاة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما فى الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على
طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان
اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروهات ولا هم يحزنون
من محبوبات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقى من الربوا
اى واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم
لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتقوا وذروا الخ روى
انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اى ما
امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله
ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثانى فكحرب
البغاة وقرئ فآذنوا اى فاعلموا غيركم وقيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ
فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة
لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله روى انه لما نزلت قالت
ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد
فلكم رؤس اموالكم تأخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستأنفة
لا محل لها من الاعراب وحال من الضمير فى لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون
عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم
عدم ثبوته عند عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب فى حال الردة فىء للمسلمين عند
ابى حنيفة رض وكذا سائر اموالهم عند الشافعى وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف
بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند
ابن عباس رض فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان
تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم

وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها
ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظرة
اي فالمستحق ناظرة اي منتظرة او فصاحب نظرة على طريق النسب وقرئ فناظرة امرا من المفاعلة
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ
بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا
بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء
خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان
تتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل
المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة
وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون
فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ
بالتاء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى
كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من
خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس يفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين
في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن
عباس رض انها اخر اية نزل بها جبريل عم وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث
ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف
المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا
وعامله نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على
تنوعه الى الحال او المؤجل وانه الباعث مع الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل
متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع
الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع
والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف
المفعول اما للتعميم او لقصد الى ايقاع نفس الفعل اي فعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب
ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق
بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالتسوية
من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه
موثوقا به معتدا به بالشرع ويجوز ان تكون حالا من الضمير اي متلبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق
ولا ياب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتابة الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه
من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى

تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد
النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقا ثم
الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود
عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجليل للمبالغة في التحذير
اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل بقوله ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا
فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه
لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر
بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن
نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار
لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عمي او جهل
او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم
بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما
يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة
وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية
او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ
الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما
اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا
اي الشاهدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب اخر من الاسباب
فرجل وامراتان اي فليستشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود
والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل
وامراتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد
لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين مما ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما
بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا
فيلزم الفصل بين اشتراط المرضيين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع
حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم
وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل
منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها
الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى
وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم
الله منه ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل

التحمل لما مر من تنزيل التشارف منزلة الواقع وما روي عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم
فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت **ولا تسأموا** اى لا تملوا من كثرة مداينتكم **ان تكتبوه** اى الدين
او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا او كبيرا**
حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا **الى اجله** متعلق بمحذوف
وقع حالا من الهاء في تكتبوه اى مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون **ذلكم** اشارة
الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين **اقسط** اى اعدل **عند الله** اى في حكمه تعالى **واقوم
للشهادة** اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه
او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده **وادنى ان لا
ترتابوا** واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك **الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم** استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت تداينكم او
تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد **فليس عليكم جناح
الا تكتبوها** اى فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم
كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة **واشهدوا اذا تبايعتم** اى هذا التبايع او
مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف
في احكامها ونسخها **ولا يضار كاتب ولا شهيد** نهى عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبئ عنه قراءة من
قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهى
الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي
الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي **وان تفعلوا** ما نهيتم عنه من الضرار **فانه** اى فعل
ذلك **فسوق بكم** اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم **واتقوا الله** في مخالفة امره ونواهيه التي من
جملتها نهيه عن المضارة **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة لمصالحكم تذييل **والله بكل شيء عليم**
فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة
وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان **كنتم على سفر** الاولى حث
على التقوى والثانية وعد لانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى **ولم تجدوا كاتبا** في المداينة
وقرئ كتابا وكتبا **فرهن مقبوضة** اى فالذى يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان
مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام
رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب
توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا **فان امن بعضكم بعضا** اى بعض الداينين
بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اى امنه الناس ووصفوه
بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اى على متاع بعض **فليؤد الذي اؤتمن** وهو
المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان طريقا للاعلام وحملا على الاداء **امانته** اى دينه وانما

سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ
لان المنقلبة عن الهمزة لا تدغم لانها في حكمها **وليتق الله ربه** في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين
عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى **ولا تكتموا الشهادة** ايها الشهود
والمديونون اى شهادتكم على انفسكم عند المعاملة **ومن يكتمها فانه اثم قلبه** اثم خبر ان وقلبه
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم
الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله
اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي
ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اى جعله اثما **والله بما تعملون عليم** فيجازيكم
به ان خيرا فخير وان شرا فشر **لله ما في السموات وما في الارض** من الامور الداخلة في حقيقتهما
والخارجة عنهما المتمكنة فيهما كان اولى العلم وغيرهم اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في
شيء منها بوجه من الوجوه **وان تبدوا ما في انفسكم** من السوء والعزم عليه بان تظهروه لغيركم بالقول
او بالفعل **او تخفوه** بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من
الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع **يحاسبكم به الله**
يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء
واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه
بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل
شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في
النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا
يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون **فيغفر** بالرفع على الاستئناف اى فهو يغفر بفضله
لمن يشاء ان يغفر له **ويعذب** بعدله **من يشاء** ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على
جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم
على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام
الراء في اللام لحن **والله على كل شيء قدير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى
على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب
امن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول عليه السلام من الكتاب العظيم الشان
هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب
الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم
بها اذ لم يكن فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من الهاجرين والمنافقين ثم
شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك ما

يقتضي الحكمة ثم جعل في تمنها المتضمنون لها وحكم بانصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل
بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكرهم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب على ان الشهادة
البادية على مر الدهور لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها
ما حكى عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لاسيما بعدما نص عليه فيما سلف
ايراده عم بقبول الرسالة المنبئة عن كونه عم صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه
من قوله تعالى **بما انزل اليه** ومزيد توضيح اندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل
اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه عم وتعيين لعنوانه اي امن عم بكل ما انزل
اليه **من ربه** ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرايع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل
والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك
فمن فروع الايمان من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عم واشعار بان تعلق ايمانه
بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى
وهو مبتدا وقوله عز وجل **كل** مبتدا ثان وقوله تعالى **امن** خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والرابط
بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في امن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد
بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير
سبك النظم الكريم عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عم المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم
الناشي عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة
التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الاتي من نوع
خفاء محوج الى التقوية والتاكيد اي كل واحد منهم امن **بالله** وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية
وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال
الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصية ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى
من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب والنظم **وكتبه ورسله** اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى
لارشاد الخلق الى ما شرع من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك
الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب وذلك الرسول
بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند
لما تلي من الايات الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها
معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب اخر ناسخ له وان ما
لم ينسخ منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم
القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القران او جنس

او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه
وبين الجمع انه شايع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل
لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في
كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة
في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية
ايمانه عم بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة
حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهته العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في
صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة اليه ما في قوله تعالى يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشان التنزيل والتحقيق بمقدار الجليل وقد جوز ان
يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى
المعطوفين معا كانه قيل امن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد
من الرسل والمؤمنين امن بالله الى اخره فلانه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا
باصالته عم في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شانه عم وتفخيم ايمانه
مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه عم من الذات ومن حيث التعلق
بالتفاصيل استحال اسنادها الى غيره عم وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشان احاد الامة
كان ذلك حطا لرتبته العالية عم واما حملها على ما يليق بكل واحد ممن نسب اليه من الاحاد ذاتا وتعلقا
بان يحمل ما نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وما
نسب الى احاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عم اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف
بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى **لا نفرق بين احد من رسله** في حيز النصب بقول
مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير امن او مرفوع على انه خبر اخر لكل اي
يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر باخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم وبه
ايمانهم تحقيقا للحق وتخطية لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول عم واستقلت اليهود بالكفر
بعيسى عم ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم عما كفروا به من رسالته عم لا اظهار موافقتهم لهم
فيما امنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين احاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عم ان
يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالته نفسه وتصديقه في دعواها
وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين
لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد
الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال
من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون
العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند
قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم
وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار
الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم

اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق وللايمان الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث
الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة **وقالوا** عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم **سمعنا** اى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته **واطعنا** ما فيه
من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك **غفرانك ربنا** اى اغفر لنا غفرانك
او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم
ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم لما مر غير مرة في التضرع والجؤار **واليك المصير** الرجوع بالموت
والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة
اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا
وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق
الصلاة والصوم والحج والجهاد وقد انزل الله هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى
غفرانك ربنا واليك المصير فنسخ لهم الغفران المتعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء
خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع
الانسان ولا يضيق عليه اى سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى
الطاعة والمجهود تفضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت** للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال به
ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها
لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي
الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اى لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله
لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة تعلق كلمة ما لكل جزء من اجزائه مكسوبة وعليها لا على غيرها باحد الطريقين
المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتماد
ني من اعتمال النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا** شروع في حكاية
بقية دعواتهم اثر بيان يسر التكليف اى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من
تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا
امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطي
المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه
فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي ان اليهود

كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعدما علموا بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة
في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** عطف على ما قبله
وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به
التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا
تحمل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الذين من قبلنا** في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف
اى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اى اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو
ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف
ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديد فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما
كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل
بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم وقال عم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف و
غير ذلك قال عم رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** عطف على
ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة
التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا
في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير
للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة
فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان
واعف عنا اى امح آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد **وارحمنا**
وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على
التحلية **انت مولانا** سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين**
لان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى
ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه
عم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن
قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان
يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عم السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردا كصاد وقاف ونون ولا موازنا
لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد
حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء

جعلتا اسما او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعاً فحق هذه
الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما فتحها من الفتح على القراءة المشهورة
فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة
حركتها في حكم الثابت للابتداء به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم
واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد
سقوط همزتها وابطل بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب
لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها
الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا لا يسقط همزة الوصل وعزل عجازها لالتقاء الساكنين ثم جعلت
مردودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع
على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر واقرأ ونحوهما والرفع على انها
بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لان ما بعدها غير صالح
للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية
لا غير وقوله عز وجل **الحي القيوم** خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل صفة
للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول وهو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما افاده الاسم
الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما
من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
ومن ضرورة اختصاصه بتلك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه
بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله
لا اله الا هو الحي القيوم وآل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى عن عيسى عليه السلام كان اذا اراد
احياء الموتى به دعا يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ
الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب
مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم قد برهم وصاحب رحلهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم
وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم موّلوه واكرموه لما
شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه
كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعساً للابعد يريد به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له
كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا
منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا
مسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فاخرة يقول بعض من
راهم من اصحاب النبي عليه السلام ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام
دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو

هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير
وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا
ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك
قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون
انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه
الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام
فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم
تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام
الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى
الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم (صلى الله عليه وسلم)
فسكتوا فأبوا الا جحوداً فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج
عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون **نزل عليك الكتاب** اي القرآن
عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان
يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل
للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة
اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الخ اعتراض او حال و
قوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب
فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده **بالحق**
حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق
في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يعد في وعده ووعيده او بما يحقق انه من الله تعالى في الحجج البينة
مصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على
تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال عنه بعد حال واما عند
من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور
لانه يتحمل ضمير القيام مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي مؤكدة
وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان
بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما **لما بين يديه** مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية
العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وتقدمهما الى حضورها وكمال ظهور
امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا
يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله
على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه
واما في الشرائع المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة
التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم **وانزل التوراة**

والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده اذ بذلك يترقى شأن
ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولاً ويزداد بعداً حال من كفر بهما في الشناعة والاستتباع
ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عم وانما لم يذكر لان الكلام
في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني وتعضده القراءة بفتح
همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف من
قبل متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان هدى
للناس في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس وعلى انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما
هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد
هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جمع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما
وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع
المنسوخة من الامور التي يصدقها القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي عم تعم الناس
قاطبة وانزل الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب
الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما
في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها
بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة
من الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على
الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم
الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى
السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة
بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل ان الذين كفروا بآيات الله وضع
موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة اوهما ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا
لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق
لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكتفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله
الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما فيها من
النعوت الموجبة للايمان به بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق
موجب لتكذيب ما يصدقه حتما او اصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وباياته
المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم لهم بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع اما
على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبران والتنوين للتفخيم اي عذاب شديد
لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق به
من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب

يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي
السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم
من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله
من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عم بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية
وعبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائها عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في
السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شأنه ان يكون
على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء
والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه
المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك
بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم
الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي
من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان
احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة
بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة
على التصوير المرتبة على المشيئة قبل تحققها بمراتبه وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا
من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية
اما من فاعل يصوركم كما بنا على مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى
تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي
الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة
على بطلان زعم ربوبية عيسى عم وهو في جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة
الباري عز وجل وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم
لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد
ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع
هو الذي انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى
بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون
كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عم بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم
وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاطعة ببطلان ما هم
عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في
الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان المنزل عليه بتشريف
الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار

برفعه شأنه أو بمنفعة تبقى مرتبته فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به لعسيمه **منه آيات** الظرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بتأويل من يحققه في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله والأول أوفق بقواعد الصناعة والثاني أدخل في جزالة المعنى إذ المقصود الأصلي انقسام الكتاب إلى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة أو في حيز النصب على الحالية من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كائنا على هذه الحال أي منقسما إلى محكم ومتشابه أو الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة آيات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هن أم الكتاب** أي أصل فيه وعمدة يرد إليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فإن ذلك يؤدي إلى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة إما صفة لما قبلها أو مستأنفة وإنما أفراد الأم مع تعدد الآيات لما أن المراد بيان أصلية كل واحد منها أو بيان أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر • بها جيف الحسرى فأما عظامها • فبيض وأما جلدها فصليب • أي وأما جلودها **وأخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات أخر وهي جمع أخرى وإنما لم ينصرف لأنه وصف معدول من الآخر أو من آخر من **متشابهات** صفة لأخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالمتشابه في الحقيقة وصف تلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي إليه العقل متشابها وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه كما أن المشكل في الأصل ما دخل في أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من تلك الجهة وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز وجل الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من اعتراء الخلل أو من النسخ أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الأجزاء أي يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول **فأما الذين في قلوبهم زيغ** أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل تحريا للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء الفتنة** أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد **وابتغاء تأويله** أي وطلب أن يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** فإنه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله

تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو الحقية إيذان بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلا لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على إلا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به **يقولون آمنا به** أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وفي قوله تعالى **كل من عند ربنا** من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما أو آمنا به وبحقيقته على مراده تعالى **وما يذكر** حق التذكر **إلا أولو الألباب** أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا لا تزغ قلوبنا** من تمام مقالة الراسخين أي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه وقيل معناه لا تبتلينا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد إذ هديتنا** أي إلى الحق والتأويل الصحيح أو إلى الإيمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف وإذ في محل الجر بإضافته إليه خارج عن الظرفية أي بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن **وهب لنا من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الأول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند إذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم خصهما بظرف المكان وتضاف إلى صريح الزمان كما في قوله • تنتفض الرعدة في ظهيري • من لدن الظهر إلى العصير • ولا تقطع عن الإضافة بحال وأكثر ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها كما في قوله • ولم تقطع أصلا من لدن أن وليتنا • قرابة ذي رحم ولا حق مسلم • أي لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية كما في قوله • تذكر نعماه لدن أنت يافع • وإلى الجملة الفعلية أيضا كما في قوله • لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم • فلا يك منكم للخلاف جنوح • وقلما تخلو عن من كما في البيتين الأخيرين **رحمة** واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع باللام فإذا أورده يتمكن عندها فضل تمكن **إنك أنت الوهاب** تعليل للسؤال أو لإعطاء المسؤول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وفي إطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء **ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه** أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه **لا ريب فيه** أي في وقوعه وما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد

الاسى عندهم والتاكيد لاظهار رداهم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الاخرة ان الله لا
يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات
لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشى من ذكر اليوم المهيب الهايل بخلاف ما فى اخر السورة الكريمة فانه
مقام طلب الانعام كما سياتى وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة
مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان
وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر
ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان
العلماء الراسخين به وشرع فى بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف
وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اى لن تنفعهم وقرى بالتذكير
وبسكون الياء جدا فى استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التى يبذلونها فى جلب المنافع ودفع
المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون فى الامور المهمة وعليهم يعولون فى الخطوب الملمة وتاخير الاولاد
عن الاموال مع توسيط حرف النفى بينهما اما لعراقة الاولاد فى كشف الكروب او لان الاموال اول
عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل
كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما فى قوله تعالى ان الظن لا يغنى من الحق
شيئا اى بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اى بدل رحمتك
كما فى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم
واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق
بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن
قوله تعالى فاخذهم الله اى اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذى تسعر به فان اريد به
بيان حالهم عند التسعر فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للدلالة على ان حقيقة
حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم فى الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه
من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما
مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين العذاب الذى بين
ان اموالهم واولادهم لا تغنى عنهم منه شيئا وقرى وقود النار بضم الواو وهو مصدر اى اهل
وقودها كداب ال فرعون الداب مصدر داب فى العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله
فى معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن
تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير
بان المذكور فى تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير
كون من بمعنى البدل كما هو راى المجوز ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على
انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبى على تقدير النصب بلن تغنى وهو قوله تعالى واولئك
هم وقود النار الا ان يجعل استينافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اى داب
هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب ال فرعون والذين من قبلهم اى
من قبل ال فرعون من الامم الكافرة فالموصول فى محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا باياتنا

بيان

بيان وتفسير لدابهم الذى فعلوا على طريقة الاستيناف المبنى على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل
كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الذى فعل بهم اى فاخذهم الله وعاقبهم ولم
يجدوا من باس الله تعالى محيصا فداب هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الخ حال من ال فرعون
والذين من قبلهم على اضمار قد اى داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا الخ واما كون الخبر من الموصول
كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجرى على سنن الكبرياء والى الغيبة
ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالايات فالباء
للسببية جىء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها ساير ذنوبهم فالباء
للملابسة جىء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر اى فاخذهم الله ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما
فى قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب فى الاصل التلو والتابع وسمى الجريمة ذنبا لانها تتلو
اى تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له
قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان يهود المدينة لما شاهدوا
غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبى الامى الذى بشرنا به
موسى عم وفى التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما
كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق
كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع
الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك
لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اى قل لهم
ستغلبون البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روى عن مقاتل من انها نزلت
قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركى مكة وان ذلك قاله النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم
وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدى الى انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر
وتحشرون اى فى الاخرة الى جهنم وقرى الفعلان بالياء على انه امر بان يحكى لهم ما اخبره الله به
من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استيناف
لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جىء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه
والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التانيث كما
فى قوله ان امرء غره منكن واحدة • بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور • على ان التانيث ههنا غير حقيقى
او هو متعلق بكان على انها تامة وتاما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما
اخر اى والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم اية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم
انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين او جماعتين فان المغلوب منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة
بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما اصابهم ومحل الظرف الاول الرفع على انه صفة لاية وقيل النصب
على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية التقتا فى حيز الجر على انه صفة

فئتين اي فرقتين التقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله • اذا مت كان
الناس صنفان شامت • وآخر مثن بالذي كنت اصنع • اي احدهما شامت وآخر مثن وقوله •
حتى اذا ما استقل النجم في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود • والجملة مع ما عطف عليها مستانفة
لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى **تقاتل في سبيل الله** في محل الرفع على انه صفة فئة وفيه مع
ولكن ذكر نكاته من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية
وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق **واخرى** نعت لمبتدأ محذوف
معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والمقام مقام تعريفها لقرينتها لوضوح
التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى **كافرة** خبر المبتدأ المحذوف
وانما لم يوصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار و
ايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير
في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف اي عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة
العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعده
خبره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة
تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد تقرر انه لا بد من ضمير عائد الى
المبدل منه ويسمى بدلا مفصلا كما في قول كثير عزة • وكنت كذي رجلين رجل صحيحة • ورجل رمى فيها
الزمان فشلت • وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل
التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما
كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا **يرونهم** اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة
الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة
الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الآية **مثليهم** اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ
كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان
وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن
محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة
وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من
الانصار رض كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رض وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما
للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من
المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رض اراهم عز وجل كذلك مع قلتهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عم وكان ذلك عند التقاء
الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترئوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حسبما يحكيهم الهرب
وقيل يرى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في
قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير

عن صفة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رض قال
قد نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا
ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى راوهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا
في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال
الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت
رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى
وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها
آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا
تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا
سواء جعلت الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا
ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لقوله
تعالى ستغلبون الآية لا يستريب فيه واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك
الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة
اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين ادخل في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا يتبين
حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب
الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعله رؤية
المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع
بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا
لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم
وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك **رأي العين** مصدر مؤكد
ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية
مجرى رؤية العين **والله يؤيد** اي يقوي **بنصره من يشاء** اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية
كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المامور به **ان في ذلك** اشارة
الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل **لعبرة** العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب و
الجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة **لاولي الابصار**
لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو ايضا من تمام الكلام الداخل تحت القول مقررا لما قبله بطريق
التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته عم **زين للناس** كلام مستانف سيق لبيان
حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان
عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس **حب الشهوات** الشهوة نزوع
النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها
نفس الشهوات وايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير
او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو

لد

ب

الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى
بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو
الشيطان لما ان مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات فاسند تزيينها اليه تعالى وبين
المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان **من النساء والبنين** في محل النصب على انه حال من الشهوات
وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل
الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وهو
المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل
ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل
ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في انه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ
منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض وقيل
المدفونة وقيل المنقوشة **من الذهب والفضة** بيان للقناطير وحال **والخيل** عطف على القناطير
قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من
الخيلاء **المسومة** اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها
للرعي او المطهمة التامة الخلق **والانعام** اي الابل والبقر والغنم **والحرث** اي الزرع مصدر بمعنى المفعول
ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعهودة **متاع الحيوة الدنيا** اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلائل
فتفنى سريعا **والله عنده حسن المآب** حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير
الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب
فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية **قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم** اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي
بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما
فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى **للذين
اتقوا عند ربهم جنات** استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار خبره وعلى ان
جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى
هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول الجنات
وما بعدها من فنون الكرامات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق
بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار
والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خيرا آخر لآخرين **تجري** في محل الرفع او الجر صفة لجنات
على حسب القراءتين **من تحتها الانهار** متعلق بتجري ان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر
وتجريها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا
خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار **وازواج مطهرة**

عطف

عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية **ورضوان** التنوين
للتفخيم وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان
واي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء **والله بصير بالعباد** وباعمالهم
فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم
المستحقون للتسمية باسم العبد **الذين يقولون ربنا اننا آمنا** في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ والنصب على المدح
او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير
بالعباد في معترضة وتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب
الدعاء بقولهم **فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** على مجرد الايمان دلالة على كفايته في
استحقاق المغفرة والوقاية من النار **الصابرين** هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب
على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر على
مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس **والصادقين** في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات **والمنفقين** اموالهم في سبيل الله تعالى
والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم
الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن
عمر رضي الله عنه يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد
يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في
الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة
حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة
على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها **شهد الله انه** بفتح الهمزة اي بانه وعلى انه
لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات
التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب
واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع
الفعل على قوله ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من
المذكورين او على المدح بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح اي هم شهداء الله
وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر **والملائكة** عطف على
الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك
واولوا العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء
عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل
جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخريين
قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية
يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه ان يكون ارتفاعهما
بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا العلم شهداء بذلك وذلك ان يحمل القراءتين

على المدح نصباً ورفعاً في يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى قائماً بالقسط أي مقيماً
للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما
في قوله تعالى وهو الحق مصدقاً وإنما جاز إفراده بها دون المعطوفين مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة
إلى إقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعاً لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الإيذان
بأصالته تعالى في الشهادة كما في قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه أو من هو وهو الأوجه
والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح وقيل على أنه صفة للمنفي أي لا إله
قائماً إلخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به إذا جعل صفة وحالا من الضمير
أو نصباً على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدل أنه من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة أو
على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيماً بالقسط على البدل أيضاً من هو فيلزم لا إله إلا هو تكرير للتأكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز
الحكيم فيعلم أنه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على
البدلية من الضمير أو الوصفية لفاعل شهد والخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء
بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا
عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وروي عن سعيد بن جبير أنه كان
حول البيت ثلثمائة وستون صنماً فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجداً وقيل نزلت في نصارى
نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال
أحدهما ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه
بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال عليه السلام أنا محمد وأحمد قالا فإنا نسألك
عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان إن الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة
مؤكدة للأولى أي لا دين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة
الشريفة وعن قتادة أنه شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ أن الدين
عند الله الإسلام وقرئ أن الدين إلخ على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه
وبدل الاشتمال إن فسر بالشريعة أو على أن شهد واقع على تقدير قراءة أنه بالكسر كما أشير إليه وما اختلف
الذين أوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وأنكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل إيتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فإن الاختلاف مع
أوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل إلا من بعد ما جاءهم العلم استثناء
مفرغ من أعم الأحوال وأعم الأوقات أي وما اختلفوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن
علموا بأنه الحق الذي لا محيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات
الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك
المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغياً بينهم أي حسداً كائناً بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء
في الأمر تشنيع إثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله أي بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله

الإسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بأية آية كانت من آياته تعالى على أن يدخل فيها ما نحن فيه دخولا
أولياً فإن الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له أي ومن يكفر بآياته تعالى يجازيه ويعاقبه
عن قريب فإنه سريع الحساب أي يأتي حسابه عن قريب أو يتم ذلك بسرعة وإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال
الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم
بعد إيتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فإن
حاجوك أي في كون الدين عند الله الإسلام أو جادلوك فيه بعدما أقمت لهم الحجج فقل أسلمت
وجهي أي أخلصت نفسي وقلبي وجملتي وإنما عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه إلى كل شيء لله لا أشرك
به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن
اتبعن عطف على المتصل في أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل أي
وأسلم من اتبعني ومفعوله وقل للذين أوتوا الكتاب أي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع
الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والأميين أي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم
متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعملتم
بقضيتهما أو أنتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكاً
إلا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتهون إثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه
من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فإن أسلموا
أي كما أسلمتم وإنما لم يصرح به كما في قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به حسماً لباب إطلاق اسم الإسلام
على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا أي فازوا بالحظ الأوفر ونجوا عن مهاوي الضلال وإن تولوا أي
أعرضوا عن الاتباع وقبول الإسلام فإنما عليك البلاغ قائم مقام الجواب أي لم يضروك شيئاً إذ ما
عليك إلا البلاغ وقد فعلت على أبلغ وجه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية
على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله
فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون
عيسى عبداً وذلك قوله عز وجل وإن تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع أحوالهم وهو تذييل فيه وعد
ووعيد إن الذين يكفرون بآيات الله أي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة
بحقية الإسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا أولياً ويقتلون النبيين بغير حق هم أهل الكتاب
قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل
النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال وقرئ يقتلون
بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضاً بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس أي بالعدل ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما
في الوقت عن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلا
أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار
في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر
فقتلوا جميعاً من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب أليم خبر إن والفاء لتضمن اسمها

معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله
تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله ٭ فوالله ما فارقتكم عن ملالة
ولكن ما يقضى فسوف يكون ٭ وانما تغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش
الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا
والاخرة كما في قولك الشيطان فاحذر وعدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ
وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في
حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم
التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الاخرة
وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في
مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما
سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقرير
بحسب كون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم
يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من
نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بالنصب بكمال اختصاصه
وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده
مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله اي الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في
مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف
مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله
تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم
الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم
قالا ان ابرهيم عم كان يهوديا قال عم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في
الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القران فانهم قد علموا انه كتاب الله ولم يشكوا فيه وقرئ ليحكم
على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال
من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم واعتراض اي وهم قوم ديدنهم
الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي
الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهون عليهم الخطوب
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون
لنا وان الله تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا
من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق

بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع
ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس
الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون
وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة
على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار
ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة
عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك
لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم
عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا
واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان
الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك و
تحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو
مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع
الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والاخران مجازيان
خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتأمل وقيل
المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشاء اي تعزه في الدنيا او في الاخرة
او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة من المعز ولا
مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد
من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات
واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه
في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة
اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عم واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم
وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير
تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخل فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة
الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من
موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من

الحيوان وقيل يخرج الكافر من المؤمن **وترزق من تشاء بغير حساب** قال أبو العباس المقرئ ورد
لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب
بمعنى العدد قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن أو أمسك
بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق أو من مفعوله وفيه دلالة على أن من قدر
على أمثال هاتيك الأفاعيل العظام المحيرة للعقول والأفهام فقدرته على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم أهون من كل هين عن علي رضي الله عنه قال قال عليه السلام إن فاتحة الكتاب
وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام
وقل اللهم إلى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا إلى أرضك
وإلى من يعصيك قال الله عز وجل إني حلفت أنه لا يقرأكن أحد دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على
ما كان منه وأسكنته حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة
أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما من أسباب المصادقة
والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقوله تعالى لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر
الأمور الدينية **من دون المؤمنين** في موضع الحال أي متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالا أو اشتراكا
وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة **ومن يفعل ذلك**
أي اتخاذهم أولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار أو لإيهام الاستهجان بذكره **فليس من الله** أي من
ولايته تعالى **في شيء** يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فإن موالاة المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع
قال تود عدوي ثم تزعم أنني • صديقك ليس النوك عنك بعازب • والجملة اعتراضية وقوله تعالى
إلا أن تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل فعل النهي معتبرا
فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الأحوال إلا حال اتقائكم **منهم** أي من جهتهم
تقاة أي اتقاء أو شيئا يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع المفعول فإنه يجوز إظهار الموالاة
مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا وأصل **تقاة** وقية ثم أبدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء ألفا وقرئ
تقية **ويحذركم الله نفسه** أي ذاته المقدسة فإن جواز إطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه
بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به
الذات إلا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للإيذان بأن له عقابا هائلا لا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة **وإلى الله المصير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما **قل إن
تخفوا ما في صدوركم** من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة **أو تبدوه** فيما بينكم **يعلمه الله** فيؤاخذكم
بذلك عند مصيركم إليه وتقديم الإخفاء على الإبداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وإن تبدوا ما
في أنفسكم أو تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون **ويعلم ما في السموات وما في الأرض**
كلام

كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيدا وتقريرا **والله
على كل شيء قدير** فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه وإظهار الاسم الجليل في
موضع الإضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه
بأن ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق
بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط
يوم تجد كل نفس أي من النفوس المكلفة **ما عملت من خير محضرا** عندها بأمر الله تعالى وفيه
من التهويل ما ليس في حاضرا **وما عملت من سوء** عطف على ما عملت والإحضار معتبر فيه إلا أنه
خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية
تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة
لو أن بينها وبينه أي بين ذلك اليوم **أمدا بعيدا** لغاية هوله وفي إسناد الودادة إلى كل
نفس سواء كان لها عمل سيء أو لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم
وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ويجوز أن يكون انتصاب يوم على المفعولية
بإضمار اذكروا وتود إما حال من كل نفس أو استئناف مبني على السؤال أي اذكروا يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير وشر محضرا وادة أن بينها وبينه أمدا بعيدا وكأن سائلا قال حين أمروا بذكر ذلك
اليوم فماذا يكون إذ ذاك فقيل تود لو أن بينها الخ أو تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت
من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فيجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر أوقع
معنى لأنها حكاية حال ماضية وأوفق للقراءة المشهورة **ويحذركم الله نفسه** تكرير لما سبق وإعادة
له لكن لا للتأكيد فقط بل لإفادة ما يفيده قوله عز وجل **والله رؤوف بالعباد** من أن
تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقق ما حذرهموه من عقابه وأن
تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضا كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان
ما غرك بربك الكريم فالجملة على الأول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها
على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله عز وجل وأن كل ما يراه كمالا من نفسه
أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته
والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
في عبادته والحرص على مطاوعته **يحببكم الله** أي يرضى عنكم **ويغفر لكم ذنوبكم** أي يكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة
بطريق الاستعارة أو المشاكلة **والله غفور رحيم** أي لمن يتحبب إليه بطاعته ويتقرب إليه باتباع
نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة روي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله
وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهده
عليه السلام أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا قولهم مصدقا من العمل روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها

ببعض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة
ابرهيم واسمعيل عم فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي
اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم **قل اطيعوا الله واطيعوا**
الرسول اي في جميع الاوامر والنواهي ويدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عم دخولا اوليا وايثار
الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة
المامور بها اطاعته عم من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا يبعث في عنوان الرسالة من تقوية
الطاعة ودواعيها **فان تولوا** اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى
التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغايب وفي ترك
ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم **فان الله لا يحب**
الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار
على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان
بان التولي عن الطاعة كفر بان محبته عز وجل مخصوصة بالمومنين **ان الله اصطفى ادم ونوحا**
وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام
والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته
منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة
القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم السلام كافة واتبعه ذكر مبدا امر عيسى عم وامه وكيفية
دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من
الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عم وادعايهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته
العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عم دعاة الى عبادة الله تعالى وحده
وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة
مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سياتي مفصلا وتخصيص ادم
عم بالذكر لانه ابو البشر ومنشا النبوة وكذا حال نوح عم فانه ادم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب
المعترفين باصطفايهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفايه
بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عم عريقا في النبوة من زمرة المصطفين
الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم لكمال
رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو السر في
اضافة الآل الى ابرهيم دون نوح وادم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشي كالاستصفاء
مثل به اختيارهم في امامهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية
المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عم او فيمن يلابسه وينشا منه كما في مريم وقيل
اصطفى ادم عم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه
الجنة واصطفى نوحا عم بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة

عمره

عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمومنين وحمله على متن الماء والمراد بآل
ابرهيم اسمعيل واسحق والابناء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه
عم فمفهوم من اصطفايهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في
الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء آل ابرهيم بدعوته بقوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابرهيم وبآل عمران عيسى عم وامه
مريم ابنة عمران ابن ماثان ابن العازار بن ابي ود بن ياخن بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن ابيود بن زربابل بن
سالتان بن يوحنا ابن اوشا ابن امود بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط ابن ايشا بن راجيم بن سليمان بن
داود عليهما السلام ابن ايشا ابن عويد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام
بن حضروم بن فارص بن يهودا ابن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهارون عليهما السلام ابن عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عم وبين العمرانين الف وثمانماية سنة فيكون اصطفاء
عيسى عم بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابرهيم
عم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه
ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي
وقوله تعالى **بعضها من بعض** في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم
ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبي عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من
بعض في الدين فالاستثناء على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برهانية **والله سميع** لاقوال
العباد **عليم** باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا
على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها **اذ قالت**
امرات عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران
وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها
المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران
اذ قالت الى آخره فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون
اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرات عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن
يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عم فظن ان المراد زوجته وليس كذلك فان قصة كفالة
زكريا عليه السلام ناطقة بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عم كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت
حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله عم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تاويله
ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت
ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم
نكح حنة بناء على حل نكاح الربايب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها
من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رات
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي

حامل رح نقولها **رب انی نذرت لك ما فی بطنی** لابد من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه
عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الا
ضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان تستجاب له دعاؤه فليدع الله
بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة فی مضمونها وتقديم الجار والمجرور
لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء **محررا** ای معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت
وقيل من ضميره فی الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها فی قوة ما استقر فی بطنی ولا يخفى ان المراد تقييد
فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار فی بطنها **فتقبل منی**
ای ما نذرته والتقبل اخذ الشیء على وجه الرضى وهذا فی الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول
بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت السميع** لجميع المسموعات التی من جملتها
تضرعی ودعائی **العليم** بكل المعلومات التی من زمرتها ما فی ضميری لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا
من حيث انه يرفع سميعا الدعاء عليما بما فی ضميرها مصحح للتقبل فی الجملة بل من حيث ان علمه
بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتی
السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة
فی الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** ای ما فی بطنی وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعی ظهور
انوثته واعتباره فی خبر الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعنی قوله تعالى **قالت رب انی وضعتها
انثى** لا على وضع ولدها كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لان ما فی بطنها كان انثى
فی علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شیء مما ذكر فی خبر الشرط
ويكون مدار ترتيب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة
الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ وانما قالته
تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا
للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل **والله اعلم بما وضعت** تعظيم من جهته تعالى للموضوع
وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره ای والله اعلم بالشیء الذی وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله
وابنه آية للعالمين وهی غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى
لها ای انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعت
على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها
اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى
فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات فی ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر
كالانثى** اعتراض آخر مبين لما فی الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام فی الذكر والانثى للعهد
ای ليس الذكر الذی كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التی
وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين
واما على تفسير الاخيرة قراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى فی الفضيلة بل ادنى منها واما على
التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى فی الفضيلة والمزية وصلاحية

وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله **وانی سميتها مريم** عطف على انی
وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم
فی لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبی ومعناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما هی
وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **وانی اعيذها
بك** عطف على انی سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ای اجيرها بحفظك وقرئ بفتح
الياء فی المواضع التی بعدها همزة مضمومة الا فی موضعين بعهدی اوف وآتونی افرغ **وذريتها** عطف
على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به **من الشيطان الرجيم** ای المطرود وهو
اصل الرجم الذی بالحجارة عن النبی صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فی اغواء كل مولود بحيث يتأثر
منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها** ای اخذ مريم ورضی بها
فی النذر مكان الذكر **ربها** مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى **بقبول
حسن** قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد ای تقبلها تقبلا حسنا
وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل
مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها فی حقه تعالى
ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشیء كالسعوط واللدود لما يسعط به
ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر فی النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها
من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روی ان حنة حين ولدتها لفتها فی خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم فی بيت المقدس كالحجبة فی الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنی ماثان كانت رؤس بنی اسرائيل
وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عم فی الكتب الالهية فقال لهم زكريا عليه السلام انا احق
بها عندی خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فألقوا فيه اقلامهم فطفا
قلم زكريا عم ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر ای فتقبلها بذی قبول ای
بامر ذی قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقصى بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل ای استقبلها فی
اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها** مجاز عن تربيتها بما يصلحها فی جميع احوالها **نباتا حسنا**
مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا
وكفلها زكريا ای جعله عم كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحی بل على
ما ذكر من التفصيل فان رغبته عم فی كفالتها وتحقق ذلك برسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية
بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها
ورفع زكريا ممدودا ومقصورا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر فی الكل ونصب ربها على الدعاء
ای فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تفسير لجملة التربية قيل بنی عم لها
محرابا فی المسجد ای غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فی اشرف
موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روی انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده
واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكريا المحراب** تقديم الظرف على الفاعل

لانها محل العبادة بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف
او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل
عليها فيه **وجد عندها رزقا** اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عنده
في الصيف فاكهة الشتا وفى الشتا فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا **قال** استيناف مبنى على السوال كانه قيل
فماذا قال زكريا عم عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال **يا مريم انى لك هذا** اى من اين يجى لك
هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاوليا ومن انكرها
جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عم واما جعله معجزة لزكريا عم فيأباه اشتباه الامر عليه وانما
خاطبها عم بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى
بالعلم والقدرة **قالت** استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السوال
ورد الجواب فقيل قالت **هو من عند الله** فلا تعجب ولا تستبعد **ان الله يرزق من يشاء** ان يرزقه
بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من
تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روى ان فاطمة الزهرى رضى الله عنها
اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير
حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان
الله عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** كلام
مستانف وقصة مستقلة سيقت فى تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما
فى ايرادها من تقرير ما سبقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقربا ادلة على
فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اى فى ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان **دعا**
زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد
حنة فى النجابة والكرامة وان كانت عجوزا عاقرا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها
تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفانى فاقبل على الدعا من غير تاخر كما ينبى عنه تقديم الظرف
على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعا فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة
التى من جملتها كبر سنه عم وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل فى سورة مريم **قال** تفسير للدعا وبيان
لكيفيته لا محل له من الاعراب **رب هب لى من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما
فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد **ذرية طيبة**
كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اى كائنة من لدنك والذرية النسل
تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف
كما فى قول من قال • ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • وهذا اذا لم يقصد
به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت
حمزة **انك سميع الدعاء** اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة **فنادته الملائكة**
كان المنادى جبريل عم السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل

الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل
لما كان جبريل عم رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى
الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة **وهو قائم** جملة حالية من مفعول النداء مقررة
لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى **يصلى** اما صفة لقائم او خبر ثان عند
من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى منه على القول
بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى **فى المحراب** اى فى المسجد او فى
غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى اوبقائم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قائم
لان العامل فيه وفى الحال شئ واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية **ان
الله يبشرك بيحيى** اى بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه
وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثى واياما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام محكيا بعبارته
من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية
كما يلوح به مراجعته عم فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون
العظمة حسبما وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما فى قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك بكذا
وللايذان بان ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك
بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين
فتامل ويحيى اسم عجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس رض
انما سمى يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبى
كان اسمه فى الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اى بولادة يحيى فان البشير
لا يتعلق بالاعيان **مصدقا** حال مقدرة من يحيى **بكلمة من الله** اى بعيسى عم وانما سمى كلمة لانه
وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال
السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى
وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رض
ان يحيى كان اكبر من عيسى عم بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قتل قبل رفع عيسى عم بمدة يسيرة وعلى
كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة به زمان مديد لما ان مريم ولدت وهى بنت ثلاث عشرة
سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى الحويدرة لقصيدته **وسيدا** عطف
على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فى انه لم يلم بخطيئة ولم
يهم بمعصية ايا لها من سيادة ما اسناها **وحصورا** عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها
عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا** عطف
على ما قبله مرتب على ما عدد من الخصال الحميدة **من الصالحين** اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبيا
عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد
بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عم
وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين **قال** استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا قال زكريا

ح نفسه قال **رب** لم يخاطب الملك المنادي له بما استدعاه الباعث للخطاب وإن كان ذلك بطريق الحكاية
عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجداً في التبتل إليه تعالى واحترازاً عما
عسى يوهم خطاب الملك من توهم أن علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف
البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الأحوال وإن لم يتوقف عليه في بعضها **أنى يكون لي غلام**
فيه دلالة على أنه قد أخبر بكونه غلاماً عند التبشير كما في قوله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وأنى بمعنى
كيف أو من أين وكان تامة ولي واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما
قدم والتشويق إلى ما أخر أي كيف أو من أين يحدث لي غلام ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالاً من
غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أو ناقصة واسمها ظاهر وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمحذوف كما مر
أو هو الخبر وأنى منصوب على الظرفية **وقد بلغني الكبر** حال من ياء المتكلم أي أدركني كبر السن وأثر في كقولهم
أدركته السن وأخذته السن وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد
يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس و
ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون **وامرأتي عاقر**
أي ذات عقر وهو أيضاً حال من ياء عند من يجوز تعدد الحال أو من ياء بلغني أي كيف يكون لي ذلك والحال
أني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وإنما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة
الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدة الشواهد السالفة استعظاماً لقدرة الله سبحانه وتعجباً منها
واعتداداً بنعمته عز وجل عليه في ذلك الاستبعاد له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين
الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاماً عن كيفية
حدوثه **كذلك** استئناف كما سلف إشارة إلى مصدر يفعل في قوله عز وجل **الله يفعل ما يشاء**
أي ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الأفاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل
النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف أي الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب
والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لإفادة القصر بالنسبة
إلى ما هو أدنى من المشار إليه واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وقد
مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أو على أنها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة
أي يفعل الفعل كائناً مثل ذلك أو في محل الرفع على أنها خبر والجلالة مبتدأ أي على نحو هذا الشأن البديع
شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم وكذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك
وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له **قال رب اجعل لي آية** أي علامة تدلني على تحقق المسئول
ووقوع الحبل وإنما سألها لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى
تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهوراً معتاداً ولعل هذا السؤال وقع
بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة
أشهر أو بثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه
من المحراب فأوحى إليهم الآية اللهم إلا أن يكون التفاوت بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من
جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها الحكي والجعل إبداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مراراً من
الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالاً من آية وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين أولهما

آية وثانيهما لي والتقديم لأنه مسوغ لكونه آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار
فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ **قال آيتك ألا تكلم الناس** أي ألا تقدر على تكليمهم **ثلاثة**
أيام أي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سوياً مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته
ذلك لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول
النعمة أن تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال **إلا رمزاً** أي إشارة بيد أو
رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتمز أي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع
لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المراد ولا ريب في كون الرمز
من ذلك القبيل وقرئ رمزاً بفتحتين على أنه جمع رامز كخدم وبضمتين على أنه جمع رموز كرسل على أنه حال
منه ومن الناس معاً بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا
واذكر ربك أي في أيام الحبسة شكراً لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية **كثيراً**
أي ذكراً كثيراً أو زماناً كثيراً **وسبح** أي سبحه تعالى أو افعل التسبيح **بالعشي** من الزوال إلى الغروب
وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل **والإبكار** من طلوع الفجر إلى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلاة
بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر
اللساني كما أن المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار **وإذ**
قالت الملائكة شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض
أقاربهم أعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام إياها حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير الفعل
والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وتقدم ما فيه من الكلام وإذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف
القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعني قوله تعالى إذ قالت امرأة عمران منصوب
بناصبه فتدبر أي واذكر أيضاً من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام **يا مريم**
تكرير التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها
عن الأحكام السابقة فإنها من أحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب
التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاهاً كرامة لها أو إرهاصاً
لنبوة عيسى عليه السلام لما كان الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل ألهموها **إن الله اصطفاك** أولاً
حيث تقبلك من أمك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك أنثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من
رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية **وطهرك** أي مما يستقذر من الأحوال والأفعال ومما قرفك
به اليهود بإنطاق الطفل **واصطفاك** آخراً **على نساء العالمين** بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم
يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم حكاية هذه المقاولة
على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مراراً من التنبيه على أن كلاً منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو
روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئاً واحداً وقيل المراد بالاصطفاء شيء واحد والتكرير
للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا إشكال في ترتيب النظم الكريم إذ يحمل الاصطفاء على
ما ذكر أولاً ويحمل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام إيذاناً بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات
والعبادات حسبما أمرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة إليه ثم منسلخة عن أحكام البشرية
مستعدة لفيضان الروح عليها **يا مريم** تكرير النداء للإيذان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن

ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا للذكر وترغيبا في العمل بموجبه **اقنتي لربك** اى قومي في الصلوة او
اطلب القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر **و**
اسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا
بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود
افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي
من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين وان
ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الركنين الاخرين عما قيد به الاول لما ان
المراد تقييد الامر بالصلاة بذلك وقد حصل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها
وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا
ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد
منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره **من انباء الغيب** اى من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب وقوله تعالى **نوحيه اليك** جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة والظرف من انباء
الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اى نوحيه من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة
الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد **وما كنت لديهم** اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية
مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة
واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم **اذ يلقون اقلامهم**
ظرف للاستقرار العامل في لديهم اقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية تبركا **ايهم يكفل مريم** متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها
وما كنت لديهم اذ يختصمون اى في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم
مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند
الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عم لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغير الترتيب
في الذكر مؤكد له **اذ قالت الملائكة** شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من وان قالت الملائكة منصوب
بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به لتقرير ما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من
شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب وايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان
وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان
المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عم بتفاصيل احوال
مريم عم من اولها الى اخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع للامر **يا مريم ان الله يبشرك**
بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة كائنة منه عز وجل **اسمه** ذكر الضمير
الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره **المسيح** وقوله تعالى **عيسى** بدل منه او عطف بيان
وقيل خبر اخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى **ابن مريم** صفة لعيسى

لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسيح عما سواه فالخبر مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عم تمييزا جامعا عمن عداه و
المسيح لقبه عم وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عم مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه
جبريل عم او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عم يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان في لونه عيسة اى بياض
يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب
فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين **وجيها في الدنيا والاخرة** الوجيه ذو الجاه
وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها
الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة
وعلو الدرجة في الجنة **ومن المقربين** اى من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته
الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى **ويكلم الناس في المهد وكهلا**
اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي ان يستوي
من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه
بمعزل من الالوهية **ومن الصالحين** حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في
يكلم **قالت** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت
فقيل قالت متضرعة الى ربها **رب انى يكون لي ولد** اى كيف يكون او من اين يكون لي ولد على وجه
الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل هو وجه الاستفهام والاستفسار بانه
بالتزوج او بغيره ويكون اما تاما لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما انى واللام
متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر وخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى **ولم يمسسني بشر** جملة حالية
محققة للاستبعاد اى والحال انى على حالة منافية للولادة **قال** استئناف كما سلف والقائل هو
الله تعالى او جبريل عم **كذلك الله يخلق ما يشاء** الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا عم
بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب
من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان ايراد المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل
ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل **اذا قضى امرا** من الامور اى اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا
اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها
اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك **فانما يقول له كن فيكون** من غير ريث
وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة
حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على
خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد
ويعلمه الكتاب اى الكتابة او جنس الكتب الالهية **والحكمة** اى العلوم وتهذيب الاخلاق **والتورية**
والانجيل افردهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما
على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها
وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون **ورسولا الى بني**

اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اى يجعله رسولا الى بنى اسرائيل اى كلهم وقال بعض
اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء
بنى اسرائيل يوسف عم واخرهم عيسى عم وقيل اولهم موسى عم واخرهم عيسى عم وقوله تعالى انى قد جئتكم
معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اى و رسولا ناطقا بانى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف
على يعلمه اى ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها
فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا
بانى الخ وقرى رسول بالجر عطفا على كلمة والباء فى قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل
الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرى بايات او جئتكم
على انها للتعدية وقوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لاية اى
قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم باية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتى من الاوامر وقوله تعالى
انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى انى قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند
سيبويه والفراء والجر على راى الخليل والكسائى او بدل فى اية وقيل منصوب بفعل مقدر اى اعنى انى
الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هى انى اخلق لكم وقرى بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم
اى لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياى من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير وقرى فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اى اخلق لكم من
الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار
بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روى انه عم لما ادعى النبوة واظهر المعجزات
طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان
يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق
الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهى تحيض وتطهر وتلد كسائر
الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما ترى فى
ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اى
الذى ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه ويقال له الوضح
وتخصيص هذين الدائين لانهما اعييا الاطباء وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمنه صلى الله عليه وسلم
فاراهم الله عز وجل المعجزة من ذلك الجنس روى انه ربما كان يجتمع عليه عم الوف من المرضى من اطاق منهم
اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما يداويهم الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرره مبالغة فى
دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبى كان عم يحيى الموتى بيا حى يا قيوم احيى عازر وكان صديقا
له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقى وولد
له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم
يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال له دلونى على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل
فقام من قبره وقد شاب راسه فقال له عم كيف شبت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى
سمعت صوتا يقول له اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع

النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال
للقوم صدقوه فانه نبى فامن به بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا
ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم اى
بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها وقرى تذخرون بالذال والتخفيف ان فى ذلك اشارة الى ما
ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرى لايات لكم دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة
ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه اودلالة المذكور عليه اى انتفعتم بها او
كنتم ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتى والايمان بها ومصدقا لما بين يدى من
التورية عطف على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى باية اى قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا لما
بين الخ او على رسولا على الوجوه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما فى رسولا اى ويجعله مصدقا
ناطقا بانى اصدق الخ او ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا
بانى اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية
اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر فى الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار
المضمر فى الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله
اى وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاطلب رضاه كانه قيل
قد جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على باية اى جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذى
حرم عليكم اى فى شريعة موسى عم من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى
السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف فى احلال السبت وقرى حرم
على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى او الله عز وجل وقرى حرم بوزن كرم بدل على ان شرعه كان
ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ فى الحقيقة بيان لتخصيص
الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين و
التشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وقرى بايات فاتقوا الله
فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية
هى قولى ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذى اجمع عليه
الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه عم من جملتهم وقرى ان الله بالفتح بدلا من اية وقد جئتكم
باية على ان اية ربى وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق
الاخذ جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والابرص والاحياء والانباء بالخفيات
وبغيره من ولادة بغير اب ومن كلامه فى المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات
الظاهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان ربى وربكم فا
عبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى
وربكم اشارة الى استكمال القوة العلمية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن
المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله
عم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع فى بيان ما آل اليه احوال عم اثر ما اثير

الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة وايقاف فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالت الملائكة عم وخروجه
من القوة الى الفعل حسبما شرح كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك كأنه قيل فحملت به فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء
بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عم في
سلك النقل تتماما للاعتناء بامرها ولعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عم للشدائد
ومعاناته للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه
وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عم كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه
المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون
وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار و
المجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر **قال** لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين من
الآية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب الى الكل بل
يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم **من انصاري** الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف **الى الله** متعلق بمحذوف
وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري مضمنا معنى الاضافة كانه
قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله
وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع **قال** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا
قالوا في جوابه عم فقيل قال **الحواريون** جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك
ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عم على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص
فذكروا ذلك للملك فاستدعاه فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون و
يعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عم فقال لهم انتم تصيدون السمك فان تبعتموني صرتم بحيث تصيدون
الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان
شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى عم بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل
فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند
ذلك آمنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عم واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله
فيضرب بيده الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج
منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عم افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا
يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل
ببعض مهماته فقال له عم ههنا ثياب مختلفة قد علمت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان
فغاب فجعل عم كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال
افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا باحمر وثوبا باخضر وثوبا باصفر الى ان اخرج

الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عم وهم الحواريون قال القفال
ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من
القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عم واعوانه والمخلصين
في طاعته ومحبته **نحن انصار الله** اي انصار دينه ورسوله **آمنا بالله** استئناف جار مجرى العلة لما قبله
فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه **واشهد بانا مسلمون**
مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عم الشهادة بذلك يوم القيمة يوم
يشهد الرسل عم لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية **ربنا آمنا بما انزلت** تضرع
الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تع بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول**
اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين**
اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا **ومكروا** اي الذين علم عيسى عم كفرهم من
اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان رفع عيسى عم والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق
المشاكلة روي عن ابن عباس رض ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عم امره جبريل عم ان يدخل بيتا
فيه روزنة فرفعه جبريل عم من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه
فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه
عم جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم
يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح
فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عم ورفعه الى السماء فاخذوا
المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عم وبدنه لا
يشبه بدن صاحبنا فان كان عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال وقيل لما
صلب المصلوب جاءت مريم عم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عم وجعلتا تبكيان
على المصلوب فانزل الله عيسى عم فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تع رفعني ولم
يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم و
لقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل
ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عم فاخبروه
فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فدفنه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه
ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم
بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة
والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عم وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت
لحم من ارض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله
تعالى اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة

سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله **اذ قال الله** ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك **يا عيسى انى متوفيك** اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم **ورافعك الي** اى الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **ومطهرك من الذين كفروا** اى من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم **وجاعل الذين اتبعوك** قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوا عليه من النصارى **فوق الذين كفروا** وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الاتباع والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام **الى يوم القيمة** غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية تنتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد **ثم الي مرجعكم** اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار **فاحكم بينكم** يومئذ اثر رجوعكم الي **فيما كنتم فيه تختلفون** من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا** تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل للكيفية والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله **في الدنيا والآخرة** متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحد منهما يوم القيمة بل بمعنى ايقاع مجموعهما يومئذ وقيل المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن

كان فينا ابن الله ثم رفعه اليه وهم النسطورية وقالت فرقة

الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر **وما لهم من ناصرين** يخلصونهم من عذاب الله تعالى في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد **واما الذين آمنوا** بما ارسلت به **وعملوا الصالحات** كما هو ديدن المؤمنين **فيوفيهم اجورهم** اى يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بان مصدر التعذيب والاثابة مختلف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء **والله لا يحب الظالمين** اى يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بكفران الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه **ذلك** اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المحسوس وهو مبتدا وقوله عز وجل **نتلوه** خبره وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوه وقوله **من الآيات** حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اى الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد **والذكر الحكيم** اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فهي بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية **ان مثل عيسى** اى شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال **عند الله** اى في تقديره وحكمه **كمثل آدم** كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **خلقه من تراب** تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب **ثم قال له كن** اى انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم للتراخي في الاخبار لا للتراخي في المخبر به **فيكون** حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام **الحق من ربك** خبر مبتدا محذوف اى هو الحق اى ما قصصنا عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اى كائنا من ربك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدا وخبر اى الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب للتشريف عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به **فلا تكن من الممترين** في ذلك والخطاب اما للنبي عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب **فمن حاجك** اى من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة **فيه** اى في شان عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي **من بعد ما جاءك من العلم** اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال **فقل** لهم **تعالوا** اى هلموا بالراى والعزيمة **ندع ابناءنا وابناءكم** اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى

ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم
عليها وتقديمهم على النفس فى اثناء المباهلة التى هى من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر
لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن
يصيبهم فى ذلك نائبة مكروه اصلا وهو السر فى تقديمهم جانبه عم على جانب المخاطبين فى كل من المقدم
والموخر مع رعاية الاصل فى الصفة فان غير المتكلم يتبع له فى الاسناد ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اى تركتها بلا صرار فنجعل
لعنت الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع و
ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا
نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك
وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا
يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى
حلة الف فى صفر والف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى
نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى
نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
ان هذا ما قص من نبا عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل
دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر
ان والحق صفته وهو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراق
تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط
بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول
الحق الذى قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين
اى بهم وانما وضع موضعه وضعا للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذى لا يجد عنه بعد ما قامت
به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين
وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا تختلف فيها الرسل والكتب وهى الا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا
ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان
كلا منهم بعض بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى

بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عم اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال
نعم قال عم هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اى قل لهم انت
والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون
لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعى فى هذه القصة
من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج حيث بين اولا احوال عيسى عم وما تعاور عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه
عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون فى ابرهيم اى فى ملته وشريعته تنازعت اليهود
والنصارى فى ابرهيم عم وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ف
نزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى عم والانجيل على
عيسى عم الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى الفا سنة
فكيف يمكن ان يكون عليهما قال افلا تعقلون اى الا تتفكرون او الا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون
ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة
مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم فى الجملة
حيث وجدتموه فى التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابرهيم
فى احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام
للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شئ فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم
لا تعلمون اى محل النزاع اوليا من الاشياء التى من جملتها ذلك ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما
اى منقادا لله وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء
المشركين انهم على ملته عم ان اولى الناس بابرهيم اى اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اى فى
زمانه وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب عطفا
على الضمير فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم
تخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى عم بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت فى اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم جملة حالية جئ بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين
القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم لانه يضاعف به عذابهم وقيل ما يضلون
الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون اى باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله اى بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تشهدون اى والحال انكم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين
او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل فى
صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع

الباطل كما في قوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اي
حقيقته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدون لاعقابهم امنوا بالذي انزل على
الذين امنوا اي اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه
من الكفر به اخره مرائين لهم انكم امنتم به بادي الراي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم على خلل رايكم الاول فرجعتم
عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها
اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا
من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا
اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم
من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
لا اشاعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان
الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى
وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم
وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص
برحمته من يشاء اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما
قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين
والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله ومن الناس من يقول او خبره
قوله تعالى من ان تامنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة
الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار اي بمال كثير
يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه
بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر فجحده وقيل المامونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت
عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت
دوام قيامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم
قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما

فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم
المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من
اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله
اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول عم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من
قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات
القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الاخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا
وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون
بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك
لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع عن الكناية
في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل الوعيد ولا
يزكيهم اي لا يثني عليهم ولا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي
قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر
فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا
يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من اليهود
المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب
اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد
ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن
لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى اخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من
الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي
والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ذكر من اللي والتحريف على طريق
التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله وما هو من عند
الله حال من ضمير المبتدا والخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في
تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل
ما قدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله
تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

بك

فرط ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر** بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث
قال نصارى نجران ان عيسى عم امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عم وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه
وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسند الكفرة
اليهم **ان يؤتيه الله الكتاب** الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك **والحكم** الفهم والعلم
او الحكمة وهي السنة **والنبوة ثم يقول** ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات و
عرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية **للناس كونوا عبادا لي** جار متعلق بيقول وقوله هو صفة عبادا
اى عبادا كائنين لي **من دون الله** متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل
الحالية لتخصص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان استقلالا او اشتراكا فان التجاوز
متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان
نعبدك ونتخذك ربا فقال عم معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غيره تع فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال عم لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **ولكن
كونوا** ولكن يقول كونوا **ربانيين** الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني
وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تع ودينه **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون** اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا
لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة
بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول
لرؤسائهم والثاني لما دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من
الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايض بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسونه على الناس **ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** بالنصب عطفا على
ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين
للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره
عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل
ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقضي بفساده ما ذكر من توسيط الاستدراك بين المتعاطفين ضرورة
انهما حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى **ايامركم بالكفر** فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء
كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف ويحتمل الحالية
بتقدير المبتدا اى وهو لا يامركم الى اخره بين الفساد لما عرفته آنفا وقوله تعالى **بعد اذ انتم مسلمون**
يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له عليه السلام **واذ اخذ الله ميثاق النبيين**
منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت اخذه تع ميثاقهم **لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** قيل هو على
ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق
من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى

الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنبوة كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي
اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى
اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا **قال** اى الله تع بعد ما اخذ الميثاق
أأقررتم بما ذكر **واخذتم على ذلكم اصري** اى عهدي سمي به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بضم الهمزة و
هي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به **قالوا** استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا
عند ذلك فقيل قالوا **اقررنا** وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك **قال** تع **فاشهدوا** اى فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة **وانا معكم من الشاهدين** اى وانا ايض على
اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من
التاكيد والتحذير ما لا يخفى **فمن تولى** اى اعرض عما ذكر **بعد ذلك** الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق **فاولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في
تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر
والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة **هم الفاسقون** المتمردون الخارجون عن
الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد **أفغير دين الله يبغون**
عطف على مقدر اى اتتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة
المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم **وله اسلم من في
السموات والارض** جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار **طوعا وكرها** اى طائعين بالنظر واتباع
الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم **واليه
يرجعون** اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة
على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد **قل آمنا بالله** امر للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى **وما انزل علينا** وهو
القرآن لما انه منزل عليهم ايض بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل
او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عم ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه
على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عم
اصل في ذلك كما في قوله تع يا ايها النبي اذا طلقتم النساء **وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط** من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق
ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي عم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا يرى الى قوله
تع بما انزل اليك وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
على ما انزل على سائر الرسل عم مع تقدمهم عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو

الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عم ابنائه والاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السلام وما
اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على
الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف
على موسى وعيسى عم اى وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم الكتب والمعجزات لا نفرق
بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم
وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر
تفصيله في تفسير قوله تع لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح
ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال
بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه
باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة ٭ فما كان بين الخير اذ
جاء سالما ٭ ابو حجر الا ليال قلائل ٭ اى بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له
تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير
الاسلام اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم
كاهل الكتابين دينا يدين به وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لانه صفة له
فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الاجمال او بدل من غير الاسلام فلن
يقبل منه ذلك ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اما حال
من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن
الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي
ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع
واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله اى الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل نزلت في عشرة رهط
ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله
بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان
يهديهم الله تع فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار
له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى
جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان
امنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدا وقوله تع
جزاؤهم مبتدا ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة
خبر اولئك وهو يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم
وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد

والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه
خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اى يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا اى
ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل
لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان
يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية
ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عم بعد ما امنوا
به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق
او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهاره
الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها
تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لا
رتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على
الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخلت الفاء ههنا للاشعار
به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى
محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من
العذاب في الاخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله تع ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مؤلم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره قدم
لاعتماده على المبتدا او ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب
عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لرعاية الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد
لن تنالوا البر من نال النيل اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما
ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اى لن تبلغوا حقيقة البر الذي
يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تع وهو
ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اى في سبيل الله تع رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى
مما تحبون للتبعيض ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة
اى مما تهوونه ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما
يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال
البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة
فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم
بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة

بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكأن زيدا
وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله تعالى قد قبلها
منك قيل وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وكتب عمر رضي الله عنه إلى
أبي موسى الأشعري رض أن يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال
إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها وروي أن عمر بن عبد العزيز رح كانت لزوجته
جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها إياه ثم لما ولي الخلافة زينتها
وأرسلتها إليه فقالت قد وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال من أين ملكتها قالت جئت بها من بيت أبي
عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه إياها فقيل إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته
ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعا بإعطاء المال ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هوى
شديدا فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة قال لست
إذن ممن نهى النفس عن الهوى **وما تنفقوا من شيء** ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية
متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط أي أي شيء تنفقوا كائنا من الأشياء فإن المفرد في مثل هذا الموضع واقع
موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز أي أي شيء تنفقوا طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه
فإن الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أي فيجازيكم بحسبه جيدا كان أو رديا فإنه تعالى
عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وفيه من الترغيب في إنفاق الجيد والتحذير عن إنفاق الردي ما لا يخفى **كل الطعام** أي
كل أفراد المطعوم أو كل أنواعه **كان حلا لبني إسرائيل** أي حلالا لهم فإن الحل مصدر نعت به
ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم **إلا ما حرم إسرائيل**
على نفسه استثناء متصل من اسم كان أي كان كل المطعومات حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل
أي يعقوب عم على نفسه وهو لحوم الإبل وألبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا يأكل أحب الطعام
إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد
وللمانع أن يقول كان ذلك بإذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء **من قبل أن تنزل التوراة** متعلق بقوله
تعالى كان حلا ولا ضير في توسط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه أن تقييد تحريمه عم بقبلية
تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة أي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل أن تنزل التوراة مشتملة على
تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة لهم وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تع
ومن الذين هادوا وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين
بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت حرمت على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم
موافقته لإبراهيم عم بتحليله لحوم الإبل وألبانها **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها** أمر عليه السلام بأن يحاجهم
بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لظلمهم ويكلفهم عن إخراجه وتلاوته ليبكتهم
ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تع
إن كنتم صادقين أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن
كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم مما يدعوكم إلى ذلك ألبتة روي أنهم لم يجسروا على

على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها **فمن افترى على الله الكذب**
أي اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومن تقدمهم من
الأمم **من بعد ذلك** من بعد ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت ولا
والتقييد به للدلالة على كمال القبح **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع
باعتبار معناه كما أن الإفراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد لبعد منزلتهم في الضلال
والطغيان أي فأولئك المفترون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة
والجدال **هم الظالمون** المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون لهم والجملة مستأنفة لا محل لها من
الإعراب معرفة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على
قوله تعالى فأتوا بالتوراة **قل صدق الله** أي ظهر وثبت صدقه فيما أنزل في شأن من الشؤون
وهو داخل في ذلك دخولا أوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح **فاتبعوا ملة إبراهيم** أي ملة الإسلام التي
هي في الأصل ملة إبراهيم عم فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا من
اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدنيوية الدنيئة
وألزمتكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه
تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه **حنيفا** أي مائلا عن الأديان الزائغة **وما كان من**
المشركين أي في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس
بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم عم في الأصول
لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها **إن أول بيت**
وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم إثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات
حلا له عم روي أنهم قالوا بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة
وقال المسلمون بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت أي إن أول بيت وضع
للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تع ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى **للذي**
ببكة خبر لأن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بما بين الإضافة والوصف بالجملة
بعدها أي للبيت الذي ببكة أي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فإن العرب
تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء
وقولهم أمر راتب وراتم وسبد رأسه وسمده وأغبطت وأغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه إذا
لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولأنها تبك أعناق الجبابرة أي
تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم بطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل
للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله ويؤيده هذا بأن التباك وهو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل
مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تع للذي ببكة روي أنه عم سئل عن أول بيت
وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه
إبراهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه من الأقوال في سورة البقرة وقيل أول بيت
بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله

من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه
ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة
دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه آيات بينات** واضحات كانحراف الطيور
عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر
الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابرهيم**
اي اثر قدميه عم في الصخرة التي كان عم يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه
او عند غسل راسه على ما روي انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام انزل
حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق
راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف خبره
اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وعطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات
كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عم كقوله تعالى ان ابرهيم كان
امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها
الى الكعبين ولين بعض الصخر دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع
كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما ما يوهم من قوله عز وجل **ومن
دخله كان آمنا** فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله
فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك
او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى عن ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى
امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
وذلك بدعوة ابرهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم
لم يطلب وعن عمر رضه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة
من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يطعم ولا
يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي عم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة آمنا وعنه عم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا
مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على
حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس حج البيت** جملة من
مبتدأ وهو حج البيت وخبر وهو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار
او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون
على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير
المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك لا مساغ له عند الجمهور
وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر
فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحج قصده للزيارة على الوجه

الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها **من استطاع اليه
سبيلا** في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه
محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة
الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير
اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع
منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع
الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج
من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من
مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة
وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه
عم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء
خلا ان الشافعي رضي الله عنه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب
عنه والظاهر ان عدم تعرضه عم لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل
لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك
ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على
السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع **ومن
كفر** وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم
يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عم قال في خطبته
ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال يهوديا او
نصرانيا او مجوسيا **فان الله غني عن العالمين** وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا
فيهم دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون
الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة
الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه
يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك
بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد
تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا شيء وراءه وجعل جزاؤه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت
وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره
بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضه والحسن
وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد ابن المسيب نزلت في اليهود فانهم
قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى
اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت
به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي عم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه
قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضه

ج

كره

الله عليه وسلم

قبل ح

حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس
الحج عاما ما نوظروا **قل يا اهل الكتاب** هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب
الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل **لم تكفرون بآيات الله**
توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد
بآيات الله ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد
نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **والله شهيد على ما تعملون** حال من فاعل تكفرون مفيدة
لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة
المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل
فيها دخولا اوليا والمعنى لأي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع
اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية **قل
يا اهل الكتاب** امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على
تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى **لم تصدون**
عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بأن كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة
في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد
التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم
عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته
عم وقرئ تصدون من اصده **عن سبيل الله** اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة
الاسلام **من آمن** مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عم ليست في كتابهم ولا تقدمت
البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة
والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه **تبغونها** على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله
فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل
عوجا اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم
عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله **وانتم شهداء** حال من فاعل
تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل
الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في
التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في القضايا وعظائم الامور **وما الله بغافل عما تعملون** اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد
قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه
تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى
على ما يعملون **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد
ايمانكم كافرين** تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان
بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير

التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما
ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين
فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة
والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بأن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل
فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا
حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي عم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر
الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال
فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن
ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا
السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد
معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد ✱ بمقدار سمدن له سمودا ✱ فرد شعورهن
السود بيضا ✱ ورد وجوههن البيض سودا ✱ او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين
عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة
اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه
بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن
مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى **وكيف
تكفرون** استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الآية لا بمعنى
انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وفي توجيه الانكار والاستبعاد
الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بأن يقال أتكفرون لان كل موجود لا بد ان
يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده
بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وانتم تتلى عليكم آيات الله** جملة وقعت حالا
من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات
على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى **وفيكم رسوله** معطوف عليها داخل في حكمها فان
تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عم بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق
الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله عم للايذان
باستقلال كل منهما في الباب **ومن يعتصم بالله** اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على
لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله **فقد هدي**
جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر
فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى **الى صراط مستقيم** موصل
الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا

وان كان هو دينه الحق فى الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبار ان وكان
العنوان الاخير مما ينبئ عنه لسنا دونه ابرز فى معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن
زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز **يا ايها الذين امنوا** تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر
تشريف **اتقوا الله** الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة **حق تقاته** اى حق تقواه وما يجب
وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود رضه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روى مرفوعا الى النبى عم وقيل
هو ان لا تاخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق فى ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اتأد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تهمة وتخمة وياؤها الفا حذف
الفا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا
كما فى قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال
من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين
لم يفد فائدتها والعامل فى الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد
بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهى عن ذلك القيد عند الموت المستلزم
للامر بضده الذى هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب
الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهى الى الموت للمبالغة فى النهى عن قيده المذكور فان النهى عن
المقيد فى امثاله نهى عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهى عن نفس القيد فان
قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة فى ايجاب الخشوع فى الصلاة ما لا يفيده قولك لا
تترك الخشوع فى الصلوة لما ان هذا نهى عن ترك الخشوع فقط وذاك نهى عنه وعما يقارنه ومفيد لكون
الخشوع هو العمدة فى الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله
عز وعلا **واعتصموا بحبل الله** اى بدين الاسلام او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين لا
تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط
مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من
مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز فى المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين
او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جميعا** حال من فاعل اعتصموا
اى مجتمعين فى الاعتصام **ولا تفرقوا** عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين فى
الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التى انتم عليها **واذكروا
نعمة الله** مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى **عليكم** متعلق بها او بمحذوف وقع حالا
منه وقوله تعالى **اذ كنتم** ظرف له او للاستقرار فى عليكم اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه
مستقرا عليكم وقت كونكم **اعداء** فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل
هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب
بينهم مائة وعشرين سنة **فالف بين قلوبكم** بتوفيقكم للاسلام **فاصبحتم** اى فصرتم **بنعمته**
التى هى ذلك التاليف **اخوانا** خبر اصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين

متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم فى الصباح فالباء ح متعلقة بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا **وكنتم على شفا حفرة من النار**
شفا الحفرة وشفتها حرفها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك
الحالة لوقعتم فيها **فانقذكم** بان هداكم للاسلام **منها** الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه
كما فى قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب
والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا فى المذكر وحذفت فى المؤنث **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل
الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه
به عما عداه وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى مثل ذلك التبيين الواضح **يبين الله
لكم اياته** اى دلائله **لعلكم تهتدون** طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه **ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير** امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها
بما قبله من الاوامر والنواهى تثبيتا للكل على مراعات ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها
ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على
اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر
او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اى لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة
هى الجماعة التى يؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها او من البيانية وامة اسمها ويدعون
خبرها اى لتكن منكم امة داعية الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى
البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن
الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله تعم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى و
مراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ فى مقام
اللين ويلين فى مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادى والاصرار وقيل من بيانية
كما فى قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى
كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض
عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما
فيه صلاح دينى او دنيوى فعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه بقوله تعم **ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر** مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما
على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال
الثلاثة اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس
الفعل كما فى قولك فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر **و
اولئك** اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك
عمن عداهم وانتظامهم بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم فى الفضل والافراد فى كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير

مقصود اى واولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة **هم المفلحون** اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم اى للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف فى الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا **ولا تكونوا كالذين تفرقوا** هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا **واختلفوا** باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية **من بعد ما جاءهم البينات** اى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهى متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف فى الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد **واولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما فى حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم** خبره وقوله تعالى **عذاب عظيم** مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة فى وعيد المتفرقين والتشديد فى تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى **يوم تبيض وجوه** اى وجوه كثيرة ببياض **وتسود وجوه** كثيرة بسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار فى لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجئ البينات وترغيبا فى الاتفاق على التمسك بالدين اى اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك **فاما الذين اسودت وجوههم** تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال **اكفرتم بعد ايمانكم** على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل

الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء فى قوله عز وعلا **فذوقوا العذاب** اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر به وذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى **بما كنتم تكفرون** صريح فى ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه فى الدنيا **واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله** اى الجنة والنعيم المخلد عبر عنهما بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت **هم فيها خالدون** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى **تلك** اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى **آيات الله** خبره وقوله تعالى **نتلوها** جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هى الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوها وقوله تعالى **بالحق** حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسئ او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى **وما الله يريد ظلما للعالمين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفى الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار فى الاثبات يفيده فى النفى بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفى تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفى سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما فى قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون **ولله ما فى السموات وما فى الارض** اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفانية للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى **والى الله** اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا **ترجع الامور** اى امورهم فيجازى كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل فى ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما قبله فى جزاء الفريقين وقيل هى معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعى ارادة الخير بهم **كنتم خير امة** كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما فى قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك فى علم الله تعالى او فى اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة **اخرجت للناس** صفة

للامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس للناس فهو صريح فى ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم فى السلاسل فتدخلونهم فى الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير امة للناس **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد امة محمد عليه السلام وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله عليه السلام وهو يعم سائر امته وروى الترمذى عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة فى الحكم وكذا الحال فيما روى ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لنفر من اصحاب النبى عليه السلام منهم ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة رضى الله عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله عليه السلام خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم **وتؤمنون بالله** اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذى يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شىء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى فى شىء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى **ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم** اى لو آمنوا كايمانكم لكان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذى يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به هاهنا ايضا لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا فى الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات **منهم المؤمنون** جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشا من الشرطية الدالة على انتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه **واكثرهم الفاسقون** المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود **لن يضروكم الا اذى** استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** اى ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر **ثم لا ينصرون** عطف على الشرطية وثم للتراخى فى الرتبة اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم

وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبا به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفى منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفى النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شانهم الذى اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا **ضربت عليهم الذلة** اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل **اينما ثقفوا** اى وجدوا **الا بحبل من الله وحبل من الناس** استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين **وباءوا بغضب من الله** اى رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اى كائن من الله عز وجل **وضربت عليهم المسكنة** فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب الحال مساكين تحت ايدى المسلمين والنصارى **ذلك** اى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية **ويقتلون الانبياء بغير حق** اى فى اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل **بما عصوا وكانوا يعتدون** اى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا **ليسوا سواء** جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمنى اهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه فى الاصل مصدر والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفى المساواة فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتصاف بها اى ليس جميع اهل الكتاب متشاركين فى الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى **من اهل الكتاب امة قائمة** استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتى نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليه السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبى عليه السلام منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى **يتلون آيات الله** فى محل الرفع على

انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي
يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن و
قوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بوزن عصا او انى بوزن معى او انى بوزن
ظبي او انى بوزن نحى او انو بوزن جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال عليه السلام الا
اني نهيت ان اقرأ راكعا او ساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على
كمال الخضوع والتضرع بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة
وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت
الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة
الامام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها
باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل
الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس
ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه
الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى
يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون
بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه
الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما
لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب
والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما
توهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في
الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم
في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف
ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في
الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي
يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود
فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم
مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها
واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون
بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل
واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن تكفروه اي لن

لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه ع
عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين
لتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب
والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة
والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم
بهم واشعارا بمناط اثابتهم والتقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم
مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم
بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان
كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم
الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من
عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها
على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية
عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة
وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء
وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل
مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله
وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا وعثيرا
والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي
استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما
ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما
ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها
لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل
لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد
جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما
استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم
اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا
سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار
قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنه كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود
لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين

كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك وفيه تعريض بقوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم
الأنامل وهي صفة المنافقين وأيا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة **من دونكم** أي من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم **لا يألونكم خبالا** الجملة
مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة لبطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم
استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص و
الخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد **ودوا ما عنتم** أي تمنوا عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم
وهو أيضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه **قد بدت البغضاء من**
أفواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لأنهم
لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه وتصغيره
على فويه والنسبة إليه فوهي **وما تخفي صدورهم أكبر** مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
إن كنتم تعقلون أي إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب
محذوف لدلالة المذكور عليه **ها أنتم أولاء** جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه إظهارا
لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى **تحبونهم ولا يحبونكم**
بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له
أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا **وتؤمنون**
بالكتاب كله أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال
أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم
في حقكم **وإذا لقوكم قالوا آمنا** نفاقا **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ** أي من أجله
تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم **إن الله عليم بذات**
الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي
وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى
لا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإنه عليم بذات الصدور وقيل هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا بإعزاز الإسلام وإذلالهم به من غير أن
يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة**
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة
وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب إصابة الحسنة
ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار لمعنى الإصابة **وإن تصبروا** أي على عداوتهم أو على
مشاق التكاليف **وتتقوا** ما حرم الله عليكم ونهاكم عنه **لا يضركم كيدهم** وحيلتهم التي دبروها لأجلكم
وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة
المشهورة للإتباع كضمة مد **شيئا** نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله و

وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على
الخصم **إن الله بما تعملون** في عداوتكم من الكيد **محيط** علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء أي
بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله **وإذ غدوت** كلام مستأنف سيق للاستشهاد
بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة
كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب
فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به أي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا
ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة
وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة
في إيجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك
للملائكة الخ والمراد خروجه عليه السلام إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى **من**
أهلك أي من عند أهلك **تبوئ المؤمنين** أي تنزلهم أو تهيئ وتسوي لهم **مقاعد** ويؤيده قراءة
من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على أنها حال مقدرة أي ناويا وقاصدا
لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليه إذ هو المذكر للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة
مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه إذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب إذ
المقصود بتذكير الوقت تذكيرها لمخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن أحيازهم المعينة لهم
عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز أداء صلاة الجمعة قبل الزوال
واللام في قوله تعالى **للقتال** إما متعلقة بتبوئ أي لأجل القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي
كائنة ومقاعد القتال أماكنه ومواقفه فإن استعمال المقعد والمقاعد بمعنى المكان اتساعا شائع
كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك روي أن المشركين نزلوا بأحد
يوم الأربعاء فاستشار رسول الله عليه السلام أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قبل ذلك
فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا
منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا
أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن
رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا جبنا عنهم
وقال عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة
ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال
النعمان بن مالك الأنصاري رحمه الله يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة
ثم قال بقولي أشهد أن لا إله إلا الله وأني لا أفر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته
فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح
بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف
أصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة

الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا
يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم **والله سميع** لأقوالكم **عليم**
بضمائركم والجملة اعتراض للإيذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي
صدوره عنهم **إذ همت** بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى
أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا
عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت وأكرمت زيدا أن زيدا منصوب بهما وأنهما سلطا
عليه معا **طائفتان منكم أن تفشلا** متعلق بهمت والباء محذوف أي بأن تفشلا أي تجبنا
وتضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان
من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله
الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم
وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس فلما تخلو النفس عند الشدائد **والله وليهما**
أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة فالجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من
ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله
وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا **وعلى الله** وحده دون ما عداه مطلقا
استقلالا أو اشتراكا **فليتوكل المؤمنون** في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم الجليل للتبرك به
والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان
دخولا أوليا وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته **ولقد نصركم الله**
ببدر جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير
ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته
وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة
وأنتم أذلة حال من مفعول نصركم وأذلة جمع قلة للإيذان بانضمامهم مع وصف القلة والذلة إذ
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير
الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست أدرع
وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة **فاتقوا الله** اقتصر
على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للإشعار بأصالته وكون الصبر من مباديه
اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيذان
بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ
لعلكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم
فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصرة كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو

الإنعام **إذ تقول** تلوين للخطاب بتخصيصه برسوله عليه السلام لتشريفه والإيذان بأن وقوع النصر
كان ببشارته عليه السلام وإذ ظرف لنصركم قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد به الوقت
الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر
وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أي نصركم وقت قولك **للمؤمنين** حين
أظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق
ذلك على المؤمنين فنزل ح ثم حكى ههنا **ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف** الكفاية
سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق
التقوية والإعانة يقال فيه أمده يمده إمدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه
والبحر يمده من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله
ونمد له من العذاب مدا والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض
لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار
بعلة الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للإشعار بأنهم
كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم **من الملائكة** بيان أو صفة
لآلاف أو لما أضيف إليه أي كائنين من الملائكة **منزلين** صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة
وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج قيل أمدهم الله أولا بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة
آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين أي منزلين النصر **بلى** إيجاب لما بعد لن وتحقيق له أي بلى يكفيكم
ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **إن**
تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم **وتتقوا** معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام **ويأتوكم** أي المشركون
من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر إذا اشتد غليانها ثم
استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريب فيها أصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة
تعيينه وتقريبه ونظم إتيانهم بسرعة في سلك شرطي الإمداد والمستتبعين لوجوده وعد
أعني الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد لا محالة سواء أسرعوا أو أبطأوا لتحقيق سرعة الإمداد لا لتحقق
أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه بأبعد التقادير ليعلم تحققه
على سائرها بالطريق الأولى فإن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق
به تحقق الإمداد إيذانا بأنه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما
إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة تقول إن لبستها وبارزتك الأعداء تضربك بأيد شداد
وسيوف حداد لم تؤثر فيها قطعا **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** من
التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء أي معلمين أنفسهم أو خيلهم فقد روي أنهم كانوا بعمائم بيض إلا
جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي أنهم كانوا على خيل
بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام
بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء
للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مسومين من التسويم بمعنى الإسامة **وما جعله**

الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من
التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان امثاله
وامارات معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوعه النصر
على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة
مرة بعد اخرى وتبيين وقته فيما مضى يقتضي بوقوعه نصا وقطعا لكن لم يصرح به تعويلا
على شاهد الدلائل وتأخر الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير
او عن ايهام احتمال التخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملائكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر
ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول
عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الشرطية البسيطة منعقدة على المركبة ببيان
العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقها ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب
في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان
احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد
بثلاثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى **الا بشرى لكم** استثناء مفرغ من اعم
العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتقوية
الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني وما جعل امدادكم
بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن قلوبكم به** اي بالامداد
وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع
شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها
وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا القتال وانما كان
امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحو ذلك كما هو رأي بعض السلف رح وقيل الجعل
متعد الى اثنين وثانيهما الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من
الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل
ذلك **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا **الا من
عند الله** اي الا كائنا من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي
مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم
بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب **العزيز** اي الذي لا
يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه
تعالى بقوله **الحكيم** اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر
بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة **ليقطع** متعلق بقوله تعالى
ولقد نصركم الله وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى
والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع

بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة
عن النصر المعهود فقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من
النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فيأباه ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله
باجنبي هو الخبر فحال الابتداء والمعنى كيف ومعناه ان النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته
تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يوم بدر او وما
النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابتا من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص **طرفا من الذين
كفروا** اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون
او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى
كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
فالتاء حينئذ مبدلة والتنويع **فينقلبوا خائبين** اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم
بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا **ليس لك من الامر شيء**
اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للناصرين
وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق
الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن يباشر القتال مدخل في الجملة **او يتوب عليهم او يعذبهم** عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك
امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او
يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم
التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق
في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلل الغائية للنصر المترتبة عليه
في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله
المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق
على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم
وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء
الآية كأنه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه
بان فيهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس
لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم
ونقل عن الفراء وابن الانباري او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله
عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور
المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا
منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة
احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود

كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الآف الاثلثة
الآف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ان ينعى عليهم جناياتهم
وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع
دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله
الخ عائدا الى الامداد لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما
جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمينان قلوبكم بان تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز
الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود
لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمينان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى
وجعله استثنافا مفيدا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من
خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع
طرفا الاية ستعلق بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله
تعالى ولقد نصركم الله ببدر لا يتأتى مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر
ولحايه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيانه انفا
مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف
لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلقا بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين
المذكورين وقوله تعالى **فانهم ظالمون** تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من
جهتهم وجزاء لظلمهم **ولله ما في السموات وما في الارض** كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص
ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة
له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا
وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله **يغفر لمن يشاء** ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم
والمصالح **ويعذب من يشاء** ان يعذبه بمشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص
المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته غضبه وبانها
من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في
نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له **والله غفور رحيم** تذييل مقرر
لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن
المغفرة والرحمة ما لا يخفى **يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا** كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك
الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب
والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه ولذا بكمال وجوب
المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على
الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائه لما ان الترغيب في الانفاق
في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة
الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه

معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل **اضعافا
مضاعفة** ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى
اجل فاذا حل قال للمديون زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل هكذا عند محل كل اجل فيستغرق
بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحل النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة **واتقوا الله** فيما نهيتم
عنه من الامور التي من جملتها الربوا **لعلكم تفلحون** راجين الفلاح **واتقوا النار التي اعدت
للكافرين** بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رح يقول هي اخوف اية في
القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه **واطيعوا الله
والرسول** في كل ما امركم به ونهاكم عنه **والرسول** الذي يبلغكم اوامره ونواهيه **لعلكم ترحمون** راجين لرحمته
عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة
منال الفلاح والرحمة قال محمد ابن اسحق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم
بما امرهم يوم احد **وسارعوا** عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا
وقرئ وسابقوا **الى مغفرة من ربكم وجنة** الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة
وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيهما
ما مر من الامور المأمور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة
على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى **عرضها السموات والارض** اي
كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل
فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض **اعدت للمتقين** في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها
بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون**
في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون
محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع **في السراء والضراء**
في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي
لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير **والكاظمين الغيظ** عطف على الموصول
والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه
بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تأويله انه كتمه
على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة
اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي عم ان هؤلاء في امتي قليل الا من
عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه
عم عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب له عليه السلام الى ترك
ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رض الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن

بسبعين مكانك ﴿والله يحب المحسنين﴾ اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم
بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق
الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فهو يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ﴿والذين اذا فعلوا﴾ مرفوع على
الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما
مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من
حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت الخ واظهر ﴿اذا فعلوا فاحشة﴾ اي فعلة بالغة في القبح
كالزنا ﴿او ظلموا انفسهم﴾ بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او
الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل
اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد
وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على
ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامرأة رجل
ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال
تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرفاة
انتظاما اوليا ﴿ذكروا الله﴾ تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه
وعقابه ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار
لا محالة ﴿ومن يغفر الذنوب﴾ استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب
ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى
﴿الا الله﴾ بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام
على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى
الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين
الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ﴿ولم يصروا﴾ عطف على
فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار
واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين ﴿على ما فعلوا﴾
اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من
استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ﴿وهم يعلمون﴾
حال من فاعل يصروا اي ولم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد
يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به ﴿اولئك﴾ اشارة الى المذكورين اخيرا باعتبار
اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل
وهو مبتدا وقوله تعالى ﴿جزاؤهم﴾ بدل اشتمال منه وقوله تعالى ﴿مغفرة﴾ خبره او جزاؤهم مبتدا ثان
ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو
الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون

قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين
ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة و
تخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر ﴿من ربهم﴾ متعلق بمحذوف
وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف ﴿وجنات تجري من
تحتها الانهار﴾ عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه
الاول ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لان المعنى يجزيهم الله
جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك
لبرز الضمير ﴿ونعم اجر العاملين﴾ المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من
المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد
الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل
السابق بالاولين وناهيك بمضمونها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين الجاري بين
اجريهم وعمليهم ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد
والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما
متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها
الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل الخ والفاء
في قوله تعالى ﴿فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ للدلالة على سببية خلوها
للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ كيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر
والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار ﴿هذا﴾ اشارة الى ما سلف من قوله
قد خلت الى آخره ﴿بيان للناس﴾ اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة
بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من
التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون
واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون
من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم ﴿وهدى وموعظة﴾ اي وزيادة بصيرة وموعظة
لكم وانما قيل ﴿للمتقين﴾ للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان
يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر
الناس وسوء عاقبته وهداية لمن اتقى منهم وزجرهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم
من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا
للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما
يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى واصله فامر مترتب
عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى
والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان
يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة

هذا إشارة إلى ما لخص من أمر المؤمنين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت إلخ اعتراض للبعث على الإيمان
وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين وأنت خبير بأن الاعتراض لا بد أن يكون مقررًا لمضمون ما وقع في خلاله
ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال أحد الأصناف الثلاثة للمؤمنين وإن كان باعثًا على
زاجرًا عن التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية
لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد
المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي
وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الأنصار سبعون رجلًا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أي لا تضعفوا
عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وأنتم الأعلون جملة حالية من فاعل الفعلين أي والحال
أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصيرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم من أحوال أسلافهم فهو
تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية علو الشأن لما أنكم على
الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
وقيل وأنتم الأعلون حالًا منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم إن كنتم مؤمنين متعلق
بالنهي أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه أي إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن
الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم قلة المبالاة بأعدائه أو إن كنتم مؤمنين فأنتم
الأعلون فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون وأيًّا ما
كان فالمقصود تحقيق المعلق بناءً على تحقق المعلق به كما في قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني أجري
ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان إن يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هما بالفتح الجراح
وبالضم ألمها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد
فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق
بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا
منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفًا وعشرين رجلًا منهم صاحب لوائهم
وجرحوا عددًا كثيرًا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الأيام إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين
الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هي داخلة
فيها دخولًا أوليًا والمراد بها أوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل
لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال فيومًا علينا ويومًا لنا ويومًا نساء ويومًا نسر والمداولة
كالمعاودة يقال داولته بينهم فتداولوه أي عاورته فتعاوروه واسم الإشارة مبتدأ والأيام
إما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له ونداولها خبره أو خبر وتداولها حال من الأيام والعامل معنى
اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة
سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله
الذين آمنوا إما من باب التمثيل أي ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من
غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أي ليميز الثابتين على الإيمان من
غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أو هو على حقيقته

معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود
بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والإخلاص فيه للإيذان بأن اسم الإيمان لا ينطلق
على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار
بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ
الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة
المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد
بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة
على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من
مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم إلخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها
من القوة إلى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الأزلي بها من تلك الحيثية
وكذا الحال في باب التمثيل فتأمل وإما على العموم والإبهام للتنبيه على أن العلل غير منحصرة فيما
عدد من الأمور وأن العبد يسوؤه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بأن لله تعالى في ذلك من الألطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم إلخ وفيه
من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون
سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعيينًا أو إبهامًا لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك
أن تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إجمالًا إلى أن كل فرد من أفرادها له
علة داعية إليه كأنه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك
الأفراد وليعلم إلخ فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الأفراد والثانية
باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا
فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد أي ويكرم ناسًا منكم بالشهادة وهم شهداء
أحد فمن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة بيتخذ أو بمحذوف وقع حالًا من شهداء أو جمع شاهد أي ويتخذ
منكم شهودًا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد
الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة فمن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون
المستشهدين فقط وأيًا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم
وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ونفي المحبة كناية عن البغض وفي إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم
غير الثابتين على الإيمان فالتقرير من حيث إن بغضه تعالى لهم من دواعي إخراج المخلصين المصطفين
للشهادة من بينهم وأما الكفرة الذين أديل لهم فالتقرير من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم
فإنها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة إلى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله
الذين آمنوا أي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل
لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء
بشأن التمحيص وهذه الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت
في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين

الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل **ويمحق الكافرين** فان التمحيص فيه محو الآثام وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشئ بالكلية حتى لا يرى منه شئ ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اى يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا **ام حسبتم** كلام مستأنف سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عدم قنائها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادى الفوز بالمطالب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم **ان تدخلوا الجنة** وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبنى على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شئ بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة فى تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كأنه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفى الى الموصوف مع ان المنفى الوصف فقط وكان يكفى ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة فى بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفى كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر فى تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم للام فى الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين **ويعلم الصابرين** منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما فى قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اى لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اى الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله وقد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل فى تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اى وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت** اى تتمنون الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال الشهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك **من قبل ان تلقوه** متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمنى اى من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه **فقد رأيتموه** اى ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى **وانتم تنظرون** حال من ضمير المخاطبين وفى ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة فى مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل ان كنتم صادقين فى تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة بناء على تضمنها الغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة **وما محمد الا رسول** مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالانتقاض لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى **قد خلت من قبله الرسل** صفة لرسول منبئة عن كونه فى شرف الخلو فان خلو مشاركيه فى منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة كأنه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبى كأنهم لما انقلبوا على اعقابهم فكأنهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل فى انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعد لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد من حمل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فالكلام خرج على خلاف مقتضى الظاهر **أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا فى الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع استحالتهم اياه وهكذا الحال فى سائر الموارد فان كلمة ان فى كلام الله تعالى لا تجرى على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذى ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت فى شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روى انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة فى نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل على بن ابى طالب رضى الله عنه قتالا عظيما حتى استوى سيفه وكذا سعد بن ابى وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهى اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق عنده منهم الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهى لوجهك وقاء ونفسى لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبى عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فكان كعب بن مالك اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به

هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما أن كل آية ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته عليه السلام وقام في الناس فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وإن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضي الله عنه يتلوها فعقرت ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله قد مات صلى الله عليه وسلم **ومن ينقلب على عقبيه** بإدباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين **فلن يضر الله** بما فعل من الانقلاب **شيئا** أي شيئا من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب **وسيجزي الله الشاكرين** أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بهم الطائعون من المهاجرين والأنصار وعن علي رضي الله عنه أبو بكر وأصحابه وعنه رضي الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم **وما كان لنفس أن تموت** كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن خاضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وفيه تشجيع لهم أنها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لا لإحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى **إلا بإذن الله** استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه والإذن بتمليك الموت في بعض وجوه وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى أو بتنزيل إقدامها على مباديه أعني القتال منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فإن موتها حين استحال وقوعه عند إقدامها عليه أو على مباديه وسعيها في إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى **كتابا** مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي كتب الله كتابا **مؤجلا** موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلا أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية **ومن يرد** أي بعمله **ثواب الدنيا نؤته** بنون العظمة على طريق الالتفات **منها** أي من ثوابها ما نشاء أن نؤتيه إياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء

لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله **ومن يرد** أي بعمله **ثواب الآخرة نؤته منها** أي من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم **وسنجزي الشاكرين** نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء **وكأين** كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيأن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب الثانية والخامسة كأن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع وقوله تعالى **من نبي** تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكأين آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى **قاتل معه ربيون كثير** خبرها على أن الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخريين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رحمه الله ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخريين فنوع ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد رجح ذلك بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم للإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى **فما وهنوا** عطف على قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم **لما أصابهم** في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي وفي تشعر بعليته قوله تعالى **في سبيل الله** فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وإن جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءتين الأخريين فإن

اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي عم كما هو الانسب بالتوبيخ على
الانخزال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي عم في القتل
والجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال **وما ضعفوا** عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين **وما استكانوا**
اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي عم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين
واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان **والله يحب
الصابرين** اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم
والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار
بعلته واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها **وما كان قولهم**
كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر
لكان واسمه ان وما بعدها في قوله تعالى **الا ان قالوا** والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان
قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من
الاشياء الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اي صغائرها **واسرافنا في امرنا** اي تجاوزنا الحد في
ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى
هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم
بحسب الحال من الدعاء بقولهم **وثبت اقدامنا** اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا
على دينك الحق **وانصرنا على القوم الكافرين** تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون
بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من
غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخوف والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه
من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر
ان وما في حيزها اي ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا
كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم
مفصلا كما يفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب
الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث
واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا
في ان وما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت سهلة
الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع فالمقصود
بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان
فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث
ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم
فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك **ثواب الدنيا** اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل **وحسن
ثواب الآخرة** اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص الحسن به للايذان

للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما
وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان
واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي
عنهم من المناقب الجليلة **يا ايها الذين آمنوا** شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها
لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى
فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم
بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليه باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله
تعالى **ان تطيعوا الذين كفروا** لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رض
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فالمعنى لو قوله تعالى
يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم
وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى **فتنقلبوا خاسرين** اي
للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في
انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما
هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم
استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور
حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من التأويل **بل الله مولاكم**
اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه
واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة
له **وهو خير الناصرين** لخصوصه بالطاعة والاستعانة **سنلقي** بنون العظمة على طريقة الالتفات
جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء **في قلوب الذين كفروا
الرعب** بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى
تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق
قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى
الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه
وقيل هو القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب **بما اشركوا بالله** متعلق بسنلقي دون الرعب وما
مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من
دواعي الرعب **ما لم ينزل به** باشراكه **سلطانا** اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها
ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب
بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء
والاهواء الباطلة **ومأواهم** بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما
يأوون اليه في الآخرة **النار** لا ملجأ لهم غيرها **وبئس مثوى الظالمين** اي مثواهم وانما وضع موضعه

المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم
نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما الماوى فهو المكان الذي
ياوي اليه الانسان **ولقد صدقكم الله وعده** نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع
الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد
وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر قال للرماة لا تبرحوا
مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين
ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى **اذ
تحسونهم** اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم
وقوله تعالى **باذنه** بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو
ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر تحقيق ان ذلك كان ببدر كيف والموعود به ما ذكر
امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح
في ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ
وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك والطريق
على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه معنيا بقوله تعالى **حتى اذا فشلتم** اي جبنتم وضعف
رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب **وتنازعتم في الامر** فقال بعض الرماة حين
انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم
عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر
الباقون للنهب وذلك قوله تعالى **وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون** اي من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه وتفصيله
في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره تعالى وقيل
هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما
ينبئ عنه قوله تعالى **منكم من يريد الدنيا** وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **ومنكم
من يريد الاخرة** وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية
وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو
وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه معنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى
وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى **ثم صرفكم عنهم** عطف على ذلك وعلى الاول عطف على
الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت
الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى **ليبتليكم** اي يعاملكم معاملة
من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفا عنكم** تفضلا ولما علم من ندمكم
على المخالفة **والله ذو فضل على المؤمنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو
بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل

متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين
اما المخاطبون والاظهار في موضع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون دخولا
اوليا **اذ تصعدون** متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وتصعدون من التفعل بطرح احدى
التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة **ولا تلوون على احد** اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا
يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون **والرسول يدعوكم** كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه
اشباعا في توبيخ المنهزمين **في اخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فاثابكم** عطف على صرفكم اي
فجازاكم الله تعالى بما صنعتم **غما** موصولا **بغم** من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف
بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعصيانكم له **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا
تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم واساكم في
الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا
عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الجراح وغير ذلك **والله خبير بما تعملون**
اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل عليكم** عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب
للمؤمنين حقا **من بعد الغم** اي الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى
تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظيم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
الاية **امنة** اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى **نعاسا** بدل منها او عطف بيان وقيل
مفعول له وهو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير
مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم
الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص
الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون
المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة
فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يامن
والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل
الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان
لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا
من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف
يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم
يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل **يغشى طائفة منكم** قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة
الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا

وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل
بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه **وطائفة قد**
أهمتهم أنفسهم أي أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما بهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم أهمني الشيء
أي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعده إما خبرها وإنما جاز ذلك
مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله • سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا • محياك أخفى
ضوؤه كل شارق • أو لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله • إذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق
عندنا لم يحول • وإما صفتها والخبر محذوف أي ومنكم طائفة وفيه أنه يقتضي دخول المنافقين في
الخطاب بإنزال الأمنة وأيا ما كان فالجملة إما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في
الخلاص عنه كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وإما مستأنفة
مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل **يظنون بالله** حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصصها
بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى **غير الحق** في حكم المصدر
أي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به سبحانه وقوله تعالى **ظن الجاهلية** بدل منه وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية والإضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى **يقولون** بدل من يظنون
لما أن مسألتهم كانت صادرة عن الظن أي يقولون لرسول الله عم على صورة الاسترشاد **هل لنا من الأمر**
أي من أمر الله تعالى ووعده من النصر **من شيء** أي من نصيب قط وقيل هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى
قل إن الأمر كله لله أي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو أن التدبير كله لله
تعالى فإنه قد دبر الأمر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى
يخفون في أنفسهم أي يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الخفية **ما لا يبدون لك** استئناف
أو حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل إن الأمر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها أي يقولون مظهرين
أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب وقوله تعالى **يقولون** استئناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أي شيء يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقولون بعضهم لبعض فيما بينهم خفية
لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد عليه السلام من أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه أو لو كان الأمر
كله لله أو لو كان لنا من التدبير والرأي شيء **ما قتلنا ههنا** أي ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا في هذه
المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها فقط ولما برحنا من منازلنا كما رآه ابن أبي
ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى **قل لو كنتم في بيوتكم** أي لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم
بالمدينة كما تقولون **لبرز الذين كتب عليهم القتل** أي في اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية
إلى البروز **إلى مضاجعهم** أي مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على
الإقامة بالمدينة قطعا فإن قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث
لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه أيضا ولا ريب
في تعين زمانه لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي أن ملك الموت
حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا
قال سليمان عم ملك الموت قال أرسلني مع الريح إلى عالم آخر فإني رأيت منه مرأى هائلا فأمرها
عم فألقته في قطر سحيق من أقطار العالم فما لبث أن عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام

فقال كنت أمرت أن أقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في أرض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت
متى يصل هذا إليها وقد أرسلته بالريح إلى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى أمر الله عز وجل
في زمانه ومكانه من غير إخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ
كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول **وليبتلي الله ما في صدوركم** أي ليعاملكم
معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر
قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإيذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي
الخ وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة
والهول لا بيان حكمة البروز المفروض أو لفعل مقدر بعدها أي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا
لعدم العناية بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية **وليمحص ما في قلوبكم**
من مخفيات الأمور ويكشفها ويخلصها من الوساوس **والله عليم بذات الصدور** أي السرائر والضمائر
الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة إما اعتراض للتنبيه على أن الله
تعالى غني عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين أو حال من
متعلق الفعلين أي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال أنه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الأمور
وفيه وعد ووعيد **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان** وهم الذين انهزموا يوم أحد حسبما مرت
حكايتهم **إنما استزلهم الشيطان** أي إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل **ببعض ما كسبوا**
من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة
والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم
فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص
التوبة والخروج من المظلمة **ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم واعتذارهم **إن الله غفور** للذنوب **حليم**
لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي إظهار الجلالة تربية للمهابة
وتأكيد للتعليل **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا** وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر
شيء ما قتلنا ههنا وإنما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن
مماثلتهم أثر ذي أثير وقوله تعالى **وقالوا لإخوانهم** لتعيين أحد الشؤون والمماثلة فيها أي قالوا
لأجلهم وفي حقهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم نسبا أو مذهبا **إذا ضربوا في الأرض** أي سافروا فيها وأبعدوا
للتجارة أو غيرها وإيثار إذا المفيدة لمعنى الاستقبال على إذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية
إذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور أمر استحضار الصورة قال الزجاج إذا
ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني أنها لمجرد الوقت أو يقصد بها الاستمرار وظرفيتها
لقولهم إنما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق أنها ظرف له لا لقولهم كأنه قيل قالوا لأجل ما أصاب
إخوانهم حين ضربوا **أو كانوا غزى** أي إخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال • ومغبرة الآفاق
خاشعة الصوى • لها قلب عفى الحياض أجوب • وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة
وإفراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الأرض لأنه المقصود بيانه في المقام
وذكر الضرب في الأرض توطئة له ويقدم لكثرة وقوعه على أنه قد يوجد بدون الضرب في
الأرض إذ المراد به السفر البعيد وإنما لم يقل أو غزوا للإيذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم

غزاة أو بانقضاء ذلك أي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى **لو كانوا عندنا** أي مقيمين **ما ماتوا وما
قتلوا** مفعول لقالوا ودليل على أن هناك مضمرًا قد حذف ثقة به أي إذا ضربوا في الأرض
فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد
بمضمونه والحكم بموجبه كما أنه المنكر على قائليه ألا ترى إلى قوله عز وجل **ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم** فإن الذي جعل حسرة فيها قطعًا وإليه أشير بذلك كما نقل عن الزجاج إنما هو ظنهم أنهم لو لم
يحضروا القتال لم يقتلوا وتقييد لقد قالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد
واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوًا وحزنًا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة
في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور ترتيبها عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلًا وقيل تعليل للنهي بمعنى لا
تكونوا في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم
فذلك كما ترى إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز أن يكون إشارة إلى ما دل عليه النهي أي
لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما
يغمهم ويغيظهم **والله يحيي ويميت** رد لقولهم الباطل إثر بيان غائلته أي هو المؤثر في الحياة والممات
وحده من غير أن يكون للإقامة أو للسفر مدخل في ذلك فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما
المفاوز والحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لأسباب السلامة **والله بما تعملون بصير** للمؤمنين
على أن يماثلوهم وقرئ بالياء على أنه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشئه
الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الأعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع وإظهار
الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإلقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد
ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم شروع في تحقيق ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت
في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي أن يحذر بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون إثر إبطال ترتبه عليهما
واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى **لمغفرة من الله ورحمة** لام الابتداء والتنوين في الموضعين
للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكورة عليها
والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم
الأجل أصلًا ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة
ذلك **خير مما يجمعون** أي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم وعن ابن عباس رضي
خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء أي مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيرية
من ذلك بلا تعرض للإخبار بحصولهما لهم للإيذان بعدم الحاجة إليه بناء على استحالة التخلف
نعم بطريق الإطماع وقد قيل لا بد من حذف أي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ يكون إخراج المقدر
مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الإخبار به وتغيير الترتيب الواقع في
قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد بزيادة مزية القتل
في سبيل الله وإنافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من أن المقصود بالنهي
إنما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به وإضلال الكفار
به **ولئن متم أو قتلتم** أي على أي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الإرادة الإلهية وقرئ متم بكسر الميم من
مات يمات **لإلى الله** أي المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الإحسان **تحشرون** لا إلى

لا إلى غيره فيوفي أجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لامي الجملة كما مر في أختها **فبما رحمة من الله
لنت لهم** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام
على ما ينبئ عنه السباق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية أو من سعة ساحة
مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتأكيد أو نكرة ورحمة بدل
منها مبين لإبهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة أي فبرحمة عظيمة
لك كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشك وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم
وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك و
إسلامك للعدو ولم تكن كذلك بل **ولو كنت فظًّا** في المعاشرة قولًا وفعلًا وقال الراغب الفظ
هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجافي السيء الخلق **غليظ القلب** قاسيه وقال الكلبي
فظًّا في القول غليظ القلب في الفعل **لانفضوا من حولك** لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك
وترددوا في مهاوي الردى ولما في قوله عز وجل **فاعف عنهم** لترتيب العفو والأمر به على ما
قبله أي إذا كان الأمر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم **واستغفر لهم** الله
فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتمامًا للشفقة عليهم وإكمالًا للبر بهم **وشاورهم في الأمر** أي في أمر الحرب
إذ هو المعهود أو فيه وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارًا بآرائهم وتطييبًا لقلوبهم
وتمهيدًا لسنة المشاورة للأمة وشاورهم في بعض الأمر **فإذا عزمت** عقيب المشاورة على شيء واطمأنت
به نفسك **فتوكل على الله** في إمضاء أمرك على ما هو أرشد لك وأصلح فإن علمه مختص به سبحانه و
تعالى وقرئ فإذا عزمت على صيغة التكلم أي عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور
بعد ذلك أحدًا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل أو الأمر فإن عنوان الألوهية الجامعة
لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والأمر به **إن الله يحب المتوكلين** عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم
إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم والجملة تعليل للتوكل عليه في قوله تعالى **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** جملة
مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفًا للمؤمنين لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء إليه
وتحذيرهم عما يفضي إلى خذلانه أي إن ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم
لنفي جميع أفراد الغالب ذاتًا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم أحد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من
ظاهر النظم الكريم وإن كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضًا وهو الذي يقتضيه المقام
لكن المفهوم منه فيما قطعًا هو نفي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين فإذا قلت لا أكرم من فلان
ولا أفضل منه فالمفهوم منه حتمًا أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا أمر مطرد في جميع
اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الإنكاري كما
في قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا في مواقع كثيرة من التنزيل وبما هو نص قاطع فيما
ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فإن كونهم
أخسر كل خاسر يستدعي قطعًا كونهم أظلم من كل ظالم **وإن يخذلكم** كما فعله يوم أحد وقرئ يخذلكم
من أخذله إذا جعله مخذولًا **فمن ذا الذي ينصركم** استفهام إنكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتًا
وصفة بطريق المبالغة **من بعده** أي من بعد خذلانه تعالى أو من بعد الله تعالى على معنى إذا جاوزتموه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لإفادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيب

ادرىء الامر عليها من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه
تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضى قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون
داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايما كان ففيه تشريف لهم بعنوان
الايمان اشتراكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا **وما كان**
لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له **ان يغل** اي يخون في المغنم فان النبوة
تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا وغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما
تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا
في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم
يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري
فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة
في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم
بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما
من العسكر ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا
واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما اتهمه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ
على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول **ومن يغلل يأت بما غل**
يوم القيمة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام
قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد فاقول
لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يأت بما احتمل من اثمه ووباله **ثم توفى كل نفس ما**
كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا او وضع المكسوب موضع جزائه
تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية
الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم
القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال
ما لا يخفى فانه حين يوفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة
والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى **وهم** اي كل
الناس المدلول عليهم بكل نفس **لا يظلمون** بزيادة عقاب او نقص ثواب **افمن اتبع رضوان الله**
اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي صلى الله عليه وسلم
ومن يسير بسيرته **كمن باء** اي رجع **بسخط** عظيم لا يقادر قدره كائن **من الله** بسبب معاصيه
كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول من النبي صلى الله عليه وسلم وتقرير ثم
بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف كل منهما بنقيض ما
وصف به الاخر من نيل رضوان الله تعالى وسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار
الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حال من رقى
الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة

الروعة وتربية المهابة **ومأواه جهنم** اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما
معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من
الاعراب **وبئس المصير** اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم
والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني
هم راجع الى الموصول باعتبار المعنى **درجات عند الله** اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه
شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات
او ذوو درجات **والله بصير بما يعملون** من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها **لقد من**
الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم **على المؤمنين** اي من قومه عليه السلام
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة
ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل
العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ
بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه
وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله
تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى **يتلوا عليهم آياته**
صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار **ويعلمهم**
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط
بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم
عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا
الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث
الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة **وان كانوا من قبل** اي من قبل بعثته عليه السلام
وتزكيته وتعليمه **لفي ضلال مبين** اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من
المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق
بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل
هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما
حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم
من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها وقد اصبتم في
محل الرفع على صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصابوا

والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لدخولها على محذوف قبلها ونظائرها [illegible]

المشركين يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به
بينه وبين الهمزة مع انه المقصود والانكار والمعطوف بالواو وحقيقته لتأكيد النكير وتشديد التقريع
فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف
ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر مع توجيه
الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه
مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم
يهون الخطب ويورث السلوة اي فعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم ذلك فهذا على توجيه
الانكار الى استبعادهم لحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة
الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة
من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي الحكاية
وقوله عز وجل **قل هو من عند انفسكم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن
سؤالهم الفاسد بتحقيق فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من
جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وبإبائه ان الوعد
بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم
بموجبه قد رفع الخطر وخفف جناياتهم فبقي على اختيارهم الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله
تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر
قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه صلى الله عليه وسلم فان توبيخ الفاعل على
الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تأثيرا **ان الله على كل شيء قدير** ومن جملته النصر عند
الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر **وما اصابكم** رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام
لسر يقتضيه وارشاد لهم الى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح
ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول
عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقريع ببيان وقته بقوله تعالى **يوم التقى الجمعان** اي
جمعكم وجمع المشركين **فباذن الله** اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها
من لوازمه **وليعلم المؤمنين** عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم
التمييز والاظهار فيما بين الناس **وليعلم الذين نافقوا** عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل
لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم
بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد
وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل
دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا
النفاق **وقيل لهم** عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما
عبد الله بن ابي واصحابه حين انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله

عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى
تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله وترك العطف بين
تعالوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على
التظاهر والتعاون **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا
صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اي لو
نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي
العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا
لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم
التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال
حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان**
الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق
حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من
العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى
عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لتضمنه معنى الطرفين اي
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما
ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان
تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى **يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم** جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح
لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان
تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط
فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه بها ابانة لما بينهما من شدة الاتصال
اي يتفوهون بقول لا وجود له ولا لما يدل عليه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم
آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع
على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا
مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل **والله اعلم بما يكتمون**
زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد
اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين
وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته
مختصة بالعلم الالهي **الذين قالوا** مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل
مبتدأ خبره قل فادرءوا وحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين
نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء

والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم
فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال
لو اطاعونا اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم
بالانخزال حين انخزلوا واغووهم كما غووا وجعل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة
من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها
لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم
الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
عند المشاورة قل تبكيتا واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط
قد حذف نحو بالاعلى ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين لما انه شرط حذف جوابه لدلالة
الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عما
كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين
بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم
من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلهم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليهم لا
بسبب انهم دفعوه بالقعود مع كتابته عليهم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا
للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا سبعون منافقا وقيل ان المراد ان كنتم
صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله
تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم اي كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه
حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر
بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا
تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد
المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على
الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف
لانه في الاصل مبتدا جاز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي
لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم
احقاء بان يسلوا بذلك ويستبشروا بالحلول الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع او
قاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا
لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء
وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة
رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريقة المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على
انه خبر ثان للمبتدا المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو
ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن

التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة
وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواقدي الاصح في حياة الشهداء ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل
من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب
البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد
ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا وتتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك
والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف
الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون
وهم يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا
بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من
فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي
المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال
اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور
ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان
يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا
يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل
به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول
متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله
من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بالفتح عطف على فضل منتظم
معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو
رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم
ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ
بكسرها على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له
اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والحث على ازدياد الطاعة
وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله

للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد
أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن
معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد
وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القروح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر
وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم
من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال
فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس وغير ثوب واحد ولأنه انضم إليه ناس من المدينة
وأذاعوا كلامه إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي أن أبا سفيان نادى عند
انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى
فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله في قلبه الرعب وبدا
له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن
ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الإبل
وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم
فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار فزادهم إيمانا الضمير المستكن للمقول أو لمصدر
قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى
وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت
زيادة ونقصانا فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده
قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله أي محسبنا الله وكافينا
من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفا في قولك هذا
رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل فانقلبوا
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد روي أنه صلى الله عليه وسلم
وافى بجيشه بدرا وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا
والباء في قوله تعالى بنعمة متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم أي
فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق
بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الإضافية
أي كائنة من الله وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل
أي ربح في التجارة وتنكيره أيضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن
في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال إذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه

وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء
وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في
كل ما أتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل
عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين
وإظهار الجراءة على العدو وحفظهم من كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم
وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء روي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله عز وجل
ثواب الغزو ورضي عنهم إنما ذلكم إشارة إلى المثبط أو إلى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين
وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان إما خبره وقوله تعالى يخوف أولياءه جملة مستأنفة لتبيين شيطنته
أو حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وإما صفته والجملة خبره ويجوز أن يكون إشارة إلى
يخوف إما المقدر وإما الشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان
وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده
قوله تعالى فلا تخافوهم أي أولياءه في مخالفة أمري وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف
أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني
أي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسول الله وسارعوا إلى
ما يأمركم به والخطاب لغير القاعدين والقاعدين والفاء لترتيب النهي والأمر على ما قبلها
فإن كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار
خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه ولا يحزنك تلوين
للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بخصوصه بالتسلية والإيذان بأصالته
في تدبير أمور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر أي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم
عليه وشدة رغبتهم فيه وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة للإشعار
باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون
في الخيرات فإن ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنون ما في طرفي المسارعة وتضاعيفها
وأما إيثار كلمة إلى في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة فلأن الجنة والمغفرة منتهى المسارعة
وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشارة بما في حيز الصلة
إلى مظنة وجود المنهي عنه والاعتراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا يحزنوك بمسارعتهم
في الكفر ومبادرتهم إلى تمشية أحكامه ومظاهرتهم لأهله وتوجيه النهي إلى حزنهم مع أن المقصود نهيه
عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما أن النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله
ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي إلى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا أرينك هاهنا وقرئ
لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل حزنه جعل فيه حزنا كما في
دهنه أي جعل فيه دهنا ومعنى أحزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه
عرضه للحزن إنهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم أبدا أي لن يضروا

بذلك اولياء الله تعالى وتعليق الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه
وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى **شيئاً** في حيز النصب على المصدرية اى شيئا من الضرر والتنكير
لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اى بشىء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك
من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابوذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم
وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول
هو الانسب بمقام التسلية والتعليل **يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة** استئناف مبين
لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعى الى
حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة
على دوام الارادة واستمرارها اى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا من الثواب و
لذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر **ولهم** مع ذلك الحرمان الكلى **عذاب
عظيم** لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشىء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع
وصف عذابه بالعظيم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة
اما مبتدأة مبينة لحظهم من العذاب اثر بيان ان لا شىء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اى
يريد الله حرمانهم من الثواب اثر بيان ان لا شىء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اى يريد الله
حرمانهم من معدا لهم عذاب عظيم **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان** اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما
اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى [illegible] **لن يضروا الله شيئا** تفسيره كما مر غير ان ذكره فيه تعريض
ظاهر باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين
بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما بأخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين
او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير
لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور
صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلى والحرمان
الابدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم
ورزانة الرأى ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهما اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب
الجو وان اجرى الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعهودين
المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل
بمشاهدة الوحى الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة
فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا
وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثانى خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه
عن النكتة المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور
وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهى عنه انما يتصور ممن علم
اتصافه به واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة
اليهم واعتبار كونها من مبادى حزنه عم مما لا وجه له وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** جملة مبتدأة مبينة

لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط
المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم
بالايلام مراعاة لذلك **ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم** عطف على قوله
تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند
سيبويه لتمام المقصود به وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر
محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وحقها في الكتاب الانفصال لاتباع الامام
اى لا يحسبن الكافرين اى املاءنا لهم وابقاءنا لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرين خيرية املائنا
لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على
حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهى
الرسول عم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام
ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلى احكام
المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة
اللازمة بين الصلة وبين الاملاء الذى هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن
له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة
المقتضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الانسب بمقام تسليته عم عن حالهم والموصول مفعول وانما نملى لهم الخ بدل منه وحيث كان المعول
على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على
مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او مفعول ثان بتقدير مضاف
ما قبله اى لا تحسبن الذين كفروا اصحاب انما الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اى لا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم **انما نملى لهم ليزدادوا
اثما** استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ
بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله
مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافى منهم بالتوبة والدخول في الايمان **ولهم عذاب
مهين** لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعزز والتجبر وصف
عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان
حالهم في الدنيا واما حال من الواو في ليزدادوا اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على
القراءة الآخرة **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه** كلام مستأنف مسوق لوعد
المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التى هى الفضيحة والخزى اثر بيان عقوبتهم الاخروية
والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص و
النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم
في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين
وهو قول ابن عباس رضى الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبى رضى الله عنهم واكثر المفسرين ففيه

تلوين فقط واهل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهدين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما هم من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل بان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفاوت كامر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصريين وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففيه توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل **حتى يميز الخبيث من الطيب** غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بهما وتكثيرهما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد احادهما كما في قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعرب عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملايمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من سوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف

صلى الله عليه وسلم

الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشح لمنصب جليل تقاصرت عنده همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتفخيم الامر في قوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه السلام لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته والمامور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا وهذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفهم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكاليف التي يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت **وان تؤمنوا** اي بما ذكر حق الايمان **وتتقوا** اي عدم مراعاة حقيقته والنفاق **فلكم** بمقابلة ذلك الايمان والتقوى **اجر عظيم** لا يبلغ كنهه **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما يبخلون به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما اتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه واستحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم **بل هو شر لهم** التنصيص على شريته لهم مع انفهامه من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل ما بخل به من الزكوة

حينئذ في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره
استقلالا ولا اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما
يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من
المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات
لتاكيد الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبايحهم وقرئ بالياء على
الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله
تع من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه
الى يهود قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت
والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تع وانه اعد له من العقاب كفاءه
والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع
والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه
من العظيمة الشنعاء في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت
المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر
بالله واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تع وقتلهم الانبياء
ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من
اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تع بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا
كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول
ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا عذاب المحرق كما اذقتم
المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء على البناء للمفعول ذلك اشارة
الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة
وهو مبتدأ خبره قوله تع بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل
تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن
ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تع ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب ليس بظلم
على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لكنه كمال تنزهه تع عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها
مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى
بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من
قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف

على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن
ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم
سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببيته لذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام
انتفاء ظلمه تع اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تع لعبيده
بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار
عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تع بسبب ذنوب المعذبين
الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب
وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا
نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان
يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه
بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تع قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحة وبالذي
قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم
من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع
في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله فقد
كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف
وهو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر
هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر
من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن
ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ
بالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان
بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي
لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه
وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع

غاية **لتبلون** شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقون من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اى يطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد **في اموالكم** بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الانفاق لا من قبيل الاتلاف **وانفسكم** بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بالعلية بان بعض ما يسمعون منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد عتوهم به **ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه **وان تصبروا** على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل **وتتقوا** اى تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه **فان ذلك** اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين **من عزم الامور** من معزومات الامور التى يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل واحد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزيمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى **واذ اخذ الله** كلام مستأنف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكونه مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما مر بيانه في تفسير قوله

تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اى اذكر وقت اخذه تعالى **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم **لتبيننه** حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه **للناس** وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب **ولا تكتمونه** عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل لكتفي بالتأكيد في الاول لانه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه واما على راى من جوز دخول الواو على المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المأمور به واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهى عنه القاء التأويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله **فنبذوه** النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التأكيد والقوه **وراء ظهورهم** ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهاره وما يحتاج اليه الناس من العلم وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب منبه انى ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا **واشتروا به** بالكتاب الذى امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة واسناد الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه لا ايات نبوته صلى الله عليه وسلم ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء استعارة لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله **ثمنا قليلا** شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذى هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذى شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذى حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنى الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه **فبئس ما يشترون** ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن **لا تحسبن** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له **الذين يفرحون بما اتوا** اى بما

علیه و سلم

فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا اي بما
اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا
بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل
اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه
وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة ببعثته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون
ملة ابرهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم
والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد
ادمج فيه بيان بعض اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك
ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن
الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب
بظاهر قوله تعالى **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار
الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف معزل
كانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طايفة
معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول
على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده الناس
بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول
اول لتحسبن وقوله تعالى **فلا تحسبنهم** تاكيد له والفاء زايدة والمفعول الثاني قوله تعالى **بمفازة**
من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها بالتاء لانها
مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله • فلولا رجاء النصر منك ورهبة • عقابك
قد كانوا لنا بالموارد • ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها
اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب مع كونه خلاف الاصل لتعسف مستغنى عنه
وقرئ بضم الباء فيهما على ان الفعل للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه
كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه
عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تاكيد للاول والفاء زايدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا
لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله • باي كتاب او باية سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب •
حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل
الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام
ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان
آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة
كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض

وتقديره فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة كائنة من العذاب

بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم **ولهم عذاب أليم** بعد ما
اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في الشدة والالم كما يلوح
به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف **ولله** اي خاصة **ملك السموات والأرض** اي
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء
واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه
فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى **والله على كل شيء قدير** تقرير لاختصاص ملك
العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه قادرا على الكل بحيث لا يشذ من
ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كونها سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورة اختصاص
القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على كل شيء من الاشياء فضلا عن
المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم
منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان
شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير
ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر و
القدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها
وصفاتها من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول **والأرض** على ما هي عليه ذاتا وصفة **واختلاف**
الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين
لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده
باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية
اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض
الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلته نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او
غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع
والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له واحد والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما
في كيكة وكياكي كانه جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قال الراغب وقال
ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في
الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي
نزيله عنه فيخلفه **لآيات** اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي
لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص
الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر
وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود هاهنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة
فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هنالك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى
بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلايل الفضل والرحمة في سلك دلايل
التوحيد فان ما فصل هنالك من جملة آيات رحمته كما انه من آيات الالوهية ووحدته **لأولي**

الالباب اى لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المجردين عن العلائق
النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية المتاملين في احوال الحقائق واحكام النعوت الرائقة
في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدايع صنايع الملك الخلاق المتدبرين في روايع
حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتخلصين عن
حقيقة سر الحق في سر كل موجود متاثرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شي مما سواه الا
من حيث اشراقه لسناء مدة جلاله والتهاب لاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع في
حضر مجامع التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد
ناطق بآيات قدرته لمن سمع ووعى ومخبر بآيات علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس
على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مفهومهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف
اشارة مراعيا في الجواب افهامهم وتبصر حججهم وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
فتامل في هذه الشئون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وعن عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عايشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي
فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع عقويه
ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد
بلت الارض فاتاه بلال يوذن لصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد
انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ **الذين
يذكرون الله** الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز
الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل
هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل
ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة
اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه
فايض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل
قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفي الآفاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك
شانا من شئونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث
الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق
مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها
واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين

صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فلا يساعده سياق النظم
الجليل وسباقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما
على الحالية من ضمير يذكرون اي قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف
معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات
كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة
التي لا تخلو عنها الانسان غالبا **ويتفكرون في خلق السموات والارض** عطف على
يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الحال
السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى
على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي يؤدي اليها من معرفة احوال المبدا حسبما نطقت به السنة
الرسل وآيات الكتب كما انها اي الآيات نتيجة هاديا الخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته
كذلك الخلق وما بدا ت تلك بينة مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم والثانية وداع
الى الاستشهاد بهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية
مؤيدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تامل في تضاعيف
خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من
الوصف الذاتي والوحدة الذاتية والملك التام والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة
وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه قادر على ... وعلى
اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المخلصين بحسب استحقاقهم المنوط
باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل
وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو
اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به يزين به فكما ان الاول اشرف من الثاني
كذلك عمله اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة نعم التي هي اول الواجبات على العباد
والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
طريقة النظر والتفكر فيما ذكر من شئونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله
نعم ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشرع
الحقة والانما حبيبي النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فقال عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
نعم فان الورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة
المتضادة بالآيات التكوينية وتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو اسرع في نظر ما عدا عن التفكر
من الامور المستندة عنه للايمان بالاخبار في هذا الباب نتيجة تفكرهم كما ستعرف عليه وظاهرا خلق السموات
والارض مع كفاية الاضافة الى ازليات ... ان يكون تفكرهم على وجه التحقيق
والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في مساق التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان

بظهور الله راجعة فيه الى ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما
للاستشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى بعض اخر منها
في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اى يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من
عجايب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اى يتفكرون فيما خلق فيهما اعم
من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية **ربنا ما خلقت
هذا باطلا** كلمة اشارة الى السموات والارض متضمنة بضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انها باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق
على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف او حال من المفعول بداى
ما خلقت هذا المخلوق كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما
لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفته
احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها
في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب استيناف مبين لنتيجة
التفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم
باولى الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في مجال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر
منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة
فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفة صدق الرسل و
حقيقة الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما
جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان
ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقها ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي
ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما يؤديان
الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي
الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او
مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن
مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال فان الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد
في ذلك وقوله **سبحانك** تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة
فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى **فقنا عذاب النار** فان معرفة
سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما لا يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما
الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء
فالفاء لترتيب المدعو من الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك
عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون **ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته** مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار

والجؤار وتأكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار
لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي
للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اى ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن
الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا
غاية وراءه لقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من
الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل
لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم
تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار
بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اى ما لظالم من
الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة
على ان المراد بالظالمين هم الكفار **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** حكاية لدعاء
اخر لهم مبني على تاملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية
وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال
عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بالى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام
لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم و
ايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه
من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول
كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا
عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه
بلا واسطة عند صدور المسموع من المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص
النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان
على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق
اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القران العظيم **ان امنوا** اى امنوا على ان ان
تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية **بربكم** بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال
وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه **فامنا** اى فامتثلنا بامره واجبنا نداءه **ربنا** تكرير
للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى
فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من
دواعي المغفرة والدعاء بها **ذنوبنا** اى كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله **وكفر عنا سيئاتنا**
اى صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر **وتوفنا مع الابرار** اى مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم
معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب **ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك** حكاية لدعاء اخر لهم
مسوق بما قبله معطوف عليه لما ان التخلية مقدمة على التحلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب
وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اى وعدتنا على تصديق رسلك

او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اى وعدتنا وعدا كائنا على ألسنة رسلك والتقدير
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة فى مثل هذه المواقع تعسف
وجمع الرسل مع ان المنادى هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام
لا سيما فى باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق
لهم عليهم السلام كيف وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على ألسنة الكل
وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود على كثرة الشهود **ولا تخزنا يوم القيمة** قصدوا
بذلك تذكير وعده تعالى بقوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن
آمن معه رجاء للانتظام فى سلكهم يومئذ وقوله تعالى **انك لا تخلف الميعاد** تعليل لتحقيق
نظموا فى سلك الدعاء وهذه الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم
من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل
فرجوعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة فى التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه البعث بعد الموت وفى الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله
مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية **فاستجاب لهم ربهم** الاستجابة بمعنى الاجابة وقال
تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤل ويتعدى باللام وبنفسه كما فى قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما فى حيزه من الادعية
كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن اى قيل لهم الآن آمنتم
ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى فى سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى
اولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الى آخره لا ضير فى اختلافهما صيغة لما ان
صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضى ههنا للايذان بتحقق
الاستجابة وتقررها كما لا ضير فى الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه
من قوله فاستجاب لكم كما سيأتى ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اى دعوا
بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته
لما وقع حالا من فاعله اعنى قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم
حيث كانت هى من اوصافهم الجميلة المترتبة على علمهم بالآخرة استحقت الانتظام فى سلك
محاسنهم المعدودة فى اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب فلا مساغ
لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما فى حيز الصلة ان يكون من مبادى جريان الحكم على الموصول
وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فأنى للاستجابة المتأخرة عنها وفى التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم
ما لا يخفى **انى لا اضيع عمل عامل منكم** اى بانى وهكذا قرأ ابى رضى الله عنه والباء للسببية كأنه
قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل منهم اى سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم
والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيد
بيان سببيتها والاشعار بان مدارها اعمالهم التى قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد

الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولى الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة
والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة
القول اى قائلا انى الخ فلا استقلال ح وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لعامل اى عامل كائن منكم وقوله تعالى **من ذكر او انثى** بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى
بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء فى سلك الرجال فى الوعد فان كون
كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما فى الدين والعمل
مما يستدعى الشركة والاتحاد فى ذلك روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انى اسمع الله تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى **فالذين هاجروا**
الخ تفصيل لما اجمل فى العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اى فالذين
هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى **واخرجوا من ديارهم** على ان الاول
عن نفس الهجرة وعلى الثانى عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار **واوذوا فى سبيلى** اى بسبب
ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين **وقاتلوا** اى الكفار فى سبيل الله
وقتلوا استشهدوا فى القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعى الترتيب او لان المراد قتل بعضهم و
قتال الآخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر فى حيز
الصلة بل على اتصاف الكل بالكل فى الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد
من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات
من البين كما هو رأى الكوفيين كيف ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان ذلك تضييع عمل
من اتصف بالبعض وقرئ وقتلوا بالتشديد **لاكفرن عنهم سيئاتهم** جواب قسم محذوف اى والله
لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذى هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه
بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى **ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار** اشارة الى
ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك تفسير له **ثوابا** مصدر مؤكد
لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة فى معنى الاثابة وقوله تعالى **من عند الله** متعلق
بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اى لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا
الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى **والله عنده حسن الثواب** اعتراض تذييلى مقرر
لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده
على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن الاختصاص
به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شئ يكون بحضرة احد لا يقدر
عليه غيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا وفى
تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذى لا يقادر قدره من لطف
المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد** بيان
لقبح ما اوتى الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتى

المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على أن المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى
ولا تطع المكذبين أو على أن المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب إلى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد
أتباعهم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وإنما جعل للتقلب مبالغة أي
لا تنظر إلى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في المكاسب والمتاجر
والمزارع روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء
الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل**
خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام
ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فإذن لا يجدي وجوده لواجده
لا يغني فقده لفاقده **ثم مأواهم** أي مصيرهم الذي يأوون إليه لا يبرحونه **جهنم** التي لا يوصف
عذابها وقوله تعالى **وبئس المهاد** ذم لها وإيذان بأن مصيرهم إليها مما جنته أنفسهم وكسبته
أيديهم والمخصوص بالذم محذوف أي بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم **لكن الذين اتقوا ربهم**
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان
وتكرير لما أن تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل
سوء حال الكفرة وإيراد التقوى في حيز الصلة للإشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى و
المراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية
لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها أي في الجنات حال
مقدرة من الضمير في جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار **نزلا من**
عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال أبو الشعر الضبي
• وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • وانتصابه على الحالية من جنات
لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا
أو عطاء من عند الله تعالى **وما عند الله خير** مبتدأ وخبر وقوله تعالى **للأبرار** متعلق بمحذوف هو صفة
لخير أي ما عنده تعالى من الأمور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار أي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل
الزائل والتعبير عنهم بالأبرار للإشعار بأن الصفات المعدودة من أعمال البر كما أنها من قبيل التقوى و
الجملة تذييل لما قبلها **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله** جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل
الكتاب ليس كلهم كمن حكيت من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة
قيل هم عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل المراد به أصحمة النجاشي فإنه لما مات نعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع فنظر إلى أرض الحبشة
فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم
يره قط وليس على دينه فنزلت وإنما دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما كما في قوله
تعالى وإن منكم لمن ليبطئن **وما أنزل إليكم** من القرآن **وما أنزل إليهم** من الكتابين وتأخيرهما
عن إيمانهم بالقرآن في الذكر مع أن الأمر بالعكس في الوجود لما أنه عيار ومهيمن عليهما فإن إيمانهم
بهما إنما يعتبر بتبعية إيمانهم به إذ لا عبرة بأحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها إنما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن

بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بإيمانهم بهما إيمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن
المحرفين وأتباعهم من العامة **خاشعين لله** حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى **لا يشترون**
بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبلها وتوسيطهما في سلك محاسنهم ليس من
حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لإظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
أولئك إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **لهم** وقوله **أجرهم**
أي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من
رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية أو على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر أولئك وقوله تعالى
عند ربهم نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف كالصفة **إن الله سريع الحساب**
لنفوذ علمه بجميع الأشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر من غير حاجة إلى تأمل والمراد
بيان سرعة وصول الأجر الموعود إليهم **يا أيها الذين آمنوا** إثر ما بين في تضاعيف السورة
الكريمة فنون الحكم والأحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل **اصبروا** على مشاق الطاعات
وغير ذلك من المكاره والشدائد **وصابروا** أي غالبوا أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن المصابرة
بالأمر بعد الأمر بمطلق الصبر لكونها أشد منه وأشق **ورابطوا** أي أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها
مترصدين للغزو مستعدين له قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة **واتقوا الله** في مخالفة أمره على الإطلاق
فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا أوليا **لعلكم تفلحون** أي لتنتظموا
في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مكروه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وسبعون وست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجود
ين والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب
المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا عند الحنابلة بل إما بطريق تغليب الفريق
الأول على الآخرين وإما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فإن الإجماع منعقد على أن آخر الأمة
مكلف بما كلف أولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني إلى القيامة وقد فصل
في موضعه وأما الأمم الدارجة قبل النزول فلا حظ لها في الخطاب لاختصاص الأوامر والنواهي
بمن يتصور منه الامتثال وأما إدراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف و
تقوية الإيجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع
المذكر في قوله **اتقوا ربكم** فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للإناث عند
غير الحنابلة وأما إدخالهن في الأمر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وإن كان فيه مراعاة

جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي
هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في
مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر
وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي
خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة
لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى
الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا
مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة
ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاص
ما فيما قيل بالمأمورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى
وموجبات الامتثال به سلك النظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم
حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا
للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم
قاطبة لاسيما وقد نطق بذلك قوله تعالى وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح
في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد
يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها
زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما
اجمل اولا وصفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين
لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم الآية لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع
من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي
انه تعالى لما خلقه واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من
ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير
خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم
الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئية مدخوله مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها
بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها
المخلوقة بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة
والافراد باعتبار معنى الجمع والعدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء
اي كثيرة وترك التصريح بها اكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة
والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد للنبوية لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف
المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر
من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك

الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل
لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل
به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ
بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به
غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك
رأيت الهلال وتراءيناه وبه قرئ عن عصم تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى
السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره
قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله تعالى ويقولون
اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها
فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج
وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي الزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على
الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل
به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي
صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا
مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم
بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما
يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية
بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم
من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء
جمع على يتائم ثم قلبت فقيل يتامى او لانه لما كان من ذوي الآفات جمع على يتمى ثم جمع على يتامى والاشتقاق
يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عليه السلام
لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد با
اموالهم وقطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف ايديهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها
غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبديل والاكل
لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية
وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك
التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء
وشمول حكم الاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى
عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين
صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار

تستفاد مما يأتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق
اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم
اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ومما يأباه ما سيأتي
من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على
وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القول واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا
بطريق التغليب مع تعميم الايتاء حالا وللايتاء مالا وتعميم الخطاب للاولياء كلي الفريقين على ان من
بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع عند بلوغه
رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من
ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار
او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ
بالله من الحوب الكبير فليس بقادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب** نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق
وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول
يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر
بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة
كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة
بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه
كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال
فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا
اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل
هو اختزال ماله مكان حفظه وايا ما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما
اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن
المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة
ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا
في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشترى
كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه **ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** نهي عن منكر آخر
كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد
خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا **انه** اي الاكل المفهوم من النهي **كان حوبا**
اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا
وقالا **كبيرا** مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة
لا من ادناها **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو

هو قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان
قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه
بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم
بوقوع الجور المخوف منه لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في
النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما
يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منزلة
المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا رغبة
فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول
الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى
من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن
من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع
عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال
او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح
غيرهن فان المحذور حينئذ يتعلل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا
تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة وما بعدها صلتها
وصفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف ايذانا بان المقصود بالذات والغالب في الاعتبار
لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة
من طاب ومن في قوله تعالى **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة
المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى
مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما
منعت عنه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن
والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى
النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه
فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور
المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل ما حل لكم شرعا
لان ما استطابوه شامل للمحرمات لا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو
افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل
على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان
اصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ان ادعاء تقدمه في
التنزيل يجعل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة
لما فيها من العدل من عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على
انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع

دارم الاذن اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات وهذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا
اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان
بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما فى قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة و
اربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة
او لفات تجويز الاختلاف فى العدد هذا وقد قيل فى تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية فى
اليتامى وما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق
الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل فى حقوق النساء حيث كان تحت
الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون عن الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات
ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين
الناس مع توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله وكفى بالله حسيبا
فان خفتم الا تعدلوا اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه فى حق اليتامى او كما
لم تعدلوا فى حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد **فواحدة** اى فالزموا او فاختاروا واحدة
وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اى فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم**
اى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه
بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين
بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى
فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عدد لقلة تبعتهن وعدم
وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وفى القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن
رتبة العقلاء **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى **ادنى ان لا تعولوا** العول الميل من
قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال فى الحكم اى جار والمراد هاهنا الميل المحظور المقابل للعدل
اى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا
لانتفائه راسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر
فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن هاهنا تبين ان مدار الامر عدم العول لا تحقق
العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اى مانهم فعبر عن كثرة
العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه
كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن
ولا كذلك المهائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اى اللاتى
امر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهى المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد
وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة نحلة

نحلة قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله فى النحلة
الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة
منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبى نحلة
اى هبة وعطية منه تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج
من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها
واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدر لان الايتاء
والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على
الحالية من ضمير آتوا اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحوا معطاة
عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون
هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظمه **فان طبن لكم**
عن شئ منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما فى
قوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤبة انه حين قيل له
فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغى ان تقول
كانها وان اردت السواد والبلق ينبغى ان تقول كانهما قال لكنى اردت كان ذلك او للصداق الواقع موقعه
كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمين معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب **نفسا** تمييز و
التوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات
غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة
والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب
بالمرة **فكلوه** اى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر
لانه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه
وقيل الهنئ الذى يلذه الآكل والمرئ ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ فى مجراه الذى هو المرئ وهو ما
بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمرء الطعام فيه اى انسياغه ونصبهما على انهما صفتان
للمصدر اى كلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد
يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل
هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان اناسا كانوا يتاثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** رجوع الى بيان بقية
الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض
الاحكام المتعلقة بانفسهن اعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من
حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى
اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا لنظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه
غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتى بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان
اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها كما فى

قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن نوعهم بانفسهم مبالغة فى زجرهم عن
قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناط المعاش اصحابها بجعلها مناطا
لمعاش الاولياء فقيل **التى جعل الله لكم قياما** اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف
المفعول الاول فلو ضيعتموه لضيعتم ثم زيد فى المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها فى
نفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معاشهم حيث لم يقصد
بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات
الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة
المذكورة كيف والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى
متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ
قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشئ ومصدر قاوم
وقرئ بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا
حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه
عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده وكلا يده وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة
النظم الكريم **وقولوا لهم قولا معروفا** اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن
جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكلما سكنت اليه النفس
لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا اليتامى**
شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهى عنه
عند كون اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء
الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من
المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه
الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم **حتى اذا بلغوا
النكاح** بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان آنستم** اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى
احسستم كما فى قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس **منهم رشدا**
اى اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والاعتداد بعديمه لدو التنوين للدلالة على كفاية رشد فى الجملة وقرئ بفتح
الراء والشين وبضمها **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ وفى ايثار الدفع على الايتاء
الوارد فى اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى
هى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل
وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتداء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة
ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو
حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين
وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان كما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله

ماله اونس منه رشد او لم يونس **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** اى مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر
اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله
تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** الخ اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من
اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله **ومن كان** من
الاولياء والاوصياء **فقيرا فلياكل بالمعروف** بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفى لفظ
الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان رجلا قال له عليه السلام ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا
واق مالك بماله وعن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها
وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب
وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى ياكل من ماله
بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى و
عن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى انزلت نفسى من
مال الله عز وجل منزلة ولى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وان ايسرت
قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة **فاذا دفعتم اليهم اموالهم** بعد ما راعيتم
الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به **فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى الامانة وبراءة
الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعى
وكفى بالله حسيبا اى محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون** شروع فى بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين
المتوارثون منهم ومن فى مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز
تعلقها بنصيب **وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** ايراد حكمهن على الاستقلال
دون الدرج فى تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن
فى استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين والمبالغة فى ابطال
حكم الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
روى ان اوس بن ثابت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقى لابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى **مما قل منه او كثر**
بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا
محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل

والآن الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة او على الحال إذ
المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اى اعني
نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها لان في الفاعل
تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اى اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة
وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا
عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او
يخشون اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو
بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على
الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء
وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون
الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما
يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا
حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تع ان الذين يأكلون اموال اليتا
مى ظلما اى على وجه الظلم او ظالمين استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي
انما يأكلون في بطونهم اى ملء بطونهم نارا اى ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة
انه قال عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام
الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا اى سيدخلون نارا وأي نار مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء و
التصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت
هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى
فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة

المجملة في قوله تعالى للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد
والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اى يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد واحد
اى في شأن ميراثهم بدئ بالاولاد لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل
حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على
ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رواه الفراء انه يجري ما كان بمعنى
القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة الآية وقوله تع للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف تقديره منهم كما في قولهم السمن
منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم وقيل صفة لموصوف
محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى
كانها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص
على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا
كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اى الاولاد والتأنيث
باعتبار الخبر وقوله تعالى نساء اى خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء
زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اى
المولودة واحدة اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما
سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس
حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما
بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحق مع
مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله لهما الثلثين حيث قال فلهما
الثلثان مما ترك ولابويه اى ولابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل
واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي
هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتأكيدا له بالتفصيل بعد
الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق
بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اى كائنا مما ترك المتوفى ان كان
له ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه
المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه
فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار
الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب
الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لان حظها اخص واستحقاقها اتم واوفر
او لان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان
معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل

بنت

الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين
وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة** اي عدد ممن له اخوة من
غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا
او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب **فلامه السدس** واما السدس
الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعن ابن عباس انهم
على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر
الهمزة اتباعا لما قبلها **من بعد وصية** خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما
يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية **يوصي بها** اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول
مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها **او دين** عطف على
وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة والاقرار في
الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة
مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية
بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين **آباؤكم وابناؤكم لا
تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون
خبره وايهم مبتدأ واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعل كانه قيل ايهم اقرب
لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبرى اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية
اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم
لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية
عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير
رجحان احدهما على الاخر كما في قوله عليه السلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام
اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية
الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى
ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة
في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب
الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان
الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه مع غاية قصر مدة ما بينهما
من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب
للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم
ما اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان
ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية
ح مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية
فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فريضة او لقوله يوصيكم الله
فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم **ان الله كان عليما** اي بالمصالح والرتب **حكيما** في كل ما قضى وقدر

فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا **ولكم نصف ما ترك ازواجكم** من المال شروع في بيان
احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجل مما لا حاجة الى ذكره **ان لم يكن لهن ولد**
وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ
الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال
ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا **فان كان لهن ولد** على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها فان ذكر تقديم عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه **فلكم الربع
مما تركن** من المال والباقي لباقي الورثة **من بعد وصية** متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده
يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة
على تنفيذها **او دين** عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما
مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا
مع ابراز كمال العناية بتنفيذها **ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد** على التفصيل المذكور
انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم
وارث اصلا **فان كان لكم ولد** على النحو الذي فصل **فلهن الثمن مما تركتم** من المال والباقي
للباقين **من بعد وصية توصون بها او دين** الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزوج
ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن **وان كان رجل** شروع في بيان احكام القسم الثالث
من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى **يورث**
على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه **كلالة** الكلالة في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها
بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين
بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحق
فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير
يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث
ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب
كلالة على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة
واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة **او امراة** عطف على رجل مقيد بما قيد به اي
او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام **وله**
اي للرجل وحده تاكيدا للايذان بان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل
الضمير لكل منهما **اخ او اخت** اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان
والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث
او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسالة وذكر الكلالة لتحقق جريان
الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود

الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة بناء للاجماع **فلكل واحد منهما** من الاخ والاخت
السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة **فان كانوا اكثر**
من ذلك اى اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال
الانفراد يستتبع ذكر احتمال التعدد **فهم شركاء فى الثلث** يقتسمونه بالسوية والباقى لبقية
الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث فى القراءة المشهورة مبنيا
للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى ان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة
او ذا كلالة اى غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث
واخيه واخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اى من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم
شركاء فى الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شىء فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على
ذلك التقدير انما هى الاخوة بين الوارث وبين شريكه فى الارث من اخيه واخته لا ما بينه وبين
مورثه من الاخوة التى عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة
بطريق الكلالة وهى عامة لجميع صور القرابات التى لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب
شريكه مما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة
ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على
ان المراد بالاخوة فى قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية
والاية الاتية فى اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين
ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة
اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر على حكم صورة انحصار الورثة
فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك
فى قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضى ان يكون
المعتبر فى استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع
مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث
عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع
كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند
الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل فى الادلاء
الى المورث مما لا عهد به **من بعد وصية يوصى بها او دين** الكلام فيه كالذى مر فى نظيره خلا
ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف لاتفاق
الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون بثبوته بالاقرار فى المرض كانه
قيل او دين يوصى به **غير مضار** حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف
اعتمادا عليه كما ان رجال فى قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبنى للمفعول
فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل
اى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة اى بان يوصى بما زاد على الثلث
او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر فى المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا

القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت فى حقهم **وصية من الله** مصدر
مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية
بالفخامة الاضافية اى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل
السر فى تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بهم من التفاوت حسب
تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبتى المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول
به فانه اسم فاعل معتمد على ذى الحال او منفى معنى فيعمل فى المفعول الصريح ويعضده القراءة
بالاضافة اى غير مضار لوصية الله وعهده لا فى شأن الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لها بالمقام
بل فى شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم
الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد
على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية
مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما فى قوله يا سارق الليل اهل الدار للمبالغة فى الزجر عنها باخراجها
مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضى ان
يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدى الى الفصل بين الحال و
عاملها باجنبى هو المعطوف على وصية مع انه لا تحتم بمادة المضارة لنفاذ الاقرار بالدين على
اطلاقه **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم
الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام التى تقدمت
فى شئون اليتامى والمواريث وغير ذلك **حدود الله** اى شرائعه المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم
الجليل لما ذكر انفا **يدخله جنات** نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند
الاخفش **تجرى من تحتها الانهار** صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها **خالدين فيها** حال
مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعيته من حيث المعنى كما ان افراد الضمير
بالنظر الى افراده لفظا **وذلك** اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه
الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته **الفوز العظيم** الذى لا فوز وراءه
وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم
عظيم والجملة اعتراض **ومن يعص الله ورسوله** ولو فى بعض الاوامر والنواهى قال مجاهد
فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله
وقال الكلبى ومن يكفر بقسمة المواريث **ويتعد حدوده** استحلالا والاظهار فى موقع الاضمار
للمبالغة فى الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة فى جميع
الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة فى الموضعين
نارا اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا
نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود فى دار الثواب
بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد اشد فى استجلاب
الوحشة **وله عذاب مهين** اى وله مع الحريق الجسمانى عذاب اخر مهين لا يعرف كنهه وهو

العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** شروع
في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى
دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه
والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها
وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي
اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من
نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال تع **فاستشهدوا عليهن أربعة منكم**
خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها
أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم **فإن شهدوا** عليهن بذلك **فأمسكوهن في البيوت** أي
فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن **حتى يتوفاهن** أي إلى أن يستوفي أرواحهن **الموت**
وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح ويتوفاها أو يتوفاهن ملائكة الموت
أو يجعل الله لهن سبيلا أي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للإيذان
بكونه طريقا مسلوكا وليس فيه دلالة على كونه أخف من الحبس كما قاله أبو مسلم **واللذان يأتيانها**
منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي أريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه
كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص
العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور إلحاقه بأحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط **فآذوهما**
أي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال أيضا والظاهر أن إجراء هذا الحكم أيضا إنما يكون بعد
الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا **فإن تابا** عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا
من زواجر الأذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء **وأصلحا** أي عملهما **فأعرضوا عنهما** بقطع
الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب
للشهود الواقفين على هناتهما والمراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاة و
بالإعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في أوائل
الإسلام على ما فصل ثم نسخ بالجلد لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا
عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكانت
عقوبة الزناة مطلقا الأذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن
يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد إقامة الحد صيانة
لهن في البيوت بعد إقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت و
التعرض للرجال ولا إذ لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد أن الأولى
في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بأن المذكور في
الأولى صيغة الإناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة إلى المصير إلى التغليب على أنه
لا إمكان له في الأولى ويأباه الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا
إن الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة **رحيما** واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض **إنما**
التوبة على الله استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه كما ينبئ

عنه وصفه تع بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ
وقوله **للذين يعملون السوء** خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار
فإن تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف أو بمحذوف
وقع حالا من ضمير المسند المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها
المعنوي عند كونها ظرفا أو حرف جر كما في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت وأيا ما
كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق
البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة
على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي أوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها
وهذا يشير إلى أن قوله تع على الله صفة لتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض
صلته أي إنما التوبة الكائنة على الله تع والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت أو كبيرة وقيل الخبر
على الله وقوله للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر
وليس فيه ما في الوجه الأول من تقديم الحال على العامل المعنوي إلا أن الذي يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام هو الأول لما أن ما قبله من وصفه تع بكونه توابا رحيما إنما يقتضي بيان اختصاص
قبول التوبة منه تع بالمذكورين وذلك إنما يكون بجعل قوله تع للذين الخ خبرا ألا يرى إلى قوله
تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فإنه ناطق بما قلنا كأنه قيل إنما التوبة لهؤلاء لا
لهؤلاء **بجهالة** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون أي يعملون السوء متلبسين بجهالة
أي جاهلين سفهاء أو بيعملون على أن الباء سببية أي يعملونه بسبب الجهالة لأن ارتكاب الذنب
مما يدعو إليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل
قال قتادة اجتمع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا
كان أو خطأ وعن مجاهد من عصى الله تع فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله
بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** أي من زمان قريب
وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تع حتى إذا حضر الخ فإنه صريح في أن وقت
الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس قبل أن ينزل
به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن إبراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه
وهو مجرى النفس وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك
لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تع وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر
ومن تبعيضية أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب **فأولئك** إشارة إلى المذكورين
من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تع **يتوب الله**
عليهم وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة
لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول **وكان الله عليما حكيما** مبالغا في العلم والحكمة فيبني

احكامه واقعا له على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل
فى موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال **وليست التوبة
للذين يعملون السيئات** تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين
ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكررها ووقوعها فى الزمان المديد لا لان
المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع **حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن**
حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
الى حضور موتهم وقولهم حينئذ انى تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط
ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشى عن تسميته توبة **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف
على الموصول الذى قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا
مبالغة فى بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل فى تكرير حرف النفى
فى المعطوف اشعار خفى بكون حال المسوفين فى عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون
على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم فى الجملة الحالية كفارا
للتغليظ كما فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية للتغليب
ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثانى الكفرة وفيه مبالغة اخرى **اولئك** اشارة الى الفريقين وما
فيه من معنى البعد للايذان بترامى حالهم فى الفظاعة وبعد منزلتهم فى السوء وهو مبتدأ خبره **اعتدنا
لهم** اى هيأنا لهم **عذابا اليما** تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتى والوصفى **يا ايها الذين آمنوا لا
يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه على امرأته او على خبائها
ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بالصداق الاول
الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدى بما
ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم
لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك ومكرهات عليه
وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ
لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهى لغة كالضعف
والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن له حاجة حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها
لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم **ولا تعضلوهن** عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفى والخطاب
للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه
اى ولا ان تضيقوا عليهن **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** اى من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه
اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن
اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة فى تقبيحه ببيان تضمنه لامرين
كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به **الا ان يأتين
بفاحشة مبينة** على صيغة الفاعل من بان بمعنى تبين اى بينة القبح من النشوز وسوء العشرة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا

الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اى ولا يحل لكم عضلهن فى حال
من الاحوال او فى وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا فى حال اتيانهن بفاحشة او الا فى
وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون فى
طلب الخلع **وعاشروهن بالمعروف** خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره
الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى المقال ونحو ذلك **فان كرهتموهن**
وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا
تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا** علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية
عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح
فى الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون
ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية فى الثانى للتوسل الى تعميم مفعوله
ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة جارية على
الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة فى الحمل على ترك
المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية وتنوين
خيرا للتفخيم الذاتى ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة
والمحبة تقديره وهى اى ذلك الشئ يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر
موضع المضمر **وان اردتم استبدال زوج** اى تزوج امرأة ترغبون فيها **مكان زوج** ترغبون
عنها بان تطلقوها **وآتيتم احداهن** اى احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة
حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اى وقد آتيتم التى تريدون ان تطلقوها **قنطارا**
اى مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه** اى من ذلك القنطار **شيئا** يسيرا فضلا عن الكثير **أتأخذونه
بهتانا واثما مبينا** استئناف مسوق لتقرير النهى والتنفير عن المنهى عنه والاستفهام للانكار و
التوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التى تحته
بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا
بالظلم وقوله تعالى **وكيف تأخذونه** انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث
وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما لا تحقق
الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشئ حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود
قطعا وقوله تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض** حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير
الاستبعاد اى على اى حال او فى اى حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية
له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك **واخذن منكم ميثاقا
غليظا** عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة
او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان واسناده الى النبى

بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم** شروع في
بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينتظم في سلك نكاح المحرمات
الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان
اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة
ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا
فلا بد في اثباتها من الوطي او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة
حتى لو وقع شيء من ذلك بملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي
رحمه الله في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما
مصدرية على ارادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان لما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثناء
مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد
طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه
النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد
مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه لا انه مقرر وقوله
تعالى **انه كان فاحشة ومقتا** تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح ممقوتا اشد
البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يليق ان يوسط بينهما
ما يهون امره من ترك المواخذة على ما سلف منه **وساء سبيلا** في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية
مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا
سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود
الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر
كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم
كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي
والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي
وقوله ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي ولما اجتمع فيه هذه المراتب فقد
بلغ اقصى مراتب القبح **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات
الاخ وبنات الاخت** ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع
ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور
فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو
عدم محليتهن ايضا للملك لا بعبارته لشهادة سياق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور
امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة
عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك
النكاح حتى يفوت بفوات محليته لذلك الملك فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته
له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في

المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا
لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطي فليس من تلك الاحكام فلا حرج في تخلفه عنه كما في
المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظم
الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة
كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى و
البعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تعالى الرضاعة منزلة
النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته
عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاعة وبعدها فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة
جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومنه قوله عليه السلام يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام
وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة
حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته و
الثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد **وامهات
نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاع التي لها
لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور
العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل
بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران ابن الحصين رضي الله عنهم
ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله
خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرءوا وامهات نسائكم اللاتي
دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول
كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من وجوه الوطي وقد مر فيما سبق والممسوسات
ونظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر **وربائبكم اللاتي في حجوركم**
الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه
يربه غالبا كما يربي ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فان
شانهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل
وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما ان النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون
بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم و
تربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد
الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور
العلماء ما ذكر اولا لخلاف ما في قوله تعالى **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** فانه لتقييدها به قطعا
فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لا بالا
ويقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ

جعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا ستر به ولا مع ماذكر اولا ضرورة ان
حالته من ربائبكم او من ضرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحالته من امهات او نسائكم يستدعي
كونها بيانية وادعا كونها ايضا ابتدائية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنسا بين مع
اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في اسكان ما نطق به
النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة
فضعيفة الرواية او على تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر
والبا للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره
كامر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب
وهو صريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم
الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة
لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل يحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهن
ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعيا
دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا
بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك
اليمين واما جمعهما في الوطي بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس
في معنى النكاح في الافضاء الى الوطي ولا مستلزما له ولذلك يصح شرا المجوسية دون نكاحها حتى
لو وطيهما لا يحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه وطي الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج
اخت امته الموطوءة لا يحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما
فكانه جمعهما وطيا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز
عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما
على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين
الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هولاء بل اولى فان العمة
والخالة بمنزلة الام فقوله عليه السلام لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها
ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على
الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى
جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله ان الله كان غفورا رحيما
تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عم
فانه جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله
يعقوب عم كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى
الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى عن هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن انه قال كان
اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا ترى
انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على

على سنن واحد وبا باه اختلاف الفعلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج
احصنهن التزوج او الازواج او الاوليا اي اعفهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل
فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الا
انه بفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد
الاحصان في القران بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة
كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي
معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات
من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما
توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي ملكتموه
واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في
الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على
الحراير والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة
حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي
بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات
اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن
المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت
عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما احلهن لهم
بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم
الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم
ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات
الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين
فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن
فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا
انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية
اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل
حتى تحيض فاباح وطيهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل
على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات على افادتها
بطريق العبارة ونحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في
نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم
تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات عبارة عن الاسلام مهاجرات تتحقق او
يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المتحقق ونعرف

حال المتوقع والامتناع عنهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة
بين المسبية وزوجها مع اتحاد الدار فلأن ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح
عنه قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية
كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله **عليكم** تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على
الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه
وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور او بنفس عليكم على رأي من جوز
تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اي رأيت الناس يحمدونكا
وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم**
عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على
المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على
حرمت الخ فانهما جملتان متفقتان في انهما مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في
اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعدما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى
ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل
ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل
واحد منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق
الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق
الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه
يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض
الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع ألا يرى
ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح
في حل نكاحهن بعد العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان
الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا
به ايضا **ان تبتغوا** متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار
بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم
والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء **باموالكم** بصرفها الى مهورهن
او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول **محصنين** حال من فاعل تبتغوا والاحصان
العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب **غير مسافحين** حال ثانية منه او حال
من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لان الغرض منه
ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال
مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله تعالى **فما استمتعتم به منهن** اما عبارة عن النساء
او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها
صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على
الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى **فآتوهن اجورهن** والفاء لتضمن الموصول

الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن
سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور
في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن
فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا
وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد
الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن
لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن **فريضة** حال من الاجور بمعنى
مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة
اي فرض عليكم **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به** اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن
المهر او الابراء منه على طريقة قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا
النساء صدقاتهن وقوله تعالى الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع
الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ
الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل
من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى **من بعد الفريضة** اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان
يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم
او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت
ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل
ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب
اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف **ان الله كان عليما** بمصالح العباد **حكيما** فيما شرع لهم
من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم **ومن لم يستطع منكم** من اما شرطية
ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع
اي حال كونه منكم وقوله تعالى **طولا** اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل
مفعول ليستطع وقوله تعالى **ان ينكح المحصنات المؤمنات** اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر
المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم
يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او
لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على
ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى
والسعة ومحل ان بعد حرف الجر نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما
بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له
لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة
الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له
بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق

والابتداء وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله تعالى **فمما ملكت أيمانكم** اما جواب للشرط
او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة
اى فلينكح امرأة او امة من النوع الذى ملكته ايمانكم وهو فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك
المفعول المحذوف ومن تبعيضية اى فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول
مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى **من فتياتكم المؤمنات** فى محل النصب على
الحالية من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من وما
ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى
فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على تقدير وقيل هو المفعول
للفعل المقدر وما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم
الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه وعدم جواز نكاح
الامة الكتابية اصلا كما هو رأى اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رضى الله عنه تمسكا با
لعمومات ومحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس انه قال
ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى
والله أعلم بإيمانكم جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف
منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق
به قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم فى الايمان الذى به ينتظم احوال العباد وعليه يدور
فلك المصالح فى المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان
الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك
الحيثية اثر بيان تفاوتهم فى ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد
للتأنيس من جهة اخرى والخطاب فى الموضعين اما لمن كان فى الخطاب الذى يعقبه قدر وعى فيما سبق
جانب اللفظ وهاهنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالتغليب والتأنيس واما لعامة من المسلمين
كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه
الخطاب فى قوله تعالى **فانكحوهن** مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب
فى نكاحهن وتقييده بقوله تعالى **بإذن أهلهن** وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ قد
وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم
للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له **وآتوهن أجورهن** اى مهورهن **بالمعروف** متعلق بآتوهن
اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن
ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالى فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون
المهور لهن وقيل اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه **محصنات** حال
من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنا **غير مسافحات** حال مؤكدة اى غير مجاهرات
به **ولا متخذات أخدان** عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما فى غير من معنى النفى والخدن الصاحب
قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على

على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا ولا
مسرات له وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين **فاذا أحصن** اى بالتزويج وقرئ
على البناء للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن **فان أتين بفاحشة** اى فعلن فاحشة وهى
الزنا **فعليهن** فثابت عليهن شرعا **نصف ما على المحصنات** اى الحرائر الابكار **من العذاب**
الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت
حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء فى فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان
والشرط الثانى مع جوابه مترتب على وجود الاول كما فى قولك اذا اتيتنى فان لم اكرمك
فعبدى حر **ذلك** اى نكاح الاماء **لمن خشى العنت منكم** اى لمن خاف وقوعه فى الاثم الذى
يؤدى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الانسان
بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه
اذا هويها يخشى ان يتواقعا فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثانى لايهامه ان
المحذور عنده الحد لا ما يوجبه **وان تصبروا** اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه
من المعاصى **خير لكم** من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق
قال عمر رضى الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد رق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة
من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى فيها
يقدر على استخدامها كيف يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال
حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل
ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع
بها ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك
البيت **والله غفور** مبالغ فى المغفرة فيغفر لمن يصبر عن نكاحهن ما فى ذلك من الامر المنافى لحال
المؤمنين **رحيم** مبالغ فى الرحمة ولذلك رخص لكم فى نكاحهن **يريد الله ليبين لكم** استئناف
مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل
اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السياق والسباق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم
من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره
يريد تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه
وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهى وما بعدها مفعول للمتقدم فان اللام
قد تقام مقام ان فى فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان
تقوم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفى موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم
وفى موضع وامرت ان اسلم وفى موضع آخر وامرت لاعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون
وقالوا ان وظيفة اللام هى الجر والنصب فيما قالوه باضمار ان اى امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما
يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبره
له كما فى تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى تسمعك به ويعزى هذا الرأى الى بعض البصريين **ويهديكم**

سنن الذين من قبلكم من الانبيا والصالحين لتقتدوا بهم **ويتوب عليكم** اذا تبتم اليه عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعات ما كلفتموه من الشرايع لان المكلف قل ما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسياتكم وليس الخطاب بجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تع عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة حصلت لهم هذه التوبة **والله عليم** مبالغ في العلم بالاشيا التي من جملتها ما شرع لكم من الشرايع **حكيم** مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة **والله يريد ان يتوب عليكم** جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تع لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى **ويريد الذين يتبعون الشهوات** للاشارة الى الحدوث وللايما الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تع الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تع قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت **ان تميلوا** عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرى بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات **ميلا عظيما** بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال **يريد الله ان يخفف عنكم** بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب **وخلق الانسان ضعيفا** عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاما وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النسا خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على فتنة النسا وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البنا للفاعل والضمير لله تع وعنه رضي الله عنه ثماني ايات في سورة النسا هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالندا والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما لا يبيحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي **الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**

استثنا منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرى تجارة بالرفع على ان كانت تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين ساير اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مراضات المتبايعين فيما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة الافتراق عن مجلس العقد **ولا تقتلوا انفسكم** اي من كان من جنسكم من المومنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرى لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفا فضايلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه **ان الله كان بكم رحيما** تعليل للنهي بطريق الاستيناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي التي هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرايل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة **ومن يفعل ذلك** اشارة الى القتل خاصة او اليه والى ما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفساد **عدوانا وظلما** اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرى عدوانا بكسر العين **فسوف نصليه** جواب للشرط اي ندخله وقرى بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية وبالياء والضمير لله تع او لذلك من حيث انه سبب للصلي **نارا** اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب **وكان ذلك** اي اصلاه النار **على الله يسيرا** لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي **ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه** اي كباير الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرى كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم** بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرى بالياء بالاسناد اليه تع والتكفير السيئ من العقاب بثواب اريد او بتوبة اي نغفر لكم **سيئاتكم** صغايركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغاير اذا اجتنب الكباير واختلف في الكباير والاقرب ان الكبير كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تع وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد

الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلاً قال له
الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات
والاماكن ايضاً فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران
فمن عنّ له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
على اجتناب الاكبر من الثواب **وندخلكم مدخلاً** بضم الميم اسم مكان هو الجنة **كريماً** اي
حسناً مرضياً او مصدر ميمي اي ادخالاً مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضاً يحتمل المكان والمصدر
ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلاً او دخولاً كريماً كما
في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتاً او مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحت
الخ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي
عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس
عقبه بالنهي عما يؤدي من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل و
قتل الانفس اولاً عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير
اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال
وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوالهم
العباد مترتبة على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم
له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكمة البالغة لا لان
عدمه خير له ولا لانه لو كان خيراً له كان نفسه كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من
فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقاً او قد قيل
لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال
سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل
النهي بقوله تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** فانه صريح في جريان التمني
بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي بما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين
في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة
الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيداً لاستحقاق كل
منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن
التمني المذكور وقوله تعالى **واسألوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير
الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كأنه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له
واسألوا الله من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه ما تريدون
فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوماً من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوه فضله
وقد جاء في الحديث لا يتمنى احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار

الفرج وحمل النصب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته يحمل سبب النزول ما
روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من
الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر
بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحقوق الازواج ونحوها فلا تتمنى النساء خصوصية اجر الرجال و
اسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث
وفضائل الرجال **ان الله كان بكل شيء عليماً** ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم
على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً اي ولكل تركة جعلنا ورثة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم
بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل
فيه كما فصل في قوله تعالى قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين
صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثاً نصيب معين مغاير
لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع
اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انساناً من رزق الله
اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل واحد جعلنا موالي مما ترك اي وراثاً منه على ان من صلة موالي
لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى مما ترك الوالدان والاقربون استئناف
مفسر للموالي كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر
يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين
مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين **والذين
عقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان
يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلاً واسناد العقد الى الايمان لان
المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف
اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقّدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ
ضمن معنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** بالفاء او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيداً فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة
مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي **ان الله كان على كل شيء** من الاشياء التي من جملتها الايتاء
والمنع **شهيداً** ففيه وعد ووعيد **الرجال قوامون على النساء** كلام مستأنف مسوق لبيان سبب
استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالاً وايراد الجملة
اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم
القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل **بما فضل
الله به بعضهم على بعض** الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالاً من ضميره وما مصدرية

والضمير لهما لكلى الفريقين تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله
تع الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل
والمفضل عليه اصلا او لمثل ذلك لم يصرح بما فيه التفضيل من صفات كماله التى هى كمال العقل وحسن التدبير
ورزانة الراى ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك **وبما انفقوا من اموالهم**
الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية
او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم
او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوا من المهر والنفقة روى ان سعد بن
الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال عم
اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراده الله خير **فالصالحات** شروع فى تفصيل احوالهن وبيان
كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى والصالحات منهن **قانتات** اى مطيعات لله تع
قائمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة
الازواج من الفروج والاموال عن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال
اليها للاشعار بان مالهن حق التصرف فى حكم مالها كما فى قوله تع ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية
بما حفظ الله ما مصدرية اى بحفظه تع اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرى بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذى حفظ حق الله تع وطاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال **واللاتى تخافون نشوزهن** خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام
عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد
يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض
فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب **واهجروهن** بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة
فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايتات اى لا تبايتوهن وقرى فى المضجع وفى المضطجع **واضربوهن** ان لم ينجع ما فعلتم
من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن **فان اطعنكم** بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زجرا
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه فانه تع اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق
بالعفو عن ازواجكم عن اطاعتهن لكم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق او يفرض تحققه وانه
الذى يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك
صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها **وان خفتم شقاق بينهما** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الحكام واردة على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم الاطاعة

الاطاعة المؤدى الى المخاصمة والمواقعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر
واما لان كلا منهما فى شق اى فى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس ق
الجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى
الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف
اما على اجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق الليل او مجرى الفاعل كما فى قولك نهارك
صائم اى ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها **فابعثوا** اى الى الزوجين
لاصلاح ذات البين **حكما** رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح **من اهله** من اهل الزوج
وحكما آخر على صفة الاول **من اهلها** فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح
وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان
رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يختلعا ان كان الصلاح فيه **ان يريدا** اى الحكمان **اصلاحا** اى قصدا
اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله **يوفق الله بينهما** يوقع بين
الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما
الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق
بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير
عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق
على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان
قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح
ما بينهما من الشقاق اوقع الله تع بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما
يتحراه وفقه الله لمبتغاه **ان الله كان عليما خبيرا** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة
بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق
بحقوق الله تع التى هى آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها فى
سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او
على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا **وبالوالدين احسانا** اى احسنوا بهما
احسانا **وبذى القربى** اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك **واليتامى والمساكين**
من الاجانب **والجار ذى القربى** اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب
او دين وقرى بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى **والجار الجنب** اى البعيد
والذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار
من اهل الكتاب وقرى والجار الجنب **والصاحب بالجنب** اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قد جنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك وما
من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هى المرأة **وابن السبيل** هو المسافر المنقطع به او الضيف

ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما والموصول بدل من قوله تع من كان
او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون و
يصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته
عليه السلام التى بينها لهم فى التورية وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها
ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان
من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تع ومن كان كافرا بنعمته تع فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا
تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس للفخار وليقال ما
اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين
وانما شاركوهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انهما
طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على
اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب
فى المزدحم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تع ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه
وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره
واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها
لهم كما فى قوله تع ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن بهم فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
اى على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر
الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تع وطلب ثوابه البتة
اى وما الذى عليهم او اى تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم
على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب
لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان
بها لاهميته فى نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم
ايمانهم بها مع كون المؤخر انسب من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من
بخلهم وامرهم الناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم
المفروضة فهو بيان لاثابته تع اياهم لو كانوا آمنوا وانفقوا كما ينبغى عند قوله تعالى ان الله لا
يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول

المفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص من
الاجر ولا يزيد فى العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اى لا يظلم
ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة
فان دلالته فى القلة اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس ادخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال
كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اى وان تكن مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر
او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال
وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس
الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ
نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدى انه قال لابى هريرة رضى الله عنه
بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تع يعطى عبده المؤمن
بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفى الف حسنة
ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على نهج التفضل زائدا على ما وعده فى مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه
اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما
النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راى سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو
راى الاخفش اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا
جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد
وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى
الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدق
لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد
عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما فى قوله تع لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف
لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه
فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم
من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال
مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة
فهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول ح الجنس المنتظم للنبى صلى الله عليه وسلم
انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتقطيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى و
عصوا عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم فيدل على
ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذة وقيل هو حال من ضمير كفروا وقيل صلة
لموصول آخر اى يود فى ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا و
عصوا الرسول ولو فى قوله تع لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اى

يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم
والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف
لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره
اي لسروا بذلك وقوله تعالى **ولا يكتمون الله حديثا** عطف على يود اي ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم
لا يكتمون منه حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء يقال
سويته فتسوى **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**
اثر ما نهوا عما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا هنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبوا فانه روي
ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا
من الصحابة رضوان الله عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم
على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة
في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر
حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل
ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم عليها بالقوة
على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤنه في الصلوة تطويلا بلا طائل لان تلك الحيثية
انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤن حينئذ يكون عاريا عن الداعي
وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد
مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله فان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا
يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا
ما يقولون **ولا جنبا** عطف على قوله تعالى وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا
الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد
والجمع لجريانه مجرى المصدر **الا عابري سبيل** استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على
انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه معنى النهي
اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان في حالة السكر
ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة
على انتفاء خصوصية البعض المنفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا
كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة بل يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة
اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان دلالة الامر في ذلك انما

انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي جنبا
غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز به وجوز للجنب عبور المسجد
وبه قال الشافعي رضي الله عنه وعندنا لا يجوز له ذلك الا ان يكون الماء والطريق فيه وقيل ان رجالا
من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك
حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من
اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان
وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما
يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها
وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار
والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر
الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة ولذا قيل ولا جنبا الا مضطرين والمراد
ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء
مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله **او على سفر** عطف على مرضى اي
او كنتم على سفر طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من
الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله
باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه **او جاء احد منكم من الغائط** هو المكان
الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ممن يريده ان يذهب اليه ليتوارى بشخصه
عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى
ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله تعالى **او لامستم النساء**
على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها
ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ماء** بل هو السبب في
الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى
والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما
يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة
وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث
الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين
فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز
عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد
راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط او الملامسة معتبر في الكل مما
لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج
الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك
طهورا وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله لا بد من ان يتعلق باليد شيء من التراب **فا**
مسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه

بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفواً غفوراً تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما
فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسراً لا معسراً وقيل
هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيباً
من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من تتأتى
منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معاً للايذان بكمال شهرة شناعة
حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم
احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء لما تعلوه يأباه
مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام
وعنه ايضاً انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتب المنتظم لها انتظاماً اولياً تطويل
للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها
للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعاً وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من
حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طووه ذكره
في المعاملات المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف
وقع صفة لنصيباً مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيباً كائناً من الكتاب
قوله تعالى يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور
في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم وانت خبير بانه
خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه
الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة
ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور
والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلاً منه اخذاً
ناشئاً عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها
كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم
وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس
المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يتحقق معنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل
وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشأن النبي صلى الله عليه وسلم ونعته وحقية دينه وانه
هو النبي العربي المبشر به في التورية لا ريب في ان هذه الرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في
اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة
المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه
في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم

ان تضلوا انتم ايضاً ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم
جميعاً ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او
هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله ولياً في جميع اموركم
ومصالحكم وكفى بالله نصيراً في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا
بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى
لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في
مقام الاضمار لا سيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته تعالى في كل من
الولاية والنصرة والاشعار بعلتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا قيل هو
بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما
في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاماً اولياً
كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيراً اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه
ما فيه من تحجير واسع نصرته تعالى مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز
الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن
مواضعه صفته اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق
بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه
بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء
ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على
الثقة بالله تعالى والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم
المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل
اثر الاجمال روماً لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كنبق ونبقة وتذكير ضميره
باعتبار افراده لفظاً وجمع مواضع باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما
سيحكى من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله
عطفاً تفسيرياً لما ستقف على سره فان اريد به الاول فالمراد كما هو رأي الجمهور تحريفه اما التحريف عن مواضعه التي
وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التورية
بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه
الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه
ما يليق به مطلقاً سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحاً كمواضع ما في التورية او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره
واما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة
دون مادة بل ان يحمل ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه
ما نطقت به ألسنتهم عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على
مثل هذه الجناية وان لا يحمله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة

يستدعي اختصاص حكم الشرطية الابتدائية وما بعدها بهم من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم
المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر المودع في تامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة
سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا
للمخالفة وقوله تعالى **واسمع غير مسمع** عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك
في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع
حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فح
يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به
النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى
الاول مطمئنون به **وراعنا** عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له عليه السلام
هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في موقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير
بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى
ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك
ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسالك النفاق في القولين
الاخيرين مع تظاهرهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان
ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا
بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به **ليا بالسنتهم** اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه
الى سبيل السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير **وطعنا في
الدين** اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلة ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين
الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية
لاوين وطاعنين في الدين **ولو انهم** عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه **قالوا**
بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا واطعنا** انما اعيد سمعنا مع انه
متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على
اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه
والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه **واسمع** اي لو قالوا عند مخاطبته النبي
بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا
وفسادا اي ولو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال **لكان** قولهم ذلك **خيرا لهم** مما
قالوا **واقوم** اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل
عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم
على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن لم يقولوا
ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون** بعد
ذلك **الا قليلا** اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا
وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به

قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا
من الايمان وهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان التكليف بما يعقبه من الامر بالايمان
بالقرآن الناطق بهذا الافتضاح اي للتكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما
على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم
بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من آمن
بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لانتفائه بوقوع ايمان من لعنه الله
تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل يجعل ضمير المفعول في لعنهم اي
ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك
فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة
بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منه لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود
فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة الهدى وتوبيخهم بالتحريف وليس ما اوتوه بذلك كله
حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضه فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر
الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر
بالتوراة نفسها ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق
بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم فاطنب وهو
الاظهر واياما كان ففي تفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من
الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة
فقيل **آمنوا بما نزلنا** من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه
من عنده تعالى **مصدقا لما معكم** عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال
فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرير المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها
المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه
موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي
والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره
متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو
تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعي **من قبل ان نطمس وجوها** متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به و
في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وحيث لم يتعلق وقوع الموعد
بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على
شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وتنكير الوجوه المفيد للتكثير للتهويل للخطب وفي ابهامها

لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اى
آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنه نجعلها
كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل
نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها
مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى
موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى
مطلق التغيير اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا
وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى
انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف
في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده
ما روي ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يأتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي
وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي
ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان
يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وقيل
ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث
شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة آيته فحرفوها
واصروا على الكفر والضلال وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مآت
من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانينهم بعيد من حكمة
الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران
واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتأكيد نزول العذاب على الباقين
لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول
فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به
قوله تعالى **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني
كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان
المتبادر منه اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على
الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة تغايرهما عطف عليه على ان الموعود به
لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر
ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما نزل ولسنة الالسنة من اللعن المستمر
الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون محكا لهذا الوعيد او من مزجرة للعنيد وقيل انما كان
الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على
سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما
والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه

لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني
والله اعلم وايا ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة
المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير **وكان امر
الله** اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء **مفعولا** نافذا كائنا لا محالة فيدخل
فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال **ان الله لا يغفر ان
يشرك به** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان
استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله
تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون
سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على
اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل
وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا
وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن
اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا
ايمان مما يؤدي الى فتحه لان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان
لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **ويغفر ما دون ذلك** عطف على خبر ان وذلك اشارة الى
الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح
اي يغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل **لمن يشاء** اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط اي بما دونه فقط فان مغفرتها
لمن اتصف بهما سواء استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص
مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر وعن تعلق المشيئة
بكلي الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سواء الصواب كيف
لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة
مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما
بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان
ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به
فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع
الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه
من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود
جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال عليه السلام لا
قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم
فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير
مع استحالة ان يغفر للكافرين شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله

بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان
اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير
بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما
يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد عطفت هي على ما ذكر من الجمل لدلالة الحال عليها وايذانا
بانها غنية عن الذكر اى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا
اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير
يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب
كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل
يفترون وبه يتعلق على اى في اى حال او على اى حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان
شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب
اثر بيان تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف
بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول
الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم
قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة
كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب
مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه
تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكيتهم انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما
والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات [illegible]
وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بالتهويل من الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم لما ذكر من ايتاء الكتاب لما مر من ان ذلك لما لا صدر عنهم
من القبائح وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال
ينساق اليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل
ما عبد من دون الله تعالى وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت
الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن
اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا
على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا
انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام
محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم
قال نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى
سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى
من الذين آمنوا سبيلا اى اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من

قبيل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين
بافتح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب ذكرهم للاشعار ببعد
منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اى ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة
مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب
دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي
كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه
بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي
بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة
وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم
نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا
ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم
الحرمان منه بسبب ما هم من البخل والدناءة لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل
ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل
لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس منه نقيرا وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في
القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك
بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اى لعده
منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى ألهم نصيب
وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع
ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن
تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة
عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون
الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل
واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى
والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلائمه
ذكر الحديث الى ابرهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في
استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود
منهم فلما خص الله تعالى تلك الكرامة بغيرهم حسدوهم اى بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله
يعني النبوة والكتاب وازديادا العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار
الاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم
عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام
على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية
القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء
اعمامه الكتاب والحكمة اى النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعد

اى يبعدهم عن رحمته و

وتهم

الله عليه وسلم

بنوته عليه السلام وبجسده ونعلى ابنائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة و
النبوة من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بال ابرهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير
المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم
قال ابن عباس رضي الله عنه الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد
به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة واللائق بالمقام والاوفق لما قبله من ايتاء الفضل الى الناس فالمراد
بال ابرهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره
واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من
تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة
التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن
اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس
هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي ال ابرهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضمير لمن
ذكر من حديث ال ابرهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث
المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع
الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم
بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد
كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الخ تعليلا
له بدلالته على اعراضهم عما اوتي ال ابرهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا ال ابرهيم ما
آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل
لما قبلها ان الذين كفروا باياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد
بالايات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم
تناولا اوليا فالمراد بالايات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم السلام
سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين
وقد تذكران في الوعد فيفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم
اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا
لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا
مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في
محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما
نضجت فيها جلودهم فقوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس
يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه
فقال للقاري اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل

في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال الحسن تاكلهم
النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة
انه قال صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده
مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه
لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة
تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل
الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب ودوامه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على
حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد
ان تكون مصونة عن التالم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه
ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء
والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان
الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة
ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا باياتنا وعملوا
بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء
ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب
في سندخلهم وقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية
والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على
انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا
اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل
صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على
سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من
الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه
المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار
سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق
عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج
ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه
فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى في شانك قرآنا
فقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام

واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد
الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها
كما ان قوله تعالى **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم
الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به هنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه
لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا وقوله تعالى ان تحكموا عطف على تؤدوا وقد فصل بين
العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين والمقدر بدل هو عليه عند البصريين لان ما
بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا
او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف **إن الله نعما يعظكم به** ما اما منصوبة
موصوفة به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء
لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة **إن الله كان سميعا** لاقوالكم **بصيرا** بافعالكم
فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد **يا أيها الذين**
آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومة
امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا استقلالا بل في ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء
الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول
في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله** اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها
على ما قبلها فان بيان حكم الطاعة لاولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه
الى كتاب الله **والرسول** اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته
كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده
الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب
وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** متعلق بالامر الاخير الوارد
في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة
بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك
اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفة **ذلك** اي
الرد المامور به **خير لكم** واصلح **وأحسن** في نفسه **تأويلا** اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته على احسنيته
في نفسه لما ان مدار تعلق اغراضهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل
في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق **ألم**
تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعجيبه من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله
ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وما انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح
ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله تعالى
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشأ عن صدر الكلام
كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا
فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال اليهودي قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج
اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم
اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق
دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين قريظة والنضير
فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن
الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه
مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه
هذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه يقتضي كونهم من منافقي اليهود ويقتضي
كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه
المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى **وقد أمروا أن يكفروا به** كونهم مامورين بكفره في الكتابين
وما ذلك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولاية الشيطان كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال
من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله تعالى **ويريد الشيطان**
أن يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم
واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف
الزوائد كما في قوله تعالى فانبته الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول
عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا بعيدا ما كان توصيفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله
تعالى **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول** تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا
عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا
بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في
آية ان اصلها ايية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول
اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني • أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا • تعالي
اقاسمك الهموم تعالي • **رأيت المنافقين** اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق

وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى **يصدون عنك** حال من المنافقين وقيل
الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى **صدوداً** مصدر
مؤكد لفعله اى يعرضون عنك اعراضاً اى اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذى هو الصد والاظهر
انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدى يقال صد عنه صدوداً اى اعرض عنه وصده عنه
صداً اى منعه عنه وقوله تعالى **فكيف** شروع فى بيان غائلة جناياتهم المحكية وحامة عاقبتها اى
كيف يكون حالهم **اذا اصابتهم مصيبة** اى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم
بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض
عن حكمك **ثم جاؤك** للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم
وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار **يحلفون
بالله** حال من فاعل جاؤك **ان اردنا الا احساناً وتوفيقاً** اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك
الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك فلا تؤاخذنا
بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم
الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا الا ما اراد صاحبنا
المقتول بالتحاكم الى عمر رضى الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه **اولئك** اشارة الى المنافقين
وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره **الذين يعلم الله
ما فى قلوبهم** اى من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب **فاعرض
عنهم** جواب شرط محذوف اى اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم ولا
تظهر لهم علمك بما فى بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر **وعظهم** اى ازجرهم عن
النفاق والكيد **وقل لهم فى انفسهم** فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التى يعلمها الله
تعالى او فى انفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً بالنصيحة لانها فى السر انجع **قولاً بليغاً** مؤثراً واصلاً
الى كنه المراد مطابقاً لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق
ببليغاً على رأى من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اى قل لهم قولاً بليغاً فى انفسهم مؤثراً
فى قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال
والايذان بان ما فى قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب
لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن
اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب **وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله** كلام مبتدأ جئ به تمهيداً لبيان خطائهم فى الاشتغال
بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اى وما ارسلنا رسولاً من الرسل لشئ من
الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى
فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله
تعالى وتوفيقه فى طاعته **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** بعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك
طاعتك والتحاكم الى غيرك **جاؤك** من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك فى التنصل
عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل

الباطل والايمان الفاجرة **فاستغفروا الله** بالتوبة والاخلاص وبالغوا فى التضرع اليك حتى انتصبت
شفيعاً لهم واستغفرت لهم وانما قيل **واستغفر لهم الرسول** على طريقة الالتفات تفخيماً لشأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على ان شفاعته فى حيز القبول **لوجدوا
الله تواباً رحيماً** لعلموه مبالغاً فى قبول التوبة والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة
كان قوله تعالى تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه او حالاً من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب
للسامعين فى المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم وتلك للمنافقين على ما صنعوا لما
انطوى تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما بعينه زائدة عليهما موجبة
لكمال الرغبة فى تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها **فلا وربك** اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى
القسم لا لتأكيد النفى فى جوابه اعنى قوله **لا يؤمنون** لانها تزاد فى الاثبات ايضاً كما فى قوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره **حتى يحكموك** اى يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جئ بصيغة
التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه وتعالى ايذاناً بان حقهم ان يجعلوه صلى الله عليه وسلم
حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكماً على الاطلاق **فيما شجر بينهم** اى
فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا** عطف على
مقدر ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا **فى انفسهم حرجاً** ضيقاً **مما قضيت** اى
مما قضيت به او من قضائك وقيل شكاً من اجله فان الشاك فى ضيق من امره **ويسلموا** اى ينقادوا
لامرك ويذعنوا له **تسليماً** تأكيد للفعل بمنزلة تكريره اى تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم يقال
سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اى ينقادوا
لحكمك انقياداً لاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل فى شأن الزبير
ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها
النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال لان كان ابن عمتك فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسل الى جارك كان قد اشار على الزبير برأى فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله
استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصارى قضى
لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله
ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة فى حياة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة
منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفاً فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن
قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو امرنى محمد ان اقتل نفسى لقتلتها وروى انه قال ذلك
ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
ان من امتى رجالاً الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى فنزلت فى شأن هؤلاء **ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم** اى ولو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على
بنى اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا فى معنى امرنا **ما فعلوه** اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدرى الفعلين **الا قليل
منهم** اى اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال والله لو امرنا

ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم عرضوها بالقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد **لكان** اي فعلهم ذلك **خيرا لهم** عاجلا واجلا **واشد تثبيتا** لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه واشد تثبيتا لثواب اعمالهم **واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم فان اذا جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما** يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول** كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه هم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فاولئك** اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره **مع الذين انعم الله عليهم** والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه **من النبيين** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عليه السلام لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له صلى الله عليه وسلم قليل الصبر فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واذا دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وروي ان انسانا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عليه السلام المرء مع من احب **والصديقين** اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق رضي الله عنه **والشهداء** الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته **والصالحين** الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في

في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة **وحسن اولئك رفيقا** الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى **الفضل** صفته وقوله **من الله** خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله **يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم** الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والاخذ مجاز اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو **فانفروا** بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم **ثبات** جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثاب يثوب اي رجع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية **او انفروا جميعا** اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة **وان منكم لمن ليبطئن** لتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما ابطا ابن ابي الناس عن الجهاد يوم احد واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه **قد انعم الله علي** اي بالقعود **اذ لم اكن معهم شهيدا** اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لشيء ينتظر المبطئ وقوعه **ولئن اصابكم فضل** كفتح وغنيمة **من الله** متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم

اوفی والمزبه اتهم فیها اظهر **لیقولن** ندامة علی تثبطه وقعوده وتهالکا علی حطام الدنیا وتحسرا
علی فواته وقرئ لیقولن بضم اللام اعادة للضمیر الی معنی من وقوله تعالی **کأن لم یکن بینکم**
وبینه مودة اعتراض وسط بین الفعل ومفعوله الذی **یا لیتنی کنت معهم فأفوز فوزا عظیما**
ایذانا بان ذلک لیس من مطلع کلامه ان تمنیه لمعیة المؤمنین لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما یقتضیه ما فی البین
من المودة بل هو للحرص علی المال کما ینطق به آخره ولیس اثبات المودة فی البین بطریق التحقیق
بل بطریق التهکم وقیل الجملة التشبیهیة حال من ضمیر لیقولن ای یقولن مشبها بمن لا مودة بینکم
وبینه وقیل هی داخلة فی المقول ای لیقولن المثبط لمن یثبطه من المنافقین وضعفة المؤمنین
کأن لم یکن بینکم وبین محمد صلی الله علیه وسلم مودة حیث لم یستصحبکم فی الغزو حتی تفوزوا
بما فاز یا لیتنی کنت معهم وغرضه القاء العداوة بینهم وبینه علیه السلام وتأکیدها وکأن مخففة من
الثقیلة واسمها ضمیر الشأن وهو محذوف وقرئ لم یکن بالیاء والمنادی فی یا لیتنی محذوف ای
یا قوم وقیل یا لمطلق التنبیه علی الاتساع وقوله تعالی فأفوز نصب علی جواب التمنی وقرئ
بالرفع علی تقدیر مبتدأ محذوف ای فأنا أفوز فی ذلک الوقت او علی انه معطوف علی کنت
داخل معه تحت التمنی **فلیقاتل فی سبیل الله** قدم الظرف علی الفاعل للاهتمام به **الذین**
یشرون الحیوة الدنیا بالآخرة ای یبیعونها بها وهم المؤمنون والفاء جواب شرط
مقدر ای ان بطأ هؤلاء عن القتال فلیقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فی طلب الآخرة او الذین
یشترونها ویختارونها علی الآخرة وهم المبطئون والفاء للتعقیب ای لیترکوا ما کانوا علیه من
التثبط والنفاق ولیعقبوا بالقتال فی سبیل الله **ومن یقاتل فی سبیل الله فیقتل او یغلب**
فسوف نؤتیه بنون العظمة التفاتا **اجرا عظیما** لا یقادر قدره وتعقیب القتال باحد
الامرین للاشعار بان المجاهد حقه ان یوطن نفسه باحدی الحسنیین ولا یخطر بباله القسم
الثالث اصلا وتقدیم القتل للایذان بتقدمه فی استتباع الاجر روی ابو هریرة رضی الله عنه
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال تکفل الله لمن جاهد فی سبیله لا یخرجه الا جهاد فی سبیله
وتصدیق کلمته بان یدخله الجنة او یرجعه الی مسکنه الذی خرج منه مع ما نال من اجر او غنیمة
وما لکم خطاب للمأمورین بالقتال علی طریقة الالتفات مبالغة فی التحریض علیه وتأکیدا
لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله تعالی **لا تقاتلون فی سبیل الله** حال عاملها ما فی الظرف
من معنی الفعل والاستفهام للانکار والنفی ای ای شیء لکم غیر مقاتلین ای لا عذر لکم فی ترک المقاتلة
والمستضعفین عطف علی اسم الله ای فی سبیل المستضعفین وهو تخلیصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او علی السبیل بحذف المضاف ای فی خلاص المستضعفین ویجوز نصبه علی الاختصاص
فان سبیل الله یعم ابواب الخیر وتخلیص ضعفة المؤمنین من ایدی الکفرة اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بیان للمستضعفین او حال منهم وهم المسلمون الذین بقوا
بمکة لصد المشرکین او ضعفهم عن الهجرة مستذلین ممتحنین وانما ذکر الولدان معهم تکمیلا
للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبیها علی تناهی ظلم المشرکین بحیث بلغ اذاهم الصبیان
ارغاما لآبائهم واهانة بهم وابانة لحاجة الدعاء الی الاجابة واقتراب زمان الخلاص ببرکة اشراکهم
فی التضرع الی الله تعالی کل ذلک للمبالغة فی الحث علی القتال وقیل المراد بالولدان العبید والاماء

والولدان جمع ولید **الذین** محله الجر علی انه صفة للمستضعفین او لما فی حیز البیان او النصب علی الاختصاص
یقولون ربنا اخرجنا من هذه القریة الظالم اهلها بالشرک الذی هو ظلم عظیم وبأذیة المسلمین
وهی مکة والظالم صفتها وتذکیره لتذکیر ما اسند الیه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جری علی غیر من
هو له کان کالفعل فی التذکیر والتأنیث بحسب ما عمل فیه **واجعل لنا من لدنک ولیا** کلا الجارین
متعلق باجعل لاختلاف معنییهما وتقدیم المجرور علی المفعول الصریح لاظهار الاعتناء به وابراز
الرغبة فی المؤخر بتقدیم احواله فان تأخیر ما حقه التقدیم عما هو من احواله المرغبة فیه کما یورث
شوق السامع الی وروده ینبئ عن کمال رغبة المتکلم فیه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقدیم اللام
علی من للمسارعة الی ابراز کون المسئول نافعا لهم مرغوبا فیه لدیهم ویجوز ان یتعلق کلمة من بمحذوف
وقع حالا من ولیا ای ولیا کائنا من لدنک وکذا الکلام فی قوله تعالی **واجعل لنا من لدنک**
نصیرا قال ابن عباس رضی الله عنهما یریدون اجعل علینا رجلا من المؤمنین یوالینا ویقوم بمصالحنا ویحفظ علینا دیننا وشرعنا
وینصرنا علی اعدائنا ولقد استجاب الله تعالی دعاءهم حیث یسر لبعضهم الخروج الی المدینة وجعل
لمن بقی منهم خیر ولی واعز ناصر ففتح مکة علی یدی نبیه علیه السلام فتولاهم ای تولی ونصرهم ای نصر
ثم استعمل علیهم عتاب بن اسید فحماهم ونصرهم حتی صاروا اعز اهلها وقیل المراد واجعل
لنا من لدنک ولایة ونصرة ای کن انت ولینا وناصرنا وتکریر الفعل ومتعلقیه للمبالغة فی التضرع
والابتهال **الذین آمنوا یقاتلون فی سبیل الله** کلام مبتدأ سیق لترغیب المؤمنین فی القتال وتشجیعهم
ببیان کمال قوتهم بامداد الله تعالی ونصرته وغایة ضعف اعدائهم ای المؤمنون انما یقاتلون فی دین
الله الحق الموصل لهم الی الله تعالی وفی اعلاء کلمته فهو ولیهم وناصرهم لا محالة **والذین کفروا یقاتلون**
فی سبیل الطاغوت ای فیما یوصلهم الی الشیطان فلا ناصر لهم سواه والفاء فی قوله تعالی **فقاتلوا اولیاء**
الشیطان لبیان استتباع ما قبلها لما بعدها وذکرهم بهذا العنوان للدلالة علی ان ذلک نتیجة
لقتالهم فی سبیل الشیطان والاشعار بان المؤمنین اولیاء الله تعالی لما ان قتالهم فی سبیله وکل
ذلک لتأکید رغبة المؤمنین فی القتال وتقویة عزائمهم علیه فان ولایة الله تعالی علم فی العز
والنوق کما ان ولایة الشیطان مثل فی الذلة والضعف کأنه قیل اذا کان الامر کذلک فقاتلوا
یا اولیاء الله اولیاء الشیطان ثم صرح بالتعلیل فقیل **ان کید الشیطان کان ضعیفا** ای فی
حد ذاته فکیف بالقیاس الی قدرة الله تعالی الذی یتمسک به اولیاؤه ولم یتعرض لبیان قوة جنابه تعالی ایذانا بظهورها قالوا
فائدة ادخال کان فی امثال هذه المواقع التأکید ببیان ان کیده منذ کان کان موصوفا بالضعف فالمعنی ان کید
الشیطان منذ کان کان موصوفا بالضعف **الم تر الی الذین قیل لهم کفوا ایدیکم** تعجیب
لرسول الله صلی الله علیه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم کانوا قبل ذلک راغبین فیه حراصا علیه
بحیث کادوا یباشرونه کما ینبئ عنه الامر بکف الایدی فان ذلک مشعر بکونهم بصدد بسطها الی العدو
بحیث یکادون یسطون بهم قال الکلبی ان جماعة من اصحاب النبی صلی الله علیه وسلم منهم عبد الرحمن
بن عوف الزهری والمقداد بن الاسود الکندی وقدامة بن مظعون الجمحی وسعد بن ابی وقاص الزهری
رضی الله عنهم کانوا یلقون من مشرکی مکة قبل الهجرة اذی شدیدا فیشکون ذلک الی رسول الله
ویقولون ائذن لنا فی قتالهم ویقول النبی صلی الله علیه وسلم کفوا ایدیکم **واقیموا الصلوة**
فانی لم اؤمر بقتالهم والمعول علیه ان القائل هو النبی صلی الله علیه وسلم للایذان بکون ذلک

بأمر الله سبحانه وتعالى ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجب إنما هو كمال رغبتهم في القتال و
كونهم بحيث احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حيز الصلة الأمر بكف الأيدي لتحقيقه وتصويره
على طريقة الكناية فلا يتعلق بهما خصوصية الأمر غرض وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على
تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة
بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا لشك في الدين ولا لرغبة عنه بل نفورا عن الإخطار
بالأرواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله فلما كتب عليهم القتال الخ
وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي
المعطوفين وعليه يدور أمر التعجب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب
عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على أن فريق مبتدأ
ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعتهم إلى
الخشية إثر ذي أثر من غير تلعثم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم
ولعل توجيه التعجب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأن ما كان ينبغي أن يصدر
عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف إلى المفعول محله
النصب على أنه حال من فاعل يخشون أي يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله تعالى وقوله تعالى
أو أشد خشية عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل
الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده أي يخشونهم خشية مثل خشية الله أو خشية أشد
خشية من خشية الله وأياما كان فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله
وخشية بعضهم أشد منها وإما للإبهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو
يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون وقالوا ربنا عطف على جواب لما أي فلما
كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت
لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإنكار لإيجابه بل على طريق تمني التخفيف لولا أخرتنا
إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذرا عن الموت ويحتمل أن يكون
هذا مما نطقت به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا قل أي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود
من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا قليل سريع التقضي و
شيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل والآخرة أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال
خير أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل لمن اتقى
حثا على اتقاء العصيان والإخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام أي تجزون فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شأن
القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ
يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من أينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مستأنف
مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المخاطبين
اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته صلى الله عليه وسلم فلا
محل له من الإعراب أو في محل النصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر والسفر

والسفر يدرككم الموت الذي تكرهون القتال زعما منكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه
منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على
حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها أي على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما
تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل بلا تظلمون أي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم
أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة
أو قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه وقرئ
مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا
رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه أي لو كنتم في
بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج مشيدة
ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود
المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية من التأكيد والمبالغة
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وإن تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة
في اشتمالهما على إسناد ما يكرهونه إلى بعض الأمور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين
روي أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم إلى الإيمان
فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم
هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي وإن
تصبهم نعمة ورخاء نسبوها إلى الله تعالى وإن تصبهم بلية من جدب وغلاء أضافوها إليك كما حكي عن أسلافهم
بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يرد زعمهم
الباطل ويرشدهم إلى الحق ويلقمهم الحجر ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذ لا يجترئون
على معارضة أمر الله تعالى حيث قيل قل كل من عند الله أي كل واحدة من النعمة والبلية من
جهة الله تعالى خلقا وإيجادا من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منها بوجه من الوجوه كما تزعمون
بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي
وهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على أسلافهم من قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله أي إنما سبب خيرهم
وشرهم أو سبب إصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا
به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعيير
بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون
يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار أي وحيث كان
الأمر كذلك فأي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثا أو استئناف مبني على سؤال
نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم ماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا يكادون
يفقهون حديثا من الأحاديث فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه
وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه
تعالى بطريق التفضيل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم

لعنة
فقين
هم

في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ولم يسند جناياتهم الى غيرهم وقوله
تعالى ما أصابك من حسنة بيان للجواب المجمل المأمور به واجراء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
ثم سوق البيان من جهته تعالى بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل واحد من الناس والالتفات
لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة
بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين
اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب
لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما
فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا
عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا وما أصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال
السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما
بمثل هذه الحكمة الانيقة وأرسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه عليه السلام ومكانته عند الله
تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق
والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط
كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون
مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي
بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص
الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من
يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته عليه السلام اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان
كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى وانما هو عليه السلام مبلغ للامر والنهي فمرجع
الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع
الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد
غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون
الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام
بل خصيصة رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية
وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام
في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل
له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ

عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه
رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع
في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم
بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات
كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين
وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق
او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لان تدبير الامور وتدبيرها بالليل يقال هذا امر بيت
بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقي
وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي
يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليك فيجدون
بذلك الى الاضرار بهم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية
فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية
ما قبلها لما بعدها كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار
بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه
على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه أفلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح
لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله
والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف
على مقدر اي ايعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما
فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه
ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون
اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث
كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان
ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان
الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وقال ابو بكر الاصم هؤلاء المنافقون كانوا يتواطؤون في السر على انواع
كثيرة من الكيد والمكر وكان الله يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ويخبره بها مفصلة
فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما
لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل
الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان يكون بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء
المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب قال لعل ذكره ههنا
للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح

المقتضى لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** يقال
اذاع السر واذاع به اى اشاعوه وافشوه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم فى بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم
المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحى اليه
وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه
ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا
يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل **ولو ردوه** اى
ذلك الامر الذى جاءهم **الى الرسول** اى عرضوه على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما
ينبغى له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه عليه السلام
والى اولى الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء فى الامور رضى الله عنهم **لعلمه** اى لعلم الرادون
معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل **الذين يستنبطونه منهم** للايذان بانه
ينبغى ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى لعلمه اولئك الرادون
الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
واولى الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا فى حقه ما فعلوه ولم يقع فيه ما
وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكايدها فكلمة من فى منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره
بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء
فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من افواه المنافقين شيئا عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا
على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل
هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولى
الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وسياق النظم الكريم ليس باب عن تلك
الطائفة وسوقه يبرهم ان زيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب فى قوله تعالى **ولولا فضل
الله عليكم ورحمته** للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى ولولا فضله تعالى عليكم
ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذى هو المراجعة فى مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم
واولى الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا
الى سنن الصواب **الا قليلا** وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون فى معرفة
احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتب

الكتب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى
به الى طريق الحق والصواب اذ عصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادى وزيد بن عمرو
بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة
النصرة والظفر بالاعداء اى ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان
وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل
المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة
آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا **فقاتل فى سبيل الله** تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق
اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين
فى مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى **لا تكلف الا
نفسك** اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه
من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام
ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل فقاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف
بالجزم على النهى وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى لا نكلف الا فعل نفسك لا على
معنى لا نكلف احدا الا نفسك **وحرض المؤمنين** عطف على الامر السابق داخل فى حكمه فان كون
حال الطائفتين كما حكى سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على
الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كأنه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به
اى رغبهم فى القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لما انه ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف
بأس الذين كفروا** عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان
ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته تعالى وقد كان ذلك حيث روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعد اباسفيان يوم حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعى الناس
الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا ووافوا
الموعد والقى الله فى قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروى ان رسول الله صلى الله عليه
وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر
فى سورة آل عمران **والله اشد بأسا** اى من قريش **واشد تنكيلا** اى تعذيبا وعقوبة
تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد
وقوله تعالى **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** اى من ثوابها جملة مستأنفة سيقت
لبيان ان له عليه السلام فيما امر به فى تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هى التوسط
بالقول فى وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك
من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت فى امر مشروع
روعى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واى منفعة
اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه صلى الله عليه وسلم على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية

وای مرء اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيه الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وتعالى وعليه مساق آية التحية الآتية روى انه عليه السلام قال من دعى لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود
ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة **يكن له كفل منها** اى نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء **وكان الله على كل شيء مقيتا** مقتدرا من اقات الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم بتحية** ترغيب في فرد شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اى اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين **فحيوا باحسن منها** اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله اى اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اى اجيبوها بمثلها روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم من المسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة السلام ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيا

الزيادة وقيل التحية باحسن عند كون المسلم مسلما وردها بمثلها عند كونه كافرا **ان الله كان على كل شيء حسيبا** فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم **الله لا اله الا هو** مبتدأ وخبر وقوله **ليجمعنكم الى يوم القيمة** جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله **لا ريب فيه** اى في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اى جمعا لا ريب فيه **ومن اصدق من الله حديثا** انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف والكذب محال عليه سبحانه دون غيره **فما لكم** مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى **في المنافقين** متعلق اما بما تعلق به الخبر اى شيء كائن لكم فيهم او في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى **فئتين** من معنى الافتراق اى فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اى كائنين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في انتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اى فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سياتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين **والله اركسهم** حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وقوع التنافي بينه وبين ما عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اى اى شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله ردهم في الكفر كما كانوا **بما كسبوا** اى بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اى بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم الى النار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم مخففا **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية

من اضله الله تع وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وا
رادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز
الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكارها ببيان
انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله تع
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له
سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى
ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن
المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم
الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط
هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فيجوز ان يكون
الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستانف
مسوق لبيان غلوهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على
المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا
مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على
تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على
بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا
تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع الاولياء لمراعاة جمع المخاطبين فان المراد نهي
ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا
توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر
بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من
الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم
يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال
بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار
مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة
اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان
احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال المؤمنين
او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم
والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان
كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقد جاؤكم بغير عاطف
على انه صفة او بيان لجاؤكم او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه

قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو
حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج
جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي من ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم
عليكم جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل و
نظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا
كالطائفة الاولى اي لو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة
الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من
الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما
علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله تعالى والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن
قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم
تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم
ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى
الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير
فان لم يعتزلوكم بالتعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي لم يلقوا اليكم الصلح و
العهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اي تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر
واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اي
ما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما
يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما
كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه مفعول له اي ما كان
له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا
والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي و
الاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل
والى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع
الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه
فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد
بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك
على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه

هم

نا

دم

رجليه كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك
خاليا أن أقتلك وقدم مكة على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك
وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فانحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت **ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة** أي فعليه أو فموجبه تحرير رقبة أي إعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس
مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة **ودية مسلمة إلى أهله** مؤداة إلى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن
أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها **إلا أن يصدقوا** أي يتصدق أهله عليه سمي العفو عنها
صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ
إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم
عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القاتل
فإن كان أي المقتول **من قوم عدو لكم** كفار محاربين **وهو مؤمن** ولم يعلم به القاتل لكونه بين
أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات ولأنهم
محاربون **وإن كان** أي المقتول المؤمن **من قوم** كفرة **بينكم وبينهم ميثاق** أي عهد موقت
أو مؤبد **فدية** أي فعلى قاتله دية **مسلمة إلى أهله** من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل تقديم هذا
الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق
وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل إفراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله
تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه
كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي والمعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا توريث
بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومها **فمن لم يجد** أي رقبة لتحريرها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل
به إليها من الثمن **فصيام** أي فعليه صيام **شهرين متتابعين** لم يتخلل بين يومين من أيامها إفطار
توبة نصب على أنه مفعول له أي شرع لكم ذلك توبة أي قبولا لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته
أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أي تاب عليكم توبة وقيل على أنه من الضمير المجرور في عليه بحذف
المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة
أي كائنة منه تعالى **وكان الله عليما** بجميع الأشياء التي من جملتها حاله **حكيما** في كل ما شرع
وقضى من الشرائع والأحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** لما بين
حكم القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا أن حكمه الدنيوي لما
بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الأخروي روي أن مقيس بن صبابة الكناني وكان قد
أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له
القصة فأرسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم
بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله
ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا
كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال أتقبل دية أخيك فيكون مسبة عليك

اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم
ركب بعيرا من الإبل واستاق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا وهو يقول: قتلت به فهرا وحملت عقله
سراة بني النجار أصحاب فارع • وأدركت ثأري واضطجعت موسدا • وكنت إلى الأوثان أول راجع
فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار
الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كأنه فر من توالي
الحركات **فجزاؤه** الذي يستحقه بجنايته **جهنم** وقوله تعالى **خالدا فيها** حال مقدرة من فاعل فعل
مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من
مفعول جازاه وأيد ذلك بأنه أن يعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ما فيه
أو للعطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة
وظاهر أن كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها
أو جازاه بطريق الإخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى **وغضب الله عليه** فمعطوف على مقدر
يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بأن
جزاءه ذلك وغضب عليه أي انتقم منه **ولعنه** أي أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو
وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور
ونظائره أي فجزاؤه جهنم وأن يغضب الله عليه الخ **وأعد له** في جهنم **عذابا عظيما**
لا يقادر قدره ولما ترى في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق
والإرعاد وقد تأيدت بما روي من الأخبار الشداد كقوله عليه السلام والذي نفسي بيده
لزوال الدنيا عند الله تعالى أهون من قتل مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا قتل
بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وقوله صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مؤمن بشطر
كلمة جاء يوم القيامة آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في
خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من أنها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة
وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة
بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا
وكذا ما روي عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة
الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه حمل ما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس أن رجلا سأله ألقاتل
المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذاك كذا ولهذا كذا
قال كان الأول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس
وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فإن شاء
عذبه وإن شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال جزاؤه إن جازاه وبه قال
عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك
القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والأصل في ذلك أن الله

تعالى يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه ولم
في حديث انس رضي الله عنه قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمله عقابا فهو
بالخيار والتحقيق ان لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لان اخباره تعالى بان جزاءه
ذلك لا يستلزم جزاءه به كيف وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا
بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اريد بيان حكم
القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من
قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم في الغزو ولما في اذا من معنى الشرط
صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه
بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثبات وقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام
نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير
الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن ألقى اليكم مقاليد
الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه
وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخريين والاقتصار على ذكر
تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة
في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة
والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا
حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا
الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال
كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن
ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم
عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور
ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة
المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما
الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك
الذي ألقى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه من تحية الاسلام
ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم
والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله
بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر
والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأن الجليل ومن حسب ان المعنى
اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان
صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في

المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال
حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه
في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه لضرورة اتفاقهم واظهار لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منه
تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين
دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم
الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول تحصنت دماؤكم
واموالكم حتى يتأتى البناء وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على
اساس واه كيف لا وانما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه
في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق
ان يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه
في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله
في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله
نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا به نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار
اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه لسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن
نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا
وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قاله خوفا من
السلاح فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله
استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قالها اسامة فما زال عليه السلام يعيدها حتى وددت اني
لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال لرسول الله كنا
نطالب القوم وقد هزمهم الله تعالى فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن
قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم
بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق
الاستئناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي القا
عدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعدما مر
بدو تحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة
في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي
هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل
من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال ان لم يكن للمتخلفين
يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين

من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة
لما سيأتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة حيث لم
يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة
للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن
الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته
السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا
يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون اريد بهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل
لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا التقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم
وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع
السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ
عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر
وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف
مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته
وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير
حالهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس
ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة
واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره واللام في المجاهدين والقاعدين للعهد
فلا يكون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على
المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل
على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا
مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تأكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس
رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد
الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين
عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين للجنس [illegible] عن ذكر القعود التي ركت على
سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر واثابة على ما
هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى
الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي

اي نفضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله
تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة
منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا
وقال السدي هي سبعمائة درجة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض
ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كأنه
قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس
من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون
ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون
انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف
المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما
يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين
الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريق الابهام ثم التفسير روما لمزيد
التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها
ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا
وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة
فقيل ما قيل ولله دره شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات
على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر
الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية
الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل
وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر
ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول
والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم
مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا
يقول بذلك فلدلالة عبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم
في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت
جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان
في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم
بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله
تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء
والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم
درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما

تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة **ان الذين توفاهم الملائكة** بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرا توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيستوفونها **ظالمي انفسهم** حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة **قالوا** اي الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك **فيم كنتم** اي في اي شيء كنتم من امور دينكم **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجد على زعمهم **كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها **قالوا** ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعل من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم فيرده ان سبب العجز لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم توبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فردوا عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة **فاولئك** الذين حكيت احوالهم الفظيعة **ماواهم** اي في الاخرة **جهنم** كما كان ماواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه وهو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه **وساءت مصيرا** اي مصيرهم او جهنم وفي الاية الكريمة ارشاد الى المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام **الا المستضعفين** استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى **من الرجال والنساء والولدان** متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر

ظاهرا واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل **فاولئك** اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز **عسى الله ان يعفو عنهم** جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعدها تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا **وكان الله عفوا غفورا** تذييل مقرر لما قبله **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا** ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم **وسعة** اي من الرزق **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت** اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله** اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي في المدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد ونحو ذلك فهي هجرة الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم **وكان الله غفورا** مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورة من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجرة وترغيب لديها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة **فليس عليكم جناح** اي حرج ومأثم **ان تقصروا** اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اذا جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى **من الصلاة** ينبغي ان يكون مفعولا

لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الأخفش وإما على تقدير أن تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا
كما هو رأي سيبويه أي شيئا من الصلوة فينبغي أن يصار إلى وصف الجزء بوصف الكل أو يراد بالقصر
معنى الحبس يقال قصرت الشيء إذا حبسته ويراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضها وهي
الرباعيات أي فليس عليكم جناح في أن تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الإقصار
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وأدنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند أبي حنيفة رحمه الله
مسيرة ثلاثة أيام ولياليها بسير الإبل ومشي الأقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين
وظاهر الآية الكريمة التخيير وأفضلية الإتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها أنها أتمت تارة وقصرت أخرى وعن عثمان رضي الله عنه
أنه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا أن بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم
رخصة إسقاط بحيث لا مساغ للإتمام لا رخصة ترفيه إذ لا معنى للتخيير بين الأخف والأثقل
وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم أجمعين وبه قال الحسن وعمر
بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن أنس رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه
ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر إلا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال
أتموا فإنا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود أن عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى أربع ركعات
استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه
بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان
وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه بأنه تأهل بمكة وعن الزهري أنه إنما أتم لأنه أزمع الإقامة
بمكة وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في
السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري أنها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين
ركعتين في السفر والحضر فأقرت صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر وأما ما روي عنها من الإتمام
فقد اعتذرت عنه وقالت أنا أم المؤمنين فحيث حللت فهي داري وإنما ورد ذلك بنفي الجناح
لأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم
لتطيب نفوسهم ويطمئنوا إليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما
مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله وقوله تعالى إن خفتم أن
يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه
من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة
الخوف المؤداة بالجماعة وأما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على
مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا إلى يعلى ابن أمية
أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما قال الله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه
فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته

وفيه دليل على جواز الإكمال لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد كما
حقق في موضعه ولا يتوهم أنه مخالف للكتاب لأن التقييد بالشرط عندنا إنما يدل على
ثبوت الحكم عند وجود الشرط وأما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فإن وجد له دليل ثبت عنده
أيضا وإلا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من
الأدلة الواضحة وأما عند القائلين بالمفهوم فلأنه إنما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط
إذا لم يكن له فائدة أخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الأغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا بل نقول إن الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر
وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب المنوط به القصر في حال
الأمن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لإجمال
الكتاب وقد قيل إن قوله تعالى إن خفتم متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله
فإنه روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم
جناح أن تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل إن خفتم
الخ أي إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح وقرئ من الصلوة أن يفتنكم بغير إن خفتم على أنه
مفعول له لما دل عليه الكلام كأنه قيل شرع لكم ذلك كراهة أن يفتنكم الخ فإن استمرار الاشتغال
بالصلوة مظنة لاقتدارهم على إيقاع الفتنة وقوله تعالى إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر أو لما فهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فإن كمال عداوتهم
للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى وإذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد
في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص بيانها بهذه الصورة
مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجته إليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الأصلية
ومن ههنا ظهر لك أن مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها و
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده عليه السلام
ولا يخفى أن الأئمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام
كما في قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وقد روي أن سعيد بن العاص لما أراد أن يصلي بطبرستان
صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان
فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره أحد
فحل محل الإجماع وروي في السنن أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة
الخوف فأقمت لهم الصلوة أي أردت أن تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد أن جعلتهم
طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوك منهم وإنما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا
أي الطائفة القائمة معك أسلحتهم أي لا يضعوها ولا يلقوها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيذان
بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء فإذا سجدوا أي القائمون معك وأتموا الركعة
فليكونوا من ورائكم أي فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وإنما لم تعرف لما أنها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك
الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك

بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان **وليأخذوا** اي هذه الطائفة **حذرهم وأسلحتهم** لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكرنا لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومظنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى **ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى **ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم** حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وأمروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل **وخذوا حذركم** لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال صلى الله عليه وسلم تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فسكت فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقرأ عليهم **ان الله اعدّ للكافرين عذابا مهينا** تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصركم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم **فاذا قضيتم الصلاة** صلاة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** اي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون **فاذا اطمأننتم** سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها **فأقيموا الصلاة** اي الصلاة التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر

بالذكر في الاحوال الثلاثة الصلاة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلاة فصلوها قياما عند المسايفة وقعودا جاثمين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رضي الله عنه ويأباه من البعد ما لا يخفى **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** اي فرضا مؤقتا قال مجاهد وقّته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى **ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون** تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى **وكان الله عليما** مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم **حكيما** فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق** روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فأخذ ليقتل فقيل دعوه لانه قد لجأ اليكم فتركوه واخرجوه من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فأخذ والقي في البحر **لتحكم بين الناس بما اراك الله** اي عرفك واوحى اليك **ولا تكن للخائنين خصيما** اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته **خصيما** مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ **واستغفر الله** مما هممت به تعويلا على شهادتهم **ان الله كان غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة **ان الله لا يحب من كان خوانا** مفرطا في الخيانة مصرا عليها **اثيما** منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط

طعمة وتوبيخه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله
أي لا يستحيون منه سبحانه وتعالى وهو أحق بأن يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم
وبأحوالهم فلا طريق إلى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه إذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون من الأعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها أنتم
هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات إيذانا بأن تعديد جناياتهم
يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحياة الدنيا
جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له
والمجادلة أشد المخاصمة والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم يوم عذابهم وعقابهم أم من يكون عليهم وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك
وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما
كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة
التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب إثما من الآثام فإنما يكسبه على نفسه
بحيث لا يتعدى ضرره ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله
عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر
أخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة أو ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد
السين وأصله يكتسب أو إثما كبيرة أو ما كان عن عمد ثم يرم به أي يقذف به ويسنده وتوحيد
الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم بأحدهما وقيل يرم
بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا أي مما رماه به ليحمله
عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل أي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا
وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي
يتحير في عظمه وإثما مبينا أي بينا فاحشا وهو صفة لإثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير
التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره وإثما مبينا على أن وصف الإثم بما ذكر بمنزلة وصف
البهتان به لأنهما عبارة عن أمر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه عبر عنه بهما تهويلا لأمره
وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فإن رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت
أو إثما بهتان وإثم في نفسه أما كونه بهتانا فظاهر وأما كونه إثما فلأن كون الذنب بالنسبة إلى
من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة إلى من نسبه إلى البريء منه أيضا كذلك بل لا يجوز
ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الأديان فهو في نفسه بهتان وإثم لا محالة وبكون
تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة إلى رمي
البريء وإلا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة
وإلا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته

جنايته على البريء وإجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه إيثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من
الإيذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الإشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر نعم بما ذكر من انضمام
كسبه وتبرئة نفسه إلى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للإثم
ولولا فضل الله عليك ورحمته بإعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة
والعصمة لهمت طائفة منهم أي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد
بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا إلى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا على رسول الله
وقالوا جئناك لنبايعك على أن لا نكسر أصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم
أن يضلوك أي بأن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الأمر والجملة جواب لولا وإنما نفي همهم
مع أن المنفي إنما هو تأثيره فقط إيذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو همهم المؤثر ولا ريب
في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف أي لأضلوك وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة أي لقد
همت طائفة إلخ وما يضلون إلا أنفسهم لانقضاء وباله عليهم من غير أن يصيبك
منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب
على المصدرية أي وما يضرونك شيئا من الضرر لأنه تعالى عاصمك وما خطر ببالك كان عملا
منك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة
السنة وعلمك بالوحي من خفيات الأمور التي من جملتها وجوه إبطال كيد المنافقين أو من أمور
الدين وأحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك إلى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما
إذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم أي في كثير من
تناجي الناس إلا من أمر أي إلا في نجوى من أمر بصدقة أو معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون
بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي كما قاله الكرماني فأيا ما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع
أيضا على معنى لكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة
التطوع على أن المراد بالصدقة الواجبة أو إصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة
بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين إما متعلق بنفس إصلاح يقال أصلح
بين القوم أو بمحذوف هو صفة له أي كائن بين الناس عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول
الله قال تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا ولعل السر في إفراد هذه
الأقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدي إلى الناس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة
إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا من أمر بصدقة وإما روحانية وإليه الإشارة
بالأمر بالمعروف وإما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك
إشارة إلى الأمور المذكورة أعني الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على
فعلها إثر بيان خيرية الأمر بها لما أن المقصود الأصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الأمر

بدلالة على خيريتها بالطريق الاولى لما ان هدا يحسن الامر وقبحه يحسن المامور به وقبحه بحيث تثبت
خيرية الامر بالامور المذكورة تخير بفعلها اثبت وبيده تخلص للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر
بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر
بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها كالذي مر في الخيرية فاستنبت اعدلها وليي واحق
ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك
لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما
يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما
اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون
عليه من عقد وعمل وهو الدين القويم نوله ما تولى اي نجعله واليا لمن تولاه من الضلال ونخذله
بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا اي جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او
لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا
منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما
سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما
يعبدون من دونه تعالى الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من
احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم
هي بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد
الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل لتسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها واراد بها بهذا الاسم للتنبيه على فرط
حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا الفرح جمع
انيث ككثيب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك
اسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا كاجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم له عبادة والمريد
والمارد وهو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي
تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق

بطريق التعليل بان ما يعبدونه ينفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول
انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني
انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في
اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته نصيبا مفروضا مقطوعا
اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني
الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام
اي فليقطعنها بموجب امري وليشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب
تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة
وينتظم فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل محكية عن اللعين مما
نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين محذوف ثقة
بدلالة النظم الكريم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوا اليه
على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه
ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجز
ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير
لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بالسنة
اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا
ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض
وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من
معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى ماواهم مبتدا ثان وقوله تعالى
جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار
اذا عدل وقيل خلاصا ومحيصا وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من
محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان
مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره قوله تعالى
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد
المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب
الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال
جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة
المقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق
لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال

السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة
بعدها دال **ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب** اي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل
بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني
اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما
في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما
وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم
وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ولو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل
الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر
كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا باماني اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم
قرر ذلك بقوله تعالى **من يعمل سوءا يجز به** عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه
فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك
البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك **ولا يجد له من دون الله** اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته
وليا يواليه **ولا نصيرا** ينصره في دفع العذاب عنه **ومن يعمل من الصالحات** اي بعضها او شيئا منها
فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها **من ذكر او انثى** في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات اي للابتداء اي كائنة من ذكر الخ **وهو مؤمن** حال شرط اقتران العمل بها في
استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه **فاولئك** اشارة الى من بعنوان اتصافه
بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف **يدخلون الجنة**
وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال **ولا يظلمون نقيرا** اي لا ينقصون شيئا حقيرا من
ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزاد
عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره
عقيب الثواب **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله** اي اخلص نفسه لله تعالى ولا يعرف لها
ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله لله تعالى وقيل فوض امره اليه تعالى
وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك
التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من
المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين
لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية **وهو محسن** اي
آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي

الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم **واتبع ملة ابرهيم** الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها
وقبولها **حنيفا** مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابرهيم **واتخذ الله
ابرهيم خليلا** اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام
في موضع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة
الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة
بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع
ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان
يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام
بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة
لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام
فاجتازوا ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابرهيم عليه السلام والقوا
فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه
رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت
وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابرهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت
سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله تعالى خليلا **ولله ما في السموات وما
في الارض** جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع
ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا
وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى ابرهيم عليه السلام خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه
كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه
عليه السلام وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة
بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى **وكان الله بكل
شيء محيطا** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة
بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير **ويستفتونك
في النساء** اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام
قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من
الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى **قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى
عليكم في الكتاب** باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما يتلى
من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة اعجبني زيد وعطاؤه وبعطف ما على المبتدا او
ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة
ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن في يتلى اي يتلى كائنا فيه
ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة

سوقه لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في حقوقهم المبينة فيه من عظائم الأمور التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها فيما يتلى متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز أن يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم
المقسم به وتفخيمه كأنه قيل قل الله يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن
لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى **في يتامى النساء** على الأول وهو الأظهر متعلق بيتلى أي ما
يتلى عليكم في شأنهن وعلى الأخيرين بدل من فيهن وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه
وقرئ ييامى على أنه أيامى فقلبت همزته ياء **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** أي ما فرض لهن من الميراث وغيره
وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل
وأنتم ترغبون ولا ريب في أنه لا يظهر لتقييد عدم الإيتاء بذلك إلا إذا أريد بما كتب لهن صداقهن **أن**
تنكحوهن أي في أن تنكحوهن لكن لا لأجل التمتع بهن بل لأكل مالهن أو في أن تنكحوهن بغير إكمال الصداق
وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من أنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها
ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق أو عن أن
تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها أنها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا
في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هذا الرجل يكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها وقد شركته في المال
حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما
كتب لهن على الوجه الأول والأخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقوله تعالى
ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما
يتلى فيهن قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية **والمستضعفين من الولدان** عطف على
يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون
النساء وإنما يورثون الرجال القوام بالأمور روي أن عيينة بن حصين الفزاري جاء إلى رسول الله
فقال أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال صلى الله عليه وسلم كذلك أمرت **وأن تقوموا لليتامى بالقسط** بالجر عطف على ما قبله وما
يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحو ذلك مما لا
يكاد يحصر هذا على تقدير كونه في يتامى النساء متعلقا بيتلى وأما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه
نصبه عطفا على موضع فيهن أي يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه بإضمار فعل أي ويأمركم وهو خطاب
للولاة أو للأولياء والأوصياء **وما تفعلوا** في حقوق المذكورين **من خير** حسبما أمرتم به أو ما تفعلوه
من خير على الإطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا أوليا **فإن الله كان به عليما** فيجازيكم
بحسبه **وإن امرأة خافت** شروع في بيان ما لم يتبين فيما سلف من الأحكام أي إن توقعت امرأة **من**
بعلها نشوزا أي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها **أو إعراضا** بأن يقل
مجالستها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والأسباب **فلا جناح عليهما** حينئذ **أن يصلحا**
بينهما صلحا أي في أن يصلحا بينهما بأن تحط له المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة بنت زمعة
حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة وبأن تهب له شيئا تستميله
وقرئ يصالحا ويصلحا أي يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا إما منصوب بالفعل المذكور على
كل تقدير على أنه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كما في قوله إصلاحا أو تصالحا

أو تصالحا أو اصطلاحا حسبما قرئ الفعل أو بفعل مترتب على المذكور أي فيصلح حالهما صلحا وبينهما
ظرف للفعل أو حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع أنه ليس من جانبهما الأخذ الذي هو المظنة
للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ **والصلح خير** أي من الفرقة
أو من سوء العشرة أو من الخصومة فاللام للعهد أو هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض
مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى **وأحضرت الأنفس الشح** أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه
لا تنفك عنه أبدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فإن فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك
يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر إلى حال صاحبه فإن شح نفس الرجل وعدم
ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالته وكذا
شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق
بذلك الصلح **وإن تحسنوا** في العشرة **وتتقوا** النشوز والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية
إليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن **فإن**
الله كان بما تعملون أي من الإحسان والتقوى أو بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا
خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة أن يضيع أجر المحسنين وفي خطاب الأزواج بطريق
الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبئ على كون النشوز والإعراض
مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا
يخفى روي أنها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما
علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت
إليه ذلك وقيل نزلت في أبي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها
ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على أولادي فاقسم لي من كل شهرين إن شئت وإن شئت
فلا تقسم لي فقال إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له
ذلك فنزلت **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهن
بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك وفي رواية
وأنت أعلم بما لا أملك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها **ولو حرصتم** أي على إقامة العدل
وبالغتم في ذلك **فلا تميلوا كل الميل** أي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما
استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة
تحت استطاعتكم **فتذروها** أي التي ملتم عنها **كالمعلقة** التي ليست ذات بعل ولا مطلقة
وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه
مائل **وإن تصلحوا** ما كنتم تفسدون من أمورهن **وتتقوا** الميل فيما يستقبل **فإن الله كان غفورا**
يغفر لكم ما فرط منكم من الميل **رحيما** يتفضل عليكم برحمته **وإن يتفرقا** وقرئ يتفارقا أي
وإن يفارق كل منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره **يغن الله كلا**
منهما أي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته **من سعته** من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن

الفارّ فقد رغماً لصاحبه وكان الله واسعاً حكيماً مقتدراً متقناً في افعاله واحكامه وتوليه
ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائناً ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك
جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا
كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان
التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
في تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية على تقدير
كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا
الآية وايا ما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه
كأنه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون
اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع
ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنياً اي عن
الخلق وعبادتهم حميداً محموداً في ذاته حمد او لم يحمد فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما
لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في
الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له
سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقاً وملكاً يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجاداً واعداماً واحياءً
واماتة وكفى بالله وكيلاً في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه
ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اي ويوجد دفعة
مكانكم قوماً آخرين من البشر او خلقاً آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون
الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال
غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى
عن ذلك علواً كبيراً وكان الله على ذلك اي بافنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديراً
بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخبر بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى
وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس
آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها
لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصاً لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة
ما هي في جنبه كلا شيء اي فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعاً بصيراً عالماً بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها
ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجاً اولياً يا ايها الذين آمنوا

كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد
شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم
اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير
سواء كان عليها او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالها من جهة المشهود عليه او
الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنياً
يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيراً يترحم عليه غالباً وقرئ ان يكن غني او فقير على ان
كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا
عنها طلباً لرضى الغني او ترحماً على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما
بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقكم ان تخافوا منه
وتحذروا وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم
عن شهادة الحق وحكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها او تعرضوا اي عن اقامتها رأساً فان
الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر
خبيراً فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن
للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي نزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك
وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقيناً او آمنوا بما ذكر مفصلاً بناءً على ان ايمان
بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه
وبالايمان به الايمان بان كل كتاب في تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد
امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من
تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا
على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب
المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى
الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ و
التبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب
لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلامة وابن اخيه سلمة واسداً واسيداً ابني
كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم
بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا
كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان
بها انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كأنه قيل آمنوا بالكل ولا
تخصوا بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه
آنفاً لا ايمانهم السابق ولان فيه حملاً لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك

الكل ايمانا بوجه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون
بعض وامر كل طائفة بالايمان في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى
آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر** اي بشيء
من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم
الآخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب
او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة و
الكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الرسل في انزال الكتب **ان الذين آمنوا** قال قتادة
هم اليهود الذين آمنوا بموسى **ثم كفروا** بعبادتهم العجل **ثم آمنوا** عند عوده اليهم **ثم كفروا** بعيسى
والانجيل **ثم ازدادوا كفرا** بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد و
اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** لما انه
يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على
الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم
وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يدل
على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
نفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين اولياء** في محل النصب او
الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى
من دون المؤمنين حال من يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين و
كانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد عليه السلام فتولوا اليهود **ايبتغون عندهم**
العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة
لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل
للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى **فان العزة لله جميعا** تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من
بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين
كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بهم واستحالة
الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال
من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا **وقد نزل عليكم** خطاب للمنافقين بطريق
الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ [illegible] وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال
ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ببيان استعصائهم عليه
سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك من ورود النهي الصريح عن مجالستهم
المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل
تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة **في الكتاب** اي القرآن الكريم **ان اذا سمعتم**
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله
تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في
تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف

والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه
داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل
عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن
ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا
الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها
انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذن ملغاة عن العمل
لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتم كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب
وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن
كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه
من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا
بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس فهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديم
المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله **الذين يتربصون بكم**
تلوين للخطاب وتوجيه الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او
منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى **فان**
كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد
ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه **قالوا** اي لكم **الم نكن معكم** اي مظاهرين
لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا** اي الكفرة
الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم **ونمنعكم من المؤمنين**
بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتربصوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا
لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم
شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان **فالله يحكم بينكم يوم القيامة**
حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه
ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** كما قد يجعل
ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة **ان المنافقين**
يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون
ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم
في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق
في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ
نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم **واذا قاموا الى الصلوة قاموا**
كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان **يراؤن الناس** ليحسبوهم

مومنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى غيره عمله وهو يريه
والجملة اما استئناف مبني على سوال نشأ من الكلام كانه قيل ماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل
يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اى لا يذكرونه
سبحانه الا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا
يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تع في الصلوة
الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم
وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد
ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين كما صلصل
تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ
بهم تارة في دبة اى طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى منسوبين الى
المومنين ولا منسوبين الى الكافرين ولا صائرين الى الاولين ولا الى الاخرين فمحله النصب على انه
حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده
للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المومنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة
في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى اتريدون
بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا
يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره
وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تع ام تريدون
ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم
وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتهديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها
السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر
ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اى عن
النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله اى وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله اى جعلوه خالصا لله لا
يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المومنين اى المومنين المعهودين الذين لم
يصدر عنهم نفاق اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مومنون اى معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد
بين ذلك بقوله تع وسوف يؤت الله المومنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا
وعدما انما هو كفرهم لا شيء اخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة

مفيدة للنفي على ابلغ وجه واكده اى اى شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك
به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن
امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا
محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من
النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة
عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها
شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تع
لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الله تع ان
يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اى الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم
منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الاية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اى ولكن الظالم يرتكب
ما لا يحبه الله تع فيجهر بالسوء وكان الله سميعا المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم
عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء
ان تبدوا خيرا اى خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم
من مواخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان
وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله تعالى فان الله كان عفوا
قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اى
كان مبالغا في العفو كامل قدرته على المواخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تع وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم
وقيل عفوا عمن عفى قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اى
يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله اى بان يؤمنوا به تع ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تع وبالكفر
بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى نؤمن
ببعض الانبياء ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك الا الكفر بالله تع ورسله وتفريق بين الله تع ورسله
في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية
دين نبينا عليه السلام وعليهم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا
يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع
انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات
القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر
مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة واعتدنا للكافرين اى
وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا

اولئك عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله **والذين آمنوا بالله ورسله** اي على الوجه الذي بين
في تفسير قوله تع يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية **ولم يفرقوا بين احد منهم** بان يؤمنوا
ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما
لا مزيد عليه **اولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **سوف يؤتيهم اجورهم** الموعودة
لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم
بنون العظمة **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما** مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسنا[تهم]
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأت بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا
باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو
سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية **فقد سألوا موسى اكبر من ذلك** جواب شرط
مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن
اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك
عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم **فقالوا ارنا الله جهرة** اي ارناه نره جهرة اي
عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية **فاخذتهم الصاعقة** اي النار التي جاءت من السماء
فاهلكتهم وقرئ الصعقة **بظلمهم** اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال
التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات**
اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم
تنزل عليهم بعد **فعفونا عن ذلك** ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة
كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم **وآتينا
موسى سلطانا مبينا** تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم ان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة
التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوا او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه
فرفع الله تع عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى واخذنا
منهم ميثاقا غليظا **وقلنا لهم** على لسان موسى عم والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب سجدا**
قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم
قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم
سجدا اي متطامنين **وقلنا لهم لا تعدوا** اي لا تظلموا باصطياد الحيتان **في السبت** وقرئ
لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما
في المخرج بعد نقل حركتها الى العين **واخذنا منهم** على الامتثال بما كلفوه **ميثاقا غليظا** مؤكدا وهو
العهد الذي اخذ الله عليهم في التوراة قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله
تع يعذبهم باي انواع العذاب اراد **فبما نقضهم ميثاقهم** ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم
ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم

اعقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عم فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا
على ان قوله تع فبظلم بدل من قوله تع فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان
قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم عليهما السلام بهتانا متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما
دل عليه قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى
وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره **وكفرهم بآيات الله** اي بالقرآن وبما في كتابهم
وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام **وقولهم قلوبنا غلف** جمع اغلف اي هي
مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او هو تخفيف غلف جمع غلاف
اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون
ان قلوبنا بحيث لا يحصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل طبع الله
عليها بكفرهم** معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم
الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث
ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم **فلا يؤمنون
الا قليلا** منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به **وبكفرهم** اي بعيسى عم
وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد يجوز عطفه على بكفرهم فيكون
هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر
الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما السلام ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف معزل **وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس
لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي عم والاستهزاء به فان وصفهم له بعنوان الرسالة انما
هو بطريق التهكم به عليه السلام كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الخ ولانبائه عن ذكرهم
له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح
وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم
لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك **وما قتلوه وما صلبوه** حال او اعتراض **ولكن
شبه لهم** روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تع قردة و
خنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان
يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تع عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى عليه السلام
والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودي
دخل بيتا هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوار[ق]
لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عم رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء
اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا
لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى
الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول او في الامر على قول من

قال لم يقتله احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمه مقتولا
وان الذين اختلفوا فيه اى فى شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض
اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام ان الله يرفعنى الى
السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك
يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه وقد يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل و
العلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء متصل وما قتلوه يقينا اى قتلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما فى قول من قال كذاك تخبر عنها
العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه
وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم فى الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار
لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته
تع فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اى من اليهود والنصارى وقوله تع
الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثانى والاول
لعيسى عليه السلام اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عم قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله
ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
لما ان احدا فى معنى الجمع وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب
عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع
قال يتكلم بها فى الهوى ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها
الا تخالج فى نفسى شيء منها يعنى هذه الآية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا
يا عدو الله اتاك عيسى عم نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبى وتقول للنصرانى اتاك عيسى عليه السلام
نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الى وقال ممن قلت حدثنى محمد بن على بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه
ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان
به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاع جدواه وقيل الضميران لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب
الموجودين عند نزوله عليه السلام احد الا ليؤمنن به قبل موته روى انه عليه السلام ينزل من السماء
فى آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام
ويهلك الله فى زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون
ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة
يكون اى عيسى عم عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا

بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اى تابوا من عبادة العجل
مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس ايذانا بان عظمه فى حد ذاته بالتنوين التفخيمى اى
بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها
يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك
يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تع فى مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تع كل الطعام كان حلا
لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين اى فى ادعائكم انه تحريم قديم روى انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية
لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين و
بصدهم عن سبيل الله كثيرا اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان
الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اى المصرين
على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه فى الآخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة
التحريم لكن الراسخون فى العلم منهم استدراك من قوله تع واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على
خلاف حالهم عاجلا وآجلا اى لكن الثابتون فى العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين
للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم وصفوا بالايمان
بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ فى العلم بطريق العطف المبنى على تغاير المعطوفين تنزيلا
للاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى والمقيمين
الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعنى المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر
وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء
وقيل الملائكة قال مكى اى ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تع يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وقيل عطف على الكاف فى اليك اى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين وهم الانبياء
وقيل على الضمير المجرور فى منهم اى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على
انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى وكذا الحال
فيما سيأتى من المعطوفين فان قوله تع والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا
وكذا الحال فى قوله والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مؤمنو اهل الكتاب قد
وصفوا اولا بكونهم راسخين فى علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم
انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام
ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين
لسائر العبادات المالية والبدنية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه
واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة

فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون
باليوم الآخر وقوله تعالى **أولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **سنؤتيهم**
أجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد
وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم
ووعد الآخرون بالاجر العظيم كأنه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن
المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك
الخ خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء رعاية
لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله **إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده**
جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشأن سائر مشاهير الانبياء
الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل
ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه اي اوحينا الايحاء
حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي
شرع الله على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه
اهل الارض **وأوحينا الى ابراهيم** عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما
اوحينا الى ابراهيم **واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** وهم اولاد يعقوب عليهم السلام **وعيسى وايوب**
ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا
لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتنويها
بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة
مستقلة بنوع مخصوص من الوحي **وآتينا داود زبورا** قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون
سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله وقرئ بضم
الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء
اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على اوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء
الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال
فان قوله تعالى **ورسلا** نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه
كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى **قد قصصناهم عليك** اي وقصصنا رسلا كما قالوا
ذهبوا عليه ان قوله قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني
لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى **من قبل** متعلق
بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك** عطف على رسلا
منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ
والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه عليه السلام وبين شؤون
من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان

قوله انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل
ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود
زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم
نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك
شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه
يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على
الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله
تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا
الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا **وكلم الله موسى** برفع
الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى **تكليما** مصدر مؤكد رافع لاحتمال
المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد
به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة
على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات
والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا
في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا في صحة نبوة
من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني
اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما
آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى
كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على المدح او
بمضمر ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدل من رسلا الاول اي مبشرين
لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار **لئلا يكون للناس على الله حجة** اي معذرة
يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور
القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما
سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه وتعالى حجة في فعل من افعاله بل له ان
يفعل ما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده
بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى
لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو
الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر
ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى **بعد الرسل** اي بعد

ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظرف يوصف
بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره
ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال
الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في
بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف
فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك
تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام
حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور
المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ
يتفاوت التكاليف فيثقل على المكلف ثبوتها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع
حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر تلقيا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون
ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما
تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا
يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول
والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقيقة ما انزله اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما
نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي
ملتبسا بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه
الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني من المفعول
والجملة في موضع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ
وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه
وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية
عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان
به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله
وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول
قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما
ذكر آنفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع
غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة
تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية
الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق
الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها
او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل
خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها

فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى
ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم
خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما
حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد
عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شأنه عم في امر الوحي والارسال
كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وتعالى وشهادة الملائكة
امر المكلفين كافة على طريقة تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة
والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم
القبول وقوله تعالى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود
به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب
طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع
حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ابتدائية متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق
اي جاءكم من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا
لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها
اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول الفعل واجب الاضمار
كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت
لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا
للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا
اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت
داخلة في حقيقتهما او بذلك يعلم حالهما بنفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة
فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة
او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل
فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم
فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفركم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع
افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياكم بكفركم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص بالنصارى
زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عم
وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عم ورميهم بان ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم
ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول و
الاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة
آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى
عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عم

بدعي بنوته تع وقوله تعالى **رسول الله** خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول
الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها **وكلمته**
عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة **ألقاها**
إلى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عم وقيل علمها اياها واخبرها بها بطريق
البشارة وذلك قوله تع ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من
ضمير عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة
معها **وروح منه** قيل هو الذي نفخ جبريل عم في درع مريم فحملت باذن الله تع سمي النفخ
روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى
ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له
ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عم جزء منه تع وتلا هذه الاية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه
وتع علوا كبيرا فانقطع النصراني واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة
فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان
كانت بنفخ جبرايل عم لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحياء
القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل
اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف
شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عم متكونا من النفخ لا من النطفة
وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مآل
ما يحتمله وسد باب التاويل الزائغ **فآمنوا بالله** وخصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين وصفوهم
بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية **ولا تقولوا ثلاثة** اي
الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث
الحياة **انتهوا** اي عن التثليث **خيرا لكم** قد مر وجوه انتصابه **إنما الله إله واحد** اي
بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في
الالوهية **سبحانه أن يكون له ولد** اي اسبحه تسبيحا من ان يكون اي سبحانه مما يكون له ولد
وقوله **له ما في السموات وما في الأرض** جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي
له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عم
فكيف يتوهم كونه ولدا له تع **وكفى بالله وكيلا** اي الله يكل اليه الخلق امورهم وهو غني عن
العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم
الى من يخلفهم ويقوم مقامهم **لن يستنكف المسيح** استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف
الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك بالاصبع اي لن يأنف ولن يترفع **أن يكون**

عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تع مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية
كيف وان كان اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عم عنه مع انه عم
المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه قوله ولا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد
نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال
واي شيء اقول قال تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت
وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عم عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو
ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عم عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تع
حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم عن عبادته تعالى كما
اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام ولم يكف في اتصاف موصو
بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها **ولا الملائكة**
المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله تع وقيل ان
اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبياء
عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون
المعطوف اعلا درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام
واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عم عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام
وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على
عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة
مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلا ولا نزاع لاحد
في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان
الاية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قال وان سلم
اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل لا باعتبار التكثير والتفضيل
كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين
حول العرش او من هو اعلى رتبة منهم من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام
وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه **ومن يستنكف**
عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه
ههنا عبادته تع لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم
له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تع لا بطريق
الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو
الا استنكاف عن طاعة الله تعالى اذ لا امر له عم سوى امره تع من يطع الرسول فقد اطاع الله
ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه فاصله طلب الكبر بغير استحقاق له لا بمعنى
طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما
عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر

عن مثل ذلك بنفس الطالح في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً فانهم كانوا يطلبون ثبوت
العوج لسبيل الله تعالى مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك
ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون
الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعاً
اى المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد
ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلاً على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احد
الفريقين لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله
تعالى فاما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتماداً على ظهور اقتضاء اثابة احدهما
لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير
فيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب للتفصيل
الآتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ
فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق
المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون
حشره ايضاً معتبراً في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف
المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير
ان ينقص منها شيئاً اصلاً ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافاً مضاعفة وباعطاء ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اى عن عبادته تعالى
واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذاباً اليماً لا يحيط به الوصف ولا يجدون
لهم من دون الله ولياً يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيراً ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من
عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما
عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال
وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك
علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اى وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار
برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما تضمنته الآيات الكريمة من حقيقة الحق
وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم عبر به لما معه من المعجزات
التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى
من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افادة التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازاً وقد جوز
على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اى كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه اليهم لتربيتهم وتكميلهم
وانزلنا اليكم نوراً مبيناً اريد به ايضاً القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير
اليه آنفاً واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذاناً بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيقته

حقيقته وكونه من عند الله تعالى باعجازه عن غيره محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعاراً
بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على
تغاير الطرفين تنزيلاً للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عنه بالنسبة للمخاطبين
تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته وبرهانيته كأنه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير
ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية
كونه نوراً توفيراً له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق
الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير
كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق فالامر
هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه منزل اليهم ايضاً بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في
قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح به
مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة فاما الذين آمنوا
بالله حسبما يوجبه البرهان الذي آتاهم واعتصموا به اى عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان
وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن اضافة الفضل بالادخال على طريقة قوله علفتها
تبناً وماءً بارداً او تثوب من رحمة د تفضيل تحقيقي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم
اليه اى الى الله تعالى وقيل الى الموعود وقيل الى عباده صراطاً مستقيماً هو الاسلام والطاعة
في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على
خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي وقيل انتصاب
صراطاً على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اى يعرفهم صراطاً مستقيماً يستفتونك
اى في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة
وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رض يروى انه اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة حجة الوداع فقال ان لي اختاً فكم آخذ من ميراثها ان ماتت
وقيل كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي
عنه رضي الله عنه انه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ
وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى
ان امرؤ هلك استئناف مبين للفتيا وارتفاع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة
له وقيل او حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اى ان هلك
امرؤ غير ذي ولد ذكراً كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضاً
معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف
على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد
مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اى بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد

وان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم
يكن لها ولد ذكرا او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية
لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد
ولا على عدم سقوطهم به وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين
عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة
والتانيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية على
الاثنينية على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي
من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا
اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون
التركة على طريقة التعصيب وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق
قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد
وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات
لابوين او لاب والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم
ان تضلوا اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة
ان تضلوا في ذلك وهو راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين
الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هذا مثل قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيدة رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله
وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس فيما
ذكر من الاية والحديث نص فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين
كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول
يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا
خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطا
والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من
جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى
من الذين يتجاوز عنهم والله تعالى اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة واثنان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد العهد
الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود جميع ما الزم الله به عباده وعقد عليهم من التكاليف
والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء
به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال

الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدا بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل
احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافراد
ارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام
والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام
والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة
الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق
المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار
العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام
اي الا محرم ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب
على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب
والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال
بهيمة الانعام بما ذكر من عدم حال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها
ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانها احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما
على تقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة
الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا
حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد
عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم
الصيد حال احرامكم مزيد ترتيب للامتثال وتقرير الحاجة ببيان علتها الشرعية فان تحريم الصيد
عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك
من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بها الجريان
على موجبها عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها
التي سيأتي بيانها يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو
من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله لتشريفها وتهويل
الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف
الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف
والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها واحدث
في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي
دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول
انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال
المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي
بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة

جرهد بتجدي وجد به ولا القلايد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحا شجر ليعلم به انه
هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلايد من الهدي وهي البدن وعطفها
على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكائيل
على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلايد
مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلايدها فضلا على ان تحلوها كما
نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا امين
البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان
وقيل هنالك مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم امين لخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام
بالاضافة وقوله تع يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة
له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان
يثيبهم الله تع ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف
وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ
تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم
هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم
وحرمان المخاطبين سبيل المبتغي وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في الاستنكار
للمنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى
ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة
وليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون
المؤمنين على ان احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن
ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وحده وكان وعد ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة
فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة
عظيمة وقد قلدوا الهدي فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فابى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وقد فسر ابتغاء
الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم
وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله تع بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع
رضوانه تع لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره
العاجلة لا سيما في ضمن مراعات حقوق الله تعالى وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان
يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله تع المسلمين ان يمنعوا
احدا عن حج البيت بقوله تع لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا

ع

يقربوا المسجد الحرام وقوله تع ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ
بقوله تع اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا
واما اشتراكا لما سياتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم يستدعي الفسخ كلا او بعضا ولا بد
في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين
والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا
للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير
اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر
كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة فيه وقرئ بكسر الفاء بالقاء
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع
اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية
اليه وجرم جرى مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا
نحو كسبه وجرمته ذنبا اي كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني
وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم
بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله
كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم
عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم الآمين للمشركين
قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق
في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان
تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور
الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيمهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم
للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم
عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني
وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا اريتك ههنا يريد به
نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تاخير هذا النهي عن قوله تع واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور
تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد
به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين
بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون
امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة
الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا
ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تع ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا
فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى
ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما تحصيل

كم

التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى **وَاتَّقُوا اللَّهَ** بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة
ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله
تعالى **إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل
لما مر مرارا من ان حال التربية والتهويل وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ**
الْمَيْتَةُ شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح
من غير ذبح **وَالدَّمُ** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له **وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** اي رفع
الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **وَالْمُنْخَنِقَةُ** التي ماتت بالخنق **وَالْمَوْقُوذَةُ**
اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته **وَالْمُتَرَدِّيَةُ** اي التي تردت من علو او في بئر
فماتت **وَالنَّطِيحَةُ** اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة **وَمَا أَكَلَ**
السَّبُعُ اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وهو دليل على ان جوارح
الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل **إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حياة يضطرب
اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري
بمحدود **وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان
فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل
هي الاصنام **وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ** جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي
وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل
اعادوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام الحدود بالاقداح على الانصاب المعهودة **ذَلِكُمْ** اشارة الى
الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر **فِسْقٌ** تمرد وخروج عن الحد
ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقوله
ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها
تحريم تناولها **الْيَوْمَ** اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية
وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كانت فهو منصوب على انه
ظرف لقوله تعالى **يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث
او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله تعالى وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله
وهو لا يناسب قوله **فَلَا تَخْشَوْهُمْ** اي ان يظهروا عليكم **وَاخْشَوْنِ** اي واخلصوا الخشية لي **الْيَوْمَ**
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من الاوامر بان الاكمال
لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ**
نِعْمَتِي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما
مر مرات اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن

عن الشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي
انجزت لكم وعدي بقوله ولاتم نعمتي عليكم **وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** اي اخترته لكم من بين
الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال يا امير
المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي
اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك
اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه
الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي ما
يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا اكمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عم
صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدى وثمانين
يوما **فَمَنِ اضْطُرَّ** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء
من هذه المحرمات **فِي مَخْمَصَةٍ** اي مجاعة يخاف منها الموت او مباديه **غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ** غير
مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى
غير باغ ولا عاد **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** لا يواخذه بذلك **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ** شروع
في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سالوا عنها عند بيان
اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدا واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما
ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي
فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤول ما احل لهم من المطاعم **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** اي ما لم يستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **وَمَا**
عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعايد محذوف اي
وصيد ما علمتموه او مبتدا على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدا على تقدير كونها موصولة
ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول وضميره
المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت به لانها تجرح الصيد غالبا **مُكَلِّبِينَ**
اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب اكثر
ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر
الشام فغاظ النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية
من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم الكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين
بالتخفيف والمعنى واحد **تُعَلِّمُونَهُنَّ** حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف **مِمَّا عَلَّمَكُمُ**
اللَّهُ من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو
منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه
وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** وقد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير
كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير
عطف على الطيبات فهو جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة منه للمضاف المقدر الذي هو

المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة وسترة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيهما كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن للتبعيض لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلق بامسكن اى فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذى لم ياكل منه واما ما اكل منه فهو مما امسكن على انفسهن لقوله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل فى سباع الطير لان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال اخرون لا يشترط عدم الاكل فى سباع ذلك مطلقا وقد روى عن سلمان وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة رضى الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثه وبقى ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او لما امسكنه اى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته **واتقوا الله** فى شان محرماته **ان الله سريع الحساب** اى سريع اتيان حسابه او سريع اتمامه اذا شرع فيه يتم فى اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقدير انه يواخذكم سريعا فى كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم **اليوم احل لكم الطيبات** قيل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر **وطعام الذين اوتوا الكتاب** اى اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعى رضى الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها **حل لكم** اى حلال وعن ابن عباس رضى الله عنه انه سئل عن ذبائح النصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رضى الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا اكلى ذبائحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك **والمحصنات من المؤمنات** رفع على الابتداء وحذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفى ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابى حنيفة خلافا للشافعى رح **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنه لا تحل الحربيات **اذا اتيتموهن اجورهن** اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرف عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اى اذا اتيتموهن اجورهن حللن لكم **محصنين غير مسافحين** وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اى غير مجاهرين بالزنا **ولا متخذى اخدان** اى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا للتاكيد لنفى المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلاثة **ومن يكفر بالايمان** اى من ينكر شرائع الاسلام التى من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها **فقد حبط عمله** الصالح

الذى عمله قبل ذلك **وهو فى الاخرة من الخاسرين** هو مبتدا من الخاسرين خبره وفى متعلقه بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اى خاسر فى الاخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر فى غيره كما فى قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائى بالعصا ان اجلدا **يا ايها الذين امنوا اذا** شروع فى بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم **اذا قمتم الى الصلاة** اى اردتم القيام اليها كما فى قوله تع فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبى صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث فى التيمم الذى هو بدله وما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وقد روى عنه عم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح فى ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** اى امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رح **وايديكم الى المرافق** الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما فى قوله تع ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هى انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة عليه وانما هى امر يدور على الدليل الخارجى كما فى حفظت القران من اوله الى اخره وقوله تع فنظرة الى ميسرة فان الدخول فى الاول والخروج فى الثانى متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك فى الاية وكانت الايدى متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها الغاية تقتضى خروجها لكن لما لم يتميز الغاية وجب ادخالها احتياطا **وامسحوا برؤسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تع فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى القدر الواجب فاوجب الشافعى رحمه الله ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح بيان رسول الله حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الراس ومالك رحمه الله مسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره فى القران كثير كقوله تع عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة فى ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** اى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اى فطهروا

صلى الله عليه وسلم

ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى
بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر
اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة
بامسحوا وقرئ فامّوا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل
التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم
ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي
لينظفكم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول
يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من
حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر
بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم
برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على
سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير
المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح باعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما
حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي
واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به
او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة
التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكر قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه
على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر و
المنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره
عنه عم لكون المرجع اليه تعالى وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم
من صلب آدم عم واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة
تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل
للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق
بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط
بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا
في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا او غير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في
حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل

العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك
وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان
مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل
بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في
موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية
شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة
الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ
هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا
لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا
اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط
وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة رفعه كما ان تقديم لكم في قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم
عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة
اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي
منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على
كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف على كمال النعمة من
حيث انها لم تكن بعد المد ما لا يخفى مكانه روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عم قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من
آبائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة
الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش
الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل
هو ما روي انه عليه السلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى
فاسقط جبريل عم من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله **واتقوا الله** عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية
حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها ان في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
وعلى الله اي عليه تع خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا **فليتوكل المؤمنون** فانه يكفيهم في
ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغايب واسنادها الى
المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب
من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية **ولقد اخذ الله**
ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض
الميثاق وما ادى اليه ذلك من استتباعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله ومراعاة حق
الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على
تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة
توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه
مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تع **وبعثنا منهم**
اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى
فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تع فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن
احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا
بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تع بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عم ان ياخذ
من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ
الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى
عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط
افراهيم بن يوسف الصديق عم قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان
طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على راسه
حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحطب وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا
قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج
النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى
وهرون عم فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعضهم الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عم وكان
معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما
راى الا كالب ويوشع وكان عسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فتقور
منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله تع الهدهد فتقور من الصخرة

الصخرة وسطها المحاذي راسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عم
وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا ونزا في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو
مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جزوا راسه **وقال الله** من الترغيب وله
كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة بتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد **اني معكم**
اي بالعلم والقدرة والنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون
وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما
نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد
قيل المراد بالميثاق الايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يتفقدون احوالهم
ويلون بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لئن اقمتم الصلوة واتيتم**
الزكوة وامنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المرتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم
لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تع **وعزرتموهم**
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعظيم والتوقير والتعزير وقرئ عزرتموهم
بالتخفيف **واقرضتم الله** بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله
عزوجل **قرضا حسنا** اما مصدر مؤكد وارد على صيغة المصدر كما في قوله تع فتقبلها
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله
تع **لاكفرن عنكم سياتكم** جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب
متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية **فمن كفر** برسلي او بشيء مما عد في حيز الشرط والفاء
لترتيب حكم من كفر على بيان ما من تقوية للترغيب بالترهيب **بعد ذلك** الشرط المؤكد
المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا **منكم** متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر
ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال
واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه
ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايرادها يدل على الحدوث بيان
ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه
لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث **فقد ضل سواء السبيل** اي وسط الطريق الواضح
ضلالا بينا واخطا خطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة
ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم** الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب
نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما **لعناهم** طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم
قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين
تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هيئة التي
للسلطة على هيئة المركبة للايذان بان تحققها امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك
ما بينهما من السببية والمسببية **وجعلنا قلوبهم قاسية** بحيث لا تتاثر من الآيات والنذر وقيل

امليناهم وانجاحهم بالعقوبة حتى قست قلوبهم او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت
كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اى ردي اذا
كان مغشوشا تلبيس وحشوة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين **يحرفون الكلم عن مواضعه**
استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل
والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم
ونسوا حظا اى تركوا نصيبا وافرا **مما ذكروا به** من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
فقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** اى خيانة على انها مصدر
كعافية وكاذبة او فعلة خائنة اى ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء
للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلقة بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين
ابتدائية اى على خيانة او فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية
والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها
فلا تزال ترى ذلك منهم **الا قليلا منهم** استثناء من الضمير المجرور ومنهم على الوجوه كلها
وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا كعبد الله بن سلام واضرابه
وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اى الا
فعلا قليلا كائنا منهم **فاعف عنهم واصفح** اى اذا تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين** تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه
على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم**
بيان لقبايح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبايح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير
واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر
حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة
الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل من متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته
او صلته مقامه اى ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع
الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اى اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من
الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى
انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل وانما هو تقول
محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء واظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم و
افعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه **فنسوا** عقيب اخذ
الميثاق من غير تلعثم **حظا** وافرا **مما ذكروا به** في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير
ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية
انصار الشيطان **فاغرينا** اى الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه
غيره ومنه الغراء وقوله **بينهم** اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى

اغرينا **العداوة والبغضاء** كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى **الى يوم القيمة** اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اى يتعادون و
يتباغضون الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق
الى الفرق الثلاث وضمير بينهم لهم عامة وقيل لهم ولليهود اى اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود
والنصارى **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول
الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق
ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم
في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة
واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار
بها **يا اهل الكتاب** التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية
والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر
على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه
وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون **قد جاءكم**
رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى **يبين لكم** حال من رسولنا
وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا
لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة **كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** اى التورية والانجيل
كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عم في الانجيل وتاخير
كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق
الى المؤخر لان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس
مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اى يبين لكم
كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به **ويعفو**
عن كثير اى ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة
الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث على عدم الاخفاء رغبة
ورهبة والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه
وقوله تعالى **قد جاءكم من الله نور** جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة
فيما مر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية
مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور اى نور كائن منه تعالى فهو تصريح لما يشعر به اضافة الرسول من
مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى ذكر المجيء
من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف

النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم
المراد به وبقوله تعالى **وكتاب مبين** القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة
ما خفي على الناس من الحق والإعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات
وقيل المراد بالأول هو الرسول عليه السلام وبالثاني القرآن **يهدي به الله** توحيد الضمير
المجرور لاتحاد المرجع بالذات ولكونهما في حكم الواحد وأريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام وإظهار الجلالة لإظهار كمال الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة الرفع على أنه صفة
ثانية لكتاب أو النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة **من اتبع رضوانه** أي رضاه بالإيمان
به ومن موصولة أو موصوفة **سبل السلام** أي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب أو سبيل
الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان ليهدي والحق أن انتصابه
بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وإنما يعدى إلى الثاني بإلى أو باللام كما
في قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم **ويخرجهم** الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن
الإفراد في اتبع باعتبار اللفظ **من الظلمات** أي ظلمات فنون الكفر والضلال **إلى النور** إلى
الإيمان **بإذنه** بتيسيره أو بإرادته **ويهديهم إلى صراط مستقيم** هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه
لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة
التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من
عذاب غليظ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** أي لا غير كما قاله هو [illegible]
وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل في بدن إنسان أو في روحه وقيل لم يصرح به أحد
منهم لكن من حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى موجود
فلزمهم القول بأنه المسيح لا غير وقيل لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن
يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم **قل** أي تبكيتا
لهم وإظهارا لبطلان قولهم الفاسد وإلقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى **فمن يملك من الله
شيئا** فصيحة ومن استفهامية للإنكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن
متعلقة به على حذف المضاف أي إن كان الأمر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وإرادته شيئا
وحقيقته فمن يستطيع أن يملك شيئا منهما **إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في
الأرض جميعا** ومن حق من يكون إلها أن لا يتعلق به ولا [illegible] بل بشيء من الموجودات
قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان
عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام
مطلقا لا بطريق السخط والغضب وإظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا إليه الألوهية في
مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت
قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الإنكاري عن كل أحد مع تحقق الإلزام
والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بأن يقال فهل يملك شيئا من الله إن أراد إلخ والتحقيق الحقيقي
الألوهية عن كل ما عداه سبحانه وإثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فإن انتفاء
المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة إلى الكل ظهر بالنسبة إلى المسيح على الكمل

أكمل وجه وكذلك يظهر استحالة الألوهية قطعا وتعميم إرادة الإهلاك للكل مع حصول ما ذكر من
التحقيق بقصرها عليه بأن يقال فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح لتهويل الخطب
وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر أحد على دفع ما أريد به فضلا عن
دفع ما أريد بغيره وللإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه
لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية وتخصيص أمه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في
الأرض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها
قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تأكيد مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجا لحال بقية
من فرض إهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في
الأرض وقد أهلك أمه فهل مانعه أحد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى **ولله
ملك السموات والأرض وما بينهما** أي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الأرض
ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في أعماق الأرض والبحار
من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته إثر الإشارة إلى كون البعض
أي من في الأرض كذلك أي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها إيجادا وإعداما
وإحياء وإماتة لا لأحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر
بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى **يخلق ما يشاء** جملة مستأنفة مبينة لبعض أحكام الملك
والألوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في أمر المسيح لولادته من غير أب وخلق الطير
وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أي يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد على أنها نكرة موصوفة
محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أي خلق يشاء فتارة يخلق من غير أصل
كخلق السموات والأرض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كخلق آدم
وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كخلق حواء أو من أنثى وحدها كخلق عيسى
أو منهما كخلق سائر المخلوقات ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات
وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وإحياء الموتى وإبراء
الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب كله إليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده **والله على
كل شيء قدير** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل للتعظيم وتقوية
استقلال الجملة **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه** حكاية لما صدر
عن [illegible] الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن أحدهما وبيان
بطلانه أي قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن أشياع ابنه المسيح كما قيل
لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن
الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى
الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وقيل إن
النصارى يتلون في الإنجيل أن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وقيل أرادوا أن الله
تعالى كالأب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وبالجملة أنهم كانوا يدعون
أن لهم فضلا عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قل الزاما لهم وتبكيتا **فلم يعذبكم بذنوبكم** اى ان صح ما زعمتم فلاى شىء يعذبكم فى الدنيا بالاسر
والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم فى الاخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر
كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى **بل انتم بشر** عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر **ممن خلق** اى من جنس من خلقه الله تعالى من غير
مزية لكم عليهم **يغفر لمن يشاء** اى يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله مثلكم
ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم **ولله ملك السموات والارض**
وما بينهما من الموجودات لا ينتمى اليه سبحانه شىء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت
ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا
واليه المصير فى الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسىء بما يستدعيه
عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **يا اهل الكتاب** تكرير للخطاب بطريق الالتفات
ولطف فى الدعوة **قد جاءكم رسولنا يبين لكم** حال من رسولنا وايثاره على وبين لما مر فيما سبق اى
يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين فى الايات السابقة
من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتى من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان
مجىء الرسول انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور
الدين واما تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فيأباه تكريرا
من غير فائدة يرده قوله عز وعلا **على فترة من الرسل** فان فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج
الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما فى قوله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من
الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين
او من ضمير لكم اى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل وحال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان
ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اى كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى
ان تقولوا تعليل لمجىء الرسول بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم
فى مراعاة احكام الدين **ما جاءنا من بشير ولا نذير** وقد انطمست اثار الشرائع السابقة وانقطعت
اخبارها وزيادة من فى الفاعل للمبالغة فى نفى المجىء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا
كما ترى يقتضى بان المقدر اولا المنوى فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كانت بل كانت مشفوعة
بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى **فقد جاءكم بشير ونذير** متعلق بمحذوف ينبئ عنه
الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم بشير اى بشير ونذير اى نذير **والله على كل شىء قدير** فيقدر على الارسال تترى
كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال
بعد الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع
وستون سنة او خمسمائة وستة واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلاثة من بنى اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الانسب بما هو الانسب بما فى تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث

اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحى ليعدوه اعظم
نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم
واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل
كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور الا وصف النبى صلى الله عليه وسلم ببيانه
بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الاية ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول
لفعل مقدر خوطب به النبى عليه السلام بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر
عن بعضهم من الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى عليه السلام لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت ايجابا لذكرها وقع فيه بالطريق البرهانى
ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد
عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اى اذكروا
انعامه واذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم وكذا اذ فى قوله تعالى **اذ جعل فيكم انبياء** اى اذكروا
انعامه عليكم فى وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم
ذوى عدد كثير واولى شان خطير لم يبعث فى امة من الامم ما بعث من بنى اسرائيل من الانبياء **وجعلكم**
ملوكا عطف على فيكم داخل فى حكمه اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر
الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان
اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب
النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليست بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من
ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله تعالى فسمى انقاذهم
ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع وفيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له ما لا يحتاج
معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين** من فلق البحر
واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور
العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل عالمى زمانهم **يا قوم ادخلوا الارض**
المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة فى حثهم على الامتثال
به والارض هى ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل
الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى الشام **التى كتب الله لكم**
اى كتب فى اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم و
قوله تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين** فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد
يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اى لا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس
الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا
الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا
على ترتدوا او منصوب على جواب النهى والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم
قالوا استئناف مبنى على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا عقيب هذا الامر ع م

دهشة وقيل قالوا غير متمثلين بذلك يا موسى إن فيها قوما جبارين متغلبين لا تتأتى منازعتهم
ولا يتسنى مناهضتهم والجبار العالي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده فعّال من جبره
على الأمر أي أجبره عليه وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فإنه
لا طاقة لنا بإخراجهم منها فإن يخرجوا منها بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها فإنا داخلون
حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم
منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على أن امتناعهم من دخولها ليس إلا لمكانهم فيها وأتوا في الجزاء بالجملة
الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة وإظهارا
لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالأمر قال رجلان استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على
ذلك أو خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون أي يخافون الله تعالى دون العدو
ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بأن من عداهما لا يخافه
تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو أي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن
نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى عليه السلام فالواو
حينئذ لبني إسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد إليهم محذوف أي من الذين يخافونهم
بنو إسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يُخافون على صيغة المبني للمفعول أي المخوفين وعلى الأول يكون
هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله بالتذكير أو يخوفهم الوعيد أنعم الله عليهما أي
بالتثبت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده أو بالإيمان وهو صفة ثانية لرجلان
أو اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون أي من رجلان لتخصصه بالصفة أي قالا مخاطبين
لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب أي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن
المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أو باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من
البروز إلى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فإذا دخلتموه أي باب بلدهم وهم فيه فإنكم غالبون
من غير حاجة إلى القتال فإنا قد رأيناهم وشاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسادهم عظيمة
فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فإنهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل إنما حكما بالغلبة
علما بها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم أو لما علماه من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهداه
من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه والأول أنسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة
فتوكلوا بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله
العزيز القدير إن كنتم مؤمنين أي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما يوجب التوكل
عليه حتما قالوا استئناف لما سبق أي قالوا غير مبالين بهما ومقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام
إظهارا لإصرارهم على القول الأول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى إنا لن ندخلها
أي أرض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم أبدا أي دهرا طويلا ما داموا فيها أي
في أرضهم وهو بدل من أبدا بدل البعض أو عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة أي فإذا كان الأمر
كذلك أنت وربك فقاتلا أي فقاتلاهم إنما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه ورسوله عليه السلام
وعدم مبالاة وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل أرادوا
إرادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا أريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير

التقدير فاذهب أنت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين
كأنهم لم يجزموا بذهابهم ولم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى إنا هاهنا قاعدون يؤيد الوجه الأول
وأرادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على
طريقة البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة
رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في إني على معنى إني لا
أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه وقيل على الضمير في لا أملك للفصل فافرق بيننا يريد
نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن
طاعتك المصرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فإنها أي الأرض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة
بالإيمان والجهاد وحيث نكصوا على أدبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى أربعين
سنة إن جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله
لكم فالمراد بتحريمها عليهم أنه لا يدخلها أحد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها
بل بعضهم ممن بقي حسبما روي أن موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني إسرائيل إلى أريحا وكان يوشع بن نون
على مقدمته ففتحها وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد ممن قال إنا لن ندخلها
أبدا وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالأربعين في الحقيقة
تحريمها على ذرياتهم وإنما جعل محرما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله
تعالى يتيهون في الأرض أي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم أو حال من ضمير عليهم
وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة ألف
مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ أو تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا
وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي أنهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى إذا
أمسوا إذا هم بحيث رحلوا وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء
لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول بطوله وهذه الإنعامات مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العرك
والتأديب قيل كان موسى عليه السلام وهرون عليه السلام معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لإبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي أن هرون مات في التيه ومات موسى بعده بسنة
ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فإنه تعالى بعد ما قبل
دعوته على بني إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجي بعض المدعو عليهم أو ذراريهم ويبقي وفاتهما
في محل العقوبة ظاهرا وإن كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقيل إنهما لم يكونا معهم فقد
تم الدعاء بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين
روي أنه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى وإذ قال موسى ويتعلق به من حيث إنه تمهيد
لما سيأتي من جنايات بني إسرائيل بعد ما كتبت عليهم ما كتبت وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات

بنأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر
القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم عليه السلام ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر و
كانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله
تعالى بل من جهة آدم عم فقال لهما عم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار
على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل
بالحق متعلق اتل بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حال من فاعل
اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليه
غير الزمان كوقت اذ وحين اذ اذ قربا قربانا والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تع من نسيكة
او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب
كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان صاحب زرع فقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار
اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه
فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله تع لأقتلنك اي والله
لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه
لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين
لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اوتيت من قبل
نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج
غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة
ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية
باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع
ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة
لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء لتفيد المبالغة في
اظهار براءته عن بسط اليدين ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين
وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام
الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار
الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله
لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من
الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى
خشية الله على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه ان بسطت يدي اليك لاقتلك
ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي
وصفه تع بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال عليه السلام

كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تع الا ان يدعى ان ترك
الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوأ
باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث
متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك
وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط
يدك الي كما في قوله عم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم
سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي
لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات
انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة
عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع
آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان
كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في
صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه
ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته و
سهلته من طاع له المرتع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا
كما يفصح عنه قوله لأقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان استمر
عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم
يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته
على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته
له والتعرض له باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل
او على ان قتل اخيه كأنه دعى نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا
ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم
لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في
موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل
سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله فاصبح من الخاسرين
دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه تع
بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن
في ليريه لله تع او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها
ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد سوأة اخيه جسده الميت
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حاله

الغراب فقيل **يا ويلتا** هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة **أعجزت أن أكون** اي عن أن أكون **مثل هذا الغراب فأواري**
سوءة أخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله فاواري بالنصب عطف على
ان اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري **فأصبح من النادمين** اي على قتله لما كابد فيه من التحير في
امره وحمله على رقبته مدة طويلة روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن
اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة
لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فأتاه ابليس فقال انما اكلت النار
قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها
وهو اول من عبد النار **من أجل ذلك** شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر
من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما
ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع
عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون
قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة
الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما
في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر
الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلق بقوله
كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر
اي قضينا عليهم وبينا **انه من قتل نفسا** واحدة من النفوس الانسانية **بغير نفس** اي بغير قتل نفس يوجب
الاقتصاص **او فساد في الارض** اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير
على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته ومدار الاستعمال
بين اعتباري ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة
واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض
الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين
قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما اذ ليس قبل
ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه ولتوضيحه ان كل حكم شرط تحققه احد شيئين مثلا فنقيضه
مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط تحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض
كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب
الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط
نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك
من صلى بوضوء او تيمم صحت صلاته مشروطا بتحقق احدهما بهما كان نقيضه في قولك من صلى
بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور الذي هو انتفاؤهما معا فتعين ورود
النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة
عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا بني ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل

ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل واحدا منهما فهو
احدهما واما قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلاته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا
الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض
الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما فلا
يخفى ان اباحة القتل مشروط باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما
معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كأنه قيل من قتل نفسا بغير احدهما **فكأنما قتل الناس**
جميعا من قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كأنما
كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تأكيد ومناط التشبيه اشتراك
الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود
واستجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم **ومن أحياها** اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم
ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب
الهلكة بوجه من الوجوه **فكأنما أحيا الناس جميعا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر
القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك
صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند
ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرر ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن
مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن
الخطير هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد
القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا
للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا
حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته
وتأييدا لتحتم المحافظة عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد
الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير
للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد
في الارض متعلق بقوله **لمسرفون** وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما
لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان وهي في حيزها
الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في
القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وذكرا
وكان ابلغ الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله**
ورسوله كلام مستأنف مسوق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال
ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما
اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه
على رفعة محله عنده تعالى ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من

يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق
خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج فى تعميمه لغيرهم الى دليل
آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون
اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت فى مصر **ويسعون فى الارض** عطف على يحاربون او بكار متعلق به وقوله تعالى
فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون لانه فى معنى يفسدون او على انه مصدر
من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الاية فى قوم هلال بن عويمر الاسلمى وكان
وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين
فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم
من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم
وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت فى العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل فى قوم من اهل
الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل
وافسدوا فى الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل
بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت
لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا** اى حدا من غير
صلب ان افردوا القتل ولو عفى الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان
يكون القتل بالة جارحة او لا **او يصلبوا** اى مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء
وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفى ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان
شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل فى الفعلين للتكثير
وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف** اى ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى
ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمى وكان فى المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا
منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه **او ينفوا
من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعى للفساد والمراد بالنفى عندنا هو الحبس فانه نفى
عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا بما يرونه زاجرا لهم عن منكر الاخافة وازالته وعند
الشافعى رحمه الله النفى من بلد الى بلد ولا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل النفى عن بلده فقط
وكانوا ينفونهم الى دهلك بلد فى اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك**
ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله **لهم خزى** جملة من خبر مقدم على المبتدأ
وقوله **فى الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزى على الظرفية والجملة فى محل الرفع على
انه خبر لذلك وقيل خزى خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزى لانه فى الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا وفى الدنيا اما صفة لخزى او متعلق به على ان الخزى
الذل والفضيحة **ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم
وقوله لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفى الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب
لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا فى الآخرة **الا الذين تابوا من قبل**

ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى **فاعلموا ان الله
غفور رحيم** اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا وان
احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائها لا جوازه وعن على رضى الله عنه ان
الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة **يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله** لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير فى تضاعيف
ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين بان يتقوه تعالى فى كل ما يأتون وما يذرون
بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصى التى من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التى
من زمرتها السعى فى احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار **وابتغوا**
اى اطلبوا لانفسكم **اليه** اى الى ثوابه والزلفى منه **الوسيلة** هى فعيلة بمعنى ما يتوسل
به ويتقرب الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اى تقرب اليه
بشئ واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد
بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل شر
فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا
وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصى المشتهيات للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة
عقب الامر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا فى سبيله** بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة **لعلكم
تفلحون** بنيل مرضاته والفوز بكراماته **ان الذين كفروا** كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب
الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين فى المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه تعالى قبل انقضاء
اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل
الثواب **لو ان لهم** اى لكل واحد منهم كما فى قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الى آخره لا لجميعهم اذ
ليس فى ذلك المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال **ما فى الارض** اى من اصناف اموالها وذخائرها
وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بالاختلاف انه عند بعضهم رفع على
الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر
ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اى لو ثابت كون ما فى
الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اى لو كون ما فى الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين
رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اى لو ثبت انهم ما فى الارض وقوله تعالى **جميعا**
تأكيد للموصول او حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله **معه** ظرف وقع حالا من المعطوف
والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب
تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير
الراجع اليهما واللام فى قوله تعالى **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر ان اعنى الاستقرار المقدر
فى لهم او بالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على رأى
المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب فى ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما
له والباء فى به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما
لاجرائه مجرى اسم الاشارة كأنه قيل بذلك كما فى قوله كأنه فى الجلد توليع البهق اى كان

ذلك وقيل راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعنى مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار
في قوله وقيار بها لغريب اى وقيار ايضا غريب ويجوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه
ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وان خبرية لان يدل على كون
الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله
في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في
لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في معه
وان قولك هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تع **من عذاب
يوم القيمة** متعلق بالافتداء ايضا اى لو ان ملك الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم
من العذاب الواقع يومئذ **ما تقبل منهم** ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك
لهم لاجل فدائهم به من غير ذكر الافتداء به بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب
عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى العرض
تقديرهم على ما ذكر وللمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله
تع انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فراه فلما الخ
وما في قوله تع وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عم عليهن ورؤيتهن
له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم
منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر
ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت من ذلك
وهو كلمة الشهادة وقوله **ولهم عذاب اليم** تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة
تقريره وبيان هوله وشدته ومحله النصب على الحالية وقيل الرفع على خبر ان وقيل عطف
على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه **يريدون ان يخرجوا من النار** استيناف مسوق
لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل كيف يكون حالهم او ما
ذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون
ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوقه فهنالك يريدون الخروج
ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنون
ويريدون بقلوبهم وقوله تعالى **وما هم بخارجين منها** اما حال من فاعل يريدون او اعتراض
واياما كان فايثار الجملة الاسمية الايجابية كما يفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية
بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء
المفعول من الاخراج **ولهم عذاب مقيم** تصريح بما اشير اليه من عدم تناهي مدته بعد
بيان شدته **والسارق والسارقة** شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى
وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء
كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة اندراج النساء في الاحكام الواردة
في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدا خبره عند
سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وعند

المبرد قوله **فاقطعوا ايديهما** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط لا يقع خبرا الا بتاويل
واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي
عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله تع فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عم اتي بسارق فامر
بقطع يمينه منه **جزاء** نصب على انه مفعول له اى فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي
يدل عليه فاقطعوا اى فجازوهما جزاء وقوله تعالى **بما كسبا** على الاول متعلق بجزاء وعلى
الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اى بسبب كسبهما او موصولة اى بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر
بالايدي وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع
معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال
المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب
معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجاز في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان
ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا وثم قالوا ان قوله
تع ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله**
متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اى نكالا كائنا منه تعالى **والله عزيز** غالب على امره يمضيه
كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه **حكيم** في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة
ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح **فمن تاب** من السراق الى الله تع
من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تع بتذكير
عظم جنايته **واصلح** اى امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها **فان
الله يتوب عليه** اى يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه
حق المسروق منه وتسقط عند الشافعي رح في احد قوليه **ان الله غفور رحيم** مبالغ في المغفرة
والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد
استقلال الجملة وكذا قوله تع **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية
مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وهي مع
ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما قبله من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام
الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تع على ما سيأتي من التعذيب
والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اى الم تعلم ان الله تع له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير
ذلك حسبما تقتضيه مشيئته **يعذب من يشاء** ان يعذبه **ويغفر لمن يشاء** ان يغفر له من غير ند
يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة
اما تقرير لكونه تعالى له ملكوت السموات والارض او خبر آخر لان **والله على كل شيء قدير**

يتفرع على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها ﴿يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوع ﴿من الذين قالوا آمنا بافواههم﴾ بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا ﴿ومن الذين هادوا﴾ عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى ﴿سماعون للكذب﴾ خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومبادي الحال كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون لاخلاله باختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الفوائد الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما تفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتعالى وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وايا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما يبنون عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى ﴿سماعون لقوم آخرين﴾ خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي يقبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها

لام التعليل بمعنى سماعون منك لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى ﴿لم يأتوك﴾ صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ صفة اخرى لقوم وصفوا او لا بعدم حضورهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير بعد حضورهم مجلس الرسول عليه السلام ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله تعالى وتعيينا للكذب الذي يسمعه السماعون اي يميلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم المخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحضره وقطعا وادعاء قول السماعون لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه محرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ﴿ان اوتيتم هذا﴾ من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فخذوه﴾ واعملوا بموجبه فانه الحق ﴿وان لم تؤتوه﴾ بل اوتيتم غيره ﴿فاحذروا﴾ اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك كيف هي في كتابك يا محمد قال صلى الله عليه وسلم اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن

عليه وسلم

صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء
كان يعرفها من اعلامه فقال انك الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب المسجد **ومن يرد الله فتنته** اي ضلالته وفضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون
اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره والاستغناء عن ذكره **فلن
تملك له** فلن تستطيع **من الله شيئا** في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم
انفكاكهم عن القبائح المذكورة بدا **اولئك** اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما
في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى **الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم
عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة
في الكفر اولا وشرح فنون ضلالهم ثانيا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة
بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها وانهم فيه ابتداء **لهم في الدنيا خزي** اما المنافقون
فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية
والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي
الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الكلام في قوله تعالى **ولهم في الآخرة** اي مع
الخزي الدنيوي **عذاب عظيم** هو الخلود في النار وضمير هم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا
لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استئناف
مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في
الدنيا **سماعون للكذب** خبر آخر للمبتدأ المقدر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى
اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمبتدأ وارد على طريقة الذم وبناء على ان المراد بالكذب ما
يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه
وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه يسحت البركة والمراد به ههنا الرشا التي
كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان يأخذه
فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما
اوليا وقرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون
الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به **فان جاؤك** لما بين
تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلفة الموجبة للاخلال بهم وبالغا عليهم حسبما امر صلى الله عليه وسلم
خوطب عم ببعض ما يبتني من الاحكام بطريق التفريع بالفاء الفصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح
فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات **فاحكم بينهم او اعرض عنهم** غير مبال بهم
ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له عم بين الامرين فقيل هو امر خاص هو ما ذكر
من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله عليه السلام
فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا
لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا
الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم رجلين

منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم
اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم
وابي مسلم وقيل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ
من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله
تع فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها قوله تع وان احكم بما انزل الله وعليه مشايخنا
وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى
بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم
الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم
ومضارتهم له عم فامنه الله تع بقوله **فلن يضروك شيئا** من الضرر فان الله عاصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم **ان الله يحب
المقسطين** فيحفظهم عن كل مكروه ومحذور **وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله** تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه
في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة
الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله تعالى بزعمهم فقوله تعالى
وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت
مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق
لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة الموماة في كلامهم كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تع
من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تع **وما اولئك بالمؤمنين**
تذييل مقرر لمضمون ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن
بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم او الى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى
انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو
والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك
الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم **انا انزلنا
التورية** كلام مستأنف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل
مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين
محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم وتقريرا لكفرهم
وظلمهم وقوله تعالى **فيها هدى ونور** حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من
حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم
من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تع **يحكم بها النبيون** اي
انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها
وقد جوز كونها حالا من التورية فتكون حالا مقدرة اي يحكمون من قبلنا [illegible] لنا ما لم تنسخ

وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر ولان
المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى **الذين اسلموا**
صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم
بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزيلا من الاعلى الى
الادنى بل لتنويه شأن الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء مبنى على عظم قدر الوصف لا محالة كما في
وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف
الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود بانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام
لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى **للذين هادوا** هو متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام
اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه
للمحكوم عليهم ايضا باسقاط التبعة عنهم واما للاشعار بكمال رضاهم وانقيادهم له كانه امر نافع لكلى
الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما
ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق
بمحذوف وقع صفة لهما اى هدى ونور كائن للذين هادوا **والربانيون والاحبار** اى الزهاد
والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده
حبر بالفتح والكسر والثانى افصح وهو رأى الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه
وهو عطف على النبيون اى هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان
بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى **بما استحفظوا** اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية
حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف
لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى **من كتاب الله** من
تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان
الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم
لكن لا على انها صلة له كالتى في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها
سببية اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم
وسألوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا
فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ
له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى
ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذى سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير **وكانوا عليه
شهداء** اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من
المزايا وقيل بما استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله تعالى
اى كلفهم الله ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى **فلا تخشوا الناس** خطاب لرؤساء
اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهى بطريق الدلالة دون العبارة

العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشأنها فيما بين الانبياء ومن يقتدى
بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال
بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرأتهم
على ذلك خشية ذى سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اى اذا كان
شأنها ما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعات احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء
واشياعهم **واخشون** في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء **ولا تشتروا باياتى**
والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ
شئ بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما
فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتى التى فيها
بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها **ثمنا قليلا** من الرشوة والجاه
وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك
العمل بها وانما عبر عن المشترى الذى هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلى بالثمن الذى
شأنه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض
الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم في التعكيس بجعلهم
المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة الاصلية مقصدا **ومن لم يحكم بما انزل الله** كائنا من كان دون المخا
طبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما
فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا **فاولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها **هم الكافرون** لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره و
الجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ
تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله
فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه
وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا **وكتبنا** عطف على انزلنا التورية **عليهم** اى على
الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بنى اسرائيل **فيها** اى في التورية **ان النفس بالنفس** اى تقاد
بها اذا قتلتها بغير حق **والعين** تفقأ **بالعين** اذا فقئت بغير حق **والانف** يجدع **بالانف** المقطوع بغير
حق **والاذن** تصلم **بالاذن** المقطوعة ظلما **والسن** تقلع **بالسن** المقلوعة بغير حق **والجروح
قصاص** اى ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا
يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل
ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك
النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها
فمن تصدق به اى من المستحقين به اى بالقصاص اى فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة
في الترغيب فيه **فهو** اى التصدق **كفارة له** اى للمتصدق يكفر الله تعالى به ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز
عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله **ومن لم يحكم** كائنا من كان

مبينا ولمن لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود دينا ولا بيّنة بما أنزل الله من الأحكام والشرائع
ثم كان يدخل فيها الاحكام المحكية دخولا أوليا فأولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم
المتعدون لحدوده تع الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالاحكام
المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل إثر بيان احكام التورية وهو عطف
على انزلنا التورية اي اتبعنا على آثارهم النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى ابن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين
يديه من التورية حال من عيسى عم وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه
هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كأنه قيل
مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته عم ومصدق
لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة
التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله
هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين
لانهم المهتدون بهداه المنتفعون بجدواه وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه أمر مبتدأ لهم
بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته عم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة
الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل
له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها
وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تع يا اهل الكتاب لستم
على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف
على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك
امرته بان قم كأنه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع
ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه
وقيل عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وليحكم
بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله منكرا له مستهينا به فأولئك هم الفاسقون المتمردون
الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر
وفيه دلالة على ان الاحكام وان عيسى عم كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت
او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق
لحيازته جميع الاوصاف الكاملة لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم
فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تع بالحق متعلق بمحذوف وقع
حالا مؤكدا من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله
تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اي من حيث انه
نازل حسبما نعت فيها ومن حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة

المتغيرة بسبب تغير الاعصار وليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام
حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه
المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها
بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تع من
الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه
وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا
ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب
وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على
سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من
فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب
وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت
مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول
اي هومن عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه والحافظ اما من جهته تع كما في قوله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في
الاعصار والامصار والفاء في قوله تع فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون
القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم
المأمور به اي اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما
أنزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية
وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز
الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع أهواءهم
الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول
ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله
اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع
الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال
الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام
مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عم على الانقياد لحكمه عم بما انزل اليه من
القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل
بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة
لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد
وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض
عنه تنوين كل ولا ضير في توسيط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تع اغير الله اتخذ
وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا
ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها

ثم الامة التي كانت من بعد موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث
عيسى عم الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشريعتكم القرآن
ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا
موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في
الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من
قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شريعتنا لا من حيث انها
شرعة للاولين **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة** متفقة على دين واحد في جميع
الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل
ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة
لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه **ولكن ليبلوكم** متعلق بمحذوف
يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية
بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم **فيما آتاكم** من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها
هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة
والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة
بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل
العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل
فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد
الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة
الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله
تعالى **الى الله مرجعكم** استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد
وقوله تعالى **جميعا** حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني
للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** اي فيفعل
بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا
وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار **وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم** عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض
لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال
الامر بهذا الحكم بعدما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى **واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك** اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير
الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم
اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل
الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا الى النبي صلى الله عليه
فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فنزلت **فان تولوا** اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم** اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع
كمال عظمته واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
يريد نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس **وان كثيرا من الناس لفاسقون** اي متمردون في الكفر
مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله **أفحكم
الجاهلية يبغون** انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار
والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية
اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة
في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى
وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم وما كانوا عليه من التفاضل فيما بين
القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم
وبين بني قريظة طلبوا اليه عم ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال صلى الله عليه وسلم
القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره
والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ تبغون على الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ
وقرئ بفتح الحاء والكاف اي أفحاكما كحكام الجاهلية يبغون **ومن احسن من الله حكما** انكار لان
يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها
وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **لقوم يوقنون** اي عندهم واللام
كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان
حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها **يا ايها الذين آمنوا** خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من
المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من
اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وعلا **لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء** فان تذكر
اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه
لا يتعلق به النهي **بعضهم اولياء بعض** اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك
الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة
بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن
المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته
اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغون لكم الغوائل فكيف يتصور بينكم
وبينهم موالاة وقوله تعالى **ومن يتولهم منكم فانه منهم** حكم مستنتج منه فان اختصاص الموالاة بينهم
يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن
بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين

عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة لهم في الحقيقة وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول عليه السلام بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ايذانا بان ما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى **يسارعون فيهم** حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لانهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بالياء على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى **يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة** وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم موالي بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل **فعسى الله ان يأتي بالفتح** رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار بالجثة بالحدث في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين **او امر من عنده** بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء **فيصبحوا** اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة **على ما اسروا في انفسهم نادمين** وهو ما كانوا

كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها **ويقول الذين امنوا** كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو وعلى انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على يصبحوا وقيل على ما يأتي باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين امنوا مخاطبين لليهود ومشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم** اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا هؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها حالا لا تعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى **حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاء والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وهو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء والزم اتساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة **يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه** وقرئ يرتدد بالفك

على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم
مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مضار من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين
على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القران قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام
احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار
وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكتب عم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تع على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي
ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي
وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال
الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن و
غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن
نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول
ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تع امرهم
على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة
وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه وقوله عز وجل فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد
الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد هلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خير
الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة القوم وكذا قوله تع ويحبونه اي يريدون طاعته
ويحترزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه
اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام
سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف
من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه
ذلل اي رافقين رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى لتضمين معنى العطف
والحنو وللتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية
المقابلة بينه وبين ما في قوله تع اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه
اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك
بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة
الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله ما يأتيهم

من ذكر من ربهم محدث وقوله ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان
قوله تع يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن
الرحمن حال لا صفة وان من متعلق بمضمر محذوف تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من
قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مرتبة على ما قبلها مبينة
مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين
فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه
لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال
المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو
الحال واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه
لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء
التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار
الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين
ان من تولاهم من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء
لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة
ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تع وولاية غيره
وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة صفة للذين آمنوا اجريت مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم
راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وهم خاشعون
ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان
كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله السائل
وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى
فساد الصلوة ولفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان
صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال
ومن يتولهم رعاية لما مر من كونه تع اصلا متبوعا في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب
الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تع خاصة وهو من باب وضع الظاهر موضع
الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم
بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما

ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وإيذانا بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة **من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إيتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم **والكفار** أي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول وفيه إشعار بأنهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب هل تنقمون منا إلا الإيمان وقرئ بالجر عطفا على الموصول الأخير ويعضده قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم أيضا من جملة المستهزئين **أولياء** وجانبوهم كل المجانبة **واتقوا الله** في ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهي على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا أوليا **إن كنتم مؤمنين** أي حقا فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها** أي الصلاة أو المناداة وفيه دلالة على شرعية الأذان **هزوا ولعبا** بيان لاستهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق إظهارا لكمال شقاوتهم روي أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله يقول أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله جميعا **ذلك** أي الاستهزاء المذكور **بأنهم** بسبب أنهم **قوم لا يعقلون** فإن السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤوا على تلك العظيمة **قل** أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بأن يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر أي قل لأولئك الفجرة **يا أهل الكتاب** وصفوا بأهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم **هل تنقمون منا** من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه وهو من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة أي ما تعيبون وما تنكرون منا **إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا** من القرآن المجيد **وما أنزل من قبل** أي من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية **وأن أكثركم فاسقون** أي متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا على أنه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فإن اتخاذ الذين هزوا ولعبا عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا أنه أبرز في معرض علة نقمهم تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا للنقم مع كونه في نفسه موجبا للقبول والارتضاء والاستثناء من أعم العلل أي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول لتنقمون لكن لا على أن المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا المخالفة حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد

ر ت

واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أي ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم معلوم أو ثابت والجملة حالية أو معترضة وقرئ بإن المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين متمردين **قل هل أنبئكم بشر من ذلك** لما أمر عليه السلام بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم أيضا وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر عليه السلام عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المسوقة إلى المخبر به والتنبيه المشير إلى كونه أمرا خطيرا لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المتقدم حقيقة أو اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقريرها وقيل إنما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله عن دينه فقال عليه السلام أؤمن بالله وما أنزل إلينا ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وإنما اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت أن دينهم شر من كل شر أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وإن كان في نفسه خيرا محضا **مثوبة عند الله** أي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من شر وقوله عز وجل **من لعنه الله وغضب عليه** خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أي شر من أهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم وإما باعتبار التقدير فيها كأنه قيل من الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ وقيل في السؤال من ذا الذي هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وما يتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات **وجعل منهم القردة والخنازير** أي مسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في منهم باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه وإيثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من

الانوار الهيئة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عَبُدَ الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اى عبد فيهم او منهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت امام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسوال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية بقي الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السوال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الانشائية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف ولا بد من موافقته في الكيفية للسوال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السوال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة ويتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تع فالمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تع فيعم الحكم دين النصارى ايض ويصح وجه تاخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت انما هو شرية ما تقوم دينهم او ان من هو شر من اهل ما تقوم انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكان الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل **اولئك شر مكانا** فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اى منصرفا **واضل عن سواء السبيل** عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا

محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا لا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال **واذا جاؤكم قالوا آمنا** نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول عم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اى يخرجون من عندك متلبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايض بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تع ولذلك قيل **والله اعلم بما كانوا يكتمون** اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم **وترى** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والروية بصرية **كثيرا منهم** من اليهود والمنافقين وقوله تع **يسارعون في الاثم** حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والروية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تع وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تع فترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام **والعدوان** اى الظلم المتعدي الى الغير ومجاوزة الحد في المعاصي **واكلهم السحت** اى الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح **لبئس ما كانوا يعملون** اى لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار **لولا ينهاهم الربانيون والاحبار** قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم اعقاوهم ويعلمون قبائح ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخهم على تركه **عن قولهم الاثم واكلهم السحت** مع علمهم بقبحهما و مشاهدتهم لمباشرتهم لهما **لبئس ما كانوا يصنعون** وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها **وقالت اليهود** قال ابن عباس رض وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تع ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء **يد الله مغلولة** ولم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال

وغداة ريح قد نهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء **غلت ايديهم** دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره **ولعنوا** عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى **بما قالوا** اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما جزاء **بل يداه مبسوطتان** عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية على معنى نعمه تعالى في الدنيا والآخرة وقيل على عطاياه اكراما وعلى عطاياه استدراجا **ينفق كيف يشاء** جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفق لقصد التعميم **وليزيدن كثيرا منهم** وهم علماؤهم ورؤساؤهم **ما انزل اليك** من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك **من ربك** متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه **طغيانا وكفرا** مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا وكفرا على كفرهم القديم اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا **والقينا بينهم** اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة **العداوة والبغضاء** فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض ولا عكس كليا **الى يوم القيمة** متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله** تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم

حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة وقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب **ويسعون في الارض فسادا** اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موضع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد **والله لا يحب المفسدين** ولذلك اطفا نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد **ولو ان اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايثار ذكرهم بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى **آمنوا** محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وبما حكي من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما اراده ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما حكي من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه الصلاة والسلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان هيهنا على الايمان به عليه السلام مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم **واتقوا** ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم **لكفرنا عنهم سيئاتهم** التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها **ولادخلناهم** مع ذلك **جنات النعيم** وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء **وما انزل اليهم من ربهم** من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة ببعثته عليه السلام **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم

على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال
به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم
جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى **منهم أمة مقتصدة** جملة مستأنفة مبنية
على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان
والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم
الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على انه مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما
بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية
اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى
وقيل طائفة حالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** مبتدأ لتخصصه
بالصفة خبره **ساء ما يعملون** اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى
التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم **يا ايها الرسول** نودي
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر
من تبليغ ما اوحي **بلغ ما انزل اليك** اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها
كائنا ما كان وفي قوله تعالى **من ربك** اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق عدة ضمنية
بحفظه صلى الله عليه وسلم وكلائه اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه
ابدا **وان لم تفعل** اي ما امرت به من تبليغ الجميع المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى **فما بلغت رسالته**
فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما
بلغت شيئا من رسالاته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس
بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها
كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد
ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها
اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل
فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت
اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم روحه العزيز
باعث له صلى الله عليه وسلم على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم
وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى **ان الله لا
يهدي القوم الكافرين** تعليل لعصمته تعالى له صلى الله عليه وسلم اي لا يمكنهم مما يريدون
بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان

ان الكل نوازع بسوء الكفار ومساعيهم ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها
وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل **قل يا اهل
الكتاب** مخاطبا للفريقين **لستم على شيء** اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه
ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه **حتى تقيموا التوراة والا
نجيل** اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه
وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من
اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان
شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قررته
النبي صلى الله عليه وسلم بشرتهما ببعثته وذكر في نصاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد
النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى **وما انزل اليكم من ربكم** اي
القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته
مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاوة وايراده بعنوان
الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مأمورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم
كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة
بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله
الست تقر ان التوراة حق من عند الله فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا انا مؤمنون بها ولا
نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا**
جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا
وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم
ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان بانسلاخهم
عن تلك النسبة **فلا تأس على القوم الكافرين** اي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان
والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر **ان الذين آمنوا** كلام
مستأنف لترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم
فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئه قلوبهم اولا **والذين هادوا** اي دخلوا في اليهودية
والصابئون والنصارى جمع نصراني وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله الا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة
على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح
منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاسمية للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر
كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل النصارى مرفوع على

الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراطه ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان وبالابتداء معا وعند زعمه بان ذلك اذا كان المذكور خبرهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابين وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة **ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل** كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية **وارسلنا اليهم رسلا** ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم** جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية

الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة يقتضي انتظامها من الحكم وتجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم الكريم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما تعيته جناياتهم استبيانا على ابلغ وجه وآكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة **وحسبوا ان لا تكون فتنة** اي حسب بنو اسرائيل ان لا تصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه **فعموا** عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة **وصموا** عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم من بعده عليه السلام باعصار **ثم تاب الله عليهم** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله تعالى عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على ما كان فيه من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى **ثم عموا وصموا** وهو اشارة الى المرة الاخرى من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدهم عيسى عليه السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفته

فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصارها فيما حكى عنهم ههنا في الرتبة
وترتيبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضى بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب
وقرئ عُموا وصُموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته
اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل
خبر مبتدأ محذوف اى اولئك كثير منهم **والله بصير بما يعملون** اى بما عملوا وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به
الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفى بها
تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بنى اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا تصيبهم عذاب فتعلو
ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم
بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط عليهم بخت نصر
عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر
فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه
فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل
الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرز وقيل خردوس ففعل بهم ما فعل قيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
بن مريم** شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود
وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم
اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله حل في ذات عيسى واتحد به تعالى عن ذلك علوا
كبيرا **وقال المسيح** حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم
للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اى قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا
لهم **يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم** فانى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم
انه اى الشان **من يشرك بالله** اى شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية **فقد
حرم الله عليه الجنة** فلن يدخلها ابدا كما لا يصل اليه المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة **ومأواه النار** فانها المعدة للمشركين وهذا
بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من انصار** اى ما لهم من احد
ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة
بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار
لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى

عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل
على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم
ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام
على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير
بان التعبير عما حكى عنهم من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار بحرمان الجنة
ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوى
بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق
بشانه تعالى من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان
يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه فانه زجر اياهم عن قولهم انما
بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بالرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من
الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة**
شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الا
عداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة
ورابع اربعة وانما ينصب اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية
قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله تعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده
قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اى
احد ثلاثة الهة وهو المتبادر من قوله تعالى **وما من اله الا اله واحد** اى والحال انه ليس في
الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالو
حدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة
اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل
الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد لا اله واحد
بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه **وان لم ينتهوا عما يقولون** من الكفر الشنيع ولم
يوحدوا وقوله تعالى **ليمسن الذين كفروا** جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اى وبالله
ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى
منهم بيانية اى ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر ومن تبعيضية وانما جئ بالفعل
المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام
وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من الكفر **عذاب اليم** اى نوع شديد الالم
من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه** للانكار
الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق و
يستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما ينسبونه اليه من الاتحاد والحلول فيكون الانكار والتعجيب من عدم
الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون
عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله تعالى

والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر
وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اى والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم
من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق الحق الذى لا محيد
عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اخص ما لهما من نعوت الكمال
التى بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر
بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا
لهم الى التوبة والاستغفار اى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الالوهية فان خلت الرسل السالفة
عليهم السلام منذ يحلوه المقتضى لاستحالة الالوهية اى ما هو الا رسول كالرسل الخالية من
قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا فى يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق
آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه
وافعاله وامه صديقة اى وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق والتصديق
ويبالغن فى الاتصاف بهما فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبى والآخر صحابى فمن اين لكم ان
تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبيا وخواصهم كانا يأكلان الطعام استيناف مبين
لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر فى الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد
الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية
ولا يرعوون عن ذلك بعدما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف
معمول لنبين والجملة فى حيز النصب معلقة لانظر اى انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية
ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اى كيف يصرفون
عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة فى التعجيب وثم
لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اى ان بياننا للآيات امر بديع فى بابه بالغ لاقصى
الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد
ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه
من احوالهم اتعبدون من دون الله اى متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن
عيسى عم وايثار ما على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا ببيان
انتظامه عم فى سلك الاشياء التى لا قدرة لها على شئ اصلا وهو عليه السلام وان كان يملك
ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع ولان ادنى درجات التاثير
دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل تعبدون مؤكدة
للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر
على شئ من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات

والمعلومات التى من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة
بالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التى من جملتها مضاركم ومنافعكم فى الدنيا والآخرة قل
يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقى اهل الكتاب على لسان النبى صلى الله عليه وسلم
بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة فى زجرهم عما سلكوه من المسالك الباطلة وارشادهم الى
الامم اليه لا تغلوا فى دينكم اى لا تتجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة
الرسالة الى ما تقولوا فى حقه من العظيمة وللهود عن وضعهم له عم عن رتبته العلية الى ما تقولوا
عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما فى سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب
لتذكير ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى
لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اى لا تغلوا مجاوزين الحق
او من دينكم اى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على
المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من
الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم واضلوا كثيرا
اى قوما كثيرا ممن شايعهم فى الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند
مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وتوضح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اى لعنهم الله
عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجرى على سنن الكبرياء من بنى اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من
الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اى لعنهم الله تعالى
فى الزبور والانجيل على لسانيهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عليه السلام
وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عم اللهم عذب
من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره
على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته فى الشناعة والهول وهو مبتدا
خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما
نشأ من الكلام كانه قيل باى سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم
واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد لبيان استمرار عدم التناهى عن المنكر ولا يمكن
استمراره الا باستمرار تعاطى المنكرات وليس المراد بالتناهى ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله
من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهى عن اشخاص متعددة
من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما فى تراءوا الهلال وقيل التناهى بمعنى
الانتهاء يقال تناهى عن الامر والنهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية
والاعتداء ومفيدة لاستمرارها صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر بان لا
يوجد فيما بينهم من يتولاه فى وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق

وعلى كل تقدير ففيه وتنكير المنكر من الوحدة النوعية لا الشخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي
في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر
باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان
النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة والمثل وجعل
الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد
ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف
لا يخفى **لبئس ما كانوا يفعلون** تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف وقد اداهم
الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسبيبه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الايماء
الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما
في حيز الصلة له ولما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم** اي من
اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم
والرؤية بصرية وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا** حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين
بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود
وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم **لبئس ما قدمت
لهم انفسهم** لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة **ان سخط الله عليهم** هو المخصوص
بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما
شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره و
الرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ
محذوف يبنى عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله تعالى عليهم
وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت
لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء
شيء قدمته لهم انفسهم وقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من الشيء المحذوف وهو مذهب سيبويه
وفي العذاب اي عذاب جهنم **هم خالدون** ابد الابدين **ولو كانوا** اي الذين يتولون المشركين
من اهل الكتاب **يؤمنون بالله والنبي** اي نبيهم **وما انزل اليه** من الكتاب او لو كان
المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اي المشركين او اليهود **اولياء**
فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون عن الدين
والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه **لتجدن اشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا** جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من
قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت
بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما
اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة
هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه

عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة
لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة
في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى انك ان قصدت
ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم
خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الباطنة والظاهرة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البادية
والكامنة لتجدن الاشد منهم تينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة
بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك
وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله بذلك لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود
على المشركين بعد لزومهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم
عليهم في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في
الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا** اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة
التوضيح والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم
حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى
هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم والكلام في مفعولية لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت
بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال
اقرب ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال او لا لتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان
بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين
والآخر في اقرب مراتب النقيض الآخر **ذلك** اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين **بان منهم**
اي بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس
صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب
وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر
وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى
الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل
له قسيس **ورهبانا** هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد
وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو
ونزل والراهب المتعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط
الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة
جنسهم والا ففي اليهود للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس بخصلة مظنة لاتصاف
الجنس بها والا ففي اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال
تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ ولكنهم لما لم

يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يبعد حكمهم الى جنس اليهود **وأنهم لا يستكبرون** عطف
على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون من قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه
الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على أن
التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر **وإذا
سمعوا ما أنزل إلى الرسول** عطف على لا يستكبرون أي ذلك سبب انهم لا يستكبرون وأن
أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى
قبول الحق وعدم إبائهم اياه **ترى أعينهم تفيض من الدمع** أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض
الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها **مما عرفوا
من الحق** من الأولى للابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ناشئ من معرفة الحق
وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعيضية لأن ما عرفوه بعض الحق وحيث أبكاهم
ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على
صيغة المبني للمفعول **يقولون** استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية حالهم عند سماع القرآن
كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون **ربنا آمنا** بهذا أو بمن أنزل هذا عليه أو بهما وقيل حال من
الضمير في عرفوا أو من الضمير المجرور في أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** أي الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته
أو مع أمته الذين هم شهداء على الأمم القيامة وانما قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الانجيل
كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم
وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على أن قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل
ما فيه من الاستقرار أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب
جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق
المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وأمثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار
الواقع كما في أتضرب أباك وأخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب أبي كذلك ما الاستفهامية قد
تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر
ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب أيضا كما في الآية الأولى
فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة أمر مفروض حتما وقوله تعالى
ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال أخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ
والعامل فيها هو العامل في الأولى مقيدا بها أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة
الصالحين أو من الضمير في لا نؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم ايمانهم مع أنهم يطمعون
في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين
الطمع المذكور **فأثابهم الله بما قالوا** أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده
وقرئ فآتاهم الله **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**
أي الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان في الأمور والآيات الأربع روي

أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا
جعفر بن أبي طالب والمهاجرين وأحضر القسيسين والرهبان فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ
سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه وفدوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا **والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر مع أنه ضرب منه
لما أن القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب
والترهيب **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** أي ما طاب ولذ منه كأنه لما
تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات
عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب أي لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها
على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن
مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين وأن يرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني لم أومر بذلك ان لأنفسكم
عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت **ولا تعتدوا** أي ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم
الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن
مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده عقيبه أو أريد ولا تعتدوا
بذلك **إن الله لا يحب المعتدين** تعليل لما قبله **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** أي ما حل
لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة
أو متعلق بكلوا ومن ابتدائية أو هو المفعول وحلالا حال من الموصول أو من عائده المحذوف أو
صفة لمصدر محذوف أي أكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة **واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** تأكيد للوصية بما أمر به فان
الايمان به يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه **لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم** اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا أي يحلف على شيء يظن أنه
كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة
فلما نزل النهي قالوا فكيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله
لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر
أو حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها بالقصد والنية
والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف
وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم **فكفارته** أي فكفارة نكثه وهو الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة
وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام
من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه **اطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم** أي من أقصده في النوع أو المقدار وهو نصف

صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما
كائنا من اوسط ما تطعمون اذ الرفع على انه بدل من طعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في
جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة **أو كسوتهم** عطف على اطعام او على محل من اوسط
على تقدير كونه بدلا من طعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ
بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع
تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم
الاوسط **أو تحرير رقبة** اي او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا
على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احد الخصال مطلقا وتخيير التعيين للمكلف **فمن لم يجد** اي شيئا
من الامور المذكورة **فصيام** اي فكفارته صيام **ثلاثة ايام** والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام
متتابعات والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي رحمه الله لا يرى الشواذ حجة
ذلك اي الذي ذكر **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** وحنثتم **واحفظوا ايمانكم** بان تضنوا بها ولا
تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان
تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها **كذلك** اشارة الى مصدر
الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل
ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر
لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع **يبين
الله لكم آياته** اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب** اي الاصنام المنصوبة للعبادة **والازلام** سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او
المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ **من عمل الشيطان** في محل الرفع على انه صفة رجس اي
كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه **فاجتنبوه** اي الرجس او ما ذكر **لعلكم تفلحون**
اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم
تتقون وقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة
بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت
وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة
ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة
الى مفاسدهما الدنيوية **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** اشارة الى مفاسدهما الدينية
وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن

الوثن وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد
عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من صنوف
الصوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية **واطيعوا الله واطيعوا الرسول**
عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه **واحذروا** اي مخالفتهما في ذلك
فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا **فان توليتم** اي اعرضتم عن
الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم
الاحتراز عن مخالفتهما **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وقد فعل ذلك بما لا مزيد
عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل
وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل
من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد
فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم
بتوليهم يضرونه حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم **ليس على الذ** ين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج **فيما طعموا** اي تناولوا اكلا وشربا فان
استعماله في الشرب ايضا مستفيض ومنه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما نزل الله تحريم
الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان
يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم
الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وكلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة
والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى **اذا ما اتقوا** واللازم منتف
بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري
عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون
في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم
منه اباحة الكل بان يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم
من الاول **وآمنوا وعملوا الصالحات** اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله
تعالى **ثم اتقوا** عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع
كونه مباحا فيما سبق **وآمنوا** اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل
على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان **ثم اتقوا** اي ما حرم عليهم بعد
ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك
الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ **واحسنوا** اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة
المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص الحكم بل لبيان التعدد
هذه المرات الثلث لتخصيصه بها
والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال

الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه
ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيه شيء محرم عند طعمه
وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح
وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم
وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل
في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من
النعوت فيما سياتي بقضية كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات
الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم
بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذا كانوا في طاعته تع مع ما لهم من الصفات الحميدة
بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما
اذ ذاك ولو حرم في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة
او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبين الناس وبينه وبين
الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك
المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس
عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر
وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل **والله
يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم
الله** جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد**
اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام
الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا
متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تع **تناله ايديكم ورماحكم**
فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله
فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن ذلك فانزل الله تع
الاية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا
لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان
ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال
وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا
كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تع من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها
تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا
فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه بالغيب** اي ليتميز الخائف من عقابه
الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم

فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تع اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل
في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تع بمن يخافه بالفعل فانه تع عالم بانه سيخافه وان
كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون
عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام
على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **فمن اعتدى بعد ذلك** اي
بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تع لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه والنهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي و
التحريم ليس امرا حادثا ترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاخرون لان نفس
الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب
لتشديده بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله
تع وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا
ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي **فله عذاب
اليم** لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تع في امثال
هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين
قال ابن عباس رضي الله عنه يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه **يا ايها الذين آمنوا**
شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح
بالنهي في قوله تع **لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير
محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف
وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع
رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون **ومن قتله** اي الصيد المعهود
وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة **منكم** متعلق بمحذوف وقع
حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم **متعمدا** حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله
والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لما ان الاية نزلت في المتعمد
كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب
بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد
في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام
اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله تع لانه اعظم من ان يكون له
كفارة **فجزاء مثل ما قتل** برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على
اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبر
وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة
وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته
قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهدى به الى الحرم وبين ان يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما

وإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوماً كاملاً إذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى **من النعم** بياناً للهدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لأن الله تعالى أوجب مثل المقتول مقيداً بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم أنهم أوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقاً وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول يراد به إما المثل صورة ومعنى وإما المثل معنى وأما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع أصلاً وإذ لم يمكن إرادة الأول لما تعينت إرادة الثاني لكونه معهوداً في الشرع كما في حقوق العباد ألا يرى أن المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الإتلاف مضموناً بفرد آخر من نوعه مماثل له في غاية الأوصاف بل مضموناً بقيمته مع أن المنصوص عليه في أمثاله إنما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلأن لا تعتبر ما بين أفراد أنواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها أولى وأحرى ولأن القيمة قد أريدت فيما لا نظير له إجماعاً فلم يبق غيره مراداً إذ لا عموم للمشترك في مواقع الإثبات والمراد بالمروي إيجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الأصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن يهدي الجاني إليها أو يصرفها إلى المصارف ابتداءً بل باعتبار أن يجعلها معياراً فيقدر بها إحدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال وأما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناءً على وصفه الأول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما أن يعطفا على الوصف اللازم فضلاً عن العطف على الموصوف كما سيأتي بإذن الله تعالى ومما يرشدك إلى أن المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل **يحكم به** أي بالمثل بما قتل **ذوا عدل منكم** أي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لأن التقويم هو الذي يحتاج إلى النظر والاجتهاد من العدول دون الأشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل أحد من الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أرادوا بالمماثلة بل لأن ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدي إليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد أهل الهداية والإرشاد إلا المؤيدون بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي رحمه الله أوجب في قتل الحمامة شاة بناءً على ما أثبت بينهما من المماثلة من حيث إن كلاً منهما يعب ويهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة أمثال هذه الدقائق الغويصة إلى رأي عدلين من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأنواع لا بالأشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من أنواع الصيد نوع من أنواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة إلى الحكم أصلاً وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة جنس العادل دون الوحدة وقيل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى **هدياً** حال مقدرة من الضمير في به أو من جزاء

جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أي يهديه هدياً والجملة صفة أخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة لهدياً لأن الإضافة غير حقيقية **أو كفارة** عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما أشير إليه وقوله تعالى **طعام مساكين** عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام مساكين وقوله تعالى **أو عدل ذلك صياماً** عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفاً لازماً للجزاء يقدر بها الهدي والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلاً منها بدلاً من الآخر هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء إلى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ أو كفارة طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله وللحكمين عند محمد رحمه الله **ليذوق وبال أمره** متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال أمره أي سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذاً وبيلاً ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرئه المعدة **عفا الله عما سلف** من قتل الصيد محرماً قبل أن تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً **ومن عاد** إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم **فينتقم الله منه** خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أي فذلك لا يخاف الخ وقوله ومن كفر فأمتعه أي فأنا أمتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن أنها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنه وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر **والله عزيز** غالب لا يغالب **ذو انتقام** شديد فينتقم ممن أصر على المعصية والاعتداء **أحل لكم** الخطاب للمحرمين **صيد البحر** أي ما يصاد في المياه كلها بحراً كان أو نهراً أو غديراً وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولاً أو غير مأكول **وطعامه** أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نضب عنه **متاعاً لكم** نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام أي أحل لكم طعامه تمتيعاً للمقيمين منكم يأكلونه طرياً **وللسيارة** منكم يتزودونه قديداً وقيل نصب على أنه

مصدر مؤكد لفعل مقدر اى متعكم به متاعا وقيل مفعول له بمعنى احل لكم فانه فى قوة متعكم به تمتيعا كقوله
تع كتاب الله عليكم **وحرم عليكم صيد البر** وقرئ على بنا الفعل للفاعل ونصب صيد البر
وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كطير الماء **ما دمتم حرما** اى محرمين
وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له
فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضى الله عنهم وعن ابى هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن
جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابى حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم
ما صدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعى واحمد رحمهم الله لا يباح ما
صيد له **واتقوا الله** فيما نهاكم عنه او فى جميع المعاصى التى من جملتها ذلك **الذى اليه**
تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تع بالالتجا اليه **جعل الله الكعبة**
قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البنا وقيل لارتفاعها
من الارض ونتوها وقوله تع **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما
تجئ الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى **قياما للناس** نصب على الحال
ويرده ما بعده على المفعول الاول كما سيجى بل هذا هو المفعول الثانى وقيل الجعل بمعنى الانشا
والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب
لانتعاشهم فى امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخايف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه
التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه
بما اعل فى فعله **والشهر الحرام** اى الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام
وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثانى محذوف ثقة بما مر اى وجعل الشهر الحرام
والهدى والقلايد ايضا قياما للناس والمراد بالقلايد ذوات القلايد وهى البدن خصت
بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج اظهر **ذلك** اشارة الى الجعل المذكور خاصة او الى
ذكرنا لامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل
فى اللام بعده اى شرع ذلك **لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض** فان تشريع
هذه الشرايع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية
والاخروية من اوضح الدلايل على حكمة الشارع وعدم خروج شئ من علمه المحيط وقوله تع **وان الله**
بكل شئ عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما فى السموات والارض الاعيان الموجودة
فيهما وبكل شئ الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التى هى من قبيل المعانى
اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك وقوله تعالى **وان**
الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعات حرماته تع واقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه
ووجه تقديم الوعيد ظاهر **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد فى ايجاب القيام فيما
امر به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم
الطاعة فلا عذر لكم من بعد فى التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** فيواخذكم
بذلك نقيرا وقطميرا **قل لا يستوى الخبيث والطيب** حكم عام فى نفى المساواة عند

الله تع بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب فى جيد كل منها
والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبعة البكرى الذى مرت قصته فى تفسير
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الخ وقيل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر
كانت تجارتى وانى اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعنى من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله
تع فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان انفقته فى حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله
لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث فى الذكر
للاشعار من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستوا فيه لا فى مقابله فان مفهوم
عدم الاستوا بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزايد
لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما فى قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير الى
غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاعل فيه لما
ان صلته ملكة لصلة المفضول **ولو اعجبك كثرة الخبيث** اى وان سرك كثرته والخطاب لكل احد
من الذين امر النبى صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال
وقد مر اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما فى موقع الحال من فاعل لا يستوى اى
لا يستويان كاينين على كل حال مفروض كما فى قولك احسن الى فلان وان اسا اليك اى احسن
اليه ان لم يسئ اليك وان اسا اليك اى كاينا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى
هذا السر يدور ما فى لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف فى
الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسياتى تمام تحقيقه فى مواقع عديدة باذن الله تعالى **فاتقوا**
الله يا اولى الالباب اى فى تحرى الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار
هو الجودة والرداة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث
كان اخبث **لعلكم تفلحون** راجين ان تنالوا الفلاح **يا ايها الذين امنوا لا تسالوا**
عن اشيا هو اسم جمع على راى الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفا وقصبا اصله شيئا بهمزتين
بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فايها فصار وزنها لفعا ومنعت الصرف لالف التانيث
الممدودة وقيل هو شئ على انه مخفف من شيئ كهين مخفف من هين والاصل اشيئا كاهونا
زنة افعلا فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتى للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة
الاولى يا لانكسار ما قبلها فصارت اشييا فاجتمعت يا ان اولاهما عين الكلمة فحذفت
تخفيفا فصارت اشيا ووزنها افلا ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشيا اليا
المنقلبة من الهمزة التى هى لام الكلمة وفتحت اليا المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعا وقوله
تع **ان تبد لكم تسؤكم** صفة لاشيا داعية الى الانتها عن السوال عنها وحيث كانت المساة فى هذه الشرطية
معلقة بابدايها لا بالسوال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السوال عنها لابدايها الموجب
للمحذور قطعا فقيل **وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** اى تلك الاشيا الموجبة
للمساة بالوحى كما ينبئ عنه تقييد السوال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف
الصعبة التى لا يطيقونها والاسرار الخفية التى يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان

السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مسألة رسول الله عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوها ومن نحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم ثم قال اتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روى عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام صلى الله عليه وسلم مغضبا خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال صلى الله عليه وسلم ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين ابي قال صلى الله عليه وسلم في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم **عفا الله عنها** استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخرى وبين سائر ما يلحقكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاع قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج او نحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عفى عنه وتشديده كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد وتشديد لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم تفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا لكان دمشى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر لا يرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هذا الذي يتعلق به الابداء وعند ذلك يتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحاصل الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا بداء المكروه **والله غفور حليم** اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اى مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم **قد سألها قوم** اى سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير **من قبلكم** متعلق بسألها **ثم اصبحوا بها** اى بسببها او بمرجوعها **كافرين** فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا نتجت الناقة عندهم خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان

الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما واخرى الى واحد كما في الاية الكريمة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب** حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم **واكثرهم** وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يستشهد به النظم الكريم **لا يعقلون** انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل **واذا قيل لهم** اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد **تعالوا الى ما انزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **والى الرسول** الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا** بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال **اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوا لو موجب للانكار والتعجيب اذا كان كون اباءهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر **يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم** اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله تعالى **لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال عليه الصلاة والسلام من راى منكم

منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه **الى الله** لا الى احد سواه **مرجعكم** رجوعكم يوم القيامة **جميعا** بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم **فينبئكم بما كنتم تعملون** في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعيد ووعد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره **يا ايها الذين امنوا** استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه **شهادة بينكم** بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدا وقوله تعالى **اذا حضر احدكم الموت** اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله **حين الوصية** بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى **اثنان** خبر للمبتدا بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو الفاعل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان **ذوا عدل منكم** اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان **او اخران** عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم اخران او ليقم شهادة بينكم اخران وقوله تعالى **من غيركم** صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم **ان انتم** مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدا على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تعالى **ضربتم في الارض** اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الاخيرين وقوله تعالى **فاصابتكم مصيبة الموت** عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب

هم

ب

دة

المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران كذا قيل والانسب
بقدر عن ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على
الوجوه المذكورة محذوف قوله تعالى **تحبسونهما** استيناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه
قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما للتحليف **من بعد الصلاة**
وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فايدته الدلالة على ان اللايق اشهاد
الاقارب واهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة المحوجة اليه وانت خبير بانه
يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك
بإباء مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار
قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها
عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع
اهل الاديان يعظمونه ويتجنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
وقت اذ حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق
وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **فيقسمان بالله** عطف على تحبسونهما
وقوله تعالى **ان ارتبتم** شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت
جملة معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي
ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى
لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب
سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب
اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا
لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته تع والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن
اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء ما لدفعه عينا كان او معنى على
وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله
تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله
اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال
وقيل الضمير للقسم فلابد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله لا ناخذ بدلا منها
عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فالاستبدال
بمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت ح ما هو المعتبر في الاستعارة
من كون الزايل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله ووصف الصحة والصدق في القسم ولا
ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله
الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه وهو التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له
ههنا حتى يصح النهي عنه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك
استعمال الصادق فهو فرع جواز تركهما معا حتى يفصل جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال

استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف
مستلزم لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله تع **ولو كان** اي المقسم له المدلول
عليه بفحوى الكلام **ذا قربى** اي قريبا منا تاكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه
عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تع مالا ولو انضم اليه رعاية جانب
الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها
ليست ضميمة للمال بل راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري
به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ
وقوله عز وجل **ولا نكتم شهادة الله** اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوفة على لا نشتري
به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن **انا اذا لمن الآثمين** اي ان كتمناها
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها **فان عثر** اي اطلع
بعد التحليف **على انهما استحقا اثما** حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما اوجب
اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه
كما وقع في سبب النزول حسبما سياتي **فآخران** اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره **يقومان**
مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي
يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم
يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق والابراز كذبهما
فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما **من الذين استحق** على البناء للفاعل في قراءة علي وابن عباس
وابي بكر رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين استحق **عليهم الاوليان** من بينهم اي الاقربان
الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا
عليهم اي يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بها كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران
القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من
الذين استحق عليهم الاثم اي جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف
كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه
باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه
صفة للذين الخ مجرورا او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان **فيقسمان بالله**
عطف على يقومان **لشهادتنا** المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تع فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها
احق بالقبول **من شهادتهما** اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما
للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما راسا انما هي لامكان
قبولها في الجملة باعتبار احتمال الصدق فيما ادعياه تملكهما لما ظهر في ايديهما **وما اعتدينا** عطف على
جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما **انا اذا لمن الظالمين** استيناف

مقررا لما قبله اى انا ان غدرنا فى يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك
حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغى ان يشهد
على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان
وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ فى الوقت فان اطلع
بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين بخصوص الواقعة فانه روى ان تميم بن اوس وعدى بن بداء خرجا الى الشام
للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا
فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبرهما بذلك
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع فاصابوا فيه الكتاب وطلبوا منهما الاناء فقالا
ما ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو
انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء
وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم
فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا
فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
قوله فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر
انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفى رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين
لبديل فلا نسخ الا فى وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ **ذلك** كلام
مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اى الحكم الذى تقدم
تفصيله **ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها** اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على
وجهها الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروى وهذه كما ترى
حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى **او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم**
بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا
الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة
المؤدية اليه فاى الخوفين وقع حصل المقصد الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل
هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح
برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم
واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء
الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا اتفاق له بالحادثة اصلا ضرورة
ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة
قطعا فليس هنالك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك فى شهود

لتهمة الخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة
ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضى احدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل
واتقوا الله فى مخالفة احكامه التى من جملتها هذا الحكم **واسمعوا** ما تؤمرون به كائنا ما كان
سمع طاعة وقبول **والله لا يهدى القوم الفاسقين** اى الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم **يوم
يجمع الله الرسل** نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية
ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل
منه الى البدل بوجه اجمالى كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة
كاف فى الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى شأن من شئونه واى فعل
من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اى اتقوا عقاب الله ويجوز انتصابه
منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اى واحذروا او واذكروا
الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقى امره بسمع الاجابة و
الطاعة وقيل هو ظرف لقوله لا يهدى اى لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدى اليه المؤمنين
وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل
مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من
الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يفى ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد
التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم بل للايذان بظهور شرفهم واصالتهم
والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم
وعدم لياقتهم بالانتظام فى سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال
واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال **فيقول** لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما
ينبغى حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والا لصدر الخطاب بان يقال هل
بلغتم رسالاتى فماذا فى قوله عز وجل **ماذا اجبتم** عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية
اى اى اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو فى محل النصب
بعد حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين ففى توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم
شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بحظ من التوبيخ والتقريع والعدول عن اسناد الجواب اليهم
بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقيرهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى **قالوا** استئناف
مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عم هنالك فقيل يقولون **لا علم
لنا** وصيغة الماضى على التقرر والتحقق كما فى قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب الاعراف ونظائره
وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاسات الاهوال
ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته **انك انت علام الغيوب**
تعليل لذلك اى فتعلم ما اجابوا واظهروا وما لم نعلمه مما اضمروه فى قلوبهم وفيه اظهار للشكاية
ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم فى الانتقام

منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف
يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن
ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون
بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة
في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد
تم عند قوله انك اي انك المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم** شروع
في بيان ما جرى بينه وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى
بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص
شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك
اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب
نعت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم
وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة
على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في
قوله تعالى **اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك** متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر
انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره
عليه السلام بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات
حين تكليف مع خروجه صلى الله عليه وسلم عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام
بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد
وليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شانه
عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا **اذ ايدتك** ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما
وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ ايدتك والمعنى واحد
اي قويتك **بروح القدس** بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته
الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح
مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها
حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة
عليهما **تكلم الناس في المهد وكهلا** استئناف مبين لتاييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر
تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر
عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه عليه السلام
رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين
شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه **واذ علمتك الكتاب** عطف على قوله اذ ايدتك منصوب بما
نصبه اي اذكر نعمتي عليك وقت تعليمي لك الكتاب **والحكمة** اي جنسهما **والتوراة والانجيل**
خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم
الصواب **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير** اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير **باذني**

باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك
على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله **فتنفخ فيها** اي في الهيئة
المصورة **فتكون** اي تلك الهيئة **طيرا باذني** فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه للطير بل
عن مجرد تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكوينا من جهته عليه السلام وتكرير
قوله والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى **وتبرئ الاكمه والابرص باذني**
عطف على تخلق **واذ تخرج الموتى باذني** عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من
قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج
سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق
الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته تعالى قد اظهرها على يديه معجزة لنبوته
وخصها به واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد
النعم **واذ كففت بني اسرائيل عنك** عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء
عن التعرض لك **اذ جئتهم بالبينات** بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما
يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه
من قوله تعالى **فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين** فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا
اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما
وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير
لان اشارتهم الى ما راوه من نفس المسمى من حيث هو هذا ومن حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ
ان هذا الا ساحر مبين فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام **واذ اوحيت الى الحواريين** عطف على ما قبله
من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل
التي اضيف اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من حيثية
وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقق ما اعتبر في مدلول كلمة
اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة
الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة
الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في
قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الى زيد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقت
وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر
احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان
آخر واقع ح ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى
اليهم امرهم اياه في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام
موسى وان في قوله تعالى **ان آمنوا بي وبرسولي** مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية والمراده

عم بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عم كأنه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا **آمنا** اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم كما يؤذن به فحواه **واشهد باننا مسلمون** اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عم وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكرها تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات **اذ قال الحواريون** كلام مستأنف لبيان بعض ما جرى بينه عم وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عم فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية تأمل كأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم **يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء** اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين اولا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عم كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كالاستجابة بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعول بها كعيشة راضية **قال** استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فماذا قال لهم عيسى حين قالوا ذلك فقيل قال **اتقوا الله** اي من امثال هذا السؤال **ان كنتم مؤمنين** اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة **قالوا** استئناف كما سبق **نريد ان ناكل منها** تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ليس مرادنا بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع **وتطمئن قلوبنا** بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين **ونعلم** اي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء

للمفعول **أن قد صدقتنا** ان هي المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل **ونكون عليها من الشاهدين** نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا يقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كأنه قيل على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين **قال عيسى ابن مريم** لما رأى عم ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عم اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره ثم قال **اللهم ربنا** ناداه سبحانه مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء **انزل علينا** تقديم الظرف على قوله **مائدة** لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى **من السماء** متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى **تكون لنا عيدا** في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وهذه من الشواذ **لاولنا وآخرنا** بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة **وآية** عطف على عيدا **منك** متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي **وارزقنا** اي المائدة والشكر عليها **وانت خير الرازقين** تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عم على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال زيادة ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول **قال الله** استئنافا كما سلف **اني منزلها عليكم** ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عم بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائل وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد **فمن يكفر بعد** اي بعد تنزيلها **منكم** متعلق بمحذوف

طمأنينة م

يلبس

وقع حالا من فاعل يكفر **فاني اعذبه** بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة **عذابا** اسم مصدر بمعنى
التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقدير المذكور وجوز ان
يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى **لا اعذبه** في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له
اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب **احدا من العالمين** اي من عالمي زمانهم او من
العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريد
فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي
انه عم لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة
من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين
يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة
العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية
آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم
طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما يجتمع عليها الفقراء
والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل
منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولا مرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عم ان
اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ
فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا الى عيسى عم وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف
به وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام
فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم
صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا
عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة
احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها
الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال
عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما
شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا
ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبت بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير
بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم** معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم
او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله تعالى له عم في الآخرة توبيخا للكفرة

للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل
وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع **أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين** الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار
اصل الكلام متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال
الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام
لتعيين انه بامره عم او من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
وقوله تعالى **من دون الله** متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او
بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما
به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما
يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال
ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم لم يخلقها الله تعالى بل
هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في بعض الاشياء مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد
ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما
كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل
بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول
المسند الى عيسى عم **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عم
فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا **سبحانك** سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية
ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب
والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم
الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك ومن ان يقال في حقك ذلك واما تقدير
من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه وقوله تعالى **ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق** استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور
اي ما يستقيم وما ينبغي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور
دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في حيزه من الباء فان اسمه ضمير العائد الى
ما وخبره بحق والجار والمجرور وفيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى **ان كنت قلته
فقد علمته** استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عم بالطريق البرهاني فان صدوره
مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم
لعدم الملزوم **تعلم ما في نفسي** استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه
في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى **ولا اعلم ما في نفسك** بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا
اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات وقيل
المعلومات التي اليها المآل انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة ونوع

انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني
به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه
واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور
دخولا اوليا اى ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم ولا على نفسه حسن الادب ومراعاة
لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان
للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا
عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على
العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية
ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اى كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم
فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى فان التوفى اخذ الشيء وافيا
والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب
عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر كان وعليهم
متعلق به اى انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا
ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان
هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة
ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز اى القوى القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذى لا
يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان
غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد
وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اى من كفر منهم وان تغفر لهم اى من آمن منهم
قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته
ومآله اى يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين
الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك
اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اى هذا اليوم الذى حكى بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا
يوم ينفع الصادقين صدقهم بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون
في الدارين على الصدق في الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع
والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصادقين الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة
بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية
من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اى شيء كان
ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجناياته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اى صدقهم
فيما ذكر من امور الدين اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة
كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التى اطبق عليها الجمهور

الجمهور وهي الاليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال
فهذا اشارة الى قوله تعالى أانت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو اشارة الى جواب
عيسى عليه السلام اى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر
ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزي الا به لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف
مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله
تعالى رضي الله عنهم استئناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم ما ذكر من الكتاب ما لا
قدر لها عنده وهو رضوانه الذى لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله ورضوا عنه اذ لا شيء اعز منه
حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل الفوز
العظيم لما ان عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذى تعلق به الفوز وقد عرفت ان
لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه
على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما
فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير
ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها
للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في
تحت المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية
واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر
سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا والله سبحانه اعلم

سورة الانعام مائة وستون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة ما يوجبه
من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته
لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاختصاص جميع افرادها به على الطريق البرهاني
ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل
الافعال من قوله تعالى الذى خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله
به باعتبار افعاله العظام والآية الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار
العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التى اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده
تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوطة بها مصالح
العباد في المعاش والمعاد اى انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويين
على انواع البدائع واصناف الروائع على ما يحار فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار
تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها
وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هو وجعل الظلمات والنور

عطف على خلق مرتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ومحلهما داخل معه في حكم الإشعار
بعلة الحمد فكما أن خلق السموات والأرض وما فيهما لكونه أثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص
الحمد به تعالى كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض
لاختصاصه به تعالى والجعل هو الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضا كما في قوله
تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وأيا ما كان ففيه إنباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بأن يكون فيه
أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان أو مستقرا
لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا
وقوله وجعل فيها رواسي وقوله واجعل لنا من لدنك وليا الآية فإن كل واحد من هذه الظروف
إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو
قيد في الكلام حتى إذا انتفى الحال ونوع عمدة فيه يكون الجعل متعديا إلى اثنين هو
ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الأمر فيظن أنه عمدة فيه وهو
في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة حيث
قيل إن الظرف مفعول ثان لجاعل وقد أشير هناك إلى أن الذي يقتضيه الذوق السليم
ويقتضيه جزالة النظم الكريم أنه متعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول فإن المفعول
الثاني هو خليفة والأول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها
ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الأعدام على
الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى **ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون** معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد
المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لإنكار ما عليه الكفرة
واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى أنه
تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة
به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه
أي يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا
له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات
التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة
الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم بما يجب أن يؤمن به كلا أو بعضا عنوانا للموضوع
فإن ذلك مخل باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب
موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار
والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله
منزلة اللازم إيذانا بأن المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة
التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل وأما جعل الباء صلة لكفروا على أن يعدلون من العدول
فالمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون

نعمته فيرده أن كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم أشد شناعة وأعظم خطأ
من عدولهم عن حمده تعالى بمقابلة نعمه مع أن فيه أيضا جعل أهون الأمرين عمدة في الكلام مقصودا بالإفادة
وإخراج أعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي
هذا وقد قيل إنه معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم
هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد أنه صلة مستقلة ليكون بمنزلة أن
يقال الحمد لله الذي عدلوا به على ثم من الكفرة الكفر وأنت خبير بأن ما ينتظم في سلك الصلة
المنبئة عن موجبات حمده تعالى حقه أن يكون له دخل في ذلك الإنباء ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم
بمعزل منه وادعاء أن له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي أنعم بمثل هذه النعم
العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتفكيك يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم
كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم
لا بيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح أنه
لا سبيل إلى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة
فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق
المبين **هو الذي خلقكم من طين** استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم
لما يوجب الإيمان به إثر بيان بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم
بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والأرض من أوضحها وأظهرها كما
ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم
فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم بشؤون أنفسهم أعرف والتعامي عن الحجة النيرة أقبح والالتفات
لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أصل
البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي
خلق أباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح
منهاج القياس وللمبالغة في إزاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه
على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا للكل منه ولما كان خلقه
عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما
هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته
وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى
هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
كما سيأتي وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة
الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأيا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته
تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها
مدة أظهر قدرة **ثم قضى** أي كتب لموت كل واحد منكم **أجلا** خاصا به أي حدا معينا من الزمان

عند حلوله لا محالة لتذكيره ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم
البالغة **وأجل مسمى** أي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد
مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق
وشق عندنا لم يحول وتنوينه للتفخيم شأنا وتهويل أمرا ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي
هو **عنده** مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كأن يقال عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه
قيل وأي أجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجملا ولا مفصلا
وأما أجل الموت فمعلوم إجمالا وتقريبا بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان
وتسميته أجلا إنما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن
مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة
عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث
من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده إلى موته وأجلا من موته إلى بعثه فإن كان
برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا نقص من أجل العمر وزيد
في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب مبين يعني عدم تغير
الأجلين عدم تغير آخرهما والأول هو الأشهر الأليق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى
والأنسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير
أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة
الأجل ونقصه فيما روي تأخير الأجل الأول وتقديمه **ثم أنتم تمترون** استبعاد واستنكار
لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه
وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من
قدر على إفاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير
مستعدة لشيء منها أصلا كان أوضح اقتدارا على إفاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها
مدة ومن ههنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول
أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كل أحد والثاني مقدار
ما بقي منه مما لا وجه له أصلا لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي
عبر عن وقته بالأجل المسمى فحيث أريد به أحد ما ذكر من الأمور الثلاثة ففي أي شيء يمترون ووصفهم
بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على
إنكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على
أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى **وهو الله** جملة من مبتدأ وخبر معطوفة
على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد
وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم
وقوله تعالى **في السموات وفي الأرض** متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل
اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر به الذات

الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما
تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك
والمتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد من
الاعتبارين أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على معنى المالك أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة
أحد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الأسد في قوله أسد علي الخ ما اشتهر به من
وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جريء علي وبهذا تبين أن ما قيل بصدد التصوير والتفسير
أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الأرض وهو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية وهو المعروف
بالإلهية فيهما أو نحو ذلك بمعزل من التحقيق فإن المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به إذ هو
الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا اشتهاره به ألا يرى أن كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن
تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد
كأنه قيل وهو المتوحد بالإلهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من إطلاق هذا الاسم عليه تعالى
خاصة كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق
من اعتبار معنى التوحد أو القول في مجرى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على
معنى المتوحد بالإلهية إذ على تقدير القول ويجوز أن يكون الظرف خبرا ثانيا على أن كونه سبحانه
فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والأشباح
لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما
بحالة كونه تعالى فيهما فإن العالم إذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء
فعلى هذا يكون قوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** أي ما أسررتموه وما أعلنتموه كائنا ما كان
من الأقوال والأعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه تعالى
بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم إلى
بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية والتصرف
الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا
له بلا ريب وأما على الأوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل إلى كونه بيانا لكن لا لما قيل من أنه لا دلالة لاستواء
السر والجهر في علمه على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم إذ ربما يعبد ويختص
به من ليس له كمال العلم فإنه باطل قطعا إذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم
الجليل ولا ريب في أنهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بداهة بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر
في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين أنه ليس
بيانا على الوجه الثالث أيضا لما أن التوحد بالإلهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون
هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد
خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل
بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد
في الحرم إذا كان هو فيه وأنت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لما في ذلك من توسيع الدائرة
وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء منهما في أي مكان كان لا لأنهما قد يكونان في السموات أيضا وتعميم

الخطاب لاهلها انفسف لا يخفى **ويعلم ما تكسبون** اى ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة
بالقلوب وبالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني
للسر والجهر لاظهار كمال الاعتداد بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم **وما تاتيهم
من آية من آيات ربهم** كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد
ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية
امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى
ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لهم فما نافية وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية وللدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم
لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها
والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من
بدائع صنع الله تعالى المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال
الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اى على وجه التكذيب
والاستهزاء كما يستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات
فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل
شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى
الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات
وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول
تاتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان فهي دالة
على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما ينفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى **فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم** فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية
منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن
احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او
حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري
وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاءوه اى فعلوه من الظلم والزور عين قولهم
المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج
اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل
تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم

يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به
يستهزئون** فان ما عبارة عن الحق المذكور وعبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم
بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد
وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات
الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته ياباه الآيات الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره
اى سياتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا
في عواقبه وانما قيل يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كانوا يقرنونه بالاستهزاء كما اشير اليه هذا
على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء
داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن
تلك الآيات فلا عجب فقد فعلوا ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات
ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين
عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله **الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن** استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سياتيهم وتقرير اتيانها
بطريق الاستشهاد والهمزة للانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية
كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا
على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميزها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار
سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث
وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اى من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية
او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة
باهلكنا اى لم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اى من قبل
خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم
وقوله تعالى **مكناهم في الارض** استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على
سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما
ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان
تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون
ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم
الكريم كيف لا والمعنى ح الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا
اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمها جعلها مقرا له
ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما مكناكم
فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر
ومنه قوله تعالى **ما لم نمكن لكم** بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي
الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها
النصب على المصدرية اى مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم من ضعف الحال

مزيد بيان لشأن الفريقين او لدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين **وأرسلنا السماء** اي المطر او السحاب والمظلة لانها مبدأ المطر **عليهم** متعلق بارسلنا **مدرارا** اي مغزارا حال من السماء **وجعلنا الانهار** اي صيرناها **تجري من تحتهم** مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم والمراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا **فاهلكناهم بذنوبهم** اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه **وانشأنا من بعدهم** اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن **قرنا آخرين** بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى **ولو نزلنا عليك** جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه السلام مع نسبتها اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله **كتابا** ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى **في قرطاس** متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه **فلمسوه** اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله **بايديهم** مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار **لقال الذين كفروا** اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا **ان هذا** اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب **الا سحر مبين** اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج **وقالوا لولا انزل عليه ملك** شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله نذيرا اجيب عنه

بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبهذا تبين ان ما قيل من ان قضاء الامر بهلاكهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة لبقياء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى **ثم لا ينظرون** اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوا نزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا** على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني للملك المذكور ونقله بان يعكس ترتيب المفعولين فيقال ولو جعلنا نذيرا لجعلناه رجلا مع ان المراد منه ايضا تحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت الملكية عمدة بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابلته في الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى **وللبسنا عليهم** عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله التستر بالثوب وقرئ لفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا **ما يلبسون** على انفسهم حينئذ بان يقولوا انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر

الاول والتعبير عن تمثيله تع رجلا باللبس اما لكونه فى صورة اللبس او لكونه سبب لبسهم او لوقوعه فى صحبته
بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر
عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة فى كفرهم بآيات الله
البينة **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه
وتصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير
ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى
عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه **فحاق**
عقيبه اى احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا
فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تع **بالذين سخروا منهم** اى استهزءوا بهم من اولئك
الرسل عم متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تع **ما كانوا به يستهزءون** للمسارعة
الى بيان لحوق الشر بهم واما موصولة مفيدة للتهويل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به حيث
اهلكوا لاجله واما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل
قل سيروا فى الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما فى ضمنه من العدة اللطيفة
بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اى سيروا فى الارض لتعرف
احوال اولئك الامم **ثم انظروا** اى تفكروا **كيف كان عاقبة المكذبين** وكلمة ثم اما لان النظر فى
آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت فى مراتب الوجوب وهو
الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء فى قوله عز وجل
فانظروا الآية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثانى لايجاب النظر فى آثارهم
وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع
الخافض اى تفكروا فى انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها
وهى منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب
لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار فى
ذلك **قل** لهم بطريق الالزام والتبكيت **لمن ما فى السموات والارض** من العقلاء وغيرهم اى لمن الكائنات
جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى **قل لله** تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقوله تع **كتب على نفسه الرحمة** جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع
الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تع رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم
التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تع بل من جهة الخلق كيف
لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية
وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا
فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم
الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك هؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تع قضاها

قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شئ اصلا وقيل هو
ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تع الخلق كتب
فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى وعنه فى رواية انه عليه الصلاة والسلام قال لما قضى
الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وعن عمر رضى الله عنه انه قال
لكعب ما اول شئ ابتداه الله تع من خلقه فقال كعب رضى الله عنه كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد
كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انى انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتى غضبى ومعنى سبق الرحمة و
غلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفى التعبير
عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تع وان اريد بها الذات الا مشاكلة
لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تع **ليجمعنكم الى يوم القيمة** جواب
قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى والله ليجمعنكم فى
القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم
بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تع
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هو بمعنى فى اى ليجمعنكم فى يوم القيمة **لا ريب فيه**
اى فى اليوم او فى الجمع وقوله تع **الذين خسروا انفسهم** اى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية
والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحى
وغير ذلك من آثار الرحمة فى موضع النصب او الرفع على الذم اى اعنى الذين الخ او هم الذين الخ او هو
مبتدأ والخبر قوله تع **فهم لا يؤمنون** والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب
خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى
الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تع لتقبيح حالهم غير داخل
تحت الامر **وله** اى لله عز وجل خاصة **ما سكن فى الليل والنهار** تنزيل الملوين منزلة المكان
فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة فى كما فى قوله تع وسكنتم فى
مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الآخر **وهو السميع** المبالغ فى سماع كل مسموع **العليم** المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه
شئ من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب **قل أغير الله اتخذ وليا**
اى معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك وانما ادخلت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل
ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولى مطلقا كما فى قوله تع أغير الله ابغى ربا
وقوله تع أفغير الله تأمرونى أعبد **فاطر السموات والارض** اى مبدعهما بالجر صفة للجلالة
مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست
باجنبية اذ هى عاملة فى عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان
البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت
معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها **وهو يطعم ولا يطعم**
اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه ولانه معظم ما يصل الى المرزوق
من الرازق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتع وليا

وقرئ ولا يَطعَم بفتح الياء وبعكس القراءة الأولى أي على أن الضمير لغير الله تعالى والمعنى أيشرك بمن هو فاطر
السموات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل على أن الثاني بمعنى يستطعم أو على
أنه يطعِم تارة ولا يطعم أخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط **قل** بعدما بان أن اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول **إني أمرت** من جنابه عز وجل **أن أكون أول من أسلم** وجهه لله تعالى
مخلصا له لأن النبي صلى الله عليه وسلم إمام أمته في الإسلام لقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين وقوله سبحانك إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين **ولا تكونن** أي وقيل لي لا تكونن **من
المشركين** أي في أمر من أمور الدين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على
الأمر **قل إني أخاف إن عصيت ربي** أي بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر
دخولا أوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام عن المعاصي على الإطلاق وقوله تعالى **عذاب
يوم عظيم** أي عذاب يوم القيامة مفعول أخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة
ما قبله عليه وفيه قطع لأطماعهم الفارغة وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم **من
يصرف عنه** على البناء للمفعول أي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقرئ بإظهاره
والمفعول محذوف وقوله تعالى **يومئذ** ظرف للصرف أي في ذلك اليوم العظيم ويجوز أن يكون هو
المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف أي عذاب يومئذ **فقد رحمه** أي نجاه وأنعم عليه وقيل
فقد أدخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة
لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي **وذلك** إشارة إلى الصرف أو الرحمة
لأنها مؤولة بأن مع الفعل وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى **الفوز المبين** أي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والألف واللام لقصره
على ذلك **وإن يمسسك الله بضر** أي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك **فلا كاشف له** أي فلا قادر
على كشفه عنك **إلا هو** وحده **وإن يمسسك بخير** من صحة ونعمة ونحو ذلك **فهو على كل شيء
قدير** ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من غير أن يقدر على دفعه أو رفعه أحد
كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء ذكره روي عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه قال أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه
ثم سار بي مليا ثم التفت إلي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا
استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه
الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت
أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن
النصر مع الصبر وأن مع الكرب فرجا وأن مع العسر يسرا **وهو القاهر فوق عباده** تصوير
لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في كل ما يفعله ويأمر به **الخبير** بأحوال عباده وخفايا
أمورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر **قل أي شيء أكبر شهادة** روي أن قريشا قالوا لرسول الله
يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد
لك أنك رسول الله فنزلت فأي مبتدأ وأكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى **قل الله** أمر له صلى

الله عليه وسلم بأن يتولى الجواب بنفسه إما للإيذان بتعينه وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره أو لأنهم
ربما يتلعثمون فيه لا لتردد في أنه أكبر من كل شيء شهادة بل في كونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تعالى **شهيد**
خبر مبتدأ محذوف أي هو شهيد **بيني وبينكم** ويجوز أن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب
لأنه إذا كان هو الشهيد كان أكبر شيء شهادة له صلى الله عليه وسلم وتكرير البين لتحقيق المقابلة
وأوحي إلي أي من جهته تعالى **هذا القرآن** الشاهد بصحة رسالتي **لأنذركم به** لما فيه من الوعيد
والاقتصار على ذكر الإنذار لما أن الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين أي
لأنذركم يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر من الثقلين أو لأنذركم به أيها الموجودون
ومن سيوجد إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن
سيوجد بعد إلى يوم القيامة خلا أن ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالإجماع عندنا
في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في أول سورة النساء **أئنكم لتشهدون أن مع الله
آلهة أخرى** تقرير لهم مع إنكار واستبعاد **قل لا أشهد** بذلك وإن شهدتم به فإنه باطل صرف
قل تكرير للأمر للتأكيد **إنما هو إله واحد** أي بل إنما أشهد أنه تعالى لا إله إلا هو **وإنني بريء
مما تشركون** من الأصنام أو من إشراككم **الذين آتيناهم الكتاب** جواب عما سبق من قولهم
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى أخرج عن تعيين الشهيد مسارعة إلى إلزامهم بالجواب عن تحكمهم
بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة
والإنجيل وإيرادهم بعنوان إيتاء الكتاب للإيذان بمدار ما أسند إليهم بقوله تعالى **يعرفونه** أي يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما **كما يعرفون أبناءهم**
بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك أصلا روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال
عمر لعبد الله بن سلام رضي الله عنهما أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر
لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني لأني لا أدري ما صنع النساء
وأشهد أنه حق من الله **الذين خسروا أنفسهم** من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا فطرة الله
التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن البينات الموجبة للإيمان بالكلية **فهم لا يؤمنون** لما أنهم
مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتشبه الموصول با
الشرط وقيل على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين خسروا الخ وقيل على أنه نعت للموصول الأول
وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون حينئذ عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف أوصافه
عليه السلام فإنه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو
ذلك وهو إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن كان سبك
التركيب غير متعرض لإنكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل
من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل ألا ترى إلى قوله تعالى
لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون بعد قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك
أن النسبة بين الشيئين إنما يتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا
فإذا لم يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة **أو كذب بآياته** كأن كذبوا بالقرآن الذي

جملتها الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم بالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية
وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده
بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته
تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون **إنه** اى الشان ومدار وضعه موضع الضمير ادعاء شهرته المغنية عن
ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو **لا يفلح الظالمون**
اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بالغاية
القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق
العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من
الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول** لهم ما نقول كان من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ويحسن موقع عطف
قوله تعالى ثم لم تكن الخ وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم
نحشرهم الخ وقيل ليتقوا وليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم
جميعا ثم يقول بالياء فيهما **للذين اشركوا** اى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد **أين
شركاؤكم** اى الهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم
وتقولهم الباطل كما ينبئ عنه قوله تعالى **الذين كنتم تزعمون** اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان
معا وهذا السؤال مبنى على غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها بقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من
التبرى من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك
من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم
حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف
من حيث هو موصوف فهى من حيث هى شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها
اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي
علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم
انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها
بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر
الانكشاف الجلى واليقين القوى المترتب على المحاضرة والمحاورة **ثم لم تكن فتنتهم** بتانيث الفعل
ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر **الا ان قالوا** وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا
والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها وثم للتراخي بحسب
المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من
اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وافتخروا

وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرى منه بان يقولوا **والله ربنا ما كنا مشركين** واما جوابهم
عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيتهم للمبالغة في التبرى من الاشراك وقرئ ربنا على النداء
فهو لاظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من
النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا
انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغى ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على
الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى **انظر كيف
كذبوا على انفسهم** فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اى انظر كيف
كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب
تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم
التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة
على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اى زال وذهب افتراؤهم وما كانوا يفترون من
الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء
عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها
كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدأ مسوق
لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر
تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه
او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام الخ ومن موصولة او موصوفة محلها
الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذى يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة
اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن
الناس من يقول الخ روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة
ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل
كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع
الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعى جانب
المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها
للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند
من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا اى يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر
قدرها خارجة مما يتعلق بتعارفه الناس **ان يفقهوه** اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول
عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه **وفى آذانهم
وقرا** صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب
عن كمال جهلهم بشؤون النبى صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم
له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا وقلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفى

دة

لول

عنهم

اذانا وقرا لا يبوات خبر بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي عم جهلا
وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القران سحرا وشعرا واساطير الاولين
وتشنيعا عليه بما يختلقونه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك تحال بينهم
وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل اية من الايات
القرانية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة
منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها
الجمل هي قوله تع اذا جاءوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاءوا وانما وضع الموصول
موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاءوك
مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الايات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا
الا اساطير الاولين فانه عدا احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من
قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى
وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تع يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير
جمع اسطورة واسطارة وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقران اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير
بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون
عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من
متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به روي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله
سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم
امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني
سمحا بذاك مبينا فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا واجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تع وما
يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي
باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها بل يزعمون انهم يضرون بذلك شيئا من القران والرسول عم
والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عنهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي ما فعلوه
من الضرر في القران الكريم الممانعة في تمشي احكامه وظهوره في الدين لا بد ان يكون ما يحيق
بهم هو الاهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون
الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى
الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند
عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم
يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه و

نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان
كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد
مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو
محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف
عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق وحين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه
وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا
نكذب بايات ربنا اي باياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هي التي تخطر
ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع اياته المنتظمة لتلك الايات انتظاما اوليا
ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او ونكون من فريق المؤمنين
الناجين من العذاب الفائزين بحسن الماب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو
واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا
لم نكذب ولكن من المؤمنين وقيل بنسبك بما سبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ومن قبله مصدر
متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما
على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود ان تركتني او لم تتركني او عطف على نرد
او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتي به
لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فاكافئك على صنيعك
فانه متمني في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون كذبا لا محالة وقرئ برفع الاول
ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني
من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة
في الايمان وشوق الى تحصيل ما يترتب عليه من المنافع بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا
من الدواهي الدهيا وظنوا انهم مواقعوها فلخوفها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار
التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها
وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب
الوارد في قوله تع هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تع هذه النار التي كنتم بها تكذبون
مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا
هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد ما يخفون كفرهم ومعاصيهم
او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم
او شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر
بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه
علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان
الضمير للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع

للمنافقين بعد الاغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت
من سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه
اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور
بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها
ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع
عدم جريان ذكرها ثمة مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما
كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتأمل **ولو ردوا** اي من
موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال **لعادوا لما نهوا عنه**
من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على
الشاهد دون الغائب **وانهم لكاذبون** اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون
وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لاعتراض
مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم
البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه **ان هي** اي الحيوة **الا حياتنا الدنيا**
وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث و
النشور **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف هنا مجاز
عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق
التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال **اليس هذا** مشيرا الى ما شاهدوه من البعث
وما يتبعه من الامور العظام **بالحق** تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به
ما هو بحق وما هو الا باطل **قالوا** استئناف كما سبق **بلى وربنا** اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا
لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه **قال** استئناف
كما مر **فذوقوا العذاب** الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به
في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته
الآن كما نطق به قوله تعالى **بما كنتم تكفرون** اي بسبب كفركم بذلك او بكل ما يجب الايمان به فدخل
كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا اذ الظاهر
انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** هم الذين حكيت
احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه
تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان
كلمة حتى في قوله تعالى **حتى اذا جاءتهم الساعة** غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له
بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة
وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين
واما على انها مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر لفعل
محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة **قالوا** جواب اذا **يا حسرتنا** تعالى

تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك
من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل
مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته **على ما فرطنا فيها** اي على تفريطنا في شأن الساعة
وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في
قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا واضمرت لكونها معلومة والتفريط
التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل اصل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق
ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى **وهم يحملون**
اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدتها الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما
ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان
تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والرمز الى ان
العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله تعالى منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به
الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم
فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون
على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات **الا ساء ما يزرون** تذييل
مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم **وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو**
لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين حال
تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل
والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي
اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها
محل لكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم بما فيه منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة
الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير منقطعة من الايمان والعمل الصالح
وللدار الاخرة التي هي محل الحيوة الاخرى **خير للذين يتقون** الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن
المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام **افلا تعقلون** ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان
والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون
على الغيبة **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون** استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عز
وجل عالم بما يفعلون في حقه وهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم
لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم
عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما
في مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد
الافراط والتكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او عنده
مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد واراد
انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا

مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة
كما في الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله
لكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تع كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وثانيهما ساد مسد
واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذي يقولونه
وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول
من حزن اللازم وقوله تع **فانهم لا يكذبونك** تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن
الاعتداد وبما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم الاعتداد والاقبال التام على ما هو اهم من
استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم
كون حزنه عم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عم في جلالة القدر ورفعة
المحل والزلفى من الله تع الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عم تكذيبا لاياته
سبحانه على طريقة قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال
شؤونه عم في شان الله تع ثم فيه استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به
وكله الى الله تع فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة **ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون** ولكنهم بايات الله تع يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم
الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا
عليه من جحود اياته تع وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان اياته تع من الوضوح بحيث
يشاهد صدقها كل واحد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار
مع العلم بخلافه كما في قوله تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال
انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده
حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمين الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم
الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده
ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام
كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا
ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي
عن ابن عباس رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين لما عرفوا انه لا يكذب في
شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق
ولكنهم يجحدون بايات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عنه
الخبيث لمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقرئ لا يكذبونك
من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه
وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته
اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تع **ولقد كذبت رسل من قبلك** افتنان في
تسليته صلى الله عليه وسلم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عم الى الاقتداء

الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة
ضمنية له عم بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم
والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك
رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك **فصبروا
على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تع **واوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدر
من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك
والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على
صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تع **حتى اتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه ايذان
بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع لهم لا بد من اتيانه والالتفات الى نون
العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تع **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر لما
قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تع ما ينبئ عنه قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تع كتب الله لاغلبن انا ورسلي
من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها
فان الاخبار بعدم تبديلها انما يفيد عدم تبديل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة دون المواعيد التي سبقت للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تع جميع كلماته التي من
جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يبدله احد في فعل من الافعال
ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تع **ولقد جاءك من نبإ المرسلين** جملة قسمية
جئ بها لتحقيق ما منحوا من النصر في تاكيد ما ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على
انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبإ المرسلين
كما في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية وايا ما كان فالمراد بنبإهم عليهم السلام
على الاول نصره تع اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين اممهم على ما ينبئ عنه
قوله تع ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا
الاية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد
جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين **وان كان كبر عليك اعراضهم** كلام مستانف مسوق
لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك
وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له
اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد
مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من الله كما كانت
الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشق ذلك عليه لما انه كان عم شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها
الله طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تع اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا

من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى **فان استطعت** الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوا اقتراحا فان استطعت **ان تبتغي نفقا** اي سربا ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما** اي مصعدا **في السماء** تعرج به فيها **فتاتيهم** منها **باية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف وقع هما نعت لنفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي ولو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأه لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه صلى الله عليه وسلم من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي هؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون** للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة اوفى بحق المقام لانبائها عن كون مرجعهم اليه بطريق الاضطرار وقالوا

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه قد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى **قل ان الله قادر على ان ينزل آية** مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار والايذان بان عدم تنزيله اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطرح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية اي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختبار واستئصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الخ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيدة لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى **ولا طائر يطير بجناحيه** مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر **الا امم** اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم **امثالكم** اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها متقنة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية **ما فرطنا في الكتاب من شيء** يقال فرط الشيء اذا ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القرآن على الاول ظرف لغو وقوله من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر

لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في
اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى **ثم الى ربهم يحشرون** بيان
لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء
لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اى الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا الى غيره
فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه
مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى **والذين كذبوا بآياتنا** متعلق بقوله تعالى ما
فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك ومحله الرفع
على الابتداء وخبره ما بعده اى اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار
والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه **صم** لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها
اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويعرضون عنها **وبكم** لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق
ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى **في الظلمات** اى في ظلمات الكفر وظلمات
الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدأ على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي او
متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اى
بكم كائنون في الظلمات او صفة لبكم اى بكم كائنون والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال
فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشير لغيره بما في ضميره
بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى وكان في الظلمات فينسد عليه
باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى **من يشاء الله يضلله** تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف
على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اى
من يشأ الله اضلاله اى ان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون
له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى **ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم** لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه **قل ارأيتكم** امر لرسول الله
بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار
عن متعلقها اى اخبروني **ان اتاكم عذاب الله** حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي
او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة **اغير الله تدعون** هذا مناط الاستخبار ومحط
التبكيت وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة
او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقهم بأى معنى
كان موجب لاخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون
اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله تعالى فيخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار
بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى **بل اياه تدعون** عطف على
جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه

اياه تدعون وقوله تعالى **فيكشف ما تدعون اليه** اى الى كشفه عطف على تدعون اى فيكشفه اثر
دعائكم وقوله تعالى **ان شاء** اى ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته على
حكمه الخفية قد استأثر الله بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد
لا يقبله كما في بعض آخر منها ومن جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة
وقوله تعالى **وتنسون ما تشركون** اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على
تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن
الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى **ولقد ارسلنا** كلام مستأنف مسوق لبيان ان
منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر
التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام
بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان احوال المرسل اليهم لا احوال المرسلين
اى وبالله لقد ارسلنا رسلا **الى امم** كثيرة **من قبلك** اى كائنة من زمان قبل زمانك **فاخذناهم**
اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم **بالبأساء** اى بالشدة والفقر **والضراء** اى الضر والآفات وهما صيغتا
تأنيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** اى لكي يدعوا الله في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه
من كفرهم ومعاصيهم **فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا** اى فلم يتضرعوا مع تحقق ما يستدعيه
ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اى فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما
يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اى استمرت على ما هي عليه من القساوة او
ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**
من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك
لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اى فانهمكوا فيه
ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** من فنون النعماء على منهاج
الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح
على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى **حتى اذا فرحوا
بما اوتوا** هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائرها
وهي مع ذلك غاية لقوله فتحنا او لما يدل عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم
وبطروا واشروا **اخذناهم بغتة** اى نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا
فاذا هم مبلسون متحيرون آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على
استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** اى آخرهم بحيث لم يبق منهم
احد من دبره دبرا ودبورا اى تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب
ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات **والحمد لله رب العالمين**
على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم
عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي
نطقت بها رسلهم عليهم السلام **قل ارأيتم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنيته

الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق
الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم و
اعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين
ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما
يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم
السمع على الابصار فانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما انه في الاصل مصدر وقوله تعالى من اله مبتدا
وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار
لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني
ان سلب الله مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم به وقوله انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله
من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى
اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم
اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتم
تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه
العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجأة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث
تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا لما
ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي
اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق
الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع
موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم
للكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج
هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار
محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا
لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك
بهلاك التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجدي به واشتغل بما لا يعنيه
واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان
وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه
الكفرة عليه عم ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع للايذان بان ذلك امر مستمر جرت عليه
العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم
وانذارهم وفيهما معنى العلة الغائية قطعا اي يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب
على المعصية اي ليخبروهم بالخبر النافع والخبر الضار دينيا كان او دنيويا من غير ان يكون لهم دخل ما في
وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر واللازم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة

الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه
دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم
نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها
كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا
يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام والسر ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا
دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيد الا
مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله تعالى والذين كذبوا عطف على من
آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والا
ويبلغونه الى الامم آياته تعالى وان من آمن به فقد آمن بآياته ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب
في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا
بنفع ما من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا او من تلقاء انفسهم واستدعاء من قبلنا حتى
يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا في
ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من عمله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه
عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم لافراده انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي
بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار
تبريه صلى الله عليه وسلم عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل
الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا
او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك
مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبريا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب
عطف على محل عندي خزائن الله اي لا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت
الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل
الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم
قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا
ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم
اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا
بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهته تعالى والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الي لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه
القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى

يتعلق به الفعل باعتبار النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى
إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات
معا في خصوصيته فإن ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق إلى معنى
مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يقومه فإن معناه فعل النصر يرشدك إلى ذلك
قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي إلى الأصل والإثبات إلى القيد كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي من غير أن يكون لي
مدخل ما في الوحي بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلا **قل هل يستوي الأعمى
والبصير** مثل للضال والمهتدي على الإطلاق والاستفهام إنكاري والمراد إنكار استواء من
لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الإشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال
والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الأمر لتثنية التبكيت وتأكيد الإلزام وقوله تعالى **أفلا
تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل تحت الأمر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تسمعون
هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه أو أتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الأول عدم الأمرين
معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**
بعدما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة
ولا ينزجرون بمشاهدة المعجزات القاهرة التي قد أيبست مشاعرهم بالكلية ولحقوا بالأموات وقرر
ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبكيت والإلزام ما يلقمهم الحجر أي إلقام فأبوا إلا الإباء والنكير
وما يجدي فيهم عظة ولا تذكير وما أفادهم الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر صلى الله عليه وسلم
بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء
كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة
آبائهم الأنبياء كالأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين
يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا وأما المنكرون للحشر رأسا و
القائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون ممن أمر بإنذارهم وقد
قيل هم المفرطون في الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما
يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى أو لما دل هو عليه من القرآن والمفعول
الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد
به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة
وتحقيق المخافة وقوله تعالى **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** في حيز النصب على الحالية من ضمير
يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب
حالا خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما نيط به الخوف
هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة
المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار وأما الحال الثانية فليست لإخراج الولي
الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته لهم كما في قوله تعالى وما لكم من

من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما
هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من
دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم
ومن هذا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى
ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر
والمعاصي أو حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجيا تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما أمر صلى الله عليه وسلم بإنذار المذكورين لينتظموا
في سلك المتقين نهي صلى الله عليه وسلم عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روي أن رؤساء
من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم رضي الله عنهم جلسنا إليك وحادثناك فقال
ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال صلى الله عليه
وسلم نعم طمعا في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون وقيل إن عتبة بن
ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل وأشراف
بني عبد مناف من أهل الكفر أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا
وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال
سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية وقيل جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري و
عباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أناس من ضعفاء
المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا
هؤلاء وأرواح جبابهم لجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا
فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا
مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال عليه السلام نعم
قالوا فاكتب لنا كتابا فأتي بالصحيفة ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية نزل جبريل عليه السلام
بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته
وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن
نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم
الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى
يريدون وجهه حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد علية
للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم
من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من أقاويل
الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأي أي ما عليك شيء من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه
من الأحكام وإنما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام

صلى الله عليه وسلم

نا

على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تع ان حسابهم الا على ربي
وذكر قوله تع وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء
كون حسابهم عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عم عليهم على
طريقة قوله تع لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة
جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجزالة
التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام
اذ هو الداعي الى تصديه عم لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تع فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى
فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك
ولقد فتنا بعضهم ببعض استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما
بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما
هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته المشار اليه وبعد
منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على
انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم
على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد
لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره
حيث قدمنا الاخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام
في قوله تع ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما
بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله
عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تع من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء
وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا
تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تع وقوله تعالى أليس الله بأعلم
بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة
والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى
تستبعد انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تع في تنزيل
القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تع على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله
ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات
الله تع كما وصفوا بالمداومة على عبادته تع بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل
وتأخير الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان
مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تع فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم
بالسلامة على كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تع اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تع
كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان
بالذات لا بتوسط شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تع وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن

عن المكاره وبقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهارا
للطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا
ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تع انه من عمل منكم سوءا بدل من
الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تع بجهالة حال من فاعل
عمل اي عمل وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما
يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه
واصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور
رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا
لمن على موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الايات تذييل يعني ما بين من
الكلام اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتاء الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير
بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور
لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر
هو عبارة عن المذكور كانه قيل ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب
السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق
بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة
من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عم
اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب الي من
الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدون
من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا
باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تع من النهي والثاني حكاية لما من جهته عم
من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما تعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على
انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب
النهي والانتهاء وقوله تع قد ضللت اذا استيناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية
الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تع وما انا من المهتدين عطف
عليه والعدول الى الجملة الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره
لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى
قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال
الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل
والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمهما ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله
من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من التشريف ورفع
المنزلة ما لا يخفى وقوله تع وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها للاستقباح

مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة و
التذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار
التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تع **ما عندي ما تستعجلون به** استيناف مبين لخطائهم
في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما
تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى
اجيء به واظهر لكم صدقه او ليس امره بمفوض الي **ان الحكم** اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما
الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **الا لله** وحده من غير ان تكون لغيره دخل
فيه بوجه من الوجوه وقوله تع **يقص الحق** اي يتبعه بيان لشئونه تع في الحكم المعهود او في جميع احكامه
المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ يقضي فانتصاب
الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعول به اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى
الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة
الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه **وهو خير الفاصلين** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما
قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه
جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تع غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على
وصفهم بتكذيب آيات الله تع بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر
التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا **قل لو ان عندي** اي في قدرتي ومكنتي **ما تستعجلون
به** من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تع **لقضي الامر بيني
وبينكم** اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل
للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى وفيما قيل ونفسره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام
حقه وقوله تعالى **والله اعلم بالظالمين** اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون
امر العذاب مفوضا اليه عم المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين
وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي ولم يقض الامر
بتعجيل العذاب والله اعلم **وعنده مفاتح الغيب** بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تع من حيث العلم
اثر بيان اختصاص كلها به تع من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار
لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح
ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى
اي عنده تع خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله تع **لا يعلمها الا هو** تأكيد لمضمون ما
قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه
من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما
يختص به تع قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى **ويعلم ما**

في البر والبحر بيان لتعلق علمه تع بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على
ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف
اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تع **وما تسقط من ورقة الا يعلمها** بيان لتعلقه بالاحوال
المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها
عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما
فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تع **ولا حبة**
عطف على ورقة وقوله **في ظلمات الارض** متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال
نفوذ علمه تع اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تع **ولا رطب ولا يابس**
معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى **الا في كتاب مبين** بدل من الاستثناء الاول
بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح
المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب
مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع
ولا حبة ايضا **وهو الذي يتوفاكم بالليل** اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للاشتراك بين
الموت والنوم عن المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه **ويعلم ما جرحتم
بالنهار** اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي
والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى
ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر
للجري على سنن العادة **ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط
قوله تع ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من
السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما
يكتسبونه ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار
مع علمه بما يجترحون فيها **ليقضى اجل مسمى** معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد
ما عين له **ثم اليه مرجعكم** اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازاة
باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار والله تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في
شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه الى كون البعث
معللا بقضاء الاجل المترتب له **وهو القاهر فوق عباده** اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل
بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك **ويرسل عليكم** خاصة ايها
المكلفون **حفظة** من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء
وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف
هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف

على كل حال ان يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما
ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي
والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين
على احواله وحتى في قوله تعالى **حتى اذا جاء احدكم الموت** هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها
من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت
مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه **توفته رسلنا** الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم
ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى
التائين **وهم** اي الرسل **لا يفرطون** اي بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا
به وقوله تعالى **ثم ردوا** عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق
الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم
ردوا بعد البعث بالحشر **الى الله** اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب **مولاهم** اي مالكهم الذي يلي
امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم **الحق** الذي لا يقضي الا بالعدل
وقرئ بالنصب على المدح **الا له الحكم** يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه **وهو
اسرع الحاسبين** يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن
شأن وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**
اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل
الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد
وقوله تعالى **تدعونه** نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم
داعين له او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى **تضرعا وخفية**
اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه
دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى **لئن انجيتنا** حال من الفاعل ايضا على تقدير القول
اي قائلين لئن انجيتنا **من هذه** الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات **لنكونن من الشاكرين**
اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ انجانا
مراعاة لقوله تعالى تدعونه **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب** امر صلى الله عليه وسلم بتقرير الجواب
مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولسان قوله تعالى **ثم انتم تشركون** عليه اي الله تعالى
وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما
تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى **قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا** استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر
بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى أفأمنتم ان
يخسف بكم جانب البر الخ وقوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الخ وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه
على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم والتهويل امر المؤخر وقوله تعالى

من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن
فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم **او من تحت ارجلكم** اي من جهة السفل كما فعل بفرعون او قارون
وقيل من فوقكم اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع
فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح **او يلبسكم شيعا** اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى
كل فرقة منها تابعة لامام فينشب بينهم القتال فيختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي **ويذيق بعضكم بأس بعض** عطف على يبعث وقرئ
بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر
المؤمنون ففيه وعد ووعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم
اعوذ بوجهك وعند قوله او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سألت ربي ان
لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعني ذلك **انظر كيف نصرف الآيات** من حال الى حال **لعلهم يفقهون** كي يفقهوا ويقفوا على
جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد **وكذب به** اي بالعذاب الموعود او القرآن
المجيد الناطق بمجيئه **قومك** اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم
فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار
والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى **وهو
الحق** حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق
في كل ما نطق به وقيل هو استئناف واياما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها
قل لهم منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة **لست عليكم
بوكيل** بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت
عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه **لكل نبأ** اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها
عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه **مستقر** اي وقت استقرار ووقوع
البتة ووقت استقرار بوقوع مدلوله **وسوف تعلمون** اي حال نبائكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما
معا وسوف للتاكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين **واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا**
اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم **فاعرض عنهم** بترك مجالستهم
والقيام وقوله تعالى **حتى يخوضوا في حديث غيره** غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا
في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فاذا وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبا
بعنوان الحديث وقيل باعتبار كونها حديثا فاذا وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان
الحديثية فانها **واما ينسينك الشيطان** بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك
من التنسية **فلا تقعد بعد الذكرى** اي بعد تذكر النهي **مع القوم الظالمين** اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر
نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون
في ذلك **وما على الذين يتقون** روي عن ابن عباس ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم
في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت

أي ما على الذين يتقون قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم **من حسابهم** أي مما يحاسبون عليه من الجرائم **من شيء**
أي شيء ما على أنه في محل الرفع على أنه مبتدأ وما عليهم مبتدأ واسمها إذ هي حجازية ومن مزيدة للاستغراق
من حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ أو لما الحجازية على رأي من لا يجيز إعمالها
في الخبر المقدم مطلقا أو في محل النصب على رأي من يجوز إعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا أو حرف جر
ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق أي ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح
بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى إما النصب على أنه مصدر
مؤكد للفعل المحذوف أي عليهم أن يذكروهم تذكيرا أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي ولكن عليهم
ذكرى **لعلهم يتقون** أي يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز كون الضمير للموصول أي
يذكرونهم رجاء أن يثبتوا على تقواهم أو يزدادوها **وذر الذين اتخذوا دينهم** الذي كلفوه وأمروا
بإقامة مواجبه **لعبا ولهوا** حيث سخروا به واستهزؤوا أو بنوا أمر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل
بطريق الجد وإنما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب
ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا الآية **وغرتهم الحياة الدنيا** واطمأنوا بها حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبدا **وذكر به** أي
بالقرآن من يصلح للتذكر **أن تبسل نفس بما كسبت** أي لئلا تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة
أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وترتهن بسوء عملها وأصل
الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام ممنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجرور في به راجعا إلى الإبسال
مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما في الإبهام أولا والتفسير ثانيا
من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على أنه بدل من ضمير
جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى **ليس لها من دون الله ولي ولا
شفيع** استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل في محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل في محل
الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس في قوة نفوس كافرة أو نفوس كثيرة كما في قوله تعالى
علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى والذ
الآية وقيل هو خبر ليس ويكون لها متعلق بمحذوف على البيان **وإن تعدل** أي تفد تلك النفس **كل
عدل** أي كل فداء على أنه مصدر مؤكد **لا يؤخذ منها** على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور لا إلى ضمير العدل
كما في قوله تعالى لا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به لا المصدر كما نحن فيه **أولئك** إشارة إلى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله
الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى **الذين أبسلوا بما كسبوا** والجملة مستأنفة سيقت إثر تحذيرهم من
الإبسال المذكور لبيان أنهم المبتلون بذلك أي أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا
هم الذين أبسلوا إلى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى **لهم شراب من حميم** استئناف آخر مبين لكيفية
الإبسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا
فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ويتقطع به أمعاؤهم **وعذاب أليم** بنار تشتعل بأبدانهم
بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير أبسلوا

أبسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضا حسبما ينطق به
قوله تعالى بما كسبوا لأنه العمدة في إيجاب العذاب والأهم في باب التحذير أو أريد بكفرهم ما هو أعم
منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز أن يكون أولئك إشارة إلى النفوس المدلول
عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته أو بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة
لبيان تبعة الإبسال **قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا** قيل نزلت في أبي بكر
حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام فتوجيه الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للإيذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشأن الصديق رضي الله عنه أي أنعبد متجاوزين
عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا
إذا عبدناه ولا على ضرنا إذا تركناه وأدنى مراتب المعبود القدرة على ذلك وقوله تعالى **ونرد
على أعقابنا** عطف على ندعوا داخل في حكم الإنكار والنفي أي ونرد إلى الشرك والتعبير عنه بالرد
على الأعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الإشارة إلى كون
الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهور وإيثار نرد على نرتد لتوجيه الإنكار إلى الارتداد
برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لأطماعهم الفارغة وإيذانا بأن الارتداد من غير راد
ليس في حيز الاحتمال ليحتاج إلى نفيه وإنكاره وقوله تعالى **بعد إذ هدانا الله** أي إلى
الإسلام وأنقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره
فقط وإلا لكفى أن يقال بعدما هدينا كأنه قيل ونرد إلى الشرك بإضلال المضلين بعد إذ هدانا
الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى **كالذي استهوته الشياطين** في محل النصب على أنه حال من
مرفوع نرد أي أنرد على أعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته إلى المهامه
والمهالك أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي أنرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال
من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بألف ممالة وقوله
تعالى **في الأرض** إما متعلق باستهوته أو بمحذوف هو حال من مفعوله أي كائنا في الأرض وكذا قوله
تعالى **حيران** حال منه على أنها بدل من الأولى أو حال ثانية عند من يجوزها أو من الذي أو من المستكن
في الظرف أي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى **له أصحاب** جملة في محل النصب على أنها
صفة لحيران أو حال من الضمير فيه أو مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى **يدعونه إلى الهدى**
صفة لأصحاب أي لذلك المستهوى رفقة يدعونه إلى الطريق المستقيم وتسميته بالمصدر للمبالغة
كأنه نفس الهدى **ائتنا** على إرادة القول على أنه بدل من يدعونه أو حال من فاعله أي يقولون
ائتنا وفيه إشارة إلى أنهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وأن من يدعونه ليس ممن يعرف
الطريق المستقيم ليدعى إلى إتيانه وإنما يدعى إلى سمت الداعي ومورد النعت فقط **قل إن هدى
الله** الذي هدانا إليه وهو الإسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله
تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال ونحوه وتكرير الأمر للاعتناء بشأن المأمور به ولأن ما سبق للزجر
عن الشرك وهذا حث على الإسلام وهو توطئة لما بعده فإن اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب
الامتثال بالأوامر الواردة بعده **وأمرنا** عطف على إن هدى الله هو الهدى داخل تحت القول
واللام في **لنسلم لرب العالمين** لتعليل الأمر المحكي وتعيين ما أريد به من الأوامر الثلاثة كما

في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل أن
نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى **وان
اقيموا الصلاة واتقوه** اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية
اذا وصلت بالامر تجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى
على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى
الاخير امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر و
تأكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى **وهو الذي اليه تحشرون** جملة مستأنفة موجبة للامتثال
بما امر به في الامور الثلاثة **وهو الذي خلق السموات والارض** اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم
التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى **بالحق** متعلق بمحذوف
هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المذكور له اي قائما بالحق او خلقا ملتبسا
به وقوله تعالى **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق** استيناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر
من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على
شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات ويوم ظرف لمضمون جملة
قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية
وترك ذكر المفعول للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور والمعنى وامره
المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي
المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما
عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول
لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقد قيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه
او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه
الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر
الاجساد واحياؤها فتأمل حق التأمل **وله الملك يوم ينفخ في الصور** تقييد اختصاص الملك
به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق
المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار **عالم الغيب والشهادة** اي هو عالمهما **وهو الحكيم** في كل ما يفعله **الخبير** بجميع الامور
الجلية والخفية **واذ قال ابراهيم** منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة
من لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول
ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا **لابيه آزر** على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم
وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ وكذا
تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة وهو ممنوع من الصرف للعجمة و
العلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو

عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء
وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف
النداء الا من الاعلام **اتتخذ** متعد الى مفعولين هما **اصناما آلهة** اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه
الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ازرا بفتح
الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه
اتعبد ازرا ثم قيل اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه
بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى لاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة
قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة **اني اراك وقومك** الذين يتبعونك في عبادتها **في ضلال**
عن الحق **مبين** اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها
الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ **وكذلك نري ابراهيم**
هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى يفهم
من قوله اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل
وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري
ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة
المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المذكور لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام
ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما
مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت
ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز وجل او لا فقد قيل
والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام
عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات
الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة
بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه صلى الله عليه وسلم من ابصارها
ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل
ولا ريب في ان ذلك مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا
فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت
تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى **وليكون من الموقنين** متعلقة بمحذوف مؤخر
والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين
اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك
الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك
كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل
والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة

يسبح عليها الكلام اي يستدل به وليكون الخ فينبغي ان يراد به لكن بما بل بهما وايا تهما لان الاستدلال
من غايات اراءته لامن غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعـ **فلما جن عليه الليل** على الاول وهو
الحق المبين عطف على قال ابرهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض
مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته وما لكيته للسموات والارض وما فيهما
وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من
الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة
الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات
والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره
بظلامه وقوله تعـ **راى كوكبا** جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا
صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس
والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري
وقوله تعـ **قال هذا ربي** استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان
اراءته عم ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عم
من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فما صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على
سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة
في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا
واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في
المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال
وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بالايات وعطف
قوله تعـ وليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة
وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجلالة منصب الخليل
عم **فلما افل** اي غرب **قال لا احب الافلين** من الارباب المنتقلين من مكان الى مكان
المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا
فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكواكب **قال هذا ربي** على الاسلوب
السابق **فلما افل** كما افل النجم **قال لئن لم يهدني ربي** الى جنابه الذي هو الحق لاجد غيره
لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عم
في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شاهق
يستتر الكواكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافق القمر
مكشوفا له اولا لاوالا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس ينبغي عند قوله تعـ
فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور **قال** اي على النهج السابق
هذا ربي وانما ذكر لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث
لا من حيث هو مسمى باسم من الاسماء او لا تضاعف حيث لا تسمية او الكبر وصيانة للرب

الرب عن وصمة التانيث وقوله تعـ **هذا اكبر** تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية
الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر **فلما افلت** هي ايضا كما
افل الكوكب والقمر **قال** مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم **يا قوم اني بريء مما تشركون**
اي من الذين تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم
وترتيب هذا الحكم ونظمه على الافول دون البزوغ والظهور من ضرورة سوق الاحتجاج على هذا
المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية
قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة
رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس
الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل من يشاهدها
عقيب رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عم منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشيها فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها **والارض**
التي منها اصنامكم **حنيفا** اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها **وما انا من المشركين**
في شيء من الافعال والاقوال **وحاجه قومه** اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد تارة **قال** استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عم حين حاجوه فقيل قال منكرا
لما اجترؤا عليه من محاجته عليه السلام مع قصور هممهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم
اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعـ **وقد هدان**
حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عم مهديا من جهته تعالى ومؤيدا من عنده مما
يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شانه تعـ ووحدانيته والحال انه تعالى
هداني الى الحق بعد ما سلكتم طريقه بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه
وقوله تعـ **ولا اخاف ما تشركون به** جواب لما خوفوه عم في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة
اصنامهم كما قال لهود عم قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عم
بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعـ **الا ان يشاء ربي شيئا** استثناء مفرغ
من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا وقت
مشيئته تعـ شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعـ
واستسلامه لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله **وسع ربي كل شيء علما**
كالتعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه
من جهتها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تاكيد للمعنى الذي ذكر واستلذاذ به
تعـ **افلا تتذكرون** اي اتعرضون عن التامل في ان الهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع
ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة
الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعـ **وكيف اخاف ما اشركتم**
استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عم بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سياتي بعد نفيه عنه بحسب
الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعـ كيف يكون للمشركين عهد عند

س

الله الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه
الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود
يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعاً فإذا انتفى جميع أحواله و
كيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى **ولا تخافون أنكم أشركتم**
بالله حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى الضمير العائد إلى ذي
الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن
لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون
غائلة ما هو أعظم المخلوقات وأهولها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في
السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى **ما لم ينزل به** أي بإشراكه **عليكم سلطاناً** على
طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى
وفي تعليق الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل
من أن قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجب فمما لا سداد
له أصلاً لإفضائه إلى إفساد المعنى قطعاً كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى
إلى نفي الخوف عنه صلى الله عليه وسلم ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى
نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على أن قوله تعالى **فأي الفريقين أحق بالأمن**
ناطق ببطلانه حتماً فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه عليه السلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل
الخوف مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه
وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق
الكلام على سنن الإنصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف
فإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق
على علية الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس **إن كنتم تعلمون**
المفعول إما محذوف تعويلاً على ظهوره بمعونة المقام أي إن كنتم تعلمون من أحق بذلك أو قصد
إلى التعميم أي إن كنتم تعلمون شيئاً وإما متروك بالمرة أي إن كنتم من أولي العلم وجواب الشرط محذوف
أي فأخبروني **الذين آمنوا** استئناف من جهته تعالى للجواب الحق الذي لا محيد عنه أي الفريقان الذين
آمنوا **ولم يلبسوا إيمانهم** ذلك أي لم يخلطوه **بظلم** أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث
يزعمون أنهم يؤمنون بالله تعالى وأن عبادتهم للأصنام من تتمات إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب
والشفاعة كما قالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وهذا معنى الخلط **أولئك** إشارة إلى
الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الإشارة إليه بعد وصفه بما ذكر إيذان بأنهم
تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى **لهم الأمن** جملة من خبر مقدم
ومبتدأ مؤخر وقعت خبراً لأولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الأول الذي هو الموصول ويجوز أن
يكون أولئك بدلاً من الموصول أو عطف بيان له ولهم خبر للموصول والأمن فاعلاً للظرف
لاعتماده على المبتدأ ويجوز أن يكون لهم خبراً مقدماً والأمن مبتدأ والجملة خبر للموصول ويجوز

أن يكون أولئك مبتدأ ثانياً ولهم خبره والأمن فاعلاً له والجملة خبر للموصول أي أولئك الموصوفون بما ذكر
من الإيمان الخالص عن شوب الشرك لهم الأمن فقط **وهم مهتدون** إلى الحق ومن عداهم في ضلال
مبين روي أنه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقالوا أينا لم يظلم
نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم
وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وليس من قضية الخلط
حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الأول لوروده مورد الجواب عن
الفريقين **وتلك** إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله أتحاجو
إلى قوله مهتدون وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه والإشعار بعلو طبقته
وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **حجتنا** خبره وفي إضافتها إلى نون العظمة من التفخيم ما
لا يخفى وقوله تعالى **آتيناها إبراهيم** أرشدناه إليها وعلمناه إياها في محل النصب على أنه حال من حجتنا و
العامل فيها معنى الإشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أو في محل الرفع على أنه خبر ثان أو
هو الخبر وحجتنا بدل أو بيان للمبتدأ وإبراهيم مفعول أول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميراً وقوله
تعالى **على قومه** متعلق بحجتنا إن جعل خبراً لتلك أو بمحذوف إن جعل بدلاً أي آتيناها إبراهيم حجة على
قومه وقيل بقوله آتيناها **نرفع** بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي
درجات أي رتباً عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع
الخافض أي إلى درجات أو على التمييز والمفعول قوله تعالى **من نشاء** وتأخيره على الوجوه الثلاثة
الأخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف أي من نشاء رفعه
حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة
جارية فيما بين المصطفين الأخيار غير مختصة بإبراهيم عليه السلام وقرئ بالإضافة إلى من والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها لا محل لها من الإعراب وقيل هي في محل النصب على أنها حال من فاعل آتينا أي حال
كوننا رافعين الخ **إن ربك حكيم** في كل ما يفعل من رفع وخفض **عليم** بحال من يرفعه واستعداده له
على مراتب متفاوتة والجملة تعليل بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهاراً
لمزيد لطف وعناية به عليه السلام **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فإن
عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الأخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لأن له
محلاً من الإعراب نصباً ورفعاً حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية
المستدعيتين للرابط ولا سبيل إليه ههنا **كلاً** مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة إلى
غيرهما مطلقاً بل بالنسبة إلى أحدهما أي كل واحد منهما **هدينا** لا أحدهما دون الآخر وترك
ذكر المهدي إليه لظهور أنه الذي أوتي إبراهيم وأنهما مقتديان به **ونوحاً** منصوب بمضمر يفسره
هدينا من قبل أي من قبل إبراهيم عد هداه نعمة على إبراهيم عليه السلام لأن شرف الوالد سار إلى الولد
ومن ذريته الضمير لإبراهيم لأن مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من إيتاء الحجة ورفع الدرجات
وهبة الأولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة كل ذلك لإلزام من ينتمي
إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً من ذرية إبراهيم عليه السلام
فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها وأما المذكورون في الآية

الثالث فعطف على نوحا وروى عن ابن عباس رضي الله عنه هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية
ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم
واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب **داود وسليمان** منصوب بمضمر مفهوم كما سبق وكذا ما
عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل
من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمن **وايوب**
هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق **ويوسف وموسى وهرون** اي وهدينا هؤلاء المذكورين
اي وهديناهم حال كونهم من ذريته **وكذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير **نجزي المحسنين** جزاء مثل ذلك الجزاء
والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عم مطلق المماثلة
في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه
ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين
للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون
الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين
المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة
المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين
لا جزاء اخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال
على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره عم بقوله ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها **وزكريا** هو ابن ادن **ويحيى**
ابنه **وعيسى** هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات **والياس** قيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عم
كل اي كل واحد من اولئك المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة
عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح **واسمعيل**
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام والاشتقاق
له وقيل انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو
ابن هاران بن اخي ابرهيم عليهم السلام **وكلا** اي كل واحد من اولئك المذكورين **فضلنا** بالنبوة
لا بعضهم دون بعض **على العالمين** على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تع **ومن اباءهم**
وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا
من ابائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا
بعض ابائهم وذرياتهم الخ **واجتبيناهم** عطف على فضلنا اي اصطفيناهم **وهديناهم الى**
صراط مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه **ذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم
الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا

مرارا **هدى الله** الاضافة للتشريف **يهدي به من يشاء من عباده** وهم المستعدون للهداية والارشاد
وفيه اشارة الى انه تع متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اي هؤلاء المذكورون **لحبط عنهم** مع فضلهم
وعلو طبقاتهم **ما كانوا يعملون** من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم باعتبار انحطاط رتبتهم
بما ذكر من الهداية ونحوها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تع **الذين اتيناهم الكتاب**
اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام
بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال
ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين **والحكم** اي الحكمة
او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب **والنبوة** اي الرسالة **فان يكفر بها** اي بهذه
الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيتين **هؤلاء** اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا بها** اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان
بها والقيام بحقوقها **قوما ليسوا بها بكافرين** في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان
بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي
بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار واهل المدينة
وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني ادم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف
موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها
الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها
بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء
المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامه كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن
اعتقاد حقيته كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القران الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل
هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واباء ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى
صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي واما تقديم صلة
وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولانه نوع طول
ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم والى الفصل بين الصفة والموصوف
وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد
وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بها بكافرين قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما
فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم
احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة
به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عم فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما لا
يخفى **اولئك** اشارة الى الانبياء والملائكة المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو
مبتدأ خبره قوله تع **الذين هدى الله** اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل
للاشعار بعلة الهداية **فبهداهم اقتده** اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم

وهم هم وعلماؤهم **اولئك** اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عم

طريقتهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا
تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إيثارها في الدرج أيضا إجراء له مجرى
الوقف واقتداء بالإمام وقرئ بإشباعها على أنها كناية المصدر **قل لا أسألكم عليه** أي على القرآن
أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما **أجرا** من جهتكم كما لم يسأله من قبلي
من الأنبياء عم وهذا من جملة ما أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فيه **إن هو** أي القرآن **إلا
ذكرى للعالمين** أي موعظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين
وما قدروا الله لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منزلة على الكافة حسبما
ينطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم إياها وكفرهم
بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء
يقدره بالضم قدرا إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره
وأحواله وأوصافه وقوله تعالى **حق قدره** نصب على المصدرية وهو في الأصل صفة للمصدر أي
قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أي ما عرفوه تعالى حق
معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل أخلوا بها إخلالا إذ
قالوا منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما **ما أنزل الله على بشر
من شيء** معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما
أن نفي المحبة في مثل أن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والاقتصار على معرفته تعالى
يتحقق مع عدم التعرض لحط بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قوله من يناجي مستقصرا لمعرفته
وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك أو ما عرفوه حق معرفته في السخط
على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين جرؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء
فالكفر بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلا حيث قيل **قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى** أي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت وإلقام الحجر روي أن مالك بن الصيف
من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل
التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء
فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لما أنه كان عندهم
من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ووصف الكتاب
بالموصول إليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى **نورا وهدى** فإن كونه بينا
بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الإلزام أي تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل
أو من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى **للناس** إما متعلق بهدى أو بمحذوف هو صفة
له أي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم الاعتراف بإنزال التوراة فقط بل إنزال
القرآن أيضا فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة
به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل **تجعلونه قراطيس** تضعونه في قراطيس

قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم أو تجعلونه نفس
القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة
القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى **تبدونها** صفة لقراطيس وقوله تعالى
وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد إلى الموصوف محذوف أي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل
له من الإعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة و
قرئ الأفعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا الله وقوله تعالى **وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم** قيل هو حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين قلت ينبغي أن
يجعل ما عبارة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد
التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الإبداء والإخفاء
شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذا لعلومهم ومعارفهم أشنع وأعظم لا أعمال
العلوم من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم
من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
كما قالوا لأن تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة أما ما ورد فيه
زيادة على ما فيها فلأنه لا تعلق له بها نفيا ولا إثباتا وأما ما ورد بطريق البيان فلأن مدار ما
فعلوه من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الأمر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك
بإيضاحه وبيانه فتكون الجملة حالية عن تأكيد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقع الحال بل التوجيه
أن تكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه
من مجيء القرآن ولا سبيل إلى جعل ما عبارة عما كتموه من الأحكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فإن ظهوره وإن كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة
الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل
الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم وقوله تعالى **قل الله** أمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عنهم إشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وإيذانا بأنهم
أفحموا ولم يقدروا على التكلم أصلا **ثم ذرهم في خوضهم** في أباطيلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك
بعد إلزام الحجة وإلقام الحجر **يلعبون** حال من الضمير الأول والظرف صلة للفعل المقدم أو المؤخر
أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الأول أو من فاعل الثاني أو من الضمير الثاني لأنه فاعل في
الحقيقة والظرف متصل بالأول **وهذا كتاب أنزلناه** تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير
إنزال ما يشهد به من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء إثر تكذيب **مبارك** أي كثير الفوائد
وجم المنافع **مصدق الذي بين يديه** ولعله حسبما وصف فيها والكتب التي قبلها فإنه مصدق للكل
في إثبات التوحيد والأمر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ **ولتنذر
أم القرى** عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركات ولتنذر أهل مكة وإنما ذكر باسمها المنبئ
عن كونها أعظم القرى شأنا وقبلة لأهلها قاطبة إيذانا بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل
الأرض كافة وقرئ لينذر بالياء على أن الضمير للكتاب **ومن حولها** من أهل المدر والوبر في المشارق
والمغارب **والذين يؤمنون بالآخرة** وما فيها من أفانين العذاب **يؤمنون به** أي بالكتاب لأنهم

يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان
بانها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي واختلق عليه احكاما من
الحل والحرمة لعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم
منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في ذلك من افضل من
زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال
اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الانسان ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتبها كذلك فشك عبد الله قال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي
الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي
ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة
من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم
الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم اليوم اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له
تجزون عذاب الهون المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم
عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين
عن الاموال والاولاد وعن ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم تفضلنا به
عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد
تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على
اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع
وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث
ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته
ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى
بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية

ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي
من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة تفسيرية
لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات
عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب
والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف
تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف
والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار
واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل
سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل
بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي وقط
وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى
الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل
وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقرئا بالجر وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب بها
الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما
ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي
لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي
من جملتها ما في ذلك التسيير من المصالح والمنافع المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل
لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته في النيرين والجعل متعد الى واحد
واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل
اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن
لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما
يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم
في اسفاركم عند دخولكم المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات
الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك
او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا
الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية
الدالة على شؤونه مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون
في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون
به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف تدبيره

صنعه وحكمته اي انشاكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في
الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر
والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم
في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار
منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم
يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في
اطوار تخليق بني آدم مما تحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في
شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تع منبئة عن كمال قدرته تعالى
وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي
فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم
والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة و
النقصان حسبما يفصح عنه قوله تع يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تع فاخرجنا
منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات
الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته
خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تع نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب
المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تع ومن النخل
شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تع من النخل خبر مقدم وقوله تع من طلعها بدل
منه باعادة العامل كما في قوله تع لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله والطلع
شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تع قنوان مبتدأ اي وحاصلة من
طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا
من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ
بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية
سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او
ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر او لزيادة
النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب
وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة
او مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات هنا من غير اكتفاء بذكر اسم
الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من
افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على
العطف على نبات وقوله تع مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه

عليه كما يكتفى بخبر المعطوف في قوله تع والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون
متشابها والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى
بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة
على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار
واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي والى حال
نضجه كيف يصير الى كمال لائق كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة
الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث
هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط
بديع تحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته
من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ
من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شانه ما
فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله
وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا
الله تع او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق
الشر وكل ضار كما راى الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن وقدم ثانيهما على الاول
لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم للنكتة المذكورة
وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا
عن سؤال نشأ من قوله تع وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تع فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده
قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم
شركاء لله تع وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد
او بدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم
بمضمونها اي وقد علموا انه تع خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تع خالق الجن فكيف
يجعلون مخلوقه شريكا له تع وقرئ وخلقهم عطف على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء
اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تع وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق
الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا اي
زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة
من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطا او صواب بل رميا بقول عن
عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر
قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير
علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه تع عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح
الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء
اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر

تاصيد اى اسبح سبحانه اى نزهه عما لا يليق به عقلا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة
من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس
الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لم يسمع له فعل من الثلاثى كما ذكر فى القاموس اريد به التنزيه التام
البالغ حد الكمال بقرينة ما بعده من حيث اسناد التنزيه الى ذاته المقدسة اى تنزيهه بذاته تنزيها لائقا له
هو الانسب بقوله تعالى **وتعالى** فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما فى السبحان والتعالى من معنى
التباعد قيل **عما يصفون** اى متباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض** اى
مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع
نص عليه ائمة اللغة كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر فى
القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة
المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه
من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما فى قولهم ثبت الغدر بمعنى
انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا
مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه
فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من
الضمير المجرور فى سبحانه على رأى من يجوزه وارتفاعه على القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف
او فاعل تعالى واظهاره فى موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه
مبتدأ خبره قوله تعالى **انى يكون له ولد** هو على الاول من جملة مستقلة مسوقة لما ذكر من بيان استحالة
ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى **ولم تكن له صاحبة** حال موكدة للاستحالة المذكورة
فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد
بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثانى
اى انى او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم
يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية
لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ موخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة لان تكون مفسرة لضمير الشأن على الوجه الاول لما
بين فى موضعه ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى **وخلق كل شئ** اما جملة مستانفة اخرى
سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه خلق
كل شئ انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون
المخلوق ولدا لخالقه **وهو بكل شئ** من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه
ترك الاضمار الى الاظهار **عليم** مبالغ فى العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة
الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز
عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى ما زعموه فردا من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما
قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التى اجترؤا عليها بغير علم **ذلكم** اشارة الى

الى الموصوف بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته
فى العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى **الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شئ** اخبار اربعة مترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق
للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر
فى عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الاول
والباقى ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقى اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار الثلاثة
مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى **فاعبدوه** حكم مترتب على مضمون الجملة فان
من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى **وهو على كل شئ وكيل** عطف على
الجملة المتقدمة اى وهو مع تلك الصفات الجليلة متولى امور جميع مخلوقاته التى انتم من جملتها
فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية **لا تدركه الابصار**
البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشئ عبارة عن الوصول اليه
والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار
المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة **وهو يدرك الابصار** اى يحيط بها علمه
اذ لا يخفى عليه خافية **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين
السابقين على طريقة اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى **قد جاءكم بصائر
من ربكم** استئناف وارد على لسان النبى صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهى النور الذى
تستبصر به النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة هنا او جميع الآيات المنتظمة لها
انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اى قد جاءكم من جهته ما لكم الى
كالكلم اللائق بكم من الوحى الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة
من ربكم **فمن ابصر** اى الحق بتلك البصائر وآمن به **فلنفسه** اى فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه
مخصوص بها **ومن عمى** اى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما
عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه **فعليها** اى فعلى نفسه عمى او فعماه عليها او وبال عماه **وما انا عليكم
بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الذى يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها **وكذلك نصرف الآيات**
اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى **وليقولوا درست** علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة
السياق عليه اى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية
وقيل هى عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات
لتلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف
الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد و
التهديد وعدم الاكتراث بقولهم فرد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ

دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم
الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
وفسرها بدارست اليهود محمدا عليه السلام وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل
الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب
ودرس اي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس
كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير
للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي لنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلق بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اولياءه الذين
هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي
اليك من ربك لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على
ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من
الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب
اتباع الوحي لاسيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وبآرائهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله
منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم كما هو
القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما
اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه يمنعه عنه مع توجهه اليه بل
بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض
مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ
عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم
في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به ولرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدون مثلا
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي جهالة
بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا
روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا
يستتبع سبهم سبه تعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي
الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث
ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم
شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم
بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات
المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة

نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهو ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما
يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم
قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا
الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها
الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند
ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب
للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر وقوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم واقسموا لئن فعلت
لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم صلى الله عليه وسلم
بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم اي من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد
وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس
الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التهكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها
الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها في حكمه
وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها
قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها
بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة
منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله
لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا يناسب المقام وكيف
لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا
جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما
اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا
راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم
بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فائتة وابائهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيبوا الى ما سألوه وما
استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق
المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على
ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط عذر
من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا
اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين
وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك ولعنك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده
انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما

في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اى اى شيء يعلمكم حالهم وما
سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان
ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بكسرها على انها استئناف حسبما سبق مع
زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما
يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيرجع الانكار الى اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم
بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها كما هي الآن **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا
يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجههما اليه واستعدادهما لقبوله بل
لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم
في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ عن تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار **كما لم يؤمنوا به**
بما جاء من الآيات **أول مرة** اى عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه
نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اى لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا
ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم **ونذرهم**
عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد
بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم
عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له بطريق الاجبار بل بتخليتهم وشأنهم بعد ما علم فساد
استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير وعظ فيهم اصلا وبطبع على قلوبهم حسبما
يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى **في طغيانهم** متعلق بنذرهم وقوله تعالى
حال من الضمير المنصوب في نذرهم اى ندعهم **يعمهون** متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول
ثان لنذرهم اى نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ
تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** تصريح
بما اشير اليه في قوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى
ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها
بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اى ولو اننا لم نقتصر على
ايتاء ما اقترحوه هنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل
علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة **وكلمهم الموتى** وشهدوا بحقية الايمان بعد ان
احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا **وحشرنا عليهم** اى جمعنا **كل شيء قبلا** بضمتين وقرئ
بسكون الباء اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف
ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا اى لم نقتصر على ما
اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بأفراده
بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل وهو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع
والاصناف اى حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية و
جمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا و

وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة
من اهل اللغة ان الآخر بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية **ما
كانوا ليؤمنوا** اى ما صح ولا استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان
واما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم
يعمهون وقوله تعالى **الا ان يشاء الله** استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة وادخال الروعة اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان
في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او
من اعم العلل وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان المراد ايمانهم على خطر الوقوع بناء
على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب
افئدتهم الآية كيف لا وقوله تعالى **ولكن اكثرهم يجهلون** استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود
الاستثناء ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المشركون ليس
عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده
الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم بعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم
بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات
لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى و
ما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات
لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة
السابقة بيان لمبدأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية
وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كلام مبتدأ
مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له وما بنوا عليها
من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك
من الانبياء عم ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما
قبله اى جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل المذكور للقصد الى
المبالغة اى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ولا
يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا
فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عم
بخلقه تعالى للابتلاء **شياطين الانس والجن** اى مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية
وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اى الشياطين التي للانس
والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه
الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو
حال من عدوا وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم و
تحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار

المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا ما امرؤ صد بقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي
والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع الذي يلقى ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او
بعض كل من الفريقين الى بعض اخر **زخرف القول** اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه
من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او
مصدر موكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا **ولو شاء ربك** رجوع الى
بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء
عم وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم المنبئة عن
كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة
ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى
ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة
المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى **فذرهم وما
يفترون** صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك
من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك
عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة **ولتصغى اليه** اي
الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض
وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه **افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة** انما خص بالذكر
عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما
هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الاخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره والآلام
مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات
ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى
حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا
واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات
لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه
المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة لما جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر
وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم **وليقترفوا** اي يكتسبوا
ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق ذكرها **أفغير الله ابتغي حكما** كلام مستانف
وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى
زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى
ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عم لا الى المشركين كما في قوله
تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك
حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي

بالغاً حقيقته كما اسند اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل
حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي
انزل اليكم الكتاب** جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة
مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول
حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم الكتاب وانتم امة
امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به
اسم الكتاب **مفصلا** اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم
يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح
في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه
دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق** كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية
الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده تعالى ببيان ان الذين وثقوا بهم
ورضوا بحكميتهم حسبما نقل انفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده
تعالى ومن التعبير عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية
للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان
ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا
له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن الامور التي لا طريق الى معرفتها سوى الوحي و
المراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم
داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من
ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم والباء في قوله بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في
منزل اي ملتبسا بالحق **فلا تكونن من الممترين** اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار
العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب
في الحقيقة للامة وان كان له عم صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت
وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال
القرآن **وتمت كلمة ربك** شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان
كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما
عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات
ربك **صدقا وعدلا** مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى **لا
مبدل لكلماته** اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى
من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا

في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل
ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن
ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى
لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في
الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل
بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدله في احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهما
واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون
بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل
والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بارائهم
والمراد بمن في الارض الناس واكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت
منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان
يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم واراؤهم
الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه
قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون
ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون
مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله
سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة
وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته
ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون
الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين
ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل
هذه الصور بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل
المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من
الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن اطاعة الكفرة واما ان الفاعل
هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضلله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من
قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والتفضيل في
العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم
تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله
احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا
الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط

محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم
شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر اسم الله تعالى عليه من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى
وقد فصل لكم الخ جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله اي
واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ
لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول
وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا
حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي
واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة
مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل و
الحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل
منها بالجوارح وبالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابه
والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي
بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد
والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير
الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوحون بوسوستهم
الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا
واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام
ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة
الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه اومن كان ميتا وقرئ ميتا
على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة
الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خائضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف
يعقل طاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام
اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع
ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن
مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى
كما في قولك زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن

الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها
بحال وهذا كما ترى مثل زيد بدين ثبت في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل زيد
بد من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء
لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة
تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت
من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان في
نزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
الآية الى ان التمثيل في سبيله لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية
من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان يذكر المشبه به كما في التمثيلين
ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها
وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البديع زين اي من جهة الله تعالى بطريق الخلق
عند انجاء الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين لوساوس الشياطين الآخذين
بالزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي
من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل
الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك
قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى جعلنا في
كل قرية او مفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو وهما الظرف
واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعول الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي
معنى يراد من هذه المعاني لابد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح
ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم ويتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج
المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد
اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان
ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور
ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى
كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد
مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا
لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله
وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة
اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على
النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم
قوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال

حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر
المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول عم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال
ابن عباس حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عم فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا
وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام انما هو
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي
ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في
قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عم بالوجه المذكور
ويراد بجعلها تبليغها اي المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا
عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله الى
الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق
بارسال جبريل اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل
ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه
وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله عنهم في قوله بل يريد
كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد
المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته عليه السلام
في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الخ
غاية لعدم الرضا لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته
اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل
من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها
منك لاني اكبر سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق
بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عم فيكون المعنى
واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله تعالى حتى يكون نزولها الينا لا اليه
لانا نحن المستحقون دونه فانه ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما تدعيه حقا لكنت انا
النبي لا انت وان لم يكن الامر كذلك فليست بحق وما آل تعليق الايمان بحقية النبوة بكونه نبيا
ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتاها ايتاء مثل ايتاء رسل
الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عم وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم
لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه
والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال
بفضائل نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خاصة عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا
اسنيها واخرنا عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم جرمهم مما الموم والبين لانا
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح
اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عز النبوة وشرف الرسالة صغار

اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الآخرة
او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد
اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه السلام حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور و
الاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل
صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف
وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ما هذه مهيئة لدخول
كان على الجملة الفعلية في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما
يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال
الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول
موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر
وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي
طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان
تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون
يتذكرون في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضائه
وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر
لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة
عند ربهم او في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب
اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين
من الثقلين اي واذكر يوم نحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن يكون
من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم
من الانس اما لبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي
كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل
به اليها وقيل بان الفوا بهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم

واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم
القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة
عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان
المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان
دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون و
يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض
اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى جهنم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة
فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا
ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله
عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من
اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم
بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند
اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر و
المعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما
يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم ياتكم
اي في الدنيا رسل اي من عند الله تعالى لكن لا على ان ياتي كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان
ياتي كل امة رسول خاص بها اي الم يات كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف
وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة
وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا
كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل
وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي
صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة
الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه
ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه
قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم
وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد فصل في حكاية جوابهم
عن سؤال خزنة النار حيث قالوا قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في
ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم

الدنيا إلى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وألجأهم في الآخرة إلى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب
وذم لهم بذلك أي واغتروا في الدنيا بالحظوظ الدنية واللذات الخسيسة الفانية وأعرضوا عن النعيم
المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤوا على ارتكاب ما يجرهم إلى العذاب المؤبد الذي أنذروهم
إياه **وشهدوا** في الآخرة **على أنفسهم أنهم كانوا** في الدنيا **كافرين** أي بالآيات والنذر التي أتى بها الرسل
على التفصيل المذكور آنفا واضطروا إلى الاستسلام لأشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي بقوله تعالى
لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير من تحسرهم وتحذير للسامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد
عليه **ذلك** إشارة إلى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول
بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **أن لم يكن ربك مهلك القرى** بحذف اللام على أن أن
مصدرية مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى **بظلم** متعلق إما بمهلك
أي بسبب ظلم أو بمحذوف وقع حالا من القرى أي ملتبسة بظلم فإن ملابسة أهلها للظلم ملابسة للقرية
لدى واسطتهم وإما كونه حالا من ربك أو من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه أن غفلة أهلها مأخوذة
من معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى **وأهلها غافلون** والمعنى ذلك ثابت لانتفاء
كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب أي ظلم فعلوه من أفراد الظلم قبل أن
ينبهوا عنه وينهوا على بطلانه برسول أو كتاب وإن قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم
أي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب لما أمكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا
على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم إتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وإنما علل ما
ذكر بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والأخروي الذي هو هلاك
القرى قبل الإنذار مع أن التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي
الذي هو هلاك القرى قبل الإنذار مع أن التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل
اتم على ما نطق به والأخروي معا نفي عن إنذار على أبلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي
عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الأخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الأولى فإنه تعالى حيث لم يعذبهم
بعذاب يسير منقطع بدون الإنذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد أولى وأجلى ولو علل
بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام إلى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الأخروي ونفي التعذيب
الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة على أن نفي الأعلى لا يدل على نفي الأدنى ولأن
ترتيب العذاب الدنيوي على الإنذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم ومشاهد عند السامعين
فيستدلون بذلك على أن التعذيب الأخروي كذلك فينزجرون عن الإخلال بموجب الإنذار
أشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما جعل ذلك إشارة إلى إرسال الرسل
عليهم السلام وإنذارهم وجعل المبتدأ محذوفا كما أطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه و
تعالى أعلم **ولكل** من المكلفين من الثقلين **درجات** متفاوتة وطبقات متباينة **مما عملوا** من أعمالهم
صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات في أنفسها أو من جزاء أعمالهم فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو من

أجل أعمالهم **وما ربك بغافل عما يعملون** فيخفى عليه عمل من أعمالهم أو قدر ما يستحقون بها من ثواب
أو عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة **وربك الغني** مبتدأ وخبر أي هو المعروف
بالغناء عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان ويدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض
لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه في موقع الإضمار مع الإضافة إلى ضميره عم
من إظهار اللطف به عم وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتي لها أيضا ما لا يخفى وقوله
تعالى **ذو الرحمة** خبر آخر وهو الخبر والغني صفة أي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على
المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد
لقوله تعالى **إن يشأ يذهبكم** أي ما به حاجة إليكم إن يشأ يذهبكم أيها العصاة وفي تلوين الخطاب
من تشديد الوعيد ما لا يخفى **ويستخلف من بعدكم** أي من بعد إذهابكم **ما يشاء** من الخلق وإيثار
ما على من لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين**
أي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عم لكنه أبقاكم ترحما عليكم
وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي على غير الصدر فإن يستخلف في
معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ إنشاء كإنشائكم الخ أو نعت لمصدر الفعل المذكور أي يستخلف استخلافا
كائنا كإنشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة **إن ما توعدون**
أي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الأمور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
التجددي **لآت** لواقع لا محالة كقوله تعالى إنما توعدون لواقع وإيثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه
بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى **وما أنتم بمعجزين** أي بفائتين
ذلك وإن ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما أن إيثار صيغة الفاعل على المستقبل للإيذان
بكمال قرب الإتيان والمراد بيان دوام انتفاء الإعجاز لا بيان انتفاء دوام الإعجاز فإن الجملة الاسمية
كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام إذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على
انتفاء الدوام كما حقق في موضعه **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم** إثر ما بين لهم حالهم وما لهم
بطريق الخطاب أمر عليه السلام بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد
ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التمكن واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على
جهتكم وحالتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا
على كفركم ومعاداتكم **إني عامل** ما أمرت به من الثبات على الإسلام والاستمرار على الأعمال الصالحة
والمصابرة وإيراد التهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه
فيحمله بالأمر على ما يؤدي إليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالذي أمر به بحيث لا يجد
إلى التفصي عنه سبيلا **فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار** سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم
عرفاني ومن إما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي
مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون أي فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة الحسنى
التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وإما موصولة فمحلها النصب على أنها مفعول لتعلمون أي فسوف تعلمون
الذي له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بأمره وقرئ
بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي **إنه** أي الشأن **لا يفلح الظالمون** وضع الظلم موضع الكفر إيذانا

بان امتناع الفلاح يترتب على اى فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو اعظم افراده **وَ**
جَعَلُوا شروع فى تقبيح اعمالهم الفظيعة بحكاية بدائع اهلهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا
يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد
فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكى ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بان الله تعالى غنى وما
ذاك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران فى قوله تعالى **لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ**
متعلقان به [illegible] ومن فى قوله تعالى **مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ** بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا
الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شىء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له اى عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث
والانعام **نَصِيبًا** يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخير المجرور عن المنصوب لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اى جعلوا بعض ما
خلقه نصيبا [illegible] الاول نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى **فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ**
هَذَا لِشُرَكَائِنَا [illegible] وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه فى الحقيقة ليس بجعل الله
[illegible] كالتطوعات التى يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك
[illegible] به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثانى ويجوز ان يكون ذلك
[illegible] قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذى هو اختصاصه به تعالى
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ بيان وتفصيل له اى فما عينوه
لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين
وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح
نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك **سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله
تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما موصولة بمعنى الذى والتقدير ساء الذى يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله
الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه **وَكَذَلِكَ** ومثل ذلك التزيين لشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى
وبين آلهتهم ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين **زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ**
بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف
عبد المطلب وهو مفعول زين **شُرَكَاؤُهُمْ** اى اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر مرارا وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل
عليه زين كانه قيل من زين [illegible]
لهم قتل اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل زين
[illegible] زينه فقيل زينه شركاؤهم **لِيُرْدُوهُمْ** اى يهلكوهم بالاغواء **وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ**
دِينَهُمْ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ** اى عدم فعلهم ذلك **مَا**
فَعَلُوهُ اى ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك
على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة **فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** الفاء فصيحة اى اذا كان ما فعلوه بمشيئته تعالى
فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم
عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **وَقَالُوا** حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم **هَذِهِ** اشارة
الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر **أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ** اى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه

الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم
وبضمتين وحرج اى ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر **لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ** يعنون خدم الاوثان
من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث **بِزَعْمِهِمْ** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
قالوا اى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة **وَأَنْعَامٌ** خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على
قوله تعالى هذه انعام الخ اى قالوا مشيرا الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام **حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا**
يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى **وَأَنْعَامٌ** اى وهذه انعام كما مر وقوله تعالى **لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ**
اللَّهِ عَلَيْهَا صفة لانعام لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف
وتمييزا له عن غيره كما فى قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه
قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون
عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها
ولا فى شىء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا **افْتِرَاءً عَلَيْهِ**
نصب على المصدر اما على ان ما قالوا تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افتراء
والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء فان المصدر المؤكد لا يعمل او على
الحال من فاعل قالوا اى مفترين او على العلة اى للافتراء فالجار متعلق به **سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**
اى بسببه او بدله وفى ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى **وَقَالُوا** حكاية لفن آخر من فنون كفرهم **مَا فِي بُطُونِ**
هَذِهِ الْأَنْعَامِ يعنون به اجنة البحائر والسوائب **خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا** حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى
الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اى
ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير فى قوله تعالى **وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا** اى
جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ [illegible] على خلاف المعهود الذى هو
الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ [illegible]
واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له فى القرآن وهذا الحكم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد **وَإِنْ**
يَكُنْ مَيْتَةً اى ان ولد ميتة **فَهُمْ فِيهِ** اى الذكور والاناث [illegible] فيما فى بطون الانعام وقيل المراد
بالميتة ما يعم الذكور والاناث فغلب الذكور على الاناث **شُرَكَاءُ** يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب
على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا [illegible]
الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصا بالرفع والنصب وخالصة بالاضافة
الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ** اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى
امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب **إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم
العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ**
جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم
مخافة السبي والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم **سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** متعلق بقتلوا على انه علة له اى لخفة
عقلهم وجهلهم بان الله هو الرازق لهم ولاولادهم او نصب على الحال [illegible] **وَحَرَّمُوا**
مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ من البحائر والسوائب ونحوها **افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ** نصب على احد الوجوه المذكورة [illegible]
اظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم **قَدْ ضَلُّوا** عن الطريق المستقيم **وَمَا**

ثان

ع

هم

كانوا مهتدين الى الحق والصواب او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة عطف
على الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال
الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير
المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا
اكله وقرئ اكله بالسكون اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه
او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ
ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي وانشأهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على
الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل
واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل
اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من
غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والاية مدنية
والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا
بالتصفية وقرئ حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن
قيس انه صرم نخلها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب
المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال
ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي
وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله
ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح
بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك
من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان
واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما
سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة
وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترضة بينهما او
حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام
بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل
والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير
المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في
كل مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضأن
اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشأ من الضأن زوجين الكبش
والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامر او جمع ضائن

كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله مشارك له في حكمه اي وانشأ من المعز زوجين
التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى
وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخرها في الاجمال لكون
هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار
على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما
حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول عليه السلام اثر تفصيل انواع الانعام
التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما
الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز
ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله
تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى
وقوله تعالى نبئوني بعلم الخ تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة
الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادرة
عنه ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف
على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا
وانثى قل افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منهما حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع
الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد
عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها
تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل
كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت
بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكرين حرم ام الاناث اما اشتملت عليه
ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء
تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن
التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال
ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا منسوب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة
وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم ممن افترى
الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على
ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون
المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى
عليه جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره
عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه

مع احتمال الصدق وعنده اذا كان الظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه
ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين
كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا واجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك
بمن هو في اقصى غاياته قل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان انهم
يتقولونه في امر التحريم افتراءات لا اصل له بان يبين لهم ما حرمه عليهم في قوله تعالى قل لا اجد فيما
اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص
عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي
اجد رسما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما صفة لمحذوف من المطاعم التي حرمتها على طاعم اي
اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم ومحرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا
ان يكون ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة
وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة
اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل
وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابته الضرورة
الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال
الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق
مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة
بل باعتبار كونه حقا للمضطر الاخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا
فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة
والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام
لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شئ آخر فلا يصح
الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والاخرين حرمنا كل ذي ظفر اي
كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب
عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم كلها وهذا
تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم
كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر
الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب
وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من
الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية
او حاويا كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو

وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كالشحم متصل بالعظم من الاضلاع
ونحوها ذلك اشارة الى الجزاء والتحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني
انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم
الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شئ مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون
انها لم تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم واكد بقوله وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا
التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما
حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها
جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين
بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور
واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم
بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا
ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون
فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم
فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين
فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لا
حق بهم البتة من غير صارف يرده عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم
واخبار قبل وقوعه وتوعد حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا
اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ارادوا
ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم
حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل
ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا
وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله تعالى وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل
فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة
اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب
والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم
جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين
هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال الآخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم

ولا عاطف بينهم **قل هلم شهداءكم** أي أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء وأصله عند البصريين
ها لمّ من لمّ إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أمّ فحذف
الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية ولازما
كما في قوله تعالى هلم إلينا **الذين يشهدون أن الله حرم هذا** وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما
أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك
قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وينصرون مذهبهم
فإن شهدوا بعدما حضروا بأن الله حرم هذا **فلا تشهد معهم** أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت
وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقتهم في الشهادة الباطلة **ولا تتبع أهواء الذين
كذبوا بآياتنا** من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره
فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقا بها **والذين لا يؤمنون بالآخرة** كعبدة
الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف
كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن
بالآخرة وبالعكس **وهم بربهم يعدلون** أي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء
الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على
أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها **قل تعالوا** لما ظهر
بطلان ما ادعوا من إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله تعالى وتبين ظهور عجزهم
عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعدما كلفوه
مرة بعد أخرى عجزا بينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي
الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة
فقد بينت بقوله تعالى قل لا أجد الآية وتعالوا أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من كان في مكان عال
لمن هو أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في
إصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة **أتل** جواب الأمر وقوله
تعالى **ما حرم ربكم** منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي
الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو بحرم على أنها استفهامية والجملة
مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم **عليكم** متعلق بحرم على كل
حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق
من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى **ألا تشركوا به** مفسرة لفعل
التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة
كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضا كذلك حتى يمتنع
انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي
النواهي المتعلقة بأضدادها تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند

البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن
المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على أن التحريم راجع إلى
أضداده على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه
قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما
فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي
هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم
على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لا زائدة
وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل
والذي عليه التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان
التحريم وقوله تعالى **شيئا** نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك أو شيئا
من الأشياء **وبالوالدين** أي وأحسنوا بهما **إحسانا** وقد مر تحقيقه **ولا تقتلوا أولادكم** تكليف متعلق
بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد **من إملاق** أي من
أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر العاجز وذا في المتوقع **نحن نرزقكم
وإياهم** استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه لمباشرة النهي عنه وضمان منه تعالى
لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء ههنا بصيغة
الجمع قصدا إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى **ما ظهر منها وما بطن** أي ما يفعل منها
علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق
النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط
النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار
أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام
في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر
منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائها **ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله** أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى **إلا
بالحق** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق
الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة
أو من أعم الأسباب أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر
أي لا تقتلوها قتلا إلا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة **ذلكم** إشارة إلى ما ذكر
من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية
وهو مبتدأ وقوله تعالى **وصاكم به** أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا
للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول
بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى **لعلكم تعقلون** أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم
وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة **ولا تقربوا مال اليتيم** توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة

في النهي عن كلمه والاحراج القرب بان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اى لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه
الا بالتي هي احسن اى بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب
للاولياء والاوصياء لقوله تع حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى
يصير بالغا رشيدا فح سلموه اليه كما في قوله تع فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع
شدة كنعمة وانعم واشد ككلب واكلب اوجمع شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط اى بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها اى الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض
جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه
معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوها فاعدلوا فيه ولو كان اى المقول له
او عليه ذا قربى اى ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا
وبعهد الله اوفوا اى ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اى عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان او النذر وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل
من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا موكدا لعلكم تذكرون
تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رض هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات
على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار
والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل الآيات
وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في اول
السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته
الى الضمير عم انه مسلكه عم من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان
ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عم ايضا وانه عم مستمر على العمل
بها ومراع لها وقوله تع مستقيما حال موكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اى
ولان هذا صراطي اى مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تع وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل
اتباعه بكونه صراطه عم لا بكونه صراط الله تع مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عم فيه داع
للخلائق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف
وقرئ بكسر الهمزة ان هذه مخففة من الثقيلة على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ صراطي
وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة
او طرق البدع والضلال لانه فتفرق بكم بحذف احدى التائين والباء للتعدية اى فتفرقكم حسب
تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على
الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام
الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عم
عين سبيل الله تع ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع الوحي واقتفاء البرهان سبيله تع وترك اتباع
سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب
كلام مسوق من جهته تع تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد

كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه
قيل بعد قوله تع ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا
الخ كما ان قوله تع ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى ا ولم يهد لهم الخ كانه قيل يغفلون عن
الهداية ونطبع الخ اما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور
فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم ثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم
ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك
انا آتينا موسى التوراة فان ايتاءها مشتملة على التوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط
تماما للكرامة والنعمة اى اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اى على
من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسن او على الذي
احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه موسى اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة
على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى على الذي هو احسن دينا وارضاه
او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلة او على المصدرية
كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تع وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم
بذكر موسى وايتاء الكتاب والباء في قوله تع بلقاء ربهم يؤمنون متعلقة بيؤمنون قدمت عليه محافظة
على الفواصل قال ابن عباس رض يؤمنون بالبعث ويصدقون بالثواب والعقاب وهذا الذي تليت عليكم
اوامره ونواهيه اى القرآن كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تع انزلناه مبارك اى
كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه
او خبران اخران لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت
عليكم طائفة منها والفاء في قوله تع فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب
في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اى
واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه
بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اى
انزلناه كراهة ان تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام
العامة لكل الامة على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال
بكتابيهما لانهما الذي اشتهر فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لاسيما الاحكام
المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف
ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم لم تعملوا باحكامه
العامة اى وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى
منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم
غير مامورين بما في الكتابين لاشتمالها على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الانام كما ان قطع
تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط او تقولوا
عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا

الكتاب كما انزل علينا لكنا اهدى منهم الى الحق الذى هو المقصد الاقصى او الى ما فى تضاعيفه من
جلايل الاحكام والشرايع ودقايقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم
كالقصص والاخبار والخطب والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن اميون وقوله تع فقد جاءكم متعلق
بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اى
ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطايفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم
فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة اى بينة اى حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تع من ربكم متعلق
بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كاينة منه تع وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافى
كما ان فى تنوينها التفخيمى دلالة على فضلها الذاتى وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمى عبر عن القران
بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه
التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها فان مجئ القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذبه اى واذا كان الامر
كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا
على اتصافهم بما فى حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم
بآيات الله تع تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اية كانت من آيات الله تع كاف فى الاظلمية فما ظنك
بتكذيب القران المنطوى على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا وان
يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به
حتما بحكم العرف الفاشى والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وتقدم مرارا وصدف
عنها اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزى الذين يصدفون الناس
عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير
لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اى العذاب السيئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اى
بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم
على الموصول من علية ما فى حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان
بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة
التشريعية من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فايدة له اصلا مبالغة فى التبليغ والانذار
وازاحة العلل والاعذار اى ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك حسبما اقترحوا
بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او ياتى بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل
عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تاتيهم ملائكة العذاب او ياتى امر ربك بالعذاب والانتظار محمول
على التمثيل كما سيجئ وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقى او ياتى بعض آيات ربك
اى غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظايم الآيات التى
علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات فى الموضعين الى اسم الرب المنبئ
عن المالكية الكلية واضافته الى ضميره عم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه
وتع اتيان كل آية بمعنى آيات القيمة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تع على ان

ان المراد به اشراط الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عم ونار تخرج
من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان
ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم لها اظهر حمل الانتظار على التمثيل
المبنى على تشبيه حالهم فى الاصرار على الكفر والتمادى فى العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهايلة
التى لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم ليس
المبنى عن تماديهم فى تكذيب آيات الله تع وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان
عند اتيان ما ينتظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور هايلة مخصوصة اما بان تكون عبارة عما
اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تع بالعذاب وهو
الانسب بما سياتى من قوله تع قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت
اتيان كل آيات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غايلتها على
كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان
والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات فى قوله عز وعلا يوم ياتى بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم
وغيرها من الدواهى العظام السالبة للاختيار الذى يدور عليه فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من
الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه فى ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله لا ينفع
فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو
الجملة والعايد محذوف اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها لانكشاف الحال وكون الامر
عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تع فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا
تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تع لم تكن آمنت
من قبل اى من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتراكهما فى العامل
وقوله تع او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت بايراد الترديد على النفى المفيد لكفاية احد
النفيين فى عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا من
ضرورة اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو
تحققها والايمان المؤخر لغو وتخصيص للحاصل لانه هو النافع وتحققها شرط فى نفعه كما لو كان المقدم
غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند
وقوعهما بعد الايمان وبذا يستدرك به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال
وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفى الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم
النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال
الحقيقى فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد
او الخير المكسوب به فيتحقق النفع باحدهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث
وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا
فايدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثانى دخل ما فى ذلك قطعا
فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبنى على توهم ان المقصود بوصف النفس

بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس
كذلك ولا يكفي في الباب ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصود الاصلي من وصفها
بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النجاة احدى ملكتيهما اعني
الايمان السابق والخير المكسوب فيه لما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما
ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني
كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه قياس مع الفارق لان
الخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص فيها يتبع دخول الجنة فله مراتب بعضها
مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل
النفع هو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب
النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به
اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة
واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو
بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة اليه
وذلك ان تقول المقصود بوصف الشيء بما ذكر من العدمين التعريض بمآل الكفرة في تمردهم وتفريطهم
في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في قوله
عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار
مخاطبون بفروع الشرائع في المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة واذا تحققت هذا وقفت على ان الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان
تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم
تكن امنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات
الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما
في تفسير قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوي في المفصل
ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب في ان
ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه
ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ
ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا
يتاتى منهم الكسب والعمل فيه ودونه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد
اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر قصارى امرها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص
القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء عن العذاب
الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني بمعزل من معارضة القطعي **قل** لهم بعد بيان حقيقة
الحال على وجه التهديد **انتظروا** ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء
تنتظرون **انا منتظرون** لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد

المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة متضمنة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لعاقبتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شوهد
يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم **ان الذين فرقوا دينهم** استيناف لبيان احوال اهل
الكتابين اثر بيان احوال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا
اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه ترك للكل ومفارقة له **وكانوا شيعا**
اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة و
ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل
فريق من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان
اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى **لست منهم في شيء** لست من البحث عن تفرقهم والتعرض
لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر
الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى **انما امرهم الى الله**
تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة
يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرهم بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة
من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتداد وبان معنى لست منهم في شيء انت
بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور **ثم ينبئهم** اي يوم القيمة **بما كانوا
يفعلون** عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا
جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي
شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى **من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها** استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين
المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطا عن ابن عباس يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر
حسنات اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها
فضلا من الله تعالى وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد
جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في
العدد الخاص **ومن جاء بالسيئة** اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين **فلا يجزى الا
مثلها** بحكم الوعد واحدة بواحدة **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وزيادة العقاب **قل انني هداني
ربي** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه
وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما
نصب في الافاق والانفس من الايات التكوينية **الى صراط مستقيم** موصل الى الحق وقوله تعالى **دينا**
بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر
يدل عليه المذكور **قيما** مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه

باعتبار الصيغة **ملة إبراهيم** عطف بيان لدينا **حنيفا** حال من إبراهيم أي مائلا عن الأديان الباطلة وقوله تعالى **وما كان من المشركين** اعتراض مقرر لنزاهته عما عليه المفرقون لدينهم من عقد وعمل أي ما كان منهم في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله **قل إن صلاتي ونسكي** أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها أي عباداتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي **ومحياي ومماتي** أي وما أنا عليه في حياتي وأكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة أو طاعات الحيوة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف **لله رب العالمين لا شريك له** خالصة له لا شريك فيها لغيره **وبذلك** إشارة إلى الإخلاص وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل أي بذلك الإخلاص **أمرت** لا لشيء غيره وقوله تعالى **وأنا أول المسلمين** لبيان مسارعته صلى الله عليه وسلم إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به يقتدي به عليه السلام من أسلم منهم **قل أغير الله أبغي ربا** آخر فأشركه في العبادة **وهو رب كل شيء** جملة حالية مؤكدة للإنكار أي والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور أن يكون شريكا له في المعبودية **ولا تكسب كل نفس إلا عليها** كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وإما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أي لا يكون جناية نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى **ولا تزر وازرة وزر أخرى** رد له بالمعنى الثاني أي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم **ثم إلى ربكم مرجعكم** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أي إلى مالك أمركم رجوعكم يوم القيمة **فينبئكم** يومئذ **بما كنتم فيه تختلفون** ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** حيث خلفتم الأمم السالفة أو يخلف بعضكم بعضا أو جعلكم خلفاءه سبحانه في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام **ورفع بعضكم** في الشرف والغنى **فوق بعض درجات** كثيرة متفاوتة **ليبلوكم فيما آتاكم** من المال والجاه أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر كيف تعملون من الشكر وضده **إن ربك** تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه السلام لإبراز مزيد اللطف به عليه السلام **سريع العقاب** أي عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند إرادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات **وإنه لغفور رحيم** لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الأولى جملة صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

سورة الأعراف مائتا آية وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أي مسمى به وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث المسمى لما أن الإشارة إليه من حيث أنه مسمى بالسورة وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى **كتاب** على الوجه الأول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف أو المراد بالسورة كتاب الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضوره نفس المؤلف أي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على أنه ترجمة باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه إبانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من أفراد الكتب الإلهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ أي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية فحقها الإخبار بها **أنزل إليك** أي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإيذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الإنزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل إليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشأن أنزل إليك خلاف الأصل **فلا يكن في صدرك حرج** أي شك كما في قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك إليه ولو في ضمن النهي فإنه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها إياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته إليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والإلهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى **منه** متعلق بحرج يقال حرج منه أي ضاق به صدره أو بمحذوف وقع صفة له أي حرج كائن منه أي لا يكن فيك شك ما في حقيته أو في كونه كتابا منزلا إليك من عنده تعالى والفاء على الأول لترتيب النهي أو الانتهاء على مضمون الجملة فإنه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا وأما على الثاني فهو لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه السلام عنه إما للمبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فإن النهي عن الشيء مما يوهم إمكان صدور المنهي عنه عن المنهي وإما للمبالغة في النهي فإن وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن أصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرينك ههنا فإن النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته أي لا يكن فيك المآل نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وأن تقصر في القيام بحقه فإنه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم والفاء للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به فإن كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ

وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى **لتنذر به** اي بالكتاب المنزل
متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما للتوهم ان مورد الشك
هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به
قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم والعلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير
بان ذلك يتاتى على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع اتيانه ملائكتنا
صدقه عنده عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل
من الايذان بان ذلك معظم غاياته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتاتى في التعليل
بالانذار لا بتذكير المومنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى **وذكرى
للمومنين** في حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المومنين تذكيرا والجر عطفا
على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص
التذكير بالمومنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المومنين وتقديم
الانذار لانه اهم بحسب المقام **اتبعوا ما انزل اليكم** كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق
التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله
منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه
وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول
او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم
وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل هاهنا عاما للسنة القولية والفعلية
بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل اليه تعالى اتباعا له تعالى
عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل **ولا تتبعوا من دونه** اي من دون ربكم الذي انزل
اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى
اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم
عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة
له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون
ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى **قليلا ما تذكرون** بحذف احدى التاءين وتخفيف الذال
وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا
نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد
القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه
وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يومنون
والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء
سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا
تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى

المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين **وكم من قرية اهلكناها**
شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم
على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر
هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها
او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة
اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها **فجاءها** اي فجاء اهلها **باسنا**
اي عذابنا **بياتا** مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط **او هم قائلون** عطف
عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة
على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل
لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب لما ان
نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وارد عن الاغترار باسباب
الامن والراحة ووصف الكل بوصف البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل عنهما للايماء
الى ان ذلك للايذان بكمال غفلتهم وامنهم **فما كان دعواهم** اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما
كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم **اذ جاءهم باسنا** عذابنا وعاينوا امارته **الا ان
قالوا** جميعا **انا كنا ظالمين** اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا
عليهم وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة **فلنسألن الذين ارسل اليهم** بيان
لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا
لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها
عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين **ولنسألن المرسلين** عما
اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول موقف الحساب
والثاني في موقف العقاب **فلنقصن عليهم** اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه **بعلم** اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلومنا منهم **وما كنا غائبين** عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم
والجملة تذييل مقرر لما قبلها وقوله تعالى **والوزن** اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها
وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى **يومئذ** خبره وقوله تعالى **الحق** صفته اي والوزن الحق
ثابت يومئذ اي يوم يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي
العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي
التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن
اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم
فيقروها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون
سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه لياتي العظيم السمين يوم

الغنم بلا وزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه
قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا
المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا إن الميزان إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادير
الشيء ومقادير أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك لأنها أعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا
تقبل الوزن وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة
النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب في آنية الذهب والفضة
إنما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على
صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان
إن قيل إن المكلف يوم القيامة إما مؤمن بأنه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات
الأعمال وكمياتها وإما منكر له فلا يسلم حينئذ أن رجحان بعض الأعمال على بعض لخصوصيات راجعة
إلى ذوات تلك الأعمال بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن
أجيب بأنه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الأشياء بحقائقها على ما هي عليه وبأوصافها وأحوالها في
أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لأحد
ممن يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها وأن كل واحد منها قد ظهر في هذه
النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاتها ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى أعلم فمن ثقلت
موازينه تفصيل للأحكام المترتبة على الوزن والموازين إما جمع ميزان أو جمع موزون على أن
المراد به ما يوزن وتقدر وهو الحسنات فإن رجحان أحدهما مستلزم لرجحان الآخر أي فمن
رجحت موازينه التي توزن بها حسناته أو أعماله التي لها قدر ووزن وعن الحسن البصري وحق لميزان
توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف فأولئك إشارة إلى الموصول
باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما أن جمع الموازين لذلك وأما إفراد الضمير
الراجع إليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم إما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك
وتعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما
يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه أي موازين أعماله أو
أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي أعماله السيئة فأولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك
الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدأ خبره الذين خسروا أنفسهم
أي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد أيدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا
يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه
عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا

الدنيا أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا
ظالمين ولقد مكناكم في الأرض لما أمر سبحانه وتعالى أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره
وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من
فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالأمر والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا
ومكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من
المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه في قراءته إخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزه
تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها أسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر إذ لو
تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع أن حقهما التأخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن
المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخر ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن
منفعة للسامع تبقى مترقبة لوروده فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأما تقديم اللام على في
فلما أن المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل
متعد إلى مفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر إما لغو متعلق
بالجعل أو بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الأول كما مر وأنت خبير بأنه لا فائدة يعتد بها في الإخبار
بجعل المعايش حاصلة لهم أو حاصلة في الأرض وقوله قليلا ما تشكرون أي تلك النعمة تذييل
مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته
موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من التمكين في الأرض إما للإيذان بأنها فائضة على المخاطبين
بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيذان بأن كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها
فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير
الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال العناية بمضمونهما وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين
مع أن المراد بهما خلق آدم وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة
له بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعا إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته
فكأنهم الذين تعلق بهم خلقه وتصويره أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن
تقويم ساريا إليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه السلام
وتسويته ونفخ الروح فيه أمرا منجزا غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة
وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير
من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك ظهور فضل آدم
بعد المحاورة المسبوقة بالإخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة
إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله تعالى وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضا من جملة ما نيط به الأمر المعلق
من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عنده ولا وقوع المحكي كما أن عدم ذكر
المعلق عند حكاية الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة لتقتضيها

المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله تعالى قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولاً جميع ما يتوقف عليه الامر
المنجز اجمالاً بان قال مثلاً اني خالق بشراً من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا
والقى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قال اثر نفخ الروح اي جاعل هذا خليفة في
الارض فهنالك ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله تع بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا
فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المأمور به وايذاناً بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة في
بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة
الاشتباه عن البصائر النيرة ان ما في سورة ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من
قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند
اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه
جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة كما نقل والذي من جملته ما صدر
عنه عم من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكورة في تضاعيف ما شرح فيه
مفصلاً من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة
وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت انه احد المختصمين كما انه ليس
قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطرفين المذكورين والله تع اعلم
فسجدوا اي الملائكة عم بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنياً مفرداً مغموراً
بالوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من
الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تع **لم يكن من الساجدين** اي
ممن سجد لآدم عم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون
للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلاً بما بعده اي لكن ابليس لم يكن
من الساجدين **قال** استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماذا
قال الله تع وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه
فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير **ما منعك ان لا
تسجد** اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تع
لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه
فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد **اذ امرتك** قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي
سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون من الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة
الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عم
وقد وبخ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في
موطن آخر واشعاراً بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ
رأساً في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** استئناف كما سبق مبني على

سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال **انا خير منه** متجافياً
عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعياً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الاستلزام
لمنعه من السجود على زعمه ومشعراً بان من شأنه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان
يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون
فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله **خلقتني من نار وخلقته
من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة و
العنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير
واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تع ونفخت فيه من روحي وما من جهة
الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور
عليه امر الخلافة في الارض وانه خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وان
الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال استئناف كما سلف والفاء في قوله تع **فاهبط منها** لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة
الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من
سكانها قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين
فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط
من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عم كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعاً
ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تع **فما
يكون لك** اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك **ان تتكبر فيها** اي في الجنة او في زمرة الملائكة
تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة
فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تع انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه
وقوله تع **فاخرج** تأكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى **انك من الصاغرين** تعليل للامر
بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تع وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر رضي الله عنه
من تواضع لله رفعه الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض
قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد
فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت
النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته
بعد البعث **قال** استئناف كما سلف **انك من المنظرين** وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار خاص
به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة
كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلاً حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء الخلائق غير
ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول وفي ترك التوقيت
للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلاً
على ما ذكر فيهما بقوله تع فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين **الى يوم الوقت المعلوم**

وفي انظاره ابتلاء العباد وتعريض للثواب ان قلت لاريب في ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم
حال تخصوصه يقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط
الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه
معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى
رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه
مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من الطرد
واللعن على نهج استدعاء الجزاء في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي
عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج
الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول
عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد
طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظ واما ههنا
فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز
والاختصار من غير تعرض لبيان كل منهما عند المخاطبة والجواب ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا
للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل
معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد
تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد تراعى عند نقله
كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات
المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها
حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال
فناشئ من الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام
وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في
سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات
التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز
روعي جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد
كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك
يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب
في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة
مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته
مع تحلية الكلام بمزايا اخرى يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين
الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به **قال** استئناف كما قبله **فبما اغويتني** الباء للقسم
كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام سلطانه
تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر
والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي **لاقعدن لهم**

او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام
تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لادم وذريته ترصدا بهم كما
يقعد القطاع للقطع على السابلة **صراطك المستقيم** الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام والقعود
مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على
نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن **ثم لآتينهم من بين ايديهم**
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها ومثل قصده
اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق
والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
على التحرز منه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر
لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك
وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة
فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد**
اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم
مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام **قال** استئناف كما سلف مرارا
اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام **مذءوما** اي مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او مكول في مكيل من دامه يديمه ديما **مدحورا** مطرودا
لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه **لاملان جهنم منكم اجمعين** وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة
لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب **ويا آدم** اي
وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص
الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به **اسكن انت وزوجك**
الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي
هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى
فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما
من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر
ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في
مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي
بهما صريحا في قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء
بدل من الياء **فتكونا من الظالمين** اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا
متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق
بيان وسوسته في سورة البقرة **ليبدي لهما** اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في

رون

وزة

جك

اما جزم على العطف او نصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان**

في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في أويصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو
وبقلبها واوا وإدغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة أي عن أكلها إلا أن تكونا ملكين أي إلا كراهة أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية الملائكة لما أن من المعلوم أن
الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية و
الاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما
إني لكما لمن الناصحين أي أقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل أقسما له بالقبول وقيل قالا له تقسم
بالله إنك لمن الناصحين وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وفيه
تنبيه على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما أي فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة والكرم أو غيرهما وأن
اللباس كان نورا وظفرا وطفقا يخصفان طفق من أفعال الشروع والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ وعلق
وهب وانبرى أي أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك
ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان
أصله يختصفان وناداهما ربهما مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ ألم أنهكما وهو تفسير للنداء
فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف أي وقال أو قائلا ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وما في اسم
الإشارة من معنى البعد لما أنه إشارة إلى الشجرة التي نهي عن قربانها وأقل لكما عطف على أنهكما أي ألم
أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما أن الأول عتاب
على مخالفة النهي قيل فيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل أو بمحذوف
هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى إن هذا عدو لك
ولزوجك الآية روي أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك
إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد
وداس وذرى وطحن وخبز قالا ربنا ظلمنا أنفسنا أي ضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج
من الجنة وإن لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذا دليل على أن الصغائر يعاقب
عليها إن لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا إنما قالا ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئناف كما مر مرارا اهبطوا
خطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعا لهما ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم
مفرقا كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر
المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا أي متعادين ولكم في الأرض مستقر أي

أي استقرار أو موضع استقرار ومتاع أي تمتع وانتفاع إلى حين هو حين انقضاء آجالكم قال أعيد
الاستئناف إما للإيذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون
إثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وقوله تعالى أرأيتك هذا الذي كرمت علي بعد
قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا وإما للإيذان بالاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون أي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
يا بني آدم خطاب للناس كافة وإيراده بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد أنزلنا عليكم لباسا
أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره وأنزل لكم من الأنعام الخ وقوله تعالى
وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق
وأنتم مستغنون عن ذلك وروي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب
عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للإيذان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب
الإنسان من قبل الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم وريشا لباسا تتجملون به والريش
الجمال وقيل مالا ومنه ريش الرجل أي تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب و
لباس التقوى أي خشية الله تعالى وقيل الإيمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
خبره جملة ذلك خير أو خبر وذلك صفة كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرئ ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك أي إنزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله
وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم
تكرير النداء للإيذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه
لا يفتننكم الشيطان أي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بأن يمنعكم من دخول الجنة كما أخرج
أبويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف أي لا يفتننكم فتنة مثل إخراج أبويكم وقد جوز أن يكون
التقدير لا يخرجنكم بفتنته إخراجا مثل إخراجه لأبويكم والنهي وإن كان متوجها إلى الشيطان
لكنه في الحقيقة متوجه إلى المخاطبين كما في قولك لا أرينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله أي جنوده وذريته استئناف
لتعليل النهي وتأكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان
انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ووجه رؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي
امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين جملة قبيله من جملته نجعل
أولياء للذين لا يؤمنون أي جعلناهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من إغوائهم
وحملهم على ما سولوا لهم أولياء أي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير إثر تحذير
وإذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة
المتناهية في القبح والتاء لأنها مجراة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية والمراد بها عبادة
الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله
أمرنا بها محتجين بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للإيذان منهم بأن
آباءهم إنما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء فإن عادته تعالى جارية على الأمر

بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا
والعقاب اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوا لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل لم فعلها اباؤكم فقالوا
الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا **أتقولون على الله ما**
لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ
الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في
انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره
عنه اليه تعالى اشد قبحا واحق بالانكار **قل امر ربي بالقسط** بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوا اليه
تعالى من المامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
وأقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة
عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم **وادعوه** اعبدوه **مخلصين له الدين** اي الطاعة
فان مصيركم اليه بالاخرة **كما بدأكم** اي انشأكم ابتداء **تعودون** اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم **فريقا هدى** بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا **انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله** تعليل
لخذلانه لضلالتهم **ويحسبون انهم مهتدون** فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في
استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر **يا بني آدم خذوا زينتكم** اي ثيابكم
لمواراة عوراتكم **عند كل مسجد** اي طواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة **وكلوا واشربوا** مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا
في ايام حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت **ولا تسرفوا** بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط
في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا **انه لا يحب المسرفين** اي لا يرتضي فعلهم **قل من حرم زينة الله** من الثياب وسائر ما يتجمل
به **التي اخرج لعباده** من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق اي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري **قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا** بالاصالة
والكفرة فان شاركوهم فيها فبالتبع **خالصة يوم القيامة** لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية
وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** اي مثل هذا التفصيل نفصل
سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة **قل انما حرم ربي الفواحش** اي
الذي تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج **ما ظهر منها وما بطن** بدل من الفواحش
اي جهرها وسرها **والاثم** اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر **والبغي**

او تحقيق

اي الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه **بغير الحق** متعلق بالبغي مؤكد لمعنى **وان تشركوا**
بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم ما لا يدل عليه برهان **وان تقو**
على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى
قولهم عليه ما لا تعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره **ولكل امة** من الامم
المهلكة **اجل** حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم **فاذا جاء اجلهم** اي جعل الضمير للامم المدلول
عليها بكل امة خاصة اظهار الاجل مضاف اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها
الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه
قيل اذا جاءهم اجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة
اكمل التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها **لا يستأخرون** عن ذلك الاجل **ساعة** اي شيئا قليلا
من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف
على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر للمبالغة في انتفاء التأخر
بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا
مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا
بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم
الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات
بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق
السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق
يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه **اما يأتينكم**
هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة
وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا **رسل منكم** الجار متعلق بمحذوف صفة
لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** صفة اخرى لرسل اي يبينون
لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى **فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** جملة شرطية
وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وقوله تعالى **والذين كذبوا**
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا
وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء
عنه وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد **فمن اظلم**
ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما
قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا **اولئك** اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه
كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك

لوا

جتناب

الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب **ينالهم نصيبهم من الكتاب** اى مما كتب لهم من الارزاق والآجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه ومن للابتداء متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم
اى ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس
كتب لمن يفترى على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقوله تعالى **حتى اذا جاءتهم رسلنا** اى ملك الموت واعوانه **يتوفونهم** اى حال كونهم متوفين لارواحهم
يؤيد الاول فان حتى وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلابد ان يكون نصيبهم
مما يتمتعون به الى حين وفاتهم اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم
قالوا لهم **اينما كنتم تدعون من دون الله** اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت
موصولة باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية سؤال الرسل كانه قيل فما قالوا عند ذلك فقيل **قالوا ضلوا عنا** اى غابوا عنا اى لا
ندرى مكانهم **وشهدوا على انفسهم** عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم **انهم كانوا** اى فى الدنيا
كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حالهم وضلالهم ولعله اريد بوقت مجئ
الرسل وحال التوفى الزمان الممتد من ابتداء المجئ والتوفى الى انتهائه يوم الجزاء بناء على ان تحقق المجئ
والتوفى فى كل الزمان بقاء وان كان حدوثهما فى اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث
والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته ولا
فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول
انما يكون بعد البعث لا محالة **قال** اى الله تعالى يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك **ادخلوا فى امم**
قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم **من الجن والانس** يعنى كفار الامم الماضية
من النوعين **فى النار** متعلق بقوله ادخلوا **كلما دخلت امة** من الامم السابقة واللاحقة فيها **لعنت**
اختها التى ضلت بالاقتداء بها **حتى اذا اداركوا فيها جميعا** اى تداركوا وتلاحقوا فى النار **قالت**
اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع **لاولاهم** اى لاجلهم والخطاب مع الله تعالى لا معهم **ربنا هؤلاء**
اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم **فآتهم عذابا ضعفا من النار** اى مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا **قال لكل ضعف** اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون اى ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء **وقالت اولاهم** مخاطبين **لاخريهم**
حين سمعوا جواب الله لهم **فما كان لكم علينا من فضل** اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب **فذوقوا العذاب** اى العذاب المعهود المضاعف
بما كنتم تكسبون من قول القادة **ان الذين كذبوا باياتنا** مع وضوحها **واستكبروا عنها**
اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها **لا تفتح لهم ابواب السماء** اى لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم
ولا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء فى تفتح لتأنيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالياء وقرئ بالبناء للفاعل ونصب
الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تعالى **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى**
سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما هو علم فى ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة فى كون الجمل مما ليس شأنه الولوج فى سم الابرة مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل

كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل
حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ فى سم المخيط وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام والمحزم **وكذلك**
اى ومثل ذلك الجزاء الفظيع **نجزى المجرمين** اى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا
اوليا **لهم من جهنم مهاد** اى فراش من تحتهم والتنوين فيه للتفخيم ومن تجريدية **ومن فوقهم غواش**
اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف
كما فى قوله وله الجوار المنشآت **وكذلك** ومثل ذلك الجزاء الشديد **نجزى الظالمين** عبر عنهم
بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك
الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
للتنبيه على انه اعظم الاجرام والجرائم **والذين آمنوا** اى باياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به ويدخل فيه
الآيات دخولا اوليا وقوله **وعملوا الصالحات** اى الاعمال الصالحة التى شرعت بالآيات
وهذا مقابلة الاستكبار عنها **لا نكلف نفسا الا وسعها** اعتراض وسط بين المبتدأ الذى هو
الموصول والخبر الذى هو جملة **اولئك اصحاب الجنة** للترغيب فى اكتساب ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان
سهولته منالا وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذى هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف **هم فيها خالدون** حال من اصحاب
الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة
او خبر لاولئك على رأى من جوزه وفيها متعلق بخالدون **ونزعنا ما فى صدورهم من غل**
اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضى للايذان
بتحققه ونقل عن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **تجرى**
من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير فى صدورهم والعامل فيها معنى
الاضافة واما العامل فى المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هى مستأنفة للاخبار
عن صفة احوالهم **وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا** اى لما جزاؤه هذا **وما كنا لنهتدى**
لهذا المطلب الاعلى او ان المطالب التى هذا من جملتها **لولا ان هدانا الله** لولا هداية الله وتوفيقه واللام
لتأكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله ومفعول نهتدى وهدانا الثانى محذوف
لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستأنفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدى
الخ بلا واو على انها مبينة او مفسرة للاولى **لقد جاءت رسل ربنا** جواب قسم مقدر قالوه ابتهاجا واغتباطا
بما نالوه وابتهاجا باعتقادهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء فى قوله **بالحق** اما للتعدية فهى متعلقة
بمقدر وقع حالا من الرسل اى والله لقد جاءوا بالحق او لقد جاءوا متلبسين بالحق **ونودوا** اى نادتهم
الملائكة عليهم **ان تلكم الجنة** ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير
الشأن محذوف ومعنى البعد فى اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما
لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا **اورثتموها**
بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم
والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة وعلى ان تلك الجنة مبتدأ وخبر والجملة صفة

والجزاء ونتيجتها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم
لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
حيث نلنا هذا المقام الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني
اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره
مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم
يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة
او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة وعلى ارادة القول او اجراء اذن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه
ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي ابعد شيء منهما والعوج
بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة
كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة
والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يظهر اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما
يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في
صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى
كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من
الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين
راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها
حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم
وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم
الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض
لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق
الاول بطريق الرغبة واشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين
بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون
ما هم عليه من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس
العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية
الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم
الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم
اما استفهام للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون
ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب
بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله

برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين
اي دخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اي قيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا
لهم ما قالوا والاظهر ان يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات
وما يتفرع عليه من المعرفة لا يليق لمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا
ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الخ وقرئ
ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان
افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئنافا
مبنيا على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما
منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة
ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح
بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل
بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة
وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم
نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى وما كانوا
بآياتنا يجحدون عطف على كما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة
قاطبة والمراد بالكتاب الجنس وللمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل
فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ
فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون
لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله اي ما ينتظر هؤلاء
الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد
يوم ياتي تاويله وهو يوم القيامة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك
المنسي من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين انهم قد جاؤوا بالحق فهل
لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وفي النصب
اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او
لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل
غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر

والمعاصي **وضل عنهم ما كانوا يفترون** اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تع
وشفعاؤهم يوم القيمة **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** شروع في
بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية
في ستة اوقات كقوله تع ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان
طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل
على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور **ثم استوى على العرش** اي استوى امره
واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تع بلا كيف والمعنى انه تع استوى على العرش على
الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك **يغشي الليل النهار** اي يغطيه
به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد
فيه للدلالة على التكرار **يطلبه حثيثا** اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل
من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا اي محثوثا **والشمس والقمر**
والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء
والخبر **الا له الخلق والامر** فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق **تبارك الله رب العالمين**
اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم
ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تع لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم
كما اشار اليه بقوله تع فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى
وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تع خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له
عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تع الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال تعالى **ادعوا ربكم** الذي قد عرفتم
شئونه الجليلة **تضرعا وخفية** اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص **انه لا يحب**
المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا
اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء
وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا ان الله لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض** بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام **وادعوه خوفا وطمعا** اي ذوي خوف نظرا الى
قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه **ان رحمت الله**

الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم ولانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل
الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه
وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح **بشرا** تخفيف بشر جمع بشير
اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة
جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان **بين يدي رحمته** قدام
رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه
حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل من الشيء يستقله **سحابا ثقالا** بالماء جمعه
لانه بمعنى السحائب **سقناه** اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ **لبلد ميت** اي لاجله ومنفعته
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت **فانزلنا به الماء** اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك
بتاويل المذكور وكذلك قوله تع **فاخرجنا به** ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا
كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما **من**
كل الثمرات اي من كل انواعها **كذلك نخرج الموتى** الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد
الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من
الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس **لعلكم**
تذكرون والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة **يخرج نباته باذن ربه** بمشيئته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله **والذي خبث** من
البلاد كالسبخة والحرة **لا يخرج الا نكدا** قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد
الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف **كذلك** اي مثل ذلك التصريف البديع **نصرف الايات** نرددها ونكررها **لقوم يشكرون**
نعمة الله تع فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عم بالشرائع التي هي ماء حياة
القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب
ذلك بما حققه وقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف فقال **لقد ارسلنا نوحا الى**
قومه هو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون
مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها
ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بعث على رأس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين
واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين
وخمسين فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة **فقال يا قوم اعبدوا الله** اي اعبدوه وحده وترك
التقييد به لان العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء **ما**
لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة والامر بها وغيره بالرفع

صفة لإله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب
على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد إلا أي ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد
إلا زيد وغير زيد ومن إله إما أن يجعل مبتدأ ولكم خبره أو خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أي ما لكم
في الوجود أو في العالم إله غير الله **إني أخاف عليكم** أي إن لم تعبدوه حسبما أمرت به **عذاب يوم
عظيم** هو يوم القيامة أو يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها
ببيان الداعي إليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الإنذار **قال الملأ من قومه**
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا له عم في مقابلة نصحه
فقيل قال الرؤساء من قومه والأشراف الذين يملؤون صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم
والأبصار بجمالهم وأبهتهم **إنا لنراك في ضلال** أي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية
قلبية ومفعولاها الضمير والظرف **مبين** بين كونه ضلالا **قال** استئناف كما سبق **يا قوم** ناداهم
بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق **ليس بي ضلالة** أي شيء ما من الضلال قصد عم المبالغة في
في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في إثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا
في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك مما قبله
باعتبار ما يستلزمه لا محالة كأنه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن
لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية أي فخامة
أي رسول وأي رسول كائن من رب العالمين **أبلغكم رسالات ربي** استئناف مسوق لتقرير رسالته
وتفصيل أحكامها وأحوالها وقيل صفة أخرى لرسول على طريقة أنا الذي سمتني أمي حيدره وقرئ
أبلغكم من الإبلاغ وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها أو لأن المراد بها ما أوحي إليه
وإلى النبيين من قبله عم وتخصيص ربوبيته تع به عم من موجبات امتثاله بأمره تع بتبليغ رسالاته
وأنصح لكم عطف على أبلغكم مبين لكيفية أداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة
على إمحاض النصيحة لهم وأنها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته
لهم كما يعرب عنه قوله تع رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تع **وأعلم من الله ما لا تعلمون**
عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عم أي أعلم من جهته تع بالوحي ما لا تعلمونه من الأمور الآتية
أو أعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن
القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا
يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم** جواب ورد لما اشتمل عليه قولهم
إنا لنراك في ضلال من قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة والهمزة للإنكار
والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل استبعدتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أي وحي
أو موعظة من مالك أموركم ومربيكم **على رجل منكم** أي على لسان رجل من جنسكم كقوله تع ما وعدتنا
على رسلك وقلتم لأجل ذلك ما قلتم من أن الله تعالى لو شاء لأنزل ملائكة **لينذركم** علة للمجيء أي
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي **ولتتقوا** عطف على العلة الأولى مترتبة عليها **ولعلكم ترحمون**
عطف على العلة الثانية مترتبة عليها أي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على
عزة المطلب وأن التقوى غير موجبة للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على

على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تع **فكذبوه** فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي
الذي بلغه إليهم وأنذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك في هذه المدة المتطاولة بعدما كرر
عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا حسبما نطق به قوله تع رب إني دعوت قومي ليلا
ونهارا الآيات إذ هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب **فأنجيناه والذين معه**
من المؤمنين قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل عشرة أبناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به
وقوله تع في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف أي استقروا معه **في الفلك** أو صحبوه فيه أو
بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة ويجوز أن يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الظرف
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب
فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم وذكر الإنجاء على الإغراق للمسارعة إلى الإخبار
به والإيذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى
جرائمهم **إنهم كانوا قوما عمين** عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنه عميت قلوبهم
عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والأول أدل على الثبات والقرار **وإلى عاد**
متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى
أخاهم أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا أخا العرب
وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا والأول هو الأولى وأيا ما
كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الإضمار قبل الذكر ويرشدك إلى ذلك
ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا الخ فإن قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام
مضافا إليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عم وبين القصص
الثلاث وقوله تع **هودا** عطف بيان لأخاهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن
إرم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد
وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه **قال**
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عم إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **يا قوم
اعبدوا الله** أي وحده كما يعرب عنه قوله **ما لكم من إله غيره** فإنه استئناف جار مجرى البيان
للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس
لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه **أفلا تتقون** إنكار
واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أي ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا أو أتغفلون ذلك فلا تتقون
فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عم خاطبهم بكل منهما
وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله
تعالى إن أنتم إلا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال
نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الأوقات المتعددة والله تعالى أعلم **قال
الملأ الذين كفروا من قومه** استئناف كما مر وإنما وصف الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ
قوم نوح بل كان منهم من آمن له عم ولكن كان يكتم إيمانه كمرثد بن سعد وقيل وصف به لمجرد الذم

إنا لنراك في سفاهة أي متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين آبائك ألا إنهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون وإنا لنظنك من الكاذبين فيما ادعيت من الرسالة قالوه لما رأوه في التقاليد وحرمانهم
من النظر الصحيح قال مستعطفاً لهم ومستميلاً لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة
لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة أي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني
رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى
من الرشد والأناة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتماً كأنه قيل
ليس بي شيء مما تنسبونني إليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما
في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى أبلغكم رسالات ربي استئناف
سيق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وقيل صفة أخرى لرسول والكلام في إضافة الرب إلى نفسه
بعد إضافته إلى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عم وقرئ أبلغكم من الإبلاغ
وأنا لكم ناصح أمين معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك وإنما جيء بالجملة الاسمية
دلالة على الثبات والاستمرار وإيذاناً بأن من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب
أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عم
أي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني إلى السفاهة
والكذب وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم بما لا خير فيه من أمثال تلك الأباطيل بما
حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة
على جلالة شأنهم العلي من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا إذ جعلكم خلفاء شروع في
بيان ترتيب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون
الظرفية وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات
للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت
مشتمل عليها فإذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً ولعله معطوف على مقدر
كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك أو تدبروا في أمركم واذكروا وقت جعله تعالى إياكم خلفاء من بعد قوم نوح
أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل
عالج إلى بحر عمان وزادكم في الخلق أي في الإبداع والتصوير أو في الناس بسطة قامة وقوة فإنه
لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الأجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع و
القصير ستين فاذكروا آلاء الله التي أنعم بها عليكم من فنون النعماء التي من جملتها هذه تكرير للتذكير لزيادة
التقرير وتعميم إثر تخصيص لعلكم تفلحون أي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدي إلى النجاة من الكروب
والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن النصائح العظيمة أجئتنا لنعبد الله وحده أي لنخصه بالعبادة
ونذر ما كان يعبد آباؤنا أنكروا عليه السلام مجيئه بعبادة الله تعالى والإعراض عن عبادة الأوثان
انهماكاً في التقليد وحباً لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى المجيء إما مجيئه عم من متعبده ومنزله أو
من السماء على التهكم وإما القصد والتصدي مجازاً كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير إرادة معنى
الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون إن كنت من الصادقين

أي في الإخبار بنزول العذاب وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به قال قد وقع عليكم
أي وجب وحق أو نزل بإصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله من ربكم
من جهته تعالى وتقديم الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة إلى بيان إصابة
المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر ولأن
فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل
أتجادلونني في أسماء عارية عن المسمى سميتموها أي سميتم بها أنتم وآباؤكم إنكار واستقباح لإنكارهم
مجيئه عم داعياً لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام أي أتجادلونني في أشياء سميتموها
آلهة ليست هي إلا محض الأسماء من غير أن يكون فيها مصداق الإلهية شيء ما لأن المستحق للمعبودية بالذات
ليس إلا من أوجد الكل وإنها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى إما بإنزال آية أو نصب حجة وكلاهما مستحيل
وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان وإذ ليس ذلك في حيز الإمكان تحقق بطلان ما هم عليه
فانتظروا مترتب على قوله قد وقع عليكم أي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا إلخ إني معكم
من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فأنجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت أي فوقع ما وقع
فأنجيناه والذين معه أي في الدين برحمة أي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا من جهتنا
متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الإضافية
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا
مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة أي أصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك
أبداً وتقديم حكاية الإنجاء على حكاية الإهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على أن مناط النجاة هو الإيمان
بالله تعالى وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم أن عاداً قوم كانوا باليمن
بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود
والهباء فبعث الله تعالى إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً
فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله تعالى الفرج
منه عند بيت الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام
بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز ومرثد
بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من
الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم قينتا
معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال [illegible]
ألا يا قيل ويحك قم فهينم ۝ لعل الله يسقينا غماما ۝ فيسقي أرض عاد إن عاداً ۝ قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله تعالى
سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثداً لا يقدمن معنا فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا

ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على
عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا **والى ثمود اخاهم صالحا**
عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود
قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم
من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى واخوهم صالح عم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ
بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم اجيب
عنه بطريق الاستئناف **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** وقد مر الكلام في نظائره
قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق
في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالتي الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة
سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله
من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا
الكلام منه عم اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله
تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشاكم من الارض واستعمركم
فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا
حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا
قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم
لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال
صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عم عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع
ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم
فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتو ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم
وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا

كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى **هذه ناقة الله لكم آية**
استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب
معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل
فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا ولكم خبرا
عاملا في آية **فذروها** تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها
تاكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل في ارض ربها
فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تاكل بالرفع في موضع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض
للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا
وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم **ولا تمسوها بسوء** نهي عن المس الذي هو
مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية وتنكير السوء للمبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما
يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى **فياخذكم عذاب اليم** جواب
للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان
يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عم لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله
ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر **وبوأكم
في الارض** اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام **تتخذون من سهولها قصورا**
استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما
تعملون منها اي من الرهص واللبن والآجر **وتنحتون الجبال** اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء
وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب
الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى **بيوتا** على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب
قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد
جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف
والجبال في الشتاء **فاذكروا آلاء الله** التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها **ولا
تعثوا في الارض مفسدين** فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعيث في الارض
بالفساد **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** اي عتوا وتكبروا استئنافا كما سلف وقرئ بالواو
عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى **للذين استضعفوا**
للتبليغ وقوله **لمن آمن منهم** بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان الضمير منهم

لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو
الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان الجواب من المؤمنين منهم
على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين الذين قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ولما قالوه بطريق الاستهزاء بهم **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون**
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق و
اظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله
من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به **قال الذين استكبروا**
اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار
انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا
لمقالتهم **فعقروا الناقة** اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم لملابسته ولان
ذلك لما كان برضاهم فكانه بفعلهم كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته
الكل ما لا يخفى **وعتوا عن امر ربهم** استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر و
النهي **وقالوا** مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم **يا صالح ائتنا بما تعدنا**
اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا **ان كنت من المرسلين** فان كونك من جملتهم يستدعي
صدق ما تقول من الوعد والوعيد **فاخذتهم الرجفة** اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا
بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله **فاصبحوا
في دارهم** اي صاروا في ارضهم او بلدهم او في مساكنهم **جاثمين** هامدين موتى لا حراك بهم
واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة الجثوم
للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا بك
نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه
خبرا وجاثمين حال لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا
تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت
لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به **فتولى عنهم**
اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزن عليهم **وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم** بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا
مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى **ولكن لا تحبون الناصحين** حكاية حال ماضية اي شأنكم
الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله اهل قليب بدر حيث قال
انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدة علاماته
اعلاما بانه تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه روي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء
ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان
ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم [illegible] على المنصوص

حسبما وقع فيما سبق وكان قد هاجر به من العراق مع عمه ابراهيم فلما جاء الى الشام نزل فلسطين وانزل
لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله الى اهل سدوم وهي بلد بحمص وقوله تعالى **اذ قال
لقومه** ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله
بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان
انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه **أتأتون الفاحشة** بطريق الانكار التوبيخي
التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء **ما سبقكم بها**
ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة
اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى **من احد** مزيدة لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى
من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان
مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم
اول من عملها فان سبق النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم
سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله
تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا
تأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر لم يسبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها
قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن كانت لهم ثمار وقرى لم
يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا
نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك
قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال الكلبي اول من عمل به ذلك الفعل ابليس الخبيث
حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل **انكم لتأتون الرجال**
خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا
على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقرير لان
ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان
والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى **شهوة** مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي
التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على
اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى **من دون النساء** اي متجاوزين النساء
اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم **بل انتم قوم مسرفون** اضراب
عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل
شيء او عن الانكار عليه الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم
الاسراف **وما كان جواب قومه** اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله
تعالى **الا ان قالوا** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء
الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته **اخرجوهم** اي لوطا ومن
معه من اهله المؤمنين **من قريتكم** اي هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط

عم وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهذا اظهر وان كان الاول اقوى
في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية وايا ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن
مقالة لوط عم ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة هو المسارعة الى الايهام بل انه لم يصدر عنهم في
المرة الاخيرة من مرات المحاورات بينهم وبينه عم الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم
قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره
الواردة بطريق القصر وقوله تع **انهم اناس يتطهرون** تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهير للاستهزاء
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن
الشطار والدعار **فانجيناه واهله** اي المومنين منهم **الا امراته** استثناء من اهله فانها كانت
تسر بالكفر **كانت من الغابرين** اي الباقين في ديارهم الهالكين والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها
لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سوال نشأ عن استثنائها من حكم
الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا** اي نوعا من
المطر عجيبا وقد بينه قوله تع وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر
في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم
ارسال المطر قيل كانت الموتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله
عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له اربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت **فانظر**
كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا
من اعمالهم **والى مدين اخاهم شعيبا** عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف
عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب
بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عم لحسن
مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم **قال** استئناف مبني على سوال
نشأ من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله**
غيره مر تفسيره مرارا **قد جاءتكم بينة** اي معجزة وقوله تع **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو
صفة لها مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من تنكيرها بفخامتها الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة
كائنة من ربكم ولم يذكر معجزته عم في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عم فمنها
ما روي من محاربة عصا موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا ادم على يده في المرات السبع
لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عم وقيل البينة مجيئه عم كما في قوله تع يا قوم ارايتم ان
كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما اتاه الله تع من النبوة والحكمة **فاوفوا**
الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويويده قوله تع **والميزان** فان الملائم له الميزان وان جاز كونه
مصدرا كالميعاد وقيل اي الة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان

تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تع موجبة للاجتناب من المناهي التي معظمها الكفر
البخس الذي كانوا يباشرونه **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اي تنتزعونها بها يعتمد بن على تمامها
اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف **بعد اصلاحها** بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء
واتباعهم اي باجراء الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار **ذلكم خير لكم**
اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه والمعنى لخيرية ما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا
في معاملتهم ومتاجرتهم **ان كنتم مومنين** اي مصدقين لي في قولي هذا **ولا تقعدوا بكل صراط**
توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون
لمن امن به وقيل يقطعون الطريق **وتصدون عن سبيل الله** اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع
المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين وقوله تع **من امن به** مفعول تصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في
تقعدوا **وتبغونها عوجا** اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها
معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج **واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم** بالبركة في النسل
والمال **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود
واضرابهم واعتبروا بهم **وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به** من الشرائع والاحكام
وطائفة لم يومنوا اي به او لم يفعلوا الايمان **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا** اي بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين **وهو خير الحاكمين** اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** استئناف مبني على سوال ينساق اليه المقال
كانه قيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه
والامتناع لديه بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عم فيما هم فيه واتباعه
المومنين واجترأوا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه بذلك على طريقة التوكيد القسمي
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا نسبة الاخراج اليه عم اولا والى المومنين ثانيا بعطفهم عليه
تنبيها على اصالته عم في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تع **معك** فانه متعلق
بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلم بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئ
عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك **من قريتنا** بغضا لكم ودفعا لفتنتكم
المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تع **او لتعودن في ملتنا** عطف على جواب القسم اي والله
ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء المحض التقرير
والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عم لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نذعكم فيما بيننا حتى تدخلوا

في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا بصورة الطوع حذر الاخراج باختيارهم دون ان يكرهوا لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب **قال** استئناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة **اولو كنا كارهين** على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى ولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصد بها الاعتداد القصد الى بيان الاعراب على دلالة ما قبلها القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته وانتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما ما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر لا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه ادما له العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلامهم الشنيع باطلاقه من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفي بذكر الحالة التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائه عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحققه مع الكراهة على ما يوجبه

وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور

لا يجيد كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا لا نعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما مر في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل ويفيد نفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليه ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من متعلقه وداخلا في انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر ما بازائها ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر ومتلازمان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة **قد افترينا على الله كذبا** اي كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا في ملتكم** التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم ان لله تعالى ندا

وليس كذلك شي والمعنى تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي
افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف وعند اللام تقديره والله لقد افترينا الخ
وما يكون لنا اى وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اى الا حال مشيئة الله تع او وقت مشيئته تع لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون
كما ينبئ عنه قوله تع ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تع لهم مما ينبئ عن استحقاق مشيئته تع
لارتدادهم قطعا وكذا قوله تع بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تع لهم منها من دلايل عدم مشيئته
لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تع وايما كان
فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى
كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات
ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تع له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان
وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد
منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به
قوله تع على الله توكلنا اى في ان يثبتنا على ما نحن فيه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا
من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد
بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تع بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل
من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز
المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين
وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين استكبروا الخ ولعل هؤلاء غير اولئك
المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون
ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق
هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم
عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين اباءكم
انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم
بالبخس والتطفيف واذن حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد
جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي
سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند
هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة
هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا
استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم
بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم
يقيموا بقريتهم اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا

وقوله تع الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير
واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب
العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا
المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى
فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك
فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن
لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في
الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم المذكورة
تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا
اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب على انه حال من فاعل ارسلنا والفعل الماضي
لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدم قد كما في قولك ما زيد الا قد قام او مقارنة قد كما في الاية
والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال
كوننا اخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء
الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يتضرعون كي يتضرعوا ويذلوا
ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تع لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم
لما بينا من الحكمة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله
وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف
وابطرتهم النعمة واشروا وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله تع قد مس اباءنا الضراء
والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان
يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء
فلا اخرها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك
ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ
بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك
ايام كما كان في ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تع في قرية وقيل مكة
وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر هنا انتظاما اوليا امنوا بما اوحي الى انبيائهم
معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما اتقوا
السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تع على عادات الدهر [illegible]
عباس هي ... وحده والله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من

الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير **ولكن كذبوا** اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه للثانى **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** من انواع الكفر والمعاصى
التى من جملتها قولهم قد مس اباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما فى قوله تع فاخذناهم بغتة لا عن الجدب
والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة **أفأمن اهل القرى** اى اهل القرى
المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل ما اتاهم من البأس لا امن
مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتى والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وعزيز لقوله تع فلا يأمن مكر الله الا
القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ
المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى **ان يأتيهم بأسنا بياتا** اى
تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم **وهم نائمون** اى حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا **اوأمن اهل القرى** انكار بعد انكار للمبالغة
فى التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون
وقرئ او بسكون الواو على الترديد **ان يأتيهم بأسنا ضحى** اى ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس
اذا ارتفعت **وهم يلعبون** اى يلهون من فرط الغفلة ويشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون **أفأمنوا
مكر الله** تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا
يحتسب والمراد به اتيان بأسه تع فى الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار
فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثانى فمن تتمة الاول **فلا يأمن مكر الله الا
القوم الخاسرون** اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها والاستعداد القريب
المستفاد من النظر فى الايات **اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها** اى يخلفون من خلا قبلهم
من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها
منزلة اللازم كانه قيل اولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل
على التقديرين هو الجملة الشرطية اى اولم يبين لهم مال امرهم **ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم** اى ان
الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة
مفعوله **ونطبع على قلوبهم** عطف على ما يفهم من قوله تع اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن
الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه
بمعنى طبعنا لافضائه الى نفى الطبع عنهم لانه فى سياق جواب لو **فهم لا يسمعون** اى اخبار الامم المهلكة
فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات **تلك القرى** جملة مستأنفة
جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص مبينة لغاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما
اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله
تع **نقص عليك من انبائها** خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض
اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر
عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تع فاذا هى حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة
الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تع **ولقد جاءتهم**

رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث لم يبق احد منهم ايضا بالخسف
بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء فى قوله بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور
على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتى كل رسول
ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة بان مراعاة انقسام الاحاد اى
الاحاد انما هى فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال العتو عتوهم وعنادهم اى وبالله
لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم
الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما كقوله تع **فما كانوا ليؤمنوا** بيان لاستمرار
عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجئ الرسل بالبينات بالفاء
لما ان الاستمرار فعل من الافعال يحدث ويوجب الاقلاع عنه وان كان استمرار عليه فى الحقيقة
لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم يتعظ وزجرته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد
النفى اى فما صح وما استقام لقوم اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا
منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم ان كان المحكى عنهم اخر
حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتى وبما
اشير اليه بقوله تع **بما كذبوا من قبل** تكذيبهم من لدن مجئ الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما
لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج
الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم
الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا
باعتباره عن جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم
منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجئ الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل
مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
اممهم اليها ازدى اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها
قبل مجئ رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت لكل
امة من اولئك الامم ثبتا معون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ رسلهم
كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب
والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تع وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر
الثلاثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب
الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم
الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تع ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما
مصدرية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه هنا
ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن

الاخراج ليرجع اليه الضمير في بعده كذلك اى مثل الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتدارك ادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اى لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا او لا اكثر او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل ما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باى معنى كان وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من انّ وضمير الشان محذوف اى ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عم جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترا وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عم ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبعة للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول

اليك من رب العالمين على الوجه الذي مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما يساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عم في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالتباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عم وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى فمن ربكما الآيات وقوله وما رب العالمين الآيات وقد طوي ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اى فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته ومجيئه بالبينة قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عم حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت بآية اى من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اى فاحضرها حتى تثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اى ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عم آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر مبين اى مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون

بفتح النون وما في ماذا من محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير بأي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ عنه بطريق التبليغ الى العامة لقوله تعالى قالوا أرجه وأخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من طبقتهم اي أخره وأخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى أخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ أرجئه من أرجأه وارجاه وأرسل في المدائن حاشرين قيل هي صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استيناف منوط نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم اجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج منه قالوا استيناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عم يا موسى اما ان تلقي ما تلقيه اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا والاخر وعم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال ألقوا غير مبال بأمرهم اي ألقوا ما تلقون فلما ألقوا ما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فألقاها فصارت حية فاذا هي الخ وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه او يزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى رجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت

السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي ثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا هنالك اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى وألقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا على ما فعلوا آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها أهلها اي القبط وتخلص لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارائة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عم ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استيناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالي بوعيدك وانا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر وليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله تعالى وقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا اي أفض علينا من الصبر ما يغمرنا او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو

الصبر على وعيد فرعون **وتوفنا مسلمين** ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد
قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون **وقال الملأ**
من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عم **أتذر موسى وقومه ليفسدوا في**
الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك **ويذرك** عطف على ليفسدوا
او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
اي أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على أتذر او استئنافا او حالا وقرئ
بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن **وآلهتك** ومعبوداتك قيل انه كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا
ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك **قال** مجيبا لهم **سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم**
كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف **وانا فوقهم**
قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك **قال موسى لقومه**
تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه **استعينوا بالله واصبروا** على ما
سمعتم من اقاويله الباطلة **ان الارض لله** اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله
تع والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان **قالوا** اي بنو اسرائيل **اوذينا**
اي من جهة فرعون **من قبل ان تأتينا** اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عم
وبعده **ومن بعد ما جئتنا** اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان
يفعل بهم لعداوة موسى عم من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به
ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عم فليس لذكره كثير ملائمة
بالمقام **قال** اي موسى عم لما رأى شدة جزعهم وتسلية لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض
لله **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته **ويستخلفكم في**
الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر **فينظر كيف تعملون** احسانا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر
منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام
بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عم ولا يساعده قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس
المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما يجيء فعل الطمع الجاري على سنن الكبرياء **ولقد اخذنا آل**
فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تع لم يمهلهم بعد ذلك ولم
يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال
وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان
اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية
اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة
مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا يحذف النون

للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف بالوجهين **ونقص من الثمرات** باصابة العاهات
عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت
لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم **لعلهم يذكرون** كي يتذكروا ويتعظوا
بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والفساد قال
الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه الا ترى
الى قوله تع واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير
قوله لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تع **فاذا جاءتهم الحسنة** الخ بيان لعدم
تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات **قالوا لنا هذه**
اي لاجلنا واستحقاقنا لها **وان تصبهم سيئة** اي جدب وبلاء **يطيروا بموسى ومن معه** اي
يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية
جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لاسيما بعد مشاهدة الآيات وقد
كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق
للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للا
يندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تع **الا انما طائرهم عند الله** استئناف
مسوق من قبله تع لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز
كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب طيرهم الا عنده تع وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح
اي ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوب عنده فانها التي ساقت اليهم
ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له **ولكن اكثرهم لا يعلمون**
ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلم
ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تع او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا
بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا **وقالوا** شروع في بيان بعض آخر مما
اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك
عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا من شان العصا والسنين ونقص
الثمرات **مهما تأتنا به** كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة
للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا
من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها ثم ضمت اليها ما الشرطية
ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعده اي اي شيء تظهر لنا تأتنا به وقوله تع **من آية**
بيان لمهما وتسميتهم اياها آية مجاراة على رأي موسى عم واستهزاء بها والاشعار بان عنوان
كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله **لتسحرنا بها** اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد
الى الحق بالسحر وتسمية الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب
اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له **فما نحن لك بمؤمنين** بمصدقين

لك ومؤمنين لنبوتك **فارسلنا عليهم** عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا **الطوفان** اي الماء الذي طاف
بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون **والجراد**
والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد وقيل بنات اجنحتها **والضفادع والدم**
روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم
حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على
ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت من العشب والكلأ ما لم يعهد قبله فلم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه ثم فخرج الى الصحرا
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها
ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي
تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف
الله عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي
والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف **آيات** حال من المنصوبات المذكورة **مفصلات**
مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم
كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث
فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل **فاستكبروا** اي عن الايمان بها
وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها **ولما وقع عليهم الرجز** اي العذاب المذكور
على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات
قالوا في كل مرة **يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد
اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله
متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما
عندك او متعلق او قسم اجيب بقوله تعالى **لئن كشفت عنا الرجز** الذي وقع علينا **لنؤمنن**
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ **فلما كشفنا عنهم**
الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون بعده او يهلكون **اذا هم**
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف **فانتقمنا منهم** اي
فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى **فاغرقناهم** عين الانتقام والفاء تفسيرية
كما في قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب الخ **في اليم** في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته **بانهم**
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى
واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب
الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب بآيات الله

الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول
الله عم والاعراض عنها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** اي بالاستعباد وذبح الابناء
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل وذكرهم
بهذا العنوان اظهار لكمال لطفه تعالى بهم وعظم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة
مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى **التي باركنا فيها** اي بالخصب وسعة
الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف
بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة **وتمت كلمة ربك الحسنى** وهي وعده
تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت **على**
بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه
ودمرنا اي خربنا واهلكنا **ما كان يصنع فرعون وقومه** من العمارات والقصور اي ودمرنا
الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما
والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر
كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون كما ذكر وما موصولة اسمية
والعائد محذوف فتقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة الاستقبال
على هذين القولين لاستحضار الصورة **وما كانوا يعرشون** من الجنات او ما كانوا يرفعونه من
البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه
وقوله عز وجل **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه
من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة
للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد
وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عم يوم عاشوراء بعد
ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز وجل **فاتوا** اي مروا **على قوم** قيل كانوا من لخم وقيل
من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عم بقتالهم **يعكفون على اصنام لهم** اي يواظبون على عبادتها
ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل
قالوا عندما شاهدوا احوالهم **يا موسى اجعل لنا الها** مثالا نعبده **كما لهم آلهة** الكاف متعلقة
بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي
استقر هو لهم **قال انكم قوم تجهلون** تعجب من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة
العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله **ان هؤلاء** يعني القوم الذين
يعبدون تلك التماثيل **متبر** اي مدمر مكسر **ما هم فيه** اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى
ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية
للدلالة على التحقق **وباطل** اي مضمحل بالكلية **ما كانوا يعملون** من عبادتها وان كان قصدهم

بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت
الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من
الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه
لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا **قال اغير الله ابغيكم الها**
شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ما طلبوا عبادته مما لا
يمكن طلبه اصلا لكونها لكما باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام
والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي
غيره تعالى لا الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم غير
الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها
غير الله تعالى فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا **وهو فضلكم على العالمين**
اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا
تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شيء من مخلوقاته
تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون **واذ انجيناكم** تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الانجاء
من ملكة فرعون وقرئ نجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى اي واذكروا
وقت انجائنا اياكم **من آل فرعون** من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في
المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى **يسومونكم سوء العذاب** من سامه خسفا اي اولاه
اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او
منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى **يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بدل من
يسومونكم مبين ومفسر له **وفي ذلكم** الانجاء او سوء العذاب **بلاء** اي نعمة او محنة **من ربكم** من مالك
امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى **عظيم** لا يقادر قدره **وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة** روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين
وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك
رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي
من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة ولذلك قوله تعالى **واتممناها
بعشر** والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه
من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل
ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى
منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة **فتم ميقات
ربه اربعين ليلة** اي بالغا اربعين **وقال موسى لاخيه هرون** حين توجه الى المناجاة حسبما
امر به **اخلفني** اي كن خليفتي **في قومي** وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح
من امورهم او كن مصلحا **واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع

تطمع من دعائك اليه **ولما جاء موسى لميقاتنا** لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
لميقاتنا **وكلمه ربه** من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل
جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين **قال رب ارني
انظر اليك** اي ارني ذاتك انظر اليك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو
دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل
بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني لا لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها
على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح
شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل
المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه
على انه لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان تدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة
الرؤية **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال
موسى عليه السلام ما قال فقيل قال **لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني**
استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن
ممكن والجبل قيل هو جبل اردن **فلما تجلى ربه للجبل** ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره
وامره وقيل اعطى للجبل حيوة ورؤية حتى رآه **جعله دكا** مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا اي
قطعا **وخر موسى صعقا** مغشيا عليه من هول ما رآه **فلما افاق** الافاقة رجوع العقل والفهم
الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب **قال** تعظيما لما شاهده **سبحانك** اي تنزيها لك من ان
اسألك شيئا بغير اذن منك **تبت اليك** اي من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن **وانا اول
المؤمنين** اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال
بغير اذن منك **قال يا موسى** استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية
كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها
وثابر على شكرها **اني اصطفيتك** اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك **على الناس** اي المعاصرين
لك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع **برسالاتي** اي
باسفار التورية وقرئ برسالتي **وبكلامي** وبتكليمي اياك بغير واسطة **فخذ ما آتيتك** اي
اعطيتك من شرف النبوة والحكمة **وكن من الشاكرين** على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال
الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر **وكتبنا له في الالواح من كل شيء** اي مما يحتاجون
اليه من امور دينهم **موعظة وتفصيلا لكل شيء** بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من
المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت
عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل
من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى عليه السلام بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها
بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان

عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين **فخذها بقوة** بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتوراة **وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا واحسن صلة كما قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب **سأريكم دار الفاسقين** تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم والمعنى الارادة والادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعل معنى اوريكم اي سأبينها لكم وقوله تعالى **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض** استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بالآيات التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وباراءتها للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم وديارهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكم

سأهلكم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله **بغير الحق** اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها** عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات والمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام **وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بأنهم** اي حاصل بسبب انهم **كذبوا بآياتنا** الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها **وكانوا عنها غافلين** لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاستغناء عنه بما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** اي ولقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى **حبطت اعمالهم** خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوف ونحو ذلك او حبطت بعدما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها **هل يجزون** اي لا يجزون **الا ما كانوا يعملون** اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي **واتخذ قوم موسى من بعده** اي من بعد ذهابه الى الطور **من حليهم** متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك موسى غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى **عجلا** مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى **جسدا** بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى **له خوار** اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند

توجه الى الطور رغبا ورهبا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح في جوفه فتصوت والانسب لما في
سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم او لانهم رضوا به فكانهم
فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف
مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه
الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه
فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في
غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع و
ترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم في انفسهم اما
بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث
تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية قالوا والله لئن لم
يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على
المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما
لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير وهو مبدا لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة
للقسم كما اشير اليه وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب للقسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول
وان كان بعد ما رجع موسى عم اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه
حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان
ما جرى من موسى عم او الثاني من المساكن غضبان اسفا والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم
فعلي من توحيد الله تع ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما
ذلك طمحت حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف والخطاب
للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما
فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة
ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم أعجلتم امر ربكم اي أتركتموه غير تام على
تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه
من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من
شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ
والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعل موسى
توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عم بثلاث سنين وكان تحولا ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل قال اي هرون لموسى عليهما السلام يا ابن أم بحذف حرف الندا وتخصيص الام
بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه

فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط اليا تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا وقراءة
الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم
الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل
او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سوال نشأ
من حكاية اعتذار هرون عم كانه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي
ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي اي فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة
استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان
بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام
بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة
في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي على
اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه
كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين
سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم
اعظم الجرائم وافتح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت
لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في
الحياة الدنيا هي ذلة اغتراب تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة
التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس روي ان بقاياهم اليوم يقولون
ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه
بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب امرهم
بقتل انفسهم واعترض عليه بان ذلك حكاية عما اخبر الله تع به موسى عم حين اخبره
بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم من ربهم ذلك فيكون سابقا على الغضب وانت خبير
بان سباق النظم الكريم وسياقه ناطقان على ذلك بنواطقها كيف لا وقوله تع وكذلك نجزي
المفترين ينادي على خلافه فانهم تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء والملابس
يجزي الله تع كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم
المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مستمر معروف منه قوله
تع واذ قتلتم نفسا الآية وقوله واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة
ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في
ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات
من بعدها اي من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته
من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاول ان ربك من بعدها اي من بعد

تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة تلك
فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف
ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر
وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار وتوبة القوم وهذا
صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من
المبالغة والبلاغة بتنزيل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك
المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكت وسكت واسكت
على ان الفاعل هو الله تع او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها
وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة
للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف
هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل
المؤخر كما في قوله تع ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون
المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة
وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار
وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله اخترتك الناس اذ رذلت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده
اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعدما وقع من قومه ما وقع والميقات الكلام الذي
ذكر قبل ذلك كما قيل فانه عليه السلام امره الله تعالى بان يأتيه في اناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تع
من عبادة العجل وعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا
اليه تع مما صنعوا ويسألوا التوبة عمن تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عم ان لمن قعد مثل اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره
وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية
فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن
نصدقك في ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسنا هو الله تع حتى نراه جهرة فاسوا رؤيته تع على
سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم
عليها واياي ايض حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عم
تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد
ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه فحيث
لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا عز وفي ان تعفوا عن هذه الجريمة ايض وحمل الكلام على

التمني يأباه قوله تع اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شئونك ولا يثبتون
في المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قال ابن الانباري او
للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما
صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا
فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق
تابعين للقياس الفاسد وقوله تع تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة
او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى
التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا
اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعا
والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل من شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان
اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تع غفرانها والتجاوز
عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي
عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال
ابن عباس رضي الله عنه اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايض
حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا واتبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل او للمفعول بمعنى
املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول
عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق
لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لا
ظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا اليك ورجعنا عما صنعنا من المعصية
العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هنا من طلب الرؤية فتقبله من لطفك وفضلك
ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عم يتضرع الى الله تع
حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى
فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا
قال الله تع عند دعاء موسى عم فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة
عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا
يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناول
مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في
الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها
في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة
بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة

معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاستغناء عنه بظهور الامر الى قوله تع **فسأكتبها**
اي اثبتها واعينها فانه متفرع على المشيئة اعتبارا كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي و
رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة خاصة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اي سأكتبها خالصة
غير مشوبة بالعذاب الدنيوي **للذين يتقون** اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستهما وفي تعريض
لقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما نالهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب
الدنيوي **ويؤتون الزكوة** وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة
انما لم تذكر مع اثنائها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات
بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وافراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض **والذين هم بآياتنا** جميعا
يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي
جاء بها موسى عم وبما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون
بآياتنا عطف على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون اي اشير اليه من القصر بتقديم
الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض **الذين يتبعون الرسول** الذي
يوحى اليه كتابا مختصا به **النبي** اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان
النبوة الى الامة **الامي** بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى
امة العرب كما قال عم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي
لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول
الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ
على ان خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد **الذي يجدونه مكتوبا** باسمه ونعوته
بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا **عندهم**
زيد هذا لزيادة التقرير وان شأنه عم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا **في التورية والانجيل**
اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم والقرآن الكريم
قبل مجيئهما **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** كلام مستأنف لا محل له من الاعراب
قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة
كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من
النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب **ويحل لهم الطيبات** التي حرمت عليهم بشؤم
ظلمهم **ويحرم عليهم الخبائث** كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة **ويضع عنهم اصرهم والاغلال**
التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي مثل ما كتب عليهم من
كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو
اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة ومعنى اصارهم اصل الاصر الثقل

الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك **فالذين آمنوا به** تعليم لكيفية اتباعه عم وبيان لعلو رتبة
متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى
ارشاده عم اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين
آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه **وعزروه** اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه
عنه وقرئ بالتخفيف واصل التعزير المنع ومنه التعزير **ونصروه** على اعدائه في الدين **واتبعوا النور**
الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا
لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباعه عم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين
له في اتباعه **اولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار
بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي
اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة **هم المفلحون** اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون
عن المكروه لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من
المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب
المحرر ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم
الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله
تع والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل
الصالح **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم** لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله
وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم السعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة
غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة
سائر الرسل باقوامهم وارسال موسى الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب
العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فيئته الباغية
وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل **جميعا** حال
من الضمير في اليكم **الذي له ملك السموات والارض** منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على
انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله
لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي قوله تعالى **يحيي ويميت**
لزيادة تقرير لالوهيته والفاء في قوله **فآمنوا بالله ورسوله** لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر
من رسالته عم وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة بقوله تعالى **النبي الامي** لمدحه عليه السلام
بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى **الذي يؤمن**
بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين
على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تع للتنبيه على ان الايمان به تع لا ينفك عن
الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان
المأمور به هو الايمان به عم من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها

عيسى عم تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يومن لم يعتد بايمانه **واتبعوه** اى فى كل ما ياتى ويذر
من امور الدين **لعلكم تهتدون** علة للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب
او راجين له وفى تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من
الاهتداء مستمر على البغى والضلالة **ومن قوم موسى** كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص
كتب الرحمة والتقوى والايمان بالايات بمتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف
قوم موسى عم من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم **امة يهدون** اى الناس
بالحق اى ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق **وبه** اى بالحق **يعدلون** اى فى الاحكام الجارية فيما
بينهم وصيغة المضارع فى الفعلين حكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبى عم وبابائه
انه قدم ذكرهم فيما سلف وقيل ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تع ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين
ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم
هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل عم
ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لجبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى
الامى فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى وصانا من ادركك منكم احمد فليقرأ منى السلام فرد
محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ
فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عم مع ان منهم من امن بجميع الشرايع
لا يخلو عن بعد **وقطعناهم** اى قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى
اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة
اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال مفعوله اى فرقناهم معدودين
هذا العدد وقوله تعالى **اسباطا** بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من
اثنتى عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله **امما** على ان الاول بدل و
لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا **واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه** حين استولى
عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه عم بل باستسقائه
لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى **ان اضرب بعصاك الحجر** مفسر لفعل الايحا
وقد مر بيان شان الحجر فى تفسير سورة البقرة **فانبجست** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد
حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير
الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب
كما فى قوله تع اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانبجست **منه اثنتا عشرة عينا** بعدد الاسباط
واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست تغيير حقيق بجزالة النظم التنزيلى وقرئ عشرة بكسر
الشين وفتحها **قد علم كل اناس** كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط **مشربهم**
اى عينهم الخاصة بهم **وظللنا عليهم الغمام** اى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسترهم وتسكن باقامتهم
وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه **وانزلنا عليهم المن والسلوى** اى الترنجبين والسمانى

والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم
السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه **كلوا** اى وقلنا لهم كلوا **من طيبات ما رزقناكم** اى مستلذاته
وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى **وما ظلمونا** رجوع الى سنن الكلام الاول
بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به
فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** اذ تخطى
ضرره اليهم وتقديم المفعول لافادة القصر الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع
بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر **واذ قيل لهم** منصوب
بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع اسناده اليه تع كما
بعض عند ما وقع فى سورة البقرة من قوله واذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والايذان بالغنى
عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد فى التوبيخ اى اذكر لهم وقت
قوله تعالى لاسلافهم **اسكنوا هذه القرية** منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على
الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس وقيل اريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال
لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفى قوله تع اسكنوا ايذان بان المامور به فى سورة البقرة هو
الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى **وكلوا منها**
اى من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية **حيث شئتم** اى من نواحيها
من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف
كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل
هنالك فكلوا **وقولوا حطة** اى مسئلتنا او امرك حطة لذنوبنا وهى فعلة من الحط كالجلسة
وادخلوا الباب اى باب القرية **سجدا** اى متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم
من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور فى سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان
المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد
روى انهم دخلوها حيث سار اليهم موسى عم بمن بقى من بنى اسرائيل وبذراريهم على اختلاف الروايتين
ففتحها كما مر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوها فى حيوة
موسى عم فقيل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون اليها **نغفر لكم خطيئاتكم** وقرئ خطاياكم
كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول **سنزيد المحسنين** عدة
بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مترتب على تقدير سؤال
نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد ولذلك زيادة منهم زيادة
بيان **فبدل الذين ظلموا منهم** بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه
قولا اخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية حطا سمقاتا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تع واستهزاء بموسى عم وقوله تعالى
غير الذى قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه **فارسلنا عليهم** اثر ما فعلوا من غير تأخير وفى سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى
واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال **رجزا من السماء** عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه

فات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **بما كانوا يظلمون** بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما
يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء
والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم هنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما
التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هنالك والله تعالى اعلم **واسألهم** عطف على
المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم
حدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم
فقد احاط به النبي عليه السلام خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه
من جهة الوحي الصريح **عن القرية** اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة
قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية **التي كانت حاضرة
البحر** اي قريبة منه مشرفة على شاطئه **اذ يعدون في السبت** اي يتجاوزون حد الله بالصيد يوم
السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة
في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد
حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة **اذ تأتيهم
حيتانهم** ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع
والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار
باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان
المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم
في عدم التعرض يوم السبت **يوم سبتهم** ظرف لتأتيهم اي تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام
فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى **شرعا** جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف
وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل **ويوم لا يسبتون**
اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما
معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا
يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون
فيه بما امروا به يوم السبت **لا تأتيهم** كما كانت تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث
لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم
لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم **كذلك نبلوهم** اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم
معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها والتعجيب منها **بما كانوا يفسقون** اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم
المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم سبتهم
فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه
اخرى **واذ قالت** عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات

والانذارات **امة منهم** اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى
يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا
في فائدة الانذار **لم تعظون قوما الله مهلكهم** اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم **او معذبهم
عذابا شديدا** دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة
لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون
في الدنيا ومعذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب
للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم
او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ
فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة
الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه **قالوا** اي
الوعاظ **معذرة الى ربكم** اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر
قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة اليه تعالى لئلا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة
الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين **ولعلهم يتقون** عطف على معذرة اي ورجاء لان
يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب
الخطاب **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما ذكرهم صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه
اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا **انجينا الذين ينهون عن السوء**
وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان
المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كأنه قيل فلما ذكر المذكر
ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا
من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول **واخذنا الذين ظلموا**
بالاعتداء ومخالفة الامر **بعذاب بئيس** اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد
وقرئ بئس على وزن فعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها
الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب وبييس كريس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها
وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل **بما كانوا يفسقون** متعلق
باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم
في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان
اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم
والعدوان والا لما احترزوا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال
فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا
عنه** اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** صاغرين ذلا
بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا
عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى
وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي

امرنا وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تع انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه كانها المخاض لايرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في ساير الايام فكانوا
على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة
الورود صعبة الصدور ففعلوا فتسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها
يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد
جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم ير عذاب اخذ في السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لايعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا
نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث ملوا التذكير وسئموه
وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لانساكنكم
فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عم فاصبح الناهون ذات يوم
في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا
الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لايعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه
فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار
الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصرى اكلوا والله اوخم
اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه
اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تع جعل موعدا والساعة ادهى وامر **واذ تاذن ربك**
منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تع واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى
اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث بنفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد
الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل **ليبعثن عليهم الى يوم القيمة** اى واذكر وقت ايجابه
تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة **من يسومهم سوء العذاب** كالاذلال وضرب الجزية
وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تع عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة
الى اخر الدهر **ان ربك لسريع العقاب** عاقبهم في الدنيا **وانه لغفور رحيم** لمن تاب وامن منهم
وقطعناهم اى فرقنا بنى اسرائيل **في الارض** وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا
تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لاتكون لهم شوكة وقوله تع **امما** اما مفعول ثان لقطعنا
او حال من مفعوله **منهم الصالحون** صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن يسير بسيرهم
ومنهم دون ذلك اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم **لعلهم يرجعون** عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي **فخلف
من بعدهم** من بعد المذكورين **خلف** اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع
وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم **ورثوا الكتاب** اى التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها **ياخذون
عرض هذا الادنى** استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى ياخذون حطام

حطام هذا الشئ الادنى اى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من
الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا **ويقولون سيغفر لنا** ولا
يؤاخذنا الله تع بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار و
المجرور او مصدر ياخذون **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** حال من الضمير في لنا اى يرجون
المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عايدون الى مثله غير تائبين عنه **الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب** اى الميثاق الوارد في الكتاب **ان لا يقولوا على الله الا الحق** عطف بيان
للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة
بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تع خروج عن ميثاق الكتاب **ودرسوا ما فيه** عطف
على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض **والدار الاخرة خير للذين يتقون**
ما فعل هؤلاء **افلا تعقلون** فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ **والذين يمسكون بالكتاب** اى يتمسكون في
امور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عم لم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة
وقال عطاء هم امة محمد عم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تع
واقاموا الصلوة ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة
بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها
عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما
الرفع على الابتداء والخبر قوله تع **انا لا نضيع اجر المصلحين** والرابط اما الضمير المحذوف كما هو
راى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما راى الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم
كما في قوله تعالى مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم في مصلحين فانه من الروابط ومنه نعم
الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون
او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله **واذ نتقنا الجبل فوقهم**
اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم **كانه ظلة** اى سقيفة وهي كل ما اظلك **وظنوا** اى تيقنوا
انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لايثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن
في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله عليهم
الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم **خذوا ما اتيناكم** اى وقلنا او قائلين خذوا
ما اتيناكم من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو **واذكروا ما فيه**
بالعمل ولا تتركوه كالمنسى **لعلكم تتقون** بذلك قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق او راجين ان
تنتظموا في سلك المتقين **واذ اخذ ربك** منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا
مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع
فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اى واذكر لهم اخذ ربك **من بنى ادم** المراد بهم الذين ولدهم
كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت
صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء

وهو السر في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى
ضميره عم للتشريف وقوله تعالى **من ظهورهم** بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى
للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد
الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد أخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا
في ارحام الامهات وقوله تعالى **ذريتهم** مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على
ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد
بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود والمعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا
اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه
من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل **واشهدهم على انفسهم**
اشهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على انفسهم لا على غيرها تقريرا لهم
بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية وعلى الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى
ألست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان
يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا **بلى شهدنا** اي على
انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا
في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد
والاسلام كما ينطق به قوله عم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة
من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم على الآفاق
والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة
من حمله تعالى اياهم على الاعتراف به بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من
غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وقوله **أن يقولوا** بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم
مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية واياما كان
فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة
او يقولوا هم **يوم القيمة** عند ظهور الامر **انا كنا عن هذا** عن وحدانية الربوبية واحكامها
غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من
الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم
على الفطرة السليمة وقوله تعالى **او تقولوا انما أشرك آباؤنا** عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون
الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه **من قبل** زماننا **وكنا** نحن **ذرية من بعدهم** لا
نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل **افتهلكنا بما فعل المبطلون** من آبائنا المضلين
بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او نأخذ بأنفسهم لكنا الحق اي ان
ما ذكر من استعدادهم الكامل سد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة

والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن
ابن عباس من انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن
عمر رضي الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال
ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة
يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى
انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم
الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عم وكان مساق الحديثين الشريفين
بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية
الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان
عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم
من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث
رضي الله عنه
ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله
تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير واقع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا
فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لا بما قيل من ان الله قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله
فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الا
حتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما
يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل
مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا
تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا
لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ
والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء
هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه تعالى
فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا
نردكم ونكذبكم **وكذلك** اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم
على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة
نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك **ولعلهم يرجعون** ولكي يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل
وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالواو ان ابتدائيتان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على
مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا
الخ **واتل عليهم** عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الانباء عن الحور بعد الكور والضلال
بعد الهدى اي واتل على اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد
علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى

وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا
ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام
توبيخ اليهود بسيئاتهم **فانسلخ منها** اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او
خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط
بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال
الاتصال **فاتبعه الشيطان** اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه
من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته **فكان من الغاوين** فصار
من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه
ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل وقيل في القصة
وبردة ان البتة كان لموسى عم وجار راحة واغاعذب به بنوا اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه
عم عليهم كما في سورة المائدة **ولو شئنا** كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من
الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه **لرفعناه** اي الى منازل العالية للابرار العالمين
بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه
مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل
المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى **بها** اي بسبب تلك الايات
بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى
منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند
ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض** مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق
عند صرف اختياره الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لفعلناه فترك في كل من
المقامين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان
الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا مدخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله
من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد بالارادة التابعة
له سبحانه وتعالى كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان
السنة القرانية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه
اثر الدنيا على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضا عن
تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشار بقوله **فمثله كمثل**
الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل **ان تحمل عليه**
يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث في
حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية
على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة و

وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل
في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء
هيجته وازعجته بالطرد والعنف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المسخن
وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس
الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في
المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل لها من الاعراب على منهاج قوله تعالى
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هي في محل النصب على
الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول
الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى انذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واما
كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب ودوام
القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل
لما دعا بلعم على موسى عم خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك **ذلك** اشارة
الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء **مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** وهم اليهود حيث اوتوا
في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القران المعجز وما فيه وصدقوه وبشروا
الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة
فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك **لعلهم**
يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك
قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او
على انها مفعول له اي فاقصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم **ساء مثلا** استئناف مسوق لبيان كمال
قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر
له والمخصوص بالذم قوله تعالى **القوم الذين كذبوا باياتنا** وحيث وجب التصادق بينه وبين
الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز
اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير
بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة وربط قوله تعالى **وانفسهم كانوا**
يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب ايات
الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالايات متضمن للظلم
بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول **من يهد الله فهو المهتدي** لما امر النبي
صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا
ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة
من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير

تأثير ما فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيلها حسبما نيط به خلق الله تعالى إياه
كسائر أفعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعاً لكن لا لأن حقيقتها الدلالة الموصلة
إلى البغية البتة بل لأنها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة أي ما يوصل إلى البغية أدنى ما
من شأنه الإيصال إليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الإخبار
باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء
ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم
يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر بالمعنى
يهد الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائناً من كان **ومن يضلل**
بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها **فأولئك** الموصوفون بالضلالة
على الوجه المذكور **هم الخاسرون** أي الكاملون في الخسران لا غير وإفراد المهتدي نظراً إلى لفظ من
وجمع الخاسرين نظراً إلى معناها للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلالة **ولقد ذرأنا**
كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أي خلقنا **لجهنم** أي لدخولها والتعذيب بها
وتقديمه على قوله تعالى **كثيراً** أي خلقاً كثيراً مع كونه مفعولاً به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطها
بينهما وتأخيرها عنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى **من الجن والإنس** متعلق بمحذوف
هو صفة لكثيراً أي كائناً منهم وتقديم الجن لأنهم أعرق من الإنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر
عدداً وأقدم خلقاً والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من
غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً بل يصرفونه
إلى الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم
مغيا بها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل
خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى **لهم قلوب**
في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيراً وقوله تعالى **لا يفقهون بها** في محل الرفع على أنه صفة لقلوب
مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية
لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الإغراق
في القساوة فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأساً وكذا الحال في أعينهم
وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئاً مما من شأنه أن يفقه فيدخل
فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولاً أولياً وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن كنه حالهم
ولهم أعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص
بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو
وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئاً من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق
اندراجاً أولياً **ولهم آذان لا يسمعون بها** أي شيئاً من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولاً
أولياً وإعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها
لتقرير سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن
يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم

في الجهل والغواية ما لا يخفى **أولئك** إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى
البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال أي أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة **كالأنعام** أي
في انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها
بل هم أضل فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية
جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار
بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها تعرف صاحبها
وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء أطوع
لله من ابن آدم **أولئك** الموصوفون بما مر من مثلية الأنعام والشرية منها **هم الغافلون** الكاملون
في الغفلة المستحقون لأن يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وأنهم لا يعرفون من شؤون الله
عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئاً فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم أصنامهم التي
هي أخس مخلوقاته تعالى **ولله الأسماء الحسنى** تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة
مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الأمور وما لا يليق به إثر بيان غفلتهم التامة
وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الأحسن أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن
المعاني وأشرفها **فادعوه بها** أي فسموه بتلك الأسماء **وذروا الذين يلحدون في أسمائه** الإلحاد
واللحد الميل والانحراف يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي أي يميلون في
شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل
البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نجي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن
ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك
الإضمار بأن يقال يلحدون فيها وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا
وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب أيضاً وبالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة
فالمعنى سموه تعالى بجميع أسمائه الحسنى واجتنبوا إخراج بعضها من البين وإما بأن يطلقوها على غيره
تعالى كما يسموا أصنامهم آلهة وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى
من العزيز فالمراد بالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والإظهار في موقع الإضمار مع التجريد
عن الوصف في الكل للإيذان بأن إلحادهم في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك
الاجتناب عن ذلك إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الإعراض
عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقباً لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى
سيجزون ما كانوا يعملون فإنه استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة والإعراض
عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبالي بإلحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لأنه سينزل بهم عقوبته وتشتفوا
بذلك عن قريب وأما على الوجهين الأولين فالمعنى اجتنبوا إلحادهم كيلا يصيبكم ما أصابهم فإنه
سينزل بهم عقوبة إلحادهم **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** بيان إجمالي لحال
من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق ومحل الظرف
الرفع على أنه مبتدأ إما باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى
ومن الناس من يقول الخ أي وبعض من خلقنا أو وبعض من خلقنا أمة أي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين

بالحق او يهدون بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يعدلون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي عليه السلام انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروى لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله وروى لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه دلالة على صحة الاجماع مالا يخفى والاقتصار على نعتهم هداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به **والذين كذبوا باياتنا** شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل **سنستدرجهم** اي نستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط والاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى **من حيث لا يعلمون** متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم **وأملي لهم** عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تحويل القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسيط المدبرات فناء دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والالتفات الى التكلم في سنستدرجهم للاحتراز عن ارادها في قوله لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء **ان كيدي متين** تقرير للوعيد وتأكيد له اي قوي لا يدفع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فلا يتفق بل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما **أولم يتفكروا ما بصاحبهم**

330

من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وما نافية واسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي أكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى أولم يتفكروا اي أكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه عليه السلام مع وضوح نبوته عليه السلام لما ان التكلم بما هو خارق لمقتضى العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تأييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية وليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله تعالى وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هو المجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى **ان هو الا نذير مبين** جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عليه السلام على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى **أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض** استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الايات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي أكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة **وما خلق الله** اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصهما بالكمال لظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وليس قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى **من شيء** بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع

المجيد وسبيل واضح الى علم التوحيد وقوله تعالى **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** عطف على
ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون
ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب
اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخرهم للنظر والتامل اى لعلهم يموتون
عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية
وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم
لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل **فباي حديث بعده يؤمنون** قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له
بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون
وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتاويلها
بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من
احواله عز واحوال المصنوعات فباي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد
القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا
به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر
كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوات وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباي حديث
بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اى فباي حديث
بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى **من يضلل الله فلا هادي له** استئناف
مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى **ويذرهم في طغيانهم** بالياء والرفع على
الاستئناف اى وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اى ونحن نذرهم وقرئ
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي
الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى **يعمهون** اى يترددون ويتحيرون حال
من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا
الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل **يسألونك عن الساعة** استئناف مسوق
لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اى عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان
قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا
منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى **ايان مرساها**
بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل المضارع
دون الماضي بخلاف متى يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناها اى وقت وهو
من اويت الى الشيء لان البعض آو الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر
اى متى ارساؤها اى اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل
الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على
البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من

المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة
اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصود الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها
المعين لا وقتها باعتبار كونها محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم
المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل انما علمها** اى علمها بالاعتبار
المذكور **عند ربي** ولم يقل انما علم وقت ارسائها ولم يتنبه لهذه النكتة من حمل النظم الكريم على حذف
المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب
على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به
بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى **لا يجليها لوقتها الا هو** بيان
لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته
تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية
كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي
تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن
لا بان يخبرهم بوقتها كما هو المسؤول بل بان يظهرها بغتة هو وهاهنا كما يفصح عنه
التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اى في وقتها قيد
للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على
الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها
الذي يسألون عنه وقوله تعالى **ثقلت في السموات والارض** استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله
اى كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول
وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها
منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى **لا تأتيكم الا بغتة**
فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اى لا تأتيكم الا فجأة
على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **يسألونك كأنك حفي عنها** استئناف
مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه
عليه السلام عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطئهم في اصل السؤال
باعلام شأن المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف وحفي صفة
بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطئهم في ذلك اى يسألونك مشبها حالك
عندهم بحال من هو حفي عنها اى مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال
عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم
علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اى استئصاله
والاحفاء في المسألة اى الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض
وصلة حفي محذوفة اى حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان
قريشا قالوا له صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك

حفي تحفى بهم تخصصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من
جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره
لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استاثر الله عز وجل بعلمه **قل انما علمها عند الله** امر عليه السلام باعادة
الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ
عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى **ولكن
اكثر الناس لا يعلمون** اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راسا فلا
يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها
فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه
ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين وان السائلين
عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل
عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال
العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع و
الضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق باملك او بمحذوف وقع حالا من
نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما **الا ما شاء الله** ان املكه من ذلك
بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه اي لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا
ابلغ في اظهار العجز **ولو كنت اعلم الغيب** اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات
المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة **لاستكثرت
من الخير** اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه
وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فان
منه ما لا مدفع له **ان انا الا نذير وبشير** اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شاني
حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها
وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها
واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار
عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى **لقوم يؤمنون**
اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير
محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه
ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان **هو الذي خلقكم**
استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية
لذلك وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اي هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا
وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه **من نفس واحدة** هو آدم وهذا
نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن
خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته **وجعل** عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه

تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود **منها** اي من جنسها كما في قوله تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام
والاول انسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الالفة لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى
زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال
من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى **ليسكن اليها** علة غائية للجعل باعتبار تعلقه
بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير
الضمير ويفصح عنه قوله تعالى **فلما تغشاها** اي جامعها **حملت حملا خفيفا** في مبادي
الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب
والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق
من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة **فمرت به** اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت
وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو
المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا
خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله فمرت به
مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى **فلما اثقلت** اذ معناه فلما
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى
المذكور وانما تقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ
اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها **دعوا الله** اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر
لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى **ربهما** اي مالك امرهما
الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية
ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان يؤتيهما ولدا صالحا
ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا والله **لئن آتيتنا صالحا** اي ولدا
من جنسنا سويا **لنكونن** نحن ومن يتناسل من ذريتنا **من الشاكرين** الراسخين في الشكر على
نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان
ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيارها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها
وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن
آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل الضمير في آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما
وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشان ما
هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل
بالاعتناء المذكور بل مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى **فلما آتاهما صالحا** لما
آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى **جعلا** اي جعل
اولادهما **له** تعالى **شركاء** على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر
وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى **فيما آتاهما** اي فيما آتى اولادهما من

الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ
مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر
في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي
شركة اي شركا ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون
للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما وبتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها
المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع تعلقه حقيقة
ليس الا باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في
قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد اسند
اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل
المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى
حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك
قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا موكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به
بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم
بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات
فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام **فتعالى الله عما يشركون**
تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن
الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام
عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركون به
سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ
تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة
نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا
فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون
لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال
لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
فذكرته لآدم فاهمهما ذلك ثم عاد اليهما وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما
ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات
فعدم علمه بابليس واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة
الحال **أيشركون** استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله
بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي
ايشركون به تعالى **ما لا يخلق شيئا** اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود
ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى **وهم يخلقون** عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بصيغة جمع
العقلا مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى

العقلا وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية
لابانة كمال المنافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق
شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقهما
للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم
وخطب ملم **نصرا** اما بجلب منفعة او دفع مضرة **ولا انفسهم ينصرون** اذا اعتراهم حادثة
من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة
ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم والى انفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال المنفعة الوجودية
اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هنالك بالمخلوقية لكونهم اصلا لها وهاهنا لم يوصفوا بالمنصورية
لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** بيان لعجزهم عما هو ادنى من
النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من
غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ
والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره
لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون** استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم
الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله
ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية كانها في قوة ام صمتم
عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان
الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده
سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى
الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة **ان الذين تدعون من دون الله** تقرير لما قبله من عدم
اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم**
اي مماثلة لكم لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع
والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز
انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى
فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب
نفع او كشف ضر **ان كنتم صادقين** في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه
وقوله تعالى **ألهم أرجل يمشون بها** الخ تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة
ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حواس وقوى
محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل ألهم هذه الآلات
التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات
الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف
في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو

الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها
ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث
الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت
والالزام بل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن اخر منه لما ذكر من
المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون
بها ما يريدون اخذه وتأخيرها عما قبلها لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة
الى الغير واما تقديمها على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها مع ان
الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء
المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا
واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل
ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية
بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا
شركاءكم بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يناصبهم المحاجة ويكر عليهم بالتبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون
جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي
فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب
تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية
والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب
الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو
يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده
وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم حسبما
امرتكم به لا يستطيعون نصركم في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون
اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق
او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع
وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم
عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول
والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك و
يخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من
قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم
مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات
السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل
ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان
التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه

عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون
اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك
تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة
ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من اباطيل
المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر عليه السلام بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ
ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما لا يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ
العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالجميل
المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة
ولا مكافاة قيل لما نزلت سال رسول الله جبريل عليهما السلام فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال
يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال عليه السلام كيف يا رب والغضب
فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته
للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما
يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله
فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول
او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة
كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن
العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة
التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك
عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما
قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن
الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة
منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم
او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من
الواوي واليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سياتي تذكروا اي
الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكائد
الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في
الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه
ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل
والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية
ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد
بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم
باية من القران عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى

جاء لنفسه اى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك ان سائر الآيات ايضا كذلك وهلا تلقيتها من
ربك استدعاء **قل** ردا عليهم **إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي** من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك
اصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى
نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي كلفوه اياه صلى الله عليه وسلم لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام
بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى
وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من تشريفه والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى
الي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين
نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اى بصائر كائنة منه تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى **وهدى ورحمة**
عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى **لقوم يؤمنون** للايذان بان كون القرآن
بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص
بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة من تمام القول المأمور به **وإذا
قرئ القرآن فاستمعوا له** ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي
عليها القرآن واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول
وأنصتوا اى واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع
لعلكم ترحمون اى تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي و
جوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول
القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه استماع المؤتم وقد روي
انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ الصحابة رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج
الصلوة فعامة العلماء على استحبابها والآية من تمام القول المأمور به او استيناف من جهته تعالى فقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني تجريد للخطاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة
تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا **ودون الجهر من القول** اى ومتكلما كلاما دون الجهر
فانه اقرب الى حسن التفكر **بالغدو والآصال** متعلق باذكر اى اذكره في وقت الغدوات
والعشيات وقرئ والايصال مصدر آصل اى دخل في الاصيل موافق للغدو **ولا تكن من الغافلين**
عن ذكر الله تعالى **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته** وهم الملائكة عليهم السلام
ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى **ويسبحونه** اى ينزهونه
عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه **وله يسجدون** اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون
به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله

الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف
جعل الله تعالى يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم عليه السلام شفيعا له يوم القيمة والله تعالى
اعلم بالصواب

سورة الانفال مكية وهي سبعون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت بها لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل
الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من
المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون في اللام روي ان المسلمين
اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم
فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين
واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا
عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان
نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام
ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك
فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها
كما نطق به الوجه الآخر وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد
بن ابي وقاص رضي الله عنهما وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة
وعطاء يسألونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب
عنه الجواب بقوله تعالى **قل الانفال لله والرسول** اى حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام
كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان
اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها
بموجب شرط الرسول الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص
المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل
وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام للنسخ من غير علم بالناسخ الاخر ولا مساغ للمصير الى ما
ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال
فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق
انه لا نسخ حينئذ حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا
ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء
اقتضاء هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة
يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام بيان

الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيانه كونه
عليه السلام خاصة مما لا يليق بشان التنزيل الكريم اصلا وقد روى عن سعد ابن ابي وقاص انه قال لما قتل اخي عمير
يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عم ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب
فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه
عم ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب
الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام بما لا
يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي صريح في ان
مناط صيرورته له عم قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض ان المانع من اعطاء المسؤول وما
هو نص في الباب قوله عز وجل **فاتقوا الله** اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه
واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما
تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب
اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم **واصلحوا ذات بينكم** جعل ما بينهم من الحال
لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا
ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت
نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا
فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة
رسوله واصلاح ذات البين وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل
فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **واطيعوا الله ورسوله** بتسليم امره ونهيه وتوسيط
الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام
وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب
محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق
المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان
كماله اي ان كنتم كاملين في الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء
المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المؤمنون** جملة مستأنفة مسوقة لبيان من يريد
بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في
الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه **الذين اذا ذكر الله وجلت**
قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما
لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه
وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت **واذا تليت عليهم آياته** اي آية كانت
زادتهم ايمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة

زيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار
زيادة المؤمن به كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل
باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي
التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا
بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة **وعلى ربهم** مالكهم ومدبر امورهم خاصة
يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى **الذين**
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على القطع المنبئ عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة
اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلاة والصدقة **اولئك**
اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك
عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف **هم المؤمنون حقا** لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل
من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا
حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كذلك هو عبد الله حقا **لهم درجات** من الكرامة والزلفى
وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كانه
قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى **عند ربهم**
اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف
الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعدهم متيقن الثبوت والحصول
مأمون الفوات **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** لا ينقضي امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم
من نعيم الجنة **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم
لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله تعالى الانفال لله
اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة
او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** اي والحال ان فريقا
منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على
كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بنت
عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من
الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال
ابو جهل ما يرضى رجالكم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير
فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك

اذا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان
محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما
في السنة فنزل جبريل عم فقال ان الله تعالى وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ردد عليهم فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله
لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عم اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما
دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو
يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت
الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان
لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة
الله تعالى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله تعالى
وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد
اعطاك ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة
استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون
وقوله تعالى **بعد ما تبين** منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم
ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك
لكراهتهم القتال **كانما يساقون الى الموت** الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون
اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل **وهم ينظرون** حال من ضمير يساقون
اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف
والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان **واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين** كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين مع ما
بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع

فقالوا ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل م

مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون
الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى **انها لكم**
بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم
مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم **وتودون** عطف
على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون **ان غير ذات الشوكة تكون لكم** من الطائفتين
لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها
الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم
وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك
القنا شباها **ويريد الله** عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطفه
بهم مع زيادة هممهم وقصور ارائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم
لادناهما واراده تعالى لاعلاهما وقوله تعالى **ان يحق الحق** اي يثبته ويعليه **بكلماته** اي بآياته
المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب
بدر وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون
سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان
بين المرادين وقوله تعالى **ليحق الحق ويبطل الباطل** جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية
الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه
الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم
يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل **ولو كره المجرمون** اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال
الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه
والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى ح وقيل متعلق
بقوله ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق الحق مستقبل لانه منصوب بان فلا
يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية
له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر
عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك
انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف
والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه
على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك

فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة **انى ممدكم** اى بانى فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة
على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول **بالف من الملائكة**
مردفين اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم
وقد اكتفى هنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم
ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم
بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اى متبعين او
متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال
واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف كما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم ومن قاتل منهم
واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل على وقوعها **وما جعله الله** كلام مستأنف
سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا
من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر
يقتضيه المقام انتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امداده بهم **الا بشرى**
لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشئ من الاشياء الا للبشرى
لكم بانكم منصورون **ولتطمئن به** اى بالامداد **قلوبكم** وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبنى
اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقى الثانى على حاله
لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان
امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأى بعض السلف وقيل الجعل متعد
الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء الا
بشارة لكم فاللام فى ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا
لشئ آخر **وما النصر** اى حقيقة النصر على الاطلاق **الا من عند الله** اى الا كائنا من عنده عز وجل
من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية
ان الله عزيز لا يغالب فى حكمه ولا ينازع فى اقضيته **حكيم** يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات
الحكم البالغة **اذ يغشاكم النعاس** اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما فى تستغيثون
او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما فى من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس
بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل فى الوجهين هو البارى تعالى وقرئ
يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى **امنة منه** على القراءتين الاوليين منصوب
على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا

لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اى فتأمنون امنا كما فى قوله تعالى وانبتها نباتا
حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة
الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه فى حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل
مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة **وينزل عليكم من السماء ماء** تقديم الجار والمجرور على المفعول
بما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة لوروده فيتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من
بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال **ليطهركم به** اى من الحدث الاصغر والاكبر **ويذهب**
عنكم رجس الشيطان الكلام فى تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته
وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا
فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على
الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم
مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذى كان
كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت
القلوب وذلك قوله تعالى **وليربط على قلوبكم** اى يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة
طلائعه **ويثبت به الاقدام** ولا تسوخ فى الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان
القلب اذا قوى وتمكن فيه الصبر والجرأة لا تكاد تزل القدم فى معارك الحرب وقوله تعالى
اذ يوحى ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم
بطريق التجريد حسبما نطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحى المذكور
قبل ظهوره بالوحى المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التى يقف عليها عامة الامة كسائر النعم
السابقة التى امروا بذكرها بطريق التشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد
ح من عود الضمير المجرور فيه الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الاقدام بتقوية قلوبكم
وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور
بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه
تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته
وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى
اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة **انى معكم** اى بالامداد والتوفيق فى امر التثبيت فهو مفعول
يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحى مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية
الملائكة انما هى من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما فى امثال
قوله تعالى **فثبتوا الذين آمنوا** الترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات
التثبيت واختلفوا فى كيفية التثبيت فقال بعضهم انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد
ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم فى القتال بمعنى التثبيت وحقيقته

التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي أنه
كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي ويقول إني سمعت المشركين يقولون والله
لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم وقال آخرون أمروا
بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب** تفسيرا لقوله تعالى
أني معكم وقوله تعالى **فاضربوا** الخ تفسيرا لقوله فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي
داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا أنه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر
لأضربه فوقعت رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه
أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن
يصل إليه السيف وأنت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملابسته لمعنى تثبيت المؤمنين مما
يتوقف على الإمداد وبإلقاء الرعب فلا يحسن ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر له بأن
قوله تعالى سألقي الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك أثر قوله تعالى فثبتوا الذين
آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات
على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما أنزلت بعد
تمام الوقعة وقوله تعالى **فوق الأعناق** أي أعاليها التي هي المذابح لأنها ما فيها **واضربوا منهم كل بنان**
قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال أبو
الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قاله ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي
اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي
والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم
متعلق به أو بمحذوف وقع حالا لا مما بعده **ذلك** إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من
معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **بأنهم شاقوا الله
ورسوله** أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلا
واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة
والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير
عدوة الآخر وخصمه **ومن يشاقق الله ورسوله** الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة ولإظهار
كمال شناعة ما اجترءوا عليه والإشعار بعلة الحكم وقوله تعالى **فإن الله شديد العقاب**
إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من يلزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف
أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه
وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله
وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسببه عقاب شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم
لهما عقاب شديد وأما أنه وعيدهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما
بعده من قوله تعالى **ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار** فإنه مع كونه هو المسوق للوعيد

بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى
ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه
قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله وأن للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي
أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر و
تعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله وأن
للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب
النار آجلا وقوله فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار
إليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد
بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف **يا أيها الذين آمنوا**
خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارا
للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه **إذا لقيتم الذين كفروا زحفا**
الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا إذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم
المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل
فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم
وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال من مفعول
لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وإما
كونه حالا من فاعله أو منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى **فلا تولوهم الأدبار** إذ لا
معنى لتقييد النهي عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو
الداعي إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يومئذ حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم
وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم
في العدد أو تساووهم **ومن يولهم يومئذ** أي يوم اللقاء **دبره** فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء
إلا متحرفا لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه
أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه
وهو باب من خدع الحرب ومكايدها **أو متحيزا إلى فئة** أي منحازا إلى جماعة أخرى من المؤمنين
لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سرية فروا وأنا معهم فلما رجعوا
إلى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال عليه السلام بل أنتم
العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال
يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها
وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا **فقد باء** أي رجع
بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى **من الله** متعلقة بمحذوف هو صفة
لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن منه تعالى

ومأواه جهنم اى بدل ما اراد بفراره ان يأوى اليه يأوى بعيدا من القتل وبئس المصير فى ايقاع البوء فى موقع جواب الشرط الذى هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من النصف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اى فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على حذافة وقيل لما روى انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله عنه اعطنى قبضة من حصا الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمى الظاهر على يده عليه السلام من افعاله عز وعلا وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى بيان حال الرمى نفيا واثباتا وهو الذى ظهر منه ما ظهر وهو المنشى لتغير المرمى به فى نفسه وتكثره الى حيث اصاب عينى كل واحد من اولئك الامة الجمة شىء من ذلك اى وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى فى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فهذا اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام لكون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع فى المحلين واللام فى قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه اى ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اى عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متاخر فالواو اعتراضية اى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشىء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى الخ وقوله تعالى ان الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم اى بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمى والمبتدأ الامر ذلكم اى الغرض ذلكم وقيل ذلكم مبتدأ خبره محذوف اى ذلكم الامر كما ذكر وقيل يكون قوله تعالى وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد

صلى الله عليه وسلم

340

زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجىء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول عليه السلام فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحال الذى اعتدتموه او لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اى الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث الفئة غير حقيقى وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التى تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اى من الاغناء او من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه وان الله مع المؤمنين اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك اى والامر ان الله مع المؤمنين ويعضده قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول عليه السلام فهو خير لكم من كل شىء لما انه مناط نيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين فى الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احد الثانى بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى فى طاعة رسوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الدال عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولى مطلقا كما فى قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهى عنه بحال السماع كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم فى سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهى كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه كانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة فى التحذير وتقريرا للنهى اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اى فى حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شىء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقد العقل ايضا فهو الغاية فى الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله تعالى فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولو وقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم

جواب

ع

فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه
بقوله تعالى **ولو اسمعهم لتولوا** اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية
لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا او
فى لم يقع **وهم معرضون** اما حال من ضمير تولوا اى تولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه
بقلوبهم واما اعتراض تذييلى اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
احيى قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصى الخ
وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون
نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فاتلهم الله فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللوا
وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب **يا ايها الذين آمنوا** تكرير النداء
مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم
على ان فيهم ما يوجب ذلك **استجيبوا لله وللرسول** بحسن الطاعة **اذا دعاكم** اى الرسول اذ
هو المبلغ لدعوة الله تعالى **لما يحييكم** من العلوم الدينية التى هى مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل
مدار الموت الحقيقى او هى ماء حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو
رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة روى انه عليه السلام مر على ابى بن كعب وهو
يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتى قال كنت فى الصلوة
قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه
ودعائه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل
التأخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله **واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه** تمثيل لغاية قربه تعالى
من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب
على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته
ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه
ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف **وانه** اى الله عز وجل او الشأن **اليه تحشرون** لا الى
غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعته وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل
يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله تعالى لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى
ان اصابتكم لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى
النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان
النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف
المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة

اصد ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح
منه من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب** ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه **واذكروا
اذ انتم قليل** اى وقت كونكم قليلا فى العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من
القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى **مستضعفون** خبر ثان او صفة لقليل وقوله
تعالى **فى الارض** اى فى ارض مكة تحت ايدى قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس
والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدى الطائفتين وقوله تعالى **تخافون
ان يتخطفكم الناس** خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد او حال من
المستكن فى مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم
منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثانى فارس والروم اى واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم
على الناس وخوفكم من اختطافهم **فآواكم** الى المدينة وجعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم **وايدكم
بنصره** على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة **يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** اصل الخون
النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونوهما بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى الغنائم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من
ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى
اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى
فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من
مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم معطوف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن
من القبيح **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** لانها سبب الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة من
الله عز وجل ليبلوكم فى ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابى لبابة **وان الله عنده اجر عظيم**
لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه **يا ايها الذين آمنوا**
تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضى الايمان
مراعاته والمحافظة عليه كما فى الخطاب السابق **ان تتقوا الله** اى فى كل ما تأتون وما
تذرون **يجعل لكم** بسبب ذلك **فرقانا** هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا
يفرق بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما
تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اى الصبح **ويكفر عنكم سيئاتكم** اى يسترها **ويغفر لكم** بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر

والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم وتوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله لهم على التقوى تفضل منه
واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل وإذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية عطف بحوطب النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا
اذ انتم لا مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اى واذكر واذ
يمكرهم بك ليثبتوك بالوثاق وبعضده قراءة من قرا ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى
اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اى بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عم فرقوا واجتمعوا
في دار الندوة يتشاورون في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من
نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان
تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه
على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال وبئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال
ابو جهل انا رايي ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رايه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه
على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اى برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبا بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه
مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه وإذا تتلى عليهم آياتنا التي
حقها ان تحرك صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث
واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برايه وقيل قالوا
الذين ائتمروا في امره في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية الضلال كيف ولو
استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز
وذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اى ما يسطر ونه من القصص وإذ
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له
النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك
فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم
التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا لا فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويز
ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم

الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على
ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير
مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم
العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اى وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون
وهم يصدون عن المسجد الحرام اى وحالهم ذلك ومن صدهم الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا
من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من
يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند
البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعونه موضعها الا مكاء اى صفيرا فعال من مكا
يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اى تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على
ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة
الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب
يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب
اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت
في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في
ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب
العير فانه لما اصيبت قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه
ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم
احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته
وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة
وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا
اى ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث
من الطيب اى الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما
انفقه المشركون في عداوة رسول الله عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم
تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
اى يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه لزيادة به

عذابه كما الكافرين فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث إذ هو عبارة عن الفريق أو إلى المنفقين
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران
لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم قل للذين كفروا هم أبو سفيان وأصحابه إن ينتهوا عما هم فيه من معاداة
النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ إن تنتهوا يغفر
ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين
الذين تحزبوا على الأنبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف
على قل وتعميم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت
سنة الأولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة أي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل
الأديان الباطلة إما بإهلاك أهلها جميعا أو برجوعهم عنها خشية القتل فإن انتهوا عن الكفر
بقتالكم فإن الله بما تعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم وإسلامهم وقرئ بتاء الخطاب أي بما
تعملون من الجهاد المخرج لهم إلى دار الإسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على أنهم يثابون
بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وإن تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا أن الله مولاكم
ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره
واعلموا أنما غنمتم عن الكلبي أنها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف
أي الذي أصبتموه من الكفار عنوة وأصل الغنيمة إصابة الغنم من العدو ثم اتسع وأطلق على كل ما أصيب
منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على أنه حال من عائده الموصول
قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وأن لا يشذ عنها شيء أي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط
والمخيط خلا أن سلب المقتول للقاتل إذا نفله الإمام وأن الأسارى يخير فيها الإمام وكذا الأراضي
المغنومة وقوله تعالى فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فحق أو فواجب أن لله تعالى خمسه وهذه
الجملة خبر لأن إلخ وقرئ بالكسر والأولى آكد وأقوى في الإيجاب لما فيه من تكرر الإسناد كأنه
قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل إلى الإخلال به وقرئ فلله خمسه بسكون الميم والجمهور على أن
ذكر الله للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسمة الخمس على
المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وإعادة اللام في ذوي القربى دون غيرهم من الأصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي
لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان
وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب
أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وإياهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام
إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وكيفية قسمتها عندنا أنها كانت في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي قرباه
وثلاثة أسهم للأصناف الثلاثة الباقية وأما بعده فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وإنما يعطون
لفقرهم فهم أسوة لسائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على الأصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن أبي بكر

رضي الله عنه أنه منع بني هاشم الخمس وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم
له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي أنه
قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف
إلى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى
من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك
الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضا منهم دون بعض
وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم وتعلق أبو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة أسهم
ويصرف سهم الله إلى رتاج الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول عليه السلام هذا شأن
الخمس وأما الأخماس الأربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند أبي حنيفة رحمه الله
وثلاثة أسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغانمين
وقوله تعالى إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور أي إن كنتم آمنتم به تعالى
فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به إلى الله تعالى فاقطعوا أطماعكم واقنعوا بالأخماس الأربعة
وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لأمره تعالى وما أنزلنا عطف على
الاسم الجليل أي إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع أريد به الرسول
عليه السلام والمؤمنون فإن بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه
بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم يوم التقى الجمعان أي الفريقان من المؤمنين والكافرين
وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمراد بما أنزل الله عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة
والفتح على أن المراد بالإنزال مجرد الإيصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وتعليق الإيمان
بإنزال هذه الأشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث إن الوحي ناطق
بذلك وأن الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب أن يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة
مصروفة إلى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير على نصر القليل على الكثير والذليل
على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة
بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بها أيضا وهم بالعدوة القصوى أي البعدى
من المدينة وهي تأنيث الأقصى وكان القياس قلب الواو كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات
الواو ولكنها جاءت على الأصل كالقود واستصوب وهو أكثر استعمالا من القصيا والركب أي
العير وقوادها أسفل منكم أي في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة
الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا
قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم
وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس

الاصنام من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع
بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام
حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل
الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد واذ يريكهم الله في منامك قليلا
منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك
وهو ان تخبر اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم
وتهيبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله
سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة
والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب
بمضمر خوطب به الكل بطريق التغليب والضميران مفعولا يرى
وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عم ويقللكم في اعينهم حتى قال
ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤوا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة
فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد
الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله
واذلال الكفرة وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه
وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرفي النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين
لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا
الله كثيرا اي في تضاعيف القتال واستمدوا منه مستغنين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد
ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال
واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون
فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد
فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم
على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها

نهاية في تمشي امرها ونفاذه تشبيها بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون
الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب
ان الله مع الصابرين بالنصرة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر
فهم متبوعون من تلك الجهة ومعيته انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بعدما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها وتابعها والمراد بهم اهل مكة حين
خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما
بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار الجلادة فلقوا ما
لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامروا بالتقوى و
الاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا
ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا
غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا
ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل
لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في
صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة
تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما
لا ترون ودفع صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل
ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخاف ان يصيبني مكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو
الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاولى ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب
بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان
بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين
كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين
حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله
جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان
قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط
محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو لامتناع ترد المضارع ماضيا
كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من

الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار وكلمة إذ في قوله تعالى **إذ يتوفى**
الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين
يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز وجل والملائكة
مبتدأ وقوله تعالى **يضربون وجوههم** خبره والجملة حال من الموصول وقد استغنى فيها بالضمير عن الواو
وهو على الأول حال منه أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على ضميريهما **وأدبارهم** أي وأستاههم أو ما
أقبل منهم وما أدبر من الأعضاء **وذوقوا عذاب الحريق** على إرادة القول معطوفاً على يضربون
أو حالاً من فاعله أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي
لرأيت أمراً فظيعاً لا يكاد يوصف **ذلك** إشارة إلى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد
للإشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره **بما قدمت أيديكم** أي ذلك
الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله تعالى **وأن الله ليس بظلام**
للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير
عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً
عن كونه ظلماً بالغاً قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما
ما قيل من أنها معطوفة على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم
بغير ذنوبهم فليس بسديد لما أن إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب
هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع
تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج إلى ذلك **كدأب آل فرعون** في محل الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر
من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالإهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم و
للتنبيه على أن ذلك سنة مطردة فيما بين الأمم المهلكة أي شأنهم الذي استمروا عليه مما
فعلوا وفعل بهم من الأخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الأعمال وفظاعة العذاب والنكال
والذين من قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من
العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد وأضرابهم من أهل الكفر والفساد وقوله تعالى **كفروا بآيات**
الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فإن ذلك معلوم منه بقضية
التشبيه وقوله تعالى **فأخذهم الله** تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم
جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى **بذنوبهم** لتأكيد ما أفاده الفاء من السببية والإشارة
إلى أن لهم مع كفرهم ذنوباً أخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز أن يكون المراد بذنوبهم
معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها
فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما إن آل فرعون أيقنوا
أن موسى نبي الله فكذبوه وكذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه السلام بالصدق فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم عقوبته
كما أنزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع أنه ليس مما يتصور مداومتهم عليه ومنهم على ما يوجبه من
الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى **إن الله قوي**

قوي **شديد العقاب** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وقوله تعالى **ذلك** الخ استئناف مسوق
لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطاً بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة
ما يقتضيه وهو المشار إليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فإنه مع كونه معللاً بما ذكر
من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغيير حالهم كما
توهم إن السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان
عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل أن المعلل ترتب العقاب على كفرهم من
غير تخلف عنه ركوب شططها بل ولابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لأمر الكفر بآيات الله وإسقاط
له عن رتبة إيجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك أي ترتب العقاب على
أعمالهم السيئة دون أن يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك **بأن الله** أي بسبب أنه تعالى **لم يك** في
حد ذاته **مغيراً نعمة أنعمها** أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أنعم بها
على قوم من الأقوام أي نعمة كانت جلت أو هانت **حتى يغيروا ما بأنفسهم** من الأعمال والأحوال التي
كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السالفة مرضية صالحة
أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة أصنام
مستمرين على حالة مصححة لإفاضة نعمة الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالبينات غيروها إلى أسوأ منها وأسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين
وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال وعاجلهم بالعذاب والنكال
وأصل يك يكن فحذفت النون تخفيفاً لشبهها بحروف اللين **وأن الله سميع عليم** عطف على أن
الله الخ داخل معه في حيز التعليل أي وبسبب أنه تعالى سميع عليم يعلم جميع ما يأتون وما يذرون
من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من إبقاء النعمة وتغييرها
وقرئ وإن الله بكسر الهمزة فالجملة ح استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى **كدأب آل فرعون**
والذين من قبلهم في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف يغيروا ما بأنفسهم تغييراً كائناً كدأب آل
فرعون أي كتغييرهم على أن دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الأنسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى
كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه وقوله **فأهلكناهم** إخبار بترتب العقوبة عليه لا أنه من تمام تفسيره
ولا ضير في توسط قوله تعالى وأن الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب
محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما من قوله تعالى أولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة
على ما قبلها وأما على تقدير كونها اعتراضاً فلا اعتبار في توسطها قطعاً وقيل في محل الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة ح استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه
دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما
يلازم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذاً مما نطق به قوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة
الآية أي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب أولئك حيث غيروا
حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم حالهم وقوله
تعالى فأهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته وأما دأب قريش فمستفاد منه
بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير أحد الطرفين وأضاف

الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة
في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء وقوله تعالى بذنوبهم كالذي مر
وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق
وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل من الفرق المذكورين وكل من هؤلاء واولئك
او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك
او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله
تع عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب
لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها
حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تع فهم لا يؤمنون حكم مترتب على
تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا
جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل
وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان او نصب على الذم اي عاهدتهم
ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث
اخذه عم عهدهم اذ هو المنوط لما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده
كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم
ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على
تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذ منهم في كل مرة
اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل
اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة
في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة
على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة في
النقض الواقع بلا محاربة كنبذ السلاح ونحوه خارج من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم
خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون
عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في
كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج نقضهم بالنقض من
البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة
الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد
تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب
والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم
من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب
لشذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد

في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا
عن النقض او عن الكفر وقوله تع واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد
اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض
عهد فيما سياتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم
على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما
بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة
خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء
في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم وتستوي فيه انت وهم فهو على الاول
حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما
باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالاخرة حثا له عليه على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل
واما تعلمن خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم
ولا تحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من
ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع
بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق
به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان
يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول
الموصول المتناول للطرائف وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد
المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره
في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله افغير الله تامروني اعبد الاية قاله
الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ لا يحسبن الذين
بالياء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل
الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب
لا راحة فيما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي
المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمغالبة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت
فيمن افلت من فل المشركين وقرئ يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه
الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيه ما سبق وما لحق الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عم اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم
او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى
به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا
ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عم اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط
الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا

ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصل او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افراده كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عم **ترهبون به** اى تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اى اعدوا مرهبين به او من الموصول او من عايده المحذوف اى اعدوا ما استطعتموه مرهبا به **عدو الله وعدوكم** وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك اما لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة **وآخرين من دونهم** من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس **لا تعلمونهم** اى لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى **الله يعلمهم** لا غير فان اعيانهم معلومة لغيوبهم **وما تنفقوا من شيء** لاعداد العتاد قل او جل **في سبيل الله** الذي هو الجهاد **يوف اليكم** اى جزاؤه كلا **وانتم لا تظلمون** بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم **وان جنحوا** الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا **للسلم** اى للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما لكم من الاستعداد واعتاد العتاد **فاجنح لها** اى للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون **وتوكل على الله** ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد **انه** تعالى **هو السميع** فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع **العليم** فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسخها آية السيف **وان يريدوا ان يخدعوك** باظهار السلم وابطال الحرب **فان حسبك الله** اى فاعلم ان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم **هو الذي ايدك بنصره** تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستئناف فان تاييده تعالى اياه عم فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تعالى فيما سياتي اى هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات **وبالمؤمنين** من المهاجرين والانصار **والف بين قلوبهم** مع ما كان بينهم قبل من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عم **لو انفقت ما في الارض جميعا** اى لتاليف ما بينهم **ما الفت بين قلوبهم** استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة الماخذ اى تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخاير لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينهما لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهرا **ولكن الله الف بينهم** قلبا وقالبا بقدرته الباهرة **انه عزيز** كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شيء مما يريده **حكيم** يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع

جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحد وصاروا انصارا **يا ايها النبي** شروع في بيان كفايته تعالى اياه عم في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عم بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم **حسبك الله** اى كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب **ومن اتبعك من المؤمنين** في محل النصب على انه مفعول معه اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قوله فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راى الكوفيين اى كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلام عمر **يا ايها النبي** بعدما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امره عليه السلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان الماموربه **حرض المؤمنين على القتال** اى بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشرف على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال انى اراك في هذا الامر حرضا اى ممرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى **وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا** مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتاييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على انه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى **من الذين كفروا** بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ما ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر مع كونه معتبرا حتما تعويلا بذكره هنالك **ذلك بانهم قوم لا يفقهون** متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة تائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد منه مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا** لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي اباجهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل
عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في
الابتداء فلما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
في الاجتهاد في القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضُعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر
والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء
جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا
كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير
للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائتين والالف
غلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله
مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية نصره وتأييده ولم يتعرض
ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين
مجموع الامرين من نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر
وما أشير إليه بكلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان
لنبي وقرئ على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء
عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء ان تكون له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل و
اسارى حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقلل حزبه ويعز
الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله
الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف
مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة
اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه
وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل
نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصها بها كما امر بالاثخان
ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد
واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام
ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب قوم حتى تكون اشد من
الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك عفو رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء
بكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة

لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان
هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ
وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم فلا يصح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم
الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على ان ذلك
في قوة ان يقال لولا انه لا يعاقبهم على ما ذكر لعاقبهم لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب ما
بعدها على سبب محذوف وقد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه
سياق النظم الكريم وسباقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة
ما وقع في نفوسهم وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه
ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب
عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من
الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله
ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما
بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك
قال اخبرني به ربي تعالى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم
يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك
فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم
يعني الموعود بقوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي
وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته
عليه السلام بطريق الوعيد لهم والوعد له عليه السلام بالظفر بهم فقد خانوا الله من قبل بالكفر ونقض ما اخذ على كل عاقل
من ميثاقه فامكن منهم اي فاقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك
منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما
يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله باموالهم بان صرفوها الى الكراع
والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في
سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة
بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالانفس بلا مجاهدة بالاموال والذين
آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على

انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على عدوهم **اولئك** اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت
الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى
بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى **اولياء بعض** خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة
خبر للمبتدا الاول اى بعضهم اولياء بعض فى الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل النصرة والمظاهرة
ويرده قوله فعليكم النصر بعد نفى موالاتهم **والذين آمنوا ولم يهاجروا** كسائر المؤمنين **ما
لكم من ولايتهم من شيء** اى من توليهم فى الميراث وان كانوا اقرب اقاربكم **حتى يهاجروا** وقرئ بكسر
الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة **فان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر**
فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** معاهدة
فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم **والله بما تعملون بصير** فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اى فى الميراث او فى الموازرة بينهم وبين المسلمين
وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب **الا تفعلوه** اى ما امرتم به من التواصل بينكم
وتولى بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار **تكن فتنة فى
الارض** اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور الكفر **وفساد كبير** فى
الدارين وقرئ كثير **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا** كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح
المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى **لهم مغفرة ورزق كريم** لا تبعة له ولا منة فيه
فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل منهم **والذين آمنوا من بعد وهاجروا** اى بعد
هجرتهم **وجاهدوا معكم** فى بعض مغازيكم **فاولئك منكم** اى من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الحقهم بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا فى الايمان والهجرة وفى توجيه
الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى **واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض** آخر منهم فى التوريث من الاجانب **فى كتاب الله** اى فى حكمه او فى اللوح او فى
القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام **ان الله بكل شيء عليم** ومن جملته ما
فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة ما لا يخفى
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد
انه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حياته **سورة التوبة مدنية** الا آيتين من آخرها **وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة**
ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة و
المخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة والتنزيه
من التنقير والبحث والتبعثر عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويشردهم
يدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضى بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال
وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند

عند نزولها فى رفع الامان الذى يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا
بوصف الرحمة كما روى عن ابن عيينة لا للاشتباه فى استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضى
ولا رعاية لما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من الاختلاف فى ذلك على ان ذلك يرجع الى
القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط
اثباتها فى المصاحف وتركها انما هو راى من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب فى ان
الصحيح من المذهب انها آية من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لراى احد فى الاثبات
والترك وانما المتبع فى ذلك هو الوحى والتوقيف ولا مرية فى عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع
فى الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول ولا
لانتفاء عدم لتحقق مزيد كما حاجة الى بيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة
فيما بين نزولهما فتعين الثانى لان عدم التسمية من الشارع فى موضع البيان بيان
للعدم **براءة** خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة ومن فى قوله عز وجل
من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم وتهويل اى
هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما
تعلق به البراءة حسبما ذكر فى قوله تعالى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة فانه منبئ
عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هى مبتدا لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين
الخ والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطب
ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها
ويجعل المقصود بالذات والعمدة فى الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيقى بان
يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب
بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هى له ان تكون صفات
كما حقق فى موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل فى تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه
هو الفتح فى لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب فى عاهدتم
للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام
فنكثوا الا ناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا
اين شاؤا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم فى حكمها ووجوب
العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للايذان
عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على راى المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب
على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وعلا لانه امر كسائر الاوامر الجارية
على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك
المسلمين فى حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل
فى اتمامها او فى ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل
فى نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم
يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه فى شأنها هو الاذن فيها وانما الذى يباشرها ويتولى

ارهقها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل
فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان
ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وادراجه في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع
واجلال قدره المنيع في كلا المقامين عليه السلام وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال قد برئ الله
ورسوله من الذين الخ او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها او للتوسل الى تهويلها بالتنوين
التفخيمي كما اشير اليه **فسيحوا** السياحة والسيح الذهاب **في الارض** والسير فيها بسهولة على مقتضى
المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا
ونظائره وزيادة في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد
اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل الهرب
او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول
المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة
قطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك المعنى بطريق
الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا ونحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم
الاكتراث والاعتداد بهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما
يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان
كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض
فانظروا الخ كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتناء
العتاد من كل باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول
وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزي الله** اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن **وان الله** و
ضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار
مخزي الكافرين اي مخزيكم وقد لكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على
الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون
المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم
التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي
الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع
الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة
الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار
في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض روي انه عليه السلام امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه
على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني
وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع
ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه

قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن
مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
واذان من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه
كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون
آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا **يوم الحج الاكبر**
هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم
النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم
من الاعمال فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه
عز المسلمين وذل المشركين **ان الله** اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول
بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين **ورسوله** عطف على المستكن في بريء او على محل ان
واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم
وبالجر على الجوار وقيل على القسم **فان تبتم** من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة
تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذكورة او لترتيب الشرطية بتمامها
المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم **فهو** اي فالتوب **خير لكم** في الدارين **وان توليتم**
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء **فاعلموا انكم غير معجزي الله** غير سابقين ولا فائتين
وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة
بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية **الا الذين عاهدتم**
من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين
فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة
الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله
الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كأنه قيل واعلموها وقيل هو استثناء
متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله
استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم
سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط الميثاق ولم يقتلوا
منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على
ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة **ولم يظاهروا** اي لم يعاونوا **عليكم احدا** من اعدائكم كما عدت
بنو بكر على خزاعة في غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح **فاتموا اليهم**
عهدهم اي ادوه اليهم كاملا **الى مدتهم** ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين
ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم
ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب

التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا **فاذا انسلخ** اى
انقضى استعير من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى
الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سارية انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه
انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه ولبسناه فنحن
نزداد كل ليلة لباسا الى مضى نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله
فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى وتحقيقه ان الزمان
محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من
الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك
الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدى المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها
اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه
اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هى وما فهم من قوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين
فى قوله تعالى **فاقتلوا المشركين** الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة
النص بل من دلالته وعلى الثانى مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال
شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة
الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ لم يعد
ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم
بالغيب لانه ان اريد به ما فى سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين
كفروا فى قوله تعالى قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم فى اواسط رمضان عام
الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى شوال سنة تسع وان اريد ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل
قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله تعالى اخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك
يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف فى الباب من غير حاجة
الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم
حيث وجدتموهم من حل وحرم **وخذوهم** اى اسروهم والاخيذ الاسير **واحصروهم** اى قيدوهم
او امنعوهم من التقلب فى البلاد قال ابن عباس حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا لهم كل مرصد**
اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على الظرفية اى ارصدوهم وارقبوهم
حتى لا يمروا به وفايدته على التفسير الثانى دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة **فان**
تابوا عن الشرك بالايمان عنها اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر **واقاموا الصلوة وآتوا**
الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية
والمالية **فخلوا سبيلهم** فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشىء مما ذكر **ان الله غفور رحيم** يغفر
لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل **وان احد**
شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين
اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء

بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل **من المشركين استجارك** بعد انقضاء الاجل المضروب اى سالك
ان تؤمنه وتكون له جارا **فاجره** اى امنه **حتى يسمع كلام الله** ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه
والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شىء آخر فى الفهم لكونهم من اهل اللسان والفصاحة
وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدى الى اعمال
حتى فى المضمر وذلك مما يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما فى قوله تعالى فلا والله لا يلفى اناس فتى
حتاك يا ابن ابى يزيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين
يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما فى معناه من امور الدين وما روى عن على رضى الله عنه
انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
فاجره الى آخره فالمراد بما فيه من الحاجة هى الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات
الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتى محمدا فان من ياتيه عم انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين
ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن **مامنه** اى مسكنه الذى يامن فيه وهو دار قومه **ذلك** يعنى
الامر بالاجارة وابلاغ المامن **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يعلمون** ما الاسلام وما حقيقته
او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا **كيف يكون**
للمشركين عهد شروع فى تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة
الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هى فى شانهم والاستفهام انكار
لا بمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من
الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف
خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضاء الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا
من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة فى
الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز
ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذى تعلق به للمشركين ويجوز
ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالا
الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين
الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما فى صورة الكون التام وهو الاولى لان فى
انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة ما ليس فى انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطى
فرع ثبوته العينى فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفى توجيه الانكار الى كيفية
ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على
حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى
اى على اى حال وفى اى حال يوجد لهم عهد معتد به **عند الله وعند رسوله** يستحق ان
يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا به من
عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم فى ذلك الامن قطعا وان
كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد

بعهد كل منهما على حدة **الا الذين** استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين
اي لكن الذين **عاهدتم عند المسجد الحرام** وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند
المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله
تعالى **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على
الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية
الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان
استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل
من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة
العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد
وبعد انقضائه لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام
المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفا **ان الله يحب المتقين** تعليل للامر بالاستقامة
واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر **كيف** تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون
للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله عم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم
على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعي
وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما
في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود
ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله ⁘ وخبرتماني انما الموت بالقرى ⁘ فكيف وهاتا هضبة وقليب
فانه على حذف مصحح لارجحة اي كيف لهم عهد معتد به عند الله تع وعند رسوله **وان يظهروا عليكم**
اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم **لا يرقبوا فيكم** اي لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب
النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه
كالمراعاة في نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها **الا ولا ذمة** اي حلفا وقيل قرابة وقيل
عهدا وحقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة
حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف نرا
عونها على منوال قول من قال ⁘ علام تقبل منهم فدية وهم ⁘ لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ⁘ وقيل
الال من اسماء الله تعالى اي لا يرعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا
رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف
عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفا
في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل **يرضونكم بافواههم** حيث يظهرون الوفا والمصافاة
ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه
بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان
يكون لها مصداق في قلوبهم **وتأبى قلوبهم** ما يفيده كلامهم **واكثرهم فاسقون** خارجون عن
الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة

وازعة لا يتمردون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر الى احدوثة السوء **اشتروا**
بآيات الله بآياته الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر اذ بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا
اوليا اي تركوها واخذوا بدلها **ثمنا قليلا** اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب **فصدوا** اي عدلوا ونكبوا من
صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك **عن سبيله** اي الدين
الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار
عنه **انهم ساء ما كانوا يعملون** اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد
جوز ان يكون ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي
يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا **لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة** نعي عليهم عدم مراعاة
حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هو في اليهود او في الاعراب المذكورين من
بعد وحذا وهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر
باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيرهم **واولئك** الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة
هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة **فان تابوا** اي عما هم عليه من الكفر
وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة
للتوبة **واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي التزموها وعزموا على اقامتها **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم
وقوله تعالى **في الدين** متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي فهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة
الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية
وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان اولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان
يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون
جوابها حكما بخلافه البتة **ونفصل الآيات** اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال
المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها
تلك الآيات اندراجا اوليا **لقوم يعلمون** اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض
للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها **وان نكثوا** عطف على قوله
تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا **ايمانهم من بعد عهدهم** الموثق بها واظهروا
ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا
الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل **وطعنوا في دينكم** قدحوا
فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقاتلوا ائمة الكفر** اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم
الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل
المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم
لكونهم مظنتها او للدلالة على استئصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق
الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء
انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها
على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجمع

الجملة تعليلا للأمر بالقتال لا بيانا لعدة تعليقه بالنكث والطعن لأن حالهم في أن لا إيمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء أيمانهم بعد النكث والطعن مع أنه لا حاجة إلى بيانه خلاف الظاهر ولعل الأولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم إذ لا أيمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها ولاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كأنه قيل فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا إنهم لا أيمان لهم حتى يعقد لهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على أنه مصدر بمعنى إعطاء الأمان أي لا سبيل إلى أن تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا وأما العكس كما قيل فلا وجه له لإشعاره بأن معاهدتهم معنا على طريقة أن يكون إعطاء الأمان من قبلهم وذلك بين البطلان أو بمعنى الإسلام ففي كونه تعليلا للأمر بالقتال إشكال بل استحالة لأنه إن حمل على انتفاء الإسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال أو للأمر به قبل النكث والطعن وإن حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه أن يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كأنه قيل إن نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لأنه لا إسلام لهم يرتدعوا عن نقض جنس أيمانهم وعن الطعن في دينكم **لعلهم ينتهون** متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا إيصال الأذية بهم كما هو ديدن المؤذين **ألا تقاتلون** الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ يدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار به بتحتم المقاتلة **قوما نكثوا أيمانهم** التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة **وهموا بإخراج الرسول** من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا وانكو نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول عم وهموا بإخراجه من المدينة **وهم بدؤوكم** بالمعاداة والمقاتلة **أول مرة** لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة أو بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي لأن إعانة بني بكر عليهم قتال معهم **أتخشونهم** أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم أولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بأن لا يترك مصادمته ووبخ من فرط فيها **فالله أحق أن تخشوه** بمخالفة أمره وترك قتال أعدائه **إن كنتم مؤمنين** فإن قضية الإيمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى **قاتلوهم** تجريد للأمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم **يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم** قتلا وأسرا **وينصركم عليهم** أي يجعلكم جميعا غالبين عليهم أجمعين ولذلك أخر عن التعذيب والإخزاء **ويشف صدور قوم مؤمنين** ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطن من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه يشكون إليه فقال عم أبشروا فإن الفرج قريب **ويذهب غيظ قلوبهم** بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعدهم به على أجمل ما يكون فكان إخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة **ويتوب الله على من يشاء** كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث أسلم ناس

منهم وحسن إسلامهم وقرئ بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر بحسب المعنى فإن القتال كما هو سبب لفل شوكتهم وإلانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر في أمرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية غير لازم **والله** إيثار إظهار الجلالة على الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة **عليم** لا يخفى عليه خافية **حكيم** لا يفعل ولا يأمر إلا بما فيه حكمة ومصلحة **أم حسبتم** أم منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق إلى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الإنكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور أي بل أحسبتم **أن تتركوا** على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو المنافقين **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني إذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وفي لما من التوقع دلالة على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بمعزل من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين **ولم يتخذوا** عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين **من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبقي على حاله أو مفعول ثان له إن جعل بمعنى التصيير **والله خبير بما تعملون** أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الخ أو حال متداخلة من فاعله أو من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها **ما كان للمشركين** أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم **أن يعمروا** عمارة معتدا بها **مساجد الله** أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها ولأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على أنه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود **شاهدين على أنفسهم بالكفر** أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكون ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما يستدعي انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي أن المهاجرين والأنصار أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس رضي الله عنهما بقتال النبي صلى الله عليه وسلم

وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا لكم محاسن
قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت **اولئك** الذين يدعون
عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر **حبطت اعمالهم** التي يفتخرون بها بما قارنها
من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم خالدون** لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية
للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة
وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من
جهة نفي استدفاع العذاب **انما يعمر مساجد الله** الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر خلا ان ارادة
جميع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب
وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا قصر تحقق العمارة ووجودها على الموصوفين لا قصر
جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها **من آمن بالله** وحده **واليوم
الاخر** بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي **واقام الصلوة وآتى الزكوة**
على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت
الايمان بالله خاصة فان احدا جرى كلمتي الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات
العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن
له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل
البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عم
من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن
انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد
ضوءه **ولم يخش** في امور الدين **الا الله** فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا
خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور
المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام
ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك النعوت الجميلة **ان يكونوا
من المهتدين** الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم
من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين
مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم وفيه
لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة **كمن آمن بالله
واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله** السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلابد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن الخ ويؤيده قراءة من قرأ
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما

اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه واما لبعض
المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء
في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله تعالى للفريق الثاني وببيان اعظمية درجتهم عند الله
تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة
لا يجدي كثير نفع لان ما لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين
ومداره على انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه
من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين
في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما
قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم
فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن
اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم الكريم ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير
انكار التشبيه وتاكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى
اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما
في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال
البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد
او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل **لا يستوون عند الله** اي لا يساوي
الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين
الاولين وبين الاخرين لان المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين
لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع
ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي
والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى
والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير
كانه قيل سويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده وقوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين**
حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول عليه السلام ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق
معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الاخر وتبيين لعدم
التساوي بينهم وقوله تعالى **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم** الخ استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة
الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك
ام لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة **اعظم درجة عند الله**
اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي
من جملتها السقاية والعمارة **واولئك** المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة **هم الفائزون** المختصون بالفوز العظيم او بالفوز
المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة

من المؤمنين على الهجرة والجهاد وروي أن عليا قال للعباس بعد إسلامه يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون
برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال
ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عم أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج
وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما
قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن إذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل
الله عز وجل هذه الآية والمعنى أجعلتم أهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما كالإيمان والجهاد وإنما لم يذكر الإيمان
في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الأمر وإشعارا بأن مدار التشبيه هو
السقاية والعمارة دون الإيمان وإنما لم يترك ذكره في جانب المشبه به أيضا تقوية للإنكار وتذكيرا
لأسباب الرجحان ومبادي الأفضلية وإيذانا بكمال التلازم وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا أعظمية درجة الفريق الثاني وأما قوله تعالى والله
لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم إلى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع
كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى وأولئك
هم الفائزون بالنسبة إلى درجة الفريق الثاني أو إلى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله أعلم **يبشرهم**
وقرئ بالتخفيف **ربهم برحمة** عظيمة **منه ورضوان** كبير **وجنات** عالية **لهم فيها** في تلك
الجنات **نعيم مقيم** نعيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للتبشير وتربية له **خالدين**
فيها أي في الجنات **أبدا** تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به إذ قد يراد به المكث الطويل
إن الله عنده أجر عظيم لا قدر عنده لأجور الدنيا أو للأعمال التي في مقابلتها والجملة استئناف
وقع تعليلا لما سبق **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء** نهي لكل فرد
من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بمقتضى مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد
إلى الآحاد كما في قوله تعالى وما للظالمين من أنصار لا عن موالاة طائفة منهم فإن ذلك مفهوم
من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا
قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا وجعل الرجل يأتيه ابنه وأبواه وأخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا
ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب
في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه **إن استحبوا الكفر** أي اختاروه **على الإيمان**
وأصروا عليه إصرارا لا يرجى معه الإقلاع عنه أصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما أنها قبل ذلك ربما تؤدي
بهم إلى الإسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين **ومن يتولهم** أي واحد منهم كما يشير إليه إفراد الضمير
لمراعاة لفظ الموصول وللإيذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لأن المراد تولي
فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى **منكم** للجنس لا للتبعيض **فأولئك** أي أولئك المتولون **هم الظالمون**

بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم **قل** تلوين للخطاب وأمر له عم
بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم
فيهم وفيمن يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على
وجه التوبيخ والترهيب **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم** لم يذكر الأبناء والأزواج
فيما سلف لأن موالاة الأبناء والأزواج غير معتادة بخلاف المحبة **وعشيرتكم** أي أقرباؤكم مأخوذ
من العشرة أي الصحبة وقيل من العشرة فإنهم جماعة ترجع إلى عقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم
وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم لحصولها بكد
اليمين **وتجارة** أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح **تخشون كسادها** بفوات وقت رواجها
بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم **ومساكن ترضونها** أي منازل تعجبكم الإقامة فيها
من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر من زينة
الحياة الدنيا ليس لتناهي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وأنها مع ما لها من
فنون المحاسن بمعزل عن أن يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله عم كما في قوله عز وجل
ما غرك بربك الكريم **أحب إليكم من الله ورسوله** بالحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة
وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على
الطاقة **وجهاد في سبيله** نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عم تنويها لشأنه
وتنبيها على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره وإيذانا بأن محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد
عبارة عن قتال أعدائهما لأجل عداوتهم فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما **فتربصوا** أي
انتظروا **حتى يأتي الله بأمره** عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة
والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أو القوم الفاسقين
كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا أوليا أي لا يرشدهم إلى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة
من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه لطف من ربه والله المستعان **لقد نصركم الله** الخطاب
للمؤمنين خاصة **في مواطن كثيرة** من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة
والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **ويوم حنين** عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما أي
وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء إلى ما وقع فيه من قلة الثبات
من أول الأمر وقيل المراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب
بمضمر معطوف على نصركم أي ونصركم يوم حنين **إذ أعجبتكم كثرتكم** بدل من يوم حنين ولا
منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على أنه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا إعجاب إذ
ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف إليه المعطوف أو منصوب بإضمار اذكر
وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف
منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا
أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه
سلمة بن سلامة الأنصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا
قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة

السوء اذ كروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فاسكوا وذلك قوله عز وعلا
فلم تغن عنكم شيئا والاغناء الاعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به
حاجتكم شيئا من الاشياء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء
بمعنى مع اى لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه
ثم وليتم مدبرين روى انه لما بلغ منهم الكرب وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا عمه العباس
اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث اخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو
يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب روى انه صلى الله عليه وسلم كان يحمل على الكفار
فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع
نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه عليه السلام فى الشجاعة ورباطة
الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم ثم انه
قال يا رب ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا
ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك
قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التى تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا
كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى
المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اى
المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الكل وهو الانسب
ولا ضير فى تحقق اصل السكينة فى الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال
وانزل جنودا لم تروها اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام
على خيول بلق فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس
فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به
عيناه ثم قال صلى الله عليه وسلم انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك
والقاء الرعب فى قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين
قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض
الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبى وذلك اى ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من
بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه ان يوفقه للاسلام والله غفور
يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصى رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روى ان اناسا منهم جاؤا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وقد سبى اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندى
ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى

والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن
لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا
ندرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم يا ايها
الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث
باطنهم او لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهى ملابسة لهم عن ابن عباس رضى الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من
صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم
وهو تخفيف نجس ككبد فى كبد وقيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم
وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهى عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو
مذهب ابى حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله تعالى بعد عامهم هذا فان تقييد النهى بذلك
يدل على اختصاص المنهى عنه بوقت من اوقات العام اى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا
وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضى الله عنه على الموسم ويدل عليه قول على رضى الله عنه
حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر
المساجد عنده وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع
المساجد ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا
من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب
منعهم من الحج وانقطاع ما كان يجلبون اليكم من الارزاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها
مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه
آخر فارسل الله تعالى عليهم السماء مدرارا واغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا
الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم
البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئته تابعة لحكمته
الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الامال الى الله تعالى وان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد
والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطى ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله امرهم بقتال اهل الكتاب بين امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا
يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم فى تضاعيف ذلك على
بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلى وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده
والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك فى
سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا
باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبنى عليه ليس بايمان به ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله اى ما ثبت تحريمه بالوحى متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول
الذى يزعمون اتباعه اى يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق
الثابت الذى هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب

التورية والانجيل فتبين انه لا يتعرض حتى يكون على خلاف ما نعت حتى يعطوا اى يقبلوا أن
يعطوا الجزية اى ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتقة من جزى دينه اى قضاه او لانهم يجزون بها
من منّ عليهم بالاعفاء من القتل عن يد حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية مطيعة بمعنى
منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او
عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اى بسبب يد بمعنى عاجزين
اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اى نقدا
مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم
صاغرون اى اذلاء وذلك بان يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم
جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وتؤخذ عند ابى حنيفة رضى الله عنه
من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم لا من مشركى العرب وعند ابى يوسف لا تؤخذ من العربى
كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان او مشركا وعند الشافعى رضى الله عنه تؤخذ من
اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعى
الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عم
سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروى عن على رضى الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا
وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عم
فى آخر ما نقل من الحديث غير ناكحى نسائهم واكل ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابى حنيفة
اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط
الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغنى ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن
الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبى او امرأة وعند الشافعى يؤخذ فى آخر السنة عن كل واحد
دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر
من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فى سلك المشركين عزير ابن
الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم عجمى كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما لالتقاء
بالتقاء الساكنين او يجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف تعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم
ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن
عباس رضى الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى
وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذى قال
ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عم فرفع الله عنهم التورية
ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الارض فاتاه جبريل عم فقال له اين تذهب
قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية
فى صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبى لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ
ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية
بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك
باناء فيه ماء فسقاه فمثلت فى صدره فلما اتاهم قال لهم انى عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما

تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية فى قلب رجل الا انه ابنه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وعن ابن عباس رضى الله عنه ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله التورية
ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الى قلبه
فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او
لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر
عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه فى الشناعة والفظاعة
قولهم بافواههم اما لتأكيد نسبة القول المذكور اليهم ونفى التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن
برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود فى الافواه من غير ان يكون له مصداق فى الخارج يضاهؤن
اى فى الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين كفروا اى يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اى من قبلهم هم المشركون الذين
يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد فى القول حتى
يتأتى التشبيه وجعله بين قولى الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى
اى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه مستدع لاختصاص
الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا
بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق
الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم
علماء اليهود واختلف فى واحده قال الاصمعى لا ادرى اهو حبر او حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان
الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم
وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اى اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل اربابا من
دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية
اتباع الشيطان عبادة له فى قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن
قال عدى بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وكان اذ ذاك على
دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة يا عدى اطرح هذا الوثن فطرحته
فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم
فقال عم اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم
قال الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال انهم ربما وجدوا فى كتاب
الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى والمسيح ابن
مريم عطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره فى الذكر مع ان اتخاذهم له عم
ربا معبودا اقوى من مجرد الطاعة فى امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا
لانه مختص بالنصارى ونسبته الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان
بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اى والحال ان اولئك الكفرة ما

امروا في كتابهم **الا ليعبدوا الها واحدا** عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا
امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عم وسائر من امر الله تعالى بطاعته
فهي في الحقيقة اطاعة لله عز وجل وقيل وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان
الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في
ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا
بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى حيث لم يخصوها به تعالى لم يحققوا العبادة به سبحانه **لا اله الا هو**
صفة ثانية لالها واستئناف مقرر للتوحيد **سبحانه عما يشركون** عن الاشراك به في العبادة
والطاعة **يريدون ان يطفئوا نور الله** اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها
لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها
جعل اطفاؤها عبارة عنه ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير
النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة
على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القران العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين
ان يردوا القران ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي
من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة **بافواههم** باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون
لها مصداق ينطبق عليه او اصل مستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الافاق بنفخه **ويابى
الله** اي لا يريد **الا ان يتم نوره** باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء
المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة
والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في
المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا
الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم **ولو كره
الكافرون** جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة
وكلتاهما في موضع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه
اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور
ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا **هو الذي ارسل رسوله** ملتبسا
بالهدى اي القران الذي هو هدى للمتقين **ودين الحق** الثابت وهو دين الاسلام **ليظهره** اي
رسوله **على الدين كله** اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها
حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا **ولو كره
المشركون** كما في ما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الكفر بالذي ارسله **يا ايها الذين امنوا** شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر
بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم فيما يأتون

يأتون وما يذرون **ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل** يأخذونها
بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه
معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم **ويصدون الناس عن سبيل الله**
عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشا
او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل **والذين يكنزون الذهب والفضة** اي يجمعونهما
ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه اخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار و
الرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشا
والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل
ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة
على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة
لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز
اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عم
من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره **فبشرهم بعذاب اليم** خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون
الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم **يوم** منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون
او باذكر **يحمى عليها في نار جهنم** اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار
بجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود
فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة
قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه
اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير
للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة لنحكمها على ان الذهب كذلك بل اولى **فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم**
لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة
على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم
البدن ومآخيره وجنباه **هذا ما كنزتم** على ارادة القول **لانفسكم** لمنفعتها فكان عين مضرتها
وسبب تعذيبها **فذوقوا ما كنتم تكنزون** اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون **ان عدة
الشهور** اي عددها **عند الله** اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر **اثنا عشر** خبر لان **شهرا**
تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك
الاحكام الشرعية **في كتاب الله** في اللوح المحفوظ او فيما اثبته وأوجبه وهو صفة لاثنا عشر اي
اثنا عشر شهرا في كتاب الله عز وعلا **يوم خلق السموات والارض** متعلق بما في الجار والمجرور من

معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام
والحركات والازمنة **منها** اي من تلك الشهور الاثني عشر **اربعة حرم** هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب وقد قال عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى
ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة **ذلك** اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة هو المعدود
وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو **الدين القيم** المستقيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه
لو لقي رجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال
فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء
انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول
انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة **وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة** اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر
موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة لهم
وضمان بالنصرة بسبب تقواهم **انما النسيء** هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا نحو مس
ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت المبين في الكتاب
والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر **زيادة في الكفر** لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما
حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم **يضل به الذين كفروا** ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء
للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه
وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ
نضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة **يحلونه** اي النسيء او الشهر المؤخر **عاما** من الاعوام
ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام **ويحرمونه** اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن
ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء **عاما** آخر اذا لم يتعلق
بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان
اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب
فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا
وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم في العام القابل فيقول ان

ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر
القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان
تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله **ليواطئوا** اي ليوافقوا **عدة ما حرم الله** من
الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين **فيحلوا ما حرم الله** بخصوصه
من الاشهر المعينة **زين لهم سوء اعمالهم** وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك **والله لا
يهدي القوم الكافرين** هداية موصلة الى الموصول البتة وانما يهديهم الى ما يوصلهم اليه عند
سلوكهم وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال **يا ايها الذين آمنوا**
رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة
لذلك **ما لكم** استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ **اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم** تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل
لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في
سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل
في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه
الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري
التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ هو لا ما لكم **الى الارض** متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى
الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو
المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم
وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط
وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك
وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك
فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها **ارضيتم بالحيوة الدنيا** وغرورها **من الآخرة**
اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم **فما متاع الحيوة الدنيا** اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير
اي فما التمتع بها وبلذائذها **في الآخرة** اي في جنب الآخرة **الا قليل** اي مستحقر لا يؤبه له وفي
ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة
في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها **الا تنفروا** اي ان لا تنفروا الى
ما استنفركم اليه **يعذبكم** اي الله عز وجل **عذابا اليما** اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط
ونحوه **ويستبدل بكم** بعد اهلاككم **قوما غيركم** وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد
بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة
على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط
ما لا يخفى **ولا تضروه شيئا** اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء
وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا
لا محالة **والله على كل شيء قدير** فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين **الا تنصروه فقد نصره**

صح

الله ای ان لم تنصروه فینصره الله الذی قد نصره فی وقت ضرورة اشد من هذه المرة بحذف الجزاء
واقیم سببه مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتی نصره فی مثل ذلك الوقت فلن یخذله فی
غیره اذ اخرجه الذین كفروا ای تسببوا لاخراجه حیث اذن له عم فی ذلك حین هموا باخراجه
ثانی اثنین حال من ضمیره عم وقری بسكون الیاء علی لغة من یجری الناقص مجری المقصور فی الاعراب
ای احد اثنین من غیر اعتبار كونه علیه السلام ثانیا فان معنی قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك
احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ینصب ما بعده بان
یقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر فی قوله تعالی لقد كفر الذین قالوا ان الله ثالث ثلاثة
من سورة المائدة وجعله صلی الله علیه وسلم ثانیهما لمشی الصدیق امامه ودخوله عم فی الغار اولا
للتنقیة ولتسویة البساط كما ذكر فی الاخبار تمحل مستغنی عنه اذ هما فی الغار بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فی اعلی ثور وهو جبل فی یمنی مكة علی مسیرة
ساعة مكثا فیه ثلاثا اذ یقول بدل ثان او ظرف لثانی لصاحبه ای الصدیق لا تحزن ان
الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعیة الولایة الدائمة لا یحوم حول صاحبها شائبة من
الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فیه من المتبوع هو المتبوع فی الامر
المباشر روی ان المشركین طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضی الله عنه علی رسول الله صلی الله علیه وسلم
فقال ان تصب الیوم ذهب دین الله تعالی فقال عم ما ظنك باثنین الله ثالثهما وقیل لما دخل
الغار بعث الله تعالی حمامتین فباضتا فی اسفله والعنكبوت فنسجت علیه وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا یترددون حول الغار ولا یفطنون قد اخذ الله تعالی بابصارهم عنه
وفیه من الدلالة علی علو طبقة الصدیق رضی الله عنه وسابقة صحبته ما لا یخفی ومن ذلك قالوا من
انكر صحبة ابی بكر رضی الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالی فانزل الله سكینته علیه امنته
التی تسكن عندها القلوب علیه عم والمراد بها ما لا یحوم حوله شائبة الخوف اصلا او علی صاحبه وهو
المنزعج واما النبی صلی الله علیه وسلم فكان علی طمأنینة من امره وایده بجنود لم تروها عطف
علی نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون یوم بدر والاحزاب وحنین وقیل هم الملائكة انزلهم
فی الغار ویأباه وصفهم بعدم رؤیة المخاطبین لهم وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذین كفروا السفلی
یعنی الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا یتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة
الله ای التوحید او دعوة الاسلام هی العلیا لا یدانیها شئ وتغییر الاسلوب للدلالة علی انها فی
نفسها كذلك لا یتبدل شأنها ولا یتغیر حالها دون غیرها من الكلم ولذلك وسط ضمیر الفصل وقری
بالنصب عطفا علی كلمة الذین والله عزیز لا یغالب حكیم فی حكمه وتدبیره انفروا تجرید للامر
بالنفور بعد التوبیخ علی تركه والانكار علی المساهلة فیه وقوله تعالی خفافا وثقالا حالان من ضمیر
المخاطبین ای علی ای حال كان من یسر او عسر حاصلین بای سبب كان من الصحة والمرض او الغنی
والفقر او قلة العیال وكثرتهم او غیر ذلك مما ینتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
فی الجملة وما ذكر فی تفسیرهما من قولهم خفافا لقلة عیالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه
او ركبانا ومشاة او شبانا وشیوخا او مهازیل وسمانا او صحاحا ومراضا لیس لتخصیص الامرین
المتقابلین بالارادة من غیر مقارنة للباقی وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلی الله علیه وسلم اعلی

اعلیّ ان انفر قال عم نعم حتی نزل لیس علی الاعمی حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله عز وجل لیس علی
الضعفاء ولا علی المرضی الآیة وجاهدوا باموالكم وانفسكم فی سبیل الله ایجاب للجهاد بهما
ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتی ان من ساعده النفس والمال یجاهد بهما ومن ساعده
المال دون النفس یغزی مكانه من حاله علی عكس حاله الی هذا ذهب كثیر من العلماء وقیل هذا ایجاب
للقسم الاول فقط ذلكم ای ما ذكر من النفیر والجهاد وما فی اسم الاشارة من معنی البعد للایذان
ببعد منزلته فی الشرف خیر لكم ای خیر عظیم فی نفسه او خیر مما یبتغی تركه من الراحة والدعة
وسعة العیش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون ای تعلمون الخیر علمتم انه خیر او ان كنتم
تعلمون انه خیر اذ لا احتمال لغیر الصدق فی اخبار الله تعالی فبادروا الیه لو كان صرف للخطاب
عنهم وتوجیه له الی رسول الله صلی الله علیه وسلم تعدیدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا
علی طریق المباثة وبیانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم ای لو كان ما دعوا الیه عرضا قریبا العرض
ما عرض لك من منافع الدنیا ای لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قریب المنال وسفرا قاصدا اذا
قصدا بین القریب والبعید لاتبعوك فی النفیر طمعا فی الفوز بالغنیمة وتعلیق الاتباع بكلا الامرین
یدل علی عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت علیهم الشقة ای المسافة الشاطة
الشاقة التی تقطع بمشقة وقری بكسر العین والشین وسیحلفون ای المتخلفون عن الغزو وقوله
تعالی بالله اما متعلق بسیحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد علی الوجهین ای سیحلفون بالله
اعتذارا عند قفولك قائلین لو استطعنا او سیحلفون قائلین بالله لو استطعنا الخ ای لو كان لنا
استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جمیعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل و
علی التقدیرین فقوله تعالی لخرجنا معكم ساد مسد جوابی القسم والشرط جمیعا اما علی الثانی فظاهر
واما علی الاول فلان قولهم لو استطعنا فی قوة بالله لو استطعنا لانه بیان لقوله تعالی سیحلفون بالله
وتصدیق له والاخبار بما سیكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة
وقری لو استطعنا بضم الواو تشبیها لها بواو الجمع كقوله عز وجل فتمنوا الموت یهلكون انفسهم
بدل من سیحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال علیه السلام الیمین الفاجرة تدع الدیار
بلاقع او حال من فاعله ای مهلكین انفسهم او من فاعل لخرجنا جیء به علی طریقة الاخبار عنهم كانه قیل
نهلك انفسنا ای لخرجنا معكم مهلكین انفسنا كما فی قولك حلف لیفعلن مكان لافعلن والله یعلم انهم
لكاذبون ای فی مضمون الشرطیة وفیما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حیث كانوا مستطیعین
للخروج ولم یخرجوا عفا الله عنك صریح فی انه سبحانه وتعالی قد عفا عنه عم ما وقع منه
استئذان المتخلفین فی التخلف معتذرین بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا علی ایمانهم ومواثیقهم
لخلوه عن المزاحم من ترك الاولی والافضل الذی هو التانی والتوقف الی انجلاء الامر وانكشاف
الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم ای لای سبب اذنت لهم فی التخلف حین اعتلوا بعللهم بیان
لما اشیر الیه بالعفو من ترك الاولی واشارة الی انه ینبغی ان یكون اموره عم منوطة باسباب قویة
موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه فی معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالایمان كان بمعزل من
كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامین متعلقة بالاذن لاختلافهما فی المعنی فان
الاولی للتعلیل والثانیة للتبلیغ والضمیر المجرور لجمیع المستأذنین وتوجه الانكار الی الاذن باعتبار

شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه
حتى يتبين لك الذين صدقوا اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال
او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هنالك وتعلم الكاذبين فى ذلك فتعامل
كلا الفريقين بما يستحقه وهو بيان لما هو الاولى الافضل وتخصيص لما عزم عليه فان كلمة حتى
سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم لاستلزامه ان يكون
اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية
وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى
ينجلى الامر كما هو قضية الكرم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر فيهما بشىء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون
وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذى صلته فعل دال على الحدوث
وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث
فى امر خاص غير مصحح لنظمهم فى سلك الصادقين وان ما صدر عن الآخرين وان كان كذبا حادثا
متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم فى الكذب والتعبير عن
ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق
والكذب احتمال عقلى واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه فى الجملة حتى يكون ظهوره
تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستانفا واسناده الى ضميره عليه السلام
لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام
بهم ومواخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مواخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين
لك من صدق فى عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع
ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصود هو العلم
بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما
بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفى تصدير الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم
العتاب من مراعات جانبه صلى الله عليه وسلم وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا
يخفى على اولى الالباب قال سفيان بن عيينة رحمه الله انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر
المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان
معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية أليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف فى الخطاب
والتخفيف فى العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة
بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن
بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن فى خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه
فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره
الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذى اثير ويفتضحوا على رؤوس
الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام
وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا

كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
تنبيه على انه كان ينبغى ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اى ليس من عادة المؤمنين ان
يستأذنوك ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف
على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك فى التخلف وحيث استأذنك هؤلاء فى التخلف كان
ذلك مظنة للتأنى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله
ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون فى التخلف كراهة ان يجاهدوا
فيتوجه النفى الى القيد وبديهة ان المؤمن من المنافق وهو وان كان فى نفسه امرا خفيا لا يوقف
عليه بادى الامر لكن علامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو
الجهاد اى لا يستأذنك المؤمنون فى الجهاد كراهة ان يجاهدوا وانت خبير بان الاستيذان
فى الجهاد ربما يكون لكراهة ولا يخفى ان الاستيذان فى الشىء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم
فالذى نفى عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا فى الجهاد لكراهتهم له بل
انما استأذنوا فى التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة
لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما
صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اى فى التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على
الثانى الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما فى الموضعين للايذان
بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحياة
الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على
الصلة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم فى ريبهم
وشكهم المستقر فى قلوبهم يترددون اى يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن
المستبصر والتعرض لعنوانه مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الا
عتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا
لهم لو ارادوه لاعدوا له اى للخروج فى وقته عدة اى اهبة من الزاد والراحلة والسلاح
وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرى عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما يفعل بالعدة من
قال واخلفوك عدى الامر الذى وعدوا اى عدته وقرى عدة بكسر العين وعده بالاضافة
ولكن كره الله انبعاثهم اى نهوضهم للخروج وقيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان
انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق فى المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفى لكن بعد تحقق الاختلاف
نفيا واثباتا فى اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم
على نهج ما فى الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما
انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التى ستبين فثبطهم اى حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا
ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج فى قلوبهم او لوسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام فى القعود والمراد
بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم وايا ما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته

لانبعاثهم اى لو خرجوا مخالطين لكم **ما زادوكم** اى ما اورثوكم شيا من الاشيا **الا خبالا** اى فسادا
وشرا فالاستثنا مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذلك **ولاوضعوا خلالكم** اى ولسعوا فيما بينكم
بالنمايم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اى حملته على
الاسراع والمعنى لاوضعوا ركابهم والمراد به المبالغة فى الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشى وقرى
ولارقصوا من رقصت الناقة ارقعت وارقصتها انا وقرى ولاوفضوا اى اسرعوا **يبغونكم الفتنة**
يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقا الرعب فى قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من
ضمير اوضعوا او استيناف **وفيكم سماعون لهم** اى نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم
ضعفة يسمعون للمنافقين اى يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها
على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم يكونوا فى كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المومنين
بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم
فخرجوا مع المومنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلى كره الله انبعاثهم
فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن فى قعودهم مع تحقق هذه المحالة وتضمن خروجهم
هذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على
مخالطتهم والسعى فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات
النازلة **والله عليم بالظالمين** علما محيطا بضمايرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتون منهم
فيما سياتى ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد فى الوعيد والاشعار بترتبه على
الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين **لقد ابتغوا الفتنة** تشتيت شملك وتفريق
اصحابك عنك **من قبل** اى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابى بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف
بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع
وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من
المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله خاسئين **وقلبوا لك الامور** تقليب الامر تصريفه من وجه
الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد فى المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف فى وجوه الحيل حول
قلب اى اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ورددوا الارا فى ابطال امرك وقرى بالتخفيف
حتى جا الحق اى النصر والتاييد الالهى **وظهر امر الله** غلب دينه وعلا شرعه **وهم كارهون**
والحال انهم كارهون لذلك اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين
عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم
تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فاته عليه السلام ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب
ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود **ولا تفتنى** اى لا توقعنى فى الفتنة وهى العصيان والاثم بان
اى متخلف لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لى حتى لا اقع فى المعصية بالمخالفة او لا تلقنى فى الهلكة
فانى ان خرجت معك هلكت مالى وعيالى لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار
انى مستهتر بالنسا فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نسا الروم ولكن اعينك بمالى فاتركنى وقرى ولا
تفتنى من افتنه بمعنى فتنه **الا فى الفتنة** اى فى عينها ونفسها واكمل افرادها الغنى عن الوصف
بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به **سقطوا** لا فى شى مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها

عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن
القعود بالاذن المبنى عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرى بافراد الفعل محافظة على لفظ
من وفى تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها
منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هى التخلف بغير اذن وفى التعبير عن الافتتان بالسقوط
فى الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم فى دركات الردى اسفل سافلين
وقوله عز وعلا **وان جهنم لمحيطة بالكافرين** وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة
السابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الان تنزيلا للشى سيقع عن قريب منزلة الواقع
او وصفا للاسباب الشى موضعه فان مبادى احاطتها بهم من الكفر والمعاصى محيطة بهم الان
من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادى المتشكلة
بصور الاعمال والاخلاق هى النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك فى هذه النشاة وانما يظهر عند
تشكلها بصورها الحقيقية فى النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع
الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا **ان تصبك** فى بعض مغازيك **حسنة** من الظفر
والغنيمة **تسوهم** تلك الحسنة اى تورثهم مساة لفرط حسدهم وعداوتهم لك **وان تصبك**
فى بعضها **مصيبة** من نوع شدة **يقولوا** متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم **قد اخذنا
امرنا** اى تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة
مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا **من قبل** اى من قبل اصابة المصيبة فى وقت
تدارك يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام
لا بعد اصابة المصيبة **ويتولوا** عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبى صلى
الله عليه وسلم **وهم فرحون** بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير فى يقولوا و
يتولوا لا فى الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام
السرور واسناد المساة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك
مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتى عروض المساة والمسرة بانهم فى الاولى مضطرون
وفى الثانية مختارون **قل** تبكيتا لهم وابطالا لما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد **لن يصيبنا**
ابدا وقرى هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب **الا ما كتب الله لنا** اى اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة
عليكم او الشهادة المودية الى النعيم الدايم **هو مولانا** ناصرنا ومتولى امورنا **وعلى الله** وحده
فليتوكل المومنون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضا بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب
المبادى العادية والفا للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المومنون على الله قدم الظرف على الفعل
لافادة القصر ثم ادخل الفا للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل كما فى قوله تعالى واياى فارهبون
والجملة ان كانت من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لاظهار التبرك
والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر المومنين بالتوكل اثر امره عليه السلام بما ذكر فالامر ظاهر

اعادة الامر في قوله عز وجل **قل هل تربصون بنا** لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان ام الغايب
واما على الوجه الاول فهى لابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به
اولا من الفرق في الشأن والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى
التاءين محذوف اى ما تنتظرون بنا **الا احدى الحسنيين** اى العاقبتين اللتين كل واحدة
منهما من حسن العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة
الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة
ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما **ان يصيبكم الله بعذاب من عنده** كما اصاب
من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا **او** بعذاب **بايدينا**
وهو القتل على الكفر **فتربصوا** الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا
نشاهد الا ما يسوءكم **قل انفقوا** اموالكم في سبيل الله **طوعا او كرها** مصدران وقعا موقع الفاعل
اى طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها **لن
يتقبل منكم** ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم
امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول
وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاثابة
عليه وقوله عز وجل **انكم كنتم قوما فاسقين** اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم **وما
منعهم ان تقبل منهم** وقرئ بالتحتانية **نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله** استثناء
من اعم الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل
وهو الله تعالى **ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى** اى لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم
متثاقلين **ولا ينفقون الا وهم كارهون** لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله
تعالى طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرضي لتوسيع الدائرة **فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم** فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا** بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها
من الشدائد والمصائب **وتزهق انفسهم وهم كافرون** فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن
النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة **ويحلفون بالله
انهم لمنكم** في الدين والاسلام **وما هم منكم** في ذلك **ولكنهم قوم يفرقون** يخافون ان يفعل بهم
ما فعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة **لو يجدون ملجأ** استئنافا
مقررا لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية له
اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اى مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة
وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع
المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار
انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار
انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره

كما

كما حقق في موضعه **او مغارات** اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا
دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز
ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار **او مدخلا** اى نفقا يندسون فيه وينجحرون
وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اى مكانا يدخلون فيه
انفسهم وقرئ مندخلا او متدخلا من التدخل والاندخال **لولوا** اى لصرفوا وجوههم واقبلوا
وقرئ لوالوا اى لالتجأوا **اليه** اى الى احد ما ذكر **وهم يجمحون** اى يسرعون بحيث لا يردهم
شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون
بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة **ومنهم من يلمزك** بكسر الميم وقرئ بضمها اى يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة **في الصدقات** اى في شأنها وقسمتها **فان اعطوا منها** بيان لفساد
لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا منها قدر ما يريدون **رضوا** بما
وقع من القسمة واستحسنوها **وان لم يعطوا منها** ذلك المقدار **اذا هم يسخطون** اى يفاجئون السخط
واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم انما
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي
رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير
الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم
والاول هو الاظهر **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله** اى ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات
طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان
بامره سبحانه **وقالوا حسبنا الله** اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا **سيؤتينا الله من فضله
ورسوله** بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل **انا الى الله راغبون** اى في ان يخولنا فضله والاية باسرها
في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم **انما الصدقات** شروع في تحقيق حقية
ما صنعه الرسول عليه السلام من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالتهم الفاسدة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة
المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع
المختلفة **للفقراء والمساكين** اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا يتجاوزهم الى غيرهم
كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فاللذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ
لهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة
وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه **والعاملين عليها** الساعين في جمعها وتحصيلها
والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم
ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول
كان يعطيهم الرسول عليه السلام من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها
على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا وعلى كلمته استغنى عن ذلك **وفي الرقاب** اى وللصرف
في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان

يبتاع منها الرقاب فتعتق وأياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم أو للإيذان بعدم قرار ملكهم فيما أعطوا كما في الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الأخير أو للإشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما أن في للظرفية المنبئة عن إحاطتهم وكونهم محلا ومركزا لها **والغارمين** أي الذين تدينوا لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله تعالى من غرم لإصلاح ذات البين وإطفاء النائرة بين القبيلتين وإن كانوا أغنياء **وفي سبيل الله** أي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم **وابن السبيل** أي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الأخيرين للإيذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق أو لما ذكر من إيرادهما بعنوان غير مصحح للاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم وأن يقتصر على صنف منهم لأن اللام لبيان أنهم مصارف لا يخرج عنهم لا لإثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا أن يصرف إلى ثلاثة من كل الأصناف **فريضة من الله** مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه أنه منصوب بفعله مقدرا أي فرض الله ذلك فريضة أو حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء أي إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة أي مفروضة **والله عليم** بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم **حكيم** لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق إلى مستحقيها **ومنهم الذين يؤذون النبي** نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل **ويقولون هو أذن** أي يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به وإنما قالوه لأنه عم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا **قل أذن خير لكم** من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون المراد أذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الذال فيهما وقرئ أذن على أنه صفته أو خبر ثان وقوله عز وجل **يؤمن بالله** تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما أنه خير للعالمين مما لا يخفى **ويؤمن للمؤمنين** أي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله أنؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الخ **ورحمة** عطف على أذن خير أي وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة **للذين آمنوا منكم** أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وإسناد الإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان بأن إيمانهم أمر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم

لكم رحمة **والذين يؤذون رسول الله** بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بعدم توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فإن يتوبوا يك خيرا لهم بما يجترئون عليه من أذيته عم كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول **لهم عذاب أليم** وهو اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الإسناد بإثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإيراده عم بعنوان الرسالة مضافا إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب **يحلفون بالله لكم** الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل إليهم مما يورث أذاة النبي صلى الله عليه وسلم وأما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار **ليرضوكم** بذلك وإفراد إرضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول عم وقد نقل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للإيذان بأن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه عم وأنه إنما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير إليه **والله ورسوله أحق أن يرضوه** أي أحق بالإرضاء ولا ينبغي ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه عم في باب الإجلال والإعظام مشهدا ومغيبا وأما ما أتوا به من الأيمان الفاجرة فإنما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الأخبار إلى أن يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون لكم لإرضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهمهم ويجدي بهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وإفراد الضمير في يرضوه للإيذان بأن رضاه عم مندرج تحت رضاه سبحانه وإرضاؤه عم إرضاء له تعالى لقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وأما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قوله: فيها خطوط من سواد وبلق ، كأنه في الجلد توليع البهق . أي كأن ذلك لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد تأويل المذكور لأنا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما أن الضمير لا يتعرض إلا لذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض لها اسم الإشارة وأما لأنه عائد إلى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف أو إلى الله على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد **إن كانوا مؤمنين** جواب محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فإنهما أحق بالإرضاء **ألم يعلموا** أي أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والإنذارات **أنه** أي الشأن **من يحادد الله ورسوله** المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فإن كل واحد من مباشري كل من الأفعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى **فأن له نار جهنم** على أن خبره محذوف أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر لأن وهي مع خبرها

سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله ولفظ ان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي
المانع للاولى عن العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون أنني اذا قلت اما بعد اني خطيبها
وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره ومن يحادد الله
ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما
بلم **خالدا فيها** حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان
اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر **ذلك** اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لما مر من بعد
درجته في الهول والفظاعة **الخزي العظيم** الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة
وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة
تذييل لما سبق **يحذر المنافقون ان تنزل عليهم** في شأنهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم **سورة
تنبئهم بما في قلوبهم** من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق
ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على
اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس
فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة
مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم و
قيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمائر الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكك
عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب
المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا
اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن
به ولذلك قيل **قل استهزؤا** اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد **ان الله مخرج** اي من القوة
الى الفعل ومن الكمون الى البروز **ما تحذرون** اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم و
مثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد انكارهم بذلك لا لرفع
ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة **ولئن سألتهم** عما قالوا **ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب** روي انه عم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن
بالقرآن وبالرسول ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات
هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
والله يا نبي الله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب
ليقصر بعضنا على بعض السفر **قل** غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة
المعترف بوقوع الاستهزاء بجعله على اخطائهم موقع الاستهزاء **أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن** حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان
قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عم والطعن فيه **بعد ايمانكم** بعد اظهاركم له **ان نعف
عن طائفة منكم** لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل
الى الله سبحانه وتعالى وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه ايضا ذهابا

ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة **نعذب** بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل
وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده **طائفة بانهم كانوا مجرمين** مصرين على الاجرام وهم
غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو مخشي
بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود
وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره **المنافقون والمنافقات** التعرض
لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق **بعضهم من بعض** اي متشابهون في
النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين
وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى **يأمرون بالمنكر**
اي بالكفر والمعاصي **وينهون عن المعروف** اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون
ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان **ويقبضون ايديهم** اي عن المبرات
والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح **نسوا الله** اغفلوا ذكره **فنسيهم** فتركهم من
رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة **ان المنافقين هم الفاسقون** الكاملون
في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التقرير كما في قوله تعالى **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار** اي المجاهرين **نار
جهنم خالدين فيها** مقدرين الخلود فيها **هي حسبهم** عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها وعذابها **ولعنهم الله** اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان
بشدة السخط ما لا يخفى **ولهم عذاب مقيم** اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا
ولهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هو منه
في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم
كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم
مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم **كانوا
أشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا** تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم **فاستمتعوا**
وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع **بخلاقهم**
بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه **فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم
اثرهم **وخضتم** اي دخلتم في الباطل **كالذي خاضوا** اي كالذين باسقاط النون او كالفوج
الذي او كالخوض الذي خاضوه **أولئك** اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين
والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم
مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئك والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة

حبطت أعمالهم ليس المراد بها أعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غايتها غيبة عن
البيان بل أعمالهم التي كانوا يستحقون بها أجوراً حسنة لو قارنت الايمان أي ضاعت وبطلت بالكلية
ولم يترتب عليها أثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا
فلان ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس مترتبة عليها على طريقة المثوبة
والكرامة بل بطريق الاستدراج وأولئك أي الموصوفون بحبوط الأعمال في الدارين هم الخاسرون
الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه وأسبابه فانه قد ذهبت رؤوس أموالهم التي
هي أعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسراناً وايراد
الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الأوصاف المشار اليها للحبوط والخسران ألم يأتهم أي المنافقين
نبأ الذين من قبلهم أي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وأصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات
قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر أتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبئهم فما
كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام أي فكذبوهم
فأهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحته سبحانه عن الظلم
أي ما صح وما استقام له أن يظلمهم ولكنهم ظلموا أنفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله
عز وجل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب
بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر
المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجباً للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم
ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه
ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً اثر بيان حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً و
التعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية للايذان بأن
نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة
وغير ذلك ونسبة أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
أي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه
فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون
أيديهم ويطيعون الله ورسوله أي في كل أمر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق
والخروج عن الطاعة أولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من
الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون
بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله أي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان
السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد أي قوي قادر على اعزاز
أوليائه وقهر أعدائه حكيم يبني أحكامه على أساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة

والنقمة الى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما أن
ما سبق في شأن المنافقين من قوله نسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم
لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الأخروية اثر ذكر رحمته
الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما
تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الأمر بالمعروف وغير ذلك للايذان بأنه من لوازمه
ومستتبعاته أي وعدهم وعداً شاملاً لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفما
كان جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فان كل واحد منهم على اختلاف طبقاتهم في
مراتب الفضل فائز بها لا محالة ومساكن طيبة أي وعد بعض خواص الكمل منهم منازل تستطيبها
النفوس ويطيب فيها العيش في الجنات قصوراً من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر في جنات
عدن هي أبهى أماكن الجنات وأسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم
تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنه أن في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف
باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هي بطنان الجنة وسرتها نعت على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي أي الاقامة والخلود فمرجع
العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكأنه وصف أولاً بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن المعروفة
عندهم من الجنات ذات الأنهار الجارية ليميل اليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس
وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو أعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله أي وشيء يسير من رضوانه تعالى أكبر اذ عليه
يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع
عزته في نفسه لأنه متحقق في ضمن كل موعود ولأنه مستمر في الدارين روي أنه تعالى يقول لأهل
الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا
أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم
أبداً ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة
هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها
وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى أدنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ولنعم ما قال من قال تالله
لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغداً ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع
يضمحل غداً يا أيها النبي جاهد الكفار أي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود
واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه كل شيء من العفو والصفح ومأواهم
جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله
والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم
الموجبة لما مر من الأمر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عم
فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا
واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق
وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر
يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وايثار صيغة
الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان
القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل **ولقد قالوا كلمة الكفر**
هي ما حكي انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض **وكفروا بعد اسلامهم** اي واظهروا ما في قلوبهم
من الكفر بعد اظهارهم الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** من الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر
آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هو كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي سلول وان
لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** اي وما انكروا وما عابوا او ما وجدوا ما
يورث نقمتهم **الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف
درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا
اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا والعلة من العلل الا لاغناء الله تعالى اياهم **فان يتوبوا يك**
عما هم عليه من الكفر والنفاق **خيرا لهم** في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الجلاس يا رسول الله عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت
توبته **وان يتولوا** اي يستمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن
التوبة بعد هذا العرض **يعذبهم عذابا اليما في الدنيا** بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون
العقوبات **والآخرة** بالنار وغيرها من افانين العقاب **وما لهم في الارض** مع سعتها وتباعد
اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما يبغي بقوله **من ولي ولا نصير** ينقذهم من العذاب
بالشفاعة او المدافعة **ومنهم** بيان لقبائح بعض آخر منهم **من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن** لنؤتين الزكاة وعبر من الصدقات **ولنكونن من الصالحين** قال ابن عباس رضي الله عنهما
يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت

اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله عز وجل **فلما آتاهم من فضله بخلوا به** اي
منعوا حق الله منه **وتولوا** اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل
منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك امرتك فلم تطعني فقبض عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه
فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت في
وفي سهل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر **وهم معرضون** جملة معترضة
اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم **فاعقبهم** اي
جعل الله تعالى عاقبة فعلهم ذلك **نفاقا** راسخا **في قلوبهم الى يوم يلقونه** الى يوم موتهم الذي
يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل **بما اخلفوا الله ما وعدوه** اي بسبب اخلافهم ما
وعدوه تعالى من التصدق والصلاح **وبما كانوا يكذبون** اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع
المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبيب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده
الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة
على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على فعلهم المحكي عنهم من المعاهدة
بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا مدخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة
اريد بيان ذلك مع الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء على الالتفات خطابا للمؤمنين والهمزة على
الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا **ان الله يعلم سرهم ونجواهم** اي ما اسروه في
انفسهم او ما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم
السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة **وان الله علام
الغيوب** فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترءوا على ما اجترءوا عليه من العظائم واظهار اسم
الجلالة في موقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم
بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة
الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين
بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم **الذين يلمزون** نصب او رفع
على الذم وجر على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون
المطوعين اي المتطوعين المتبرعين **من المؤمنين** حال من المطوعين وقوله تعالى **في الصدقات**
متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن
بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير

على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة **فيسخرون منهم** عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير **سخر الله منهم** اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة **ولهم عذاب اليم** اي ثابت لهم والتنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه السلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها ما فوقها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات **ذلك** اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل **بانهم** اي بسبب انهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا **والله لا يهدي القوم الفاسقين** الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي في استغفاره لهم وهو عدم ياسه من ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى في قوله عز وجل ما كان للنبي الاية **فرح المخلفون** اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم وخلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم ونفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله فانتصابه على انه

ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح او فرحوا لاجل مخالفتهم عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه السلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهة وانما اوثر على ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيه المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقالوا** اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك **لا تنفروا في الحر** فانه لا يستطاع شدته **قل** ردا عليهم وتجهيلا لهم **نار جهنم** التي ستدخلونها بما فعلتم **اشد حرا** مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير **لو كانوا يفقهون** اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كيف هي او ان مالهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتاثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا** اخبار عن عاجل امرهم واجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء للسببية مسوق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادة الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام **جزاء بما كانوا يكسبون** من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة **فان رجعك الله** الفاء لتفريع الامر الاتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى **الى طائفة منهم** اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان يستاذن البعض عن قتادة انهم كانوا

الى غير رجلا ابيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل
اخراجاً لهم عن ديوان الغزاة وابعاداً لمحلهم عن محفل صحبتك لن تخرجوا معى ابداً ولن تقاتلوا
معى عدواً من الاعداء وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف
اى لانكم رضيتم بالقعود عن الغزوة وفرحتم بذلك اول مرة هى غزوة تبوك فاقعدوا
الفاء لتفريع الامر بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود اى اذا رضيتم بالقعود
اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما لعدم
الخالفين على الفصر فكان محوساً منهم عن دفتر المجاهدين ولزهم فى قرن الخالفين عقوبة
لهم اى عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا
تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امرأة اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد
وانما جئ بصيغة الماضى تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابداً متعلق بالنهى اى لا تدع ولا
تستغفر لهم ابداً ولا تقم على قبره اى ولا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روى انه عم كان
يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابى بن سلول بعث الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عم اهلكك حب اليهود فقال يا رسول
الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وسأله ان يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى
عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عم تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه
قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضى الله عنه انه قال لما هلك عبد الله
بن ابى وضمناه ليصلى عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلى على عدو الله القائل
يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عم ثم مشى معه وقام على
حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الخ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عم لان الضنة بالقميص كانت
مظنة الاخلال بالكرم على انه مكافاة لقميصه الذى كان البسه العباس رضى الله عنه حين اسر
ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف
على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة
حياتهم وماتوا وهم فاسقون اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ عن معنى
الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز
ان يكون هذا فى حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد
مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانه مما لا
بد منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو
واولاده فى ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط
لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما يحصل
من الاغذية كما سيأتى فى سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم
بها فى الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد فى شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون
اى فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر فى العواقب واذا انزلت سورة من

من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله ان مفسرة لما فى الانزال من معنى القول والوحى
او مصدرية حذف عنها الجار اى بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته
استأذنك اولوا الطول منهم اى ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا وماليا وقالوا
عطف تفسيرى لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعنى القعود ذرنا نكن مع القاعدين
اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم
لكلا الامرين وان لم يرد والاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتى من شانهن
القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك
لا يفقهون ما فى الايمان بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه واتباع رسوله عم والجهاد من
السعادة وما فى اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من
عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله فى شئ وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن
الجهاد باستيذانهم فى القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد
نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى
فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة
فى العقبى وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة بتخفيف خيرة واولئك هم
المفلحون اى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة
تنويه لشانهم وربا لمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين اى هيأ لهم فى الآخرة
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد
ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من النيل الاعظم الفوز العظيم
الذى لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع فى بيان احوال منافقى
الاعراب اثر بيان منافقى اهل المدينة والمعذرون من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم
يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى الذال
ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد
فى العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فأذن لنا فى
التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيئ على اهالينا
ومواشينا فقال عم سيغنينى الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله
سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاء والصاد فى المطوعين
وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون اى الذين لم يفرطوا فى
العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا
فظهر انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اى من
الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر فى
الدنيا والنار فى الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين

لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التخلف إذا نصحوا لله
ورسوله وهو عبارة عن الإيمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب
فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون
ما سبق أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين أو تعليل لنفي الحرج عنهم أي ما على جنس المحسنين
من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير إلى أن بهم حاجة
إلى المغفرة وإن كان تخلفهم بعذر ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن
به قوله عز وجل فيما سيأتي إنما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من
الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
بن مغفل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد ندبتنا إلى الخروج فاحملنا على
الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الأشعري وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه
حال من الكاف في أتوك بإضمار قد وما عامة لما سألوه وعزموا مما يحمل عليه عادة وفي إيثار
لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب
ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض أي تسيل بشدة من الدمع
أي دمعا فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لإفادة
أن العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية
والحالية والمصدرية لفعل دل عليه ما قبله أي يفيض للحزن فإن الحزن يسند إلى العين مجازا
كالفيض أو تولوا للحزن أو يحزنون حزنا فتكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض ألا يجدوا
على حذف لام متعلقة بحزنا أو بتفيض لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون إليه إذ لم
يجدوه عندك إنما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم أغنياء واجدون
لأهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل
بأن يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم أي خذلهم فغفلوا
عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون أبدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما
لم يعلموا بخساسته عاجلا يعتذرون إليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول
إليهم روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضا لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقط أي يعتذرون إليكم بالتخلف إذا رجعتم من الغزو وانتهيتم إليهم وإنما لم يقل إلى المدينة إيذانا
بأن مدار الاعتذار هو الرجوع إليهم لا الرجوع إلى المدينة فلعل منهم من بادر إلى الاعتذار قبل
الرجوع إليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم فيما سبق
لأصحابه أيضا لما أن الجواب وظيفته عليه السلام وأما اعتذارهم فكان شاملا للكل من شهود الرجوع
إليهم لا تعتذروا أي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون أو لا تعتذروا بما
عندكم من المعاذير وأما التعرض لعنوان كذبه فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم في

ذلك أبدا فإنه استئناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في
الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لأنا لا نصدقكم لما يكون عبثا إذ لا يترتب عليه غرض المعتذر
وقوله تعالى قد نبأنا الله من أخباركم تعليل لانتفاء التصديق أي أعلمنا بالوحي بعض أخبا
ركم المنافية للتصديق مما أنتم عليه من الشر والفساد وأضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للإيمان في معرض الا
عتذار من الأكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق رأسا
ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلا فإن تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في
تصديق الرسول أيضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللإيذان بافتضاحهم بين المؤمنين
كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي أتتوبون إليه تعالى مما أنتم فيه من النفاق أم تثبتون
وكأنه استتابة وإمهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى
ورسوله للإيذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللإشعار بأن مدار الوعيد هو علمه عز وجل
بأعمالهم ثم تردون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال و
وضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة
وإحاطته بأحوالهم الباطنة والظاهرة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم إليه ووقوفكم
بين يديه بما كنتم تعملون أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة
واللاحقة على أن ما موصولة أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة
بذلك المجازاة به وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فإن المنبأ به
الأخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيذان بأنهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم وإنما يعلمونها
يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه
محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له
إذا انقلبتم أي انصرفتم من الغزو إليهم معنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء
وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى لا تعتذروا
الخ بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضى فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى
لترضوا عنهم فأعرضوا عنهم لكن لا إعراض رضى كما هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت كما يعرب
عنه قوله تعالى إنهم رجس فإنه صريح في أن المراد بالإعراض عنهم إما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس
الروحاني وإما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء
أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم إما من تمام
التعليل فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم
والعتاب وإما تعليل مستقل أي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا أنتم في ذلك جزاء نصب
على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا أي يجزون أو لمضمون الجملة السابقة فإنها مفيدة
لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات على أنه مفعول
له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم
وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فإن الله لا
يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لأن الله ساخط عليهم وإنما لرضا

عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم
من السخط وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار
بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن
المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن
قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقد جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا **الأعراب** هي صيغة جمع
وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء
سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الأعراب على
لفظه فقيل أعرابي قال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء
النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعراب والأعاريب أي أصحاب البدو
أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشئهم في معزل من مشاهدة
العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا
إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا **وأجدر أن لا يعلموا** أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا **حدود ما**
أنزل الله على رسوله لبعدهم عن مجالسته عليه السلام وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من
الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة **والله عليم** بأحوال كل من أهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به
مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب **ومن الأعراب** شروع في بيان تشعب جنس الأعراب إلى الفريقين
وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة
على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب على الفريق المذكور خاصة وإن ساعده كون
يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يتصدون للإنفاق من أهل النفاق دون فقرائهم أو أعراب أسد وغطفان
وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن الخ فإن أولئك ليسوا من
هؤلاء قطعا وإنما هم من الجنس أي ومن جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض أفراده **من يتخذ ما ينفق**
من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** أي غرامة وخسرانا لازما إذ لا
ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وإنما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما
في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية
لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد
بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم
عليه فيتخلص مما ابتلي به **عليهم دائرة السوء** دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض
كقوله سبحانه غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه
الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من إضافة الموصوف إلى الصفة فوصفت
في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وعلا ما كان أبوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة
يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهي العذاب
كما قيل له سيئة **والله سميع** بما يقولونه عند الإنفاق مما لا خير فيه **عليم** بما يضمرونه من الأمور الفاسدة
التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **ومن الأعراب** أي من جنسهم على

على الإطلاق **من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ** أي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق أي ينفقه في سبيل الله تعالى **قربات** أي ذرائع إليها وللإيذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل
كأنه نفس القربات والجمع باعتبار أنواع القربات أو أفرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل
عند الله صفتها أو ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** أي وسائل إليها فإنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له
أن يصلي عليه كما فعله عليه السلام حين قال اللهم صل على آل أبي أوفى فإن ذلك منصبه فله أن يتفضل
به على من يشاء والتعرض لوصف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر في الفريق الأخير مع أن مساق الكلام
لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وأن ذكر اتخاذه ذريعة إلى القربات
والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بإيمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء
بتحقيق الفرق بين الفريقين من أول الأمر وأما الفريق الأول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم
من سياق النظم الكريم صريحا **ألا إنها قربة لهم** شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه
وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باعتبار الوجهين والتنكير
للتفخيم المغني عن الجمع أي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي إيراد الجملة الاسمية وتصديرها بحرفي
التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لأنها الغاية القصوى
وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى **سيدخلهم الله في رحمته** وعد لهم بإحاطة رحمته الواسعة
بهم وتفسير للقربة كما أن في قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيدا للأولين عقيب الدعاء عليهم والسين
للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى **إن الله غفور رحيم** تعليل لتحقق الوعد على
نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة
وقيل في أسلم وغفار وجهينة وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن
وغطفان **والسابقون الأولون من المهاجرين** بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان فضيلة
طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا
قبل الهجرة **والأنصار** أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا
سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على
والسابقون **والذين اتبعوهم بإحسان** أي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون
بالسابقين من الفريقين على أن من تبعيضية أو الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة
فالمراد بالسابقين المهاجرون والأنصار ومن بيانية **رضي الله عنهم** خبر للمبتدأ أي رضي عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء أعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا وأعد لهم في
الآخرة **جنات تجري تحتها الأنهار** وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع **خالدين فيها أبدا** من غير
انتهاء **ذلك الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لبيان منزلتهم
في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الأعراب **وممن حولكم** من الأعراب شروع في بيان أحوال
منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم أي ممن حول بلدتكم
منافقون وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن أهل المدينة** عطف على

ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه بما
عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا
ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق
اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب فيه وضرى حتى لان عليه ومهر فيه
غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق
وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر
منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم
بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من
المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم
مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم
بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم
فيه صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل
عدم علمه عم بعد مجيء هذا البيان على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم
مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من
مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم
عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم ان المقصود بيان
تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما
علم الله فيهم من موجباته مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام
خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا و
فضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما القبر والاول هو القتل والثاني عذاب
القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات
الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه
ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى
ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق
الى نون العظمة حسب اسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول
خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت
طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف
على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي
هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا
بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه الاوزار
ما بينا ويبدو من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب
ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عند ما بلغهم ما نزل في

في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم
كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عم وانا اقسم ان لا احلهم
او أمر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي
السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على
ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لاسيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون
كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك
خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع
الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به
وفي ترك تلك الدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل
من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا
وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم
يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها
للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما
امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عم
اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم
حسبما ينبي عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل
مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة او
للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم
بها بانمائها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم
بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم اي مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة
الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعلت التاء للخطاب او للصدقة وسواء جعلت الجملة الاولى
حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة
من غير حاجة الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف
عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلاتك مراعاة للعدد المدعو لهم سكن لهم
تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة
عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما
يقتضيه الحكمة والجملة في تذييل التعليل مقررة لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين
محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم
تطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم
واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي لنبيهم

يعلم اولئك التائبون **ان الله هو يقبل التوبة** الصحيحة الخالصة **عن عباده** المخلصين فيها ويتجاوز
عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر
للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا **ويأخذ
الصدقات** اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات فالمراد بأخذ
صدقاتهم اندراجها اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من
التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلى الله
عليه السلام كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى **وان الله هو التواب
الرحيم** تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه
المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن
دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا يسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما غير التائبين من المؤمنين
فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت اي لم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في
سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى
وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في الثبات
على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص
وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وجل **فسيرى الله عملكم** اي خيرا كان او شرا تعليل
لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد **ورسوله** عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول
للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت **والمؤمنون** في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا
كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان
كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا وشرا فهو خاص بالدنيوي
من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها **وستردون**
بعد الموت **الى عالم الغيب والشهادة** في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة
ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل
ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة
للعلم بالمعلومات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس الغيب ما يسرونه
من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق
ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه
بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود
كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة
واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة
او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه
به في حالته الثانية **فينبئكم** عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة **بما
كنتم تعملون** قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبيه بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر

فشر فهو وعد ووعيد **وآخرون** عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة
ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين **مرجون** وقرئ مرجئون من ارجأته
وارجيته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة **لامر الله** في شأنهم قال ابن
عباس كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية رضي الله عنهم لم يسارعوا الى التوبة
والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم
على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم او يكلموهم وكانوا
من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر
لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى **اما يعذبهم** ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل
ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين **واما يتوب عليهم** ان
خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما
متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره **والله عليم** باحوالهم
حكيم بما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم **والذين اتخذوا مسجدا**
عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها **ضرارا**
اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا وعلى انه مصدر مؤكد
لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا وعلى انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعل عليه السلام حسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى
المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج
محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا
مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو
لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى
صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين **وكفرا** تقوية للكفر الذي يضمرونه **وتفريقا بين المؤمنين** الذين كانوا يصلون في مسجد
قباء مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم **وارصادا** اعدادا وانتظارا
وترقبا **لمن حارب الله ورسوله** وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم **من قبل** متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف
حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد
وليحلفن

إن أردنا أي ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى إلا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله
والتوسعة على المصلين أو الإرادة الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة
فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك إليه لمسجد أسس على التقوى يعني مسجد قبا أسسه رسول الله
وصلى فيه أيام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصاة فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
واللام إما للابتداء أو للقسم المحذوف أي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدأ وما بعده صفته
وقوله تعالى من أول يوم أي من أيام تأسيسه متعلق بأسس وقوله تعالى أحق أن تقوم فيه
للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستأنفة مبينة لأحقيته لقيامه
فيه من جهة الحال بعد بيان أحقيته له من حيث المحل أو صفة أخرى للمبتدأ أو حال من الضمير في فيه
وعلى كل حال فيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه حقيقا به أن لا استحقاق
في مسجد الضرار رأسا وإنما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه أو الأفضلية في الاستحقاق
المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يتابعه في الاعتقاد وهو الأنسب بما سيأتي يحبون
أن يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضات الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون
عليها والله يحب المطهرين أي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فإذا الأنصار
جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا
معهم فقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عم أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل
قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم
نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام
وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء أثر البول وعن الحسن هو التطهر
عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم أفمن أسس
بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ أسس بنيانه على الإضافة
جمع أساس بالفتح والكسر جمع أس وقرئ أساس بنيانه جمع أس أيضا وأس بنيانه وهي جملة مستأنفة
مبينة لخيرية الرجال المذكورين من أهل مسجد الضرار والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي
أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان أي على قاعدة محكمة هي
التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما
يؤثم من فعل وترك وقرئ تقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق دون التأنيث خير أم من
أسس بنيانه ترك الإضمار للإيذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا وإضافة على شفا
جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل أي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا
يريد الانهدام والهار الهائل المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار أو هاد يهير قدمت
لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا أي بغير موجب فجرى وجوه الإعراب على

لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم
رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله
إلى الرضوان ومقتضياته التي أدناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم مصيرهم إليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين أي لأنفسهم أو
الواضعين للأشياء في غير مواضعها أي لا يرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم إرشادا موجبا له لا محالة
وأما الدلالة على ما يرشدهم إليه إن استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي
بنوا البنيان مصدر أريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعل للإيذان بكيفية بنيانهم له
وتأسيسه على أوهن قاعدة وأوهى أساس وللإشعار بعلة الحكم أي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا
ومهدوما ريبة في قلوبهم أي سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة أما حال بنائه فظاهر
لأن اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق
ويدبرون فيه أمورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم إلى بعض ما سمعوا من أسرار المؤمنين
مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين وأما حال هدمه فلما اندرس به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعف
آثاره وأحكامه وسبب ريبة في أمرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء أمرهم على
المؤمنين لأنهم أظهروا من أمرهم بعد البناء أكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وتيقنوا اطلاع
المؤمنين وساءت ظنونهم بأنفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا
مرتابين في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل أو يأمر بقتلهم
ونهب أموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه والمراد لا يزال هدم
بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم إلا أن تقطع من التفعل بحذف إحدى التائين أي إلا أن تقطع
قلوبهم قطعا وتتفرق أجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية إدراك وإضمار قطعا وهو استثناء من أعم
الأوقات أو أعم الأحوال ومحله النصب على الظرفية أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الأوقات
أو كل الأحوال إلا وقت تقطع قلوبهم أو حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها وأما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز أن يكون المراد
حقيقة تقطعها عند قتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل
وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بالقتل
وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ إلا أن تقطع وإلى أن تقطع قلوبهم على
الخطاب وقرئ ولو تقطعت قلوبهم على إسناد الفعل مجهولا إلى قلوبهم ولو قطعت على قلوبهم على
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وقيل إلا أن يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الأشياء التي من جملتها ما ذكر من أحوالهم حكيم
في جميع أفعاله التي من زمرتها أمره الوارد في حقهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على
وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله
تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو
العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة

ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد
في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال
العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل **بان لهم الجنة** مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم
واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم
بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك
اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء
لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك
بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو كون الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون
العوض الجنة الموعود بها والوعد بها **يقاتلون في سبيل الله** استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى
ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو
بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم
بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لهما
للهلاك وقوله تعالى **فيقتلون ويقتلون** بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل
في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما
ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل
سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا
وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد القتل ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة
والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما
في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة
في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل
في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون الخ في معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم **وعدا عليه** مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا **حقا**
نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى **في التوراة والانجيل**
والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت
في القرآن **ومن اوفى بعهده من الله** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة
في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر من كرام الخلق مع
امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان
كان على انكار ان يكون اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصد
قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **فاستبشروا** التفات الى الخطاب تشريفا لهم
على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب
كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا

سرورا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل **ببيعكم** مع ان الابتهاج به باعتبار
ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى
لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى
الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم والاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني
بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى وعن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو
رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عم على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط
لربك ولنفسك ما شئت فقال عم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني
مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله عز وجل قال
بيع ربيح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد **وذلك** اي الجنة التي جعلت ثمنا
بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من
معنى البعد اشارة الى بعد منزلته المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه
فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا والمقرر لمضمونه ۝
التائبون رفع على المدح اي التائبون هم المؤمنون المذكورون كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على
المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون
خبره قوله تعالى **العابدون** وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون
هذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى **الحامدون** لنعمائه او لما نابهم من
السراء والضراء **السائحون** الصائمون لقوله عم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن
الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم
السائحون في الجهاد وطلب العلم **الراكعون الساجدون** في الصلوة **الآمرون بالمعروف**
بالايمان والطاعة **والناهون عن المنكر** عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان
المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى **والحافظون لحدود الله** اي فيما بينه
وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين
وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على
ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه
عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب به عم اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب
والتشريف **ما كان للنبي والذين آمنوا** بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما
استقام **ان يستغفروا للمشركين** به سبحانه **ولو كانوا** اي المشركين **اولي قربى** اي ذوي
قرابتهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة
حذفا مطردا كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عم قال لعمه
ابي طالب لما حضرته الوفاة قل يا عم كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال عم لا ازال

استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال
اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن وانزل علي
الآيتين **من بعد ما تبين لهم** اي للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **انهم** اي المشركين **اصحاب
الجحيم** بان ماتوا على الكفر ونزل الوحي انهم يموتون على ذلك **وما كان استغفار ابرهيم
لابيه** بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان
من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ
استغفار ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى **الا عن موعدة**
استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه ناشئا عن شيء من الاشياء الا
عن موعدة **وعدها** ابرهيم عم **اياه** اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله
ساستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله
تعالى **فلما تبين له** اي لابرهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على
الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى **انه عدو لله** فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت
تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب **حليم** صبور على الاذية
والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بانه
ابرهيم عليه السلام كان اواها حليما في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه
عم تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا
وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان محظورا لما استثني عن الايتساء به في قوله
تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى **وما كان
الله ليضل قوما** اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه
بعد اذ هداهم للاسلام **حتى يبين لهم ما يتقون** بالوحي صريحا او دلالة فلا يسمي ما صدر عنهم
ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان
الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل **ان الله بكل شيء عليم** تعليل لما سبق اي انه
تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين
لهم ذلك كما فعل هاهنا **ان الله له ملك السموات والارض** من غير شريك له فيه **يحيي ويميت وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير** لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى
وضمن ذلك التبري منهم بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا
يتاتى لهم نصير ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه قاصدين الا اياه **لقد
تاب الله على النبي** قال ابن عباس رضي الله عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه
والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان
فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك
الاولى **الذين اتبعوه** ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره **في ساعة العسرة** اي في وقتها والتعبير

عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب
عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة
وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم
له عليه السلام في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة
فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى **من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم** بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءه وهو اشراف بعضهم
على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتاء الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه **ثم تاب عليهم** تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب
عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم **انه بهم رؤوف رحيم**
استيناف تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول
عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر
للواحق **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة
واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولا قطع في شانهم شيء الى ان نزل فيهم
الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين
بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو
الانسب لان قوله تعالى **حتى اذا ضاقت عليهم الارض** غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى
الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض **بما رحبت** اي برحبها وسعتها لاعراض
الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له
دار **وضاقت عليهم انفسهم** اي قلوبهم لا يطمئنون لشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء
الوحشة والحيرة **وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه** اي علموا انه لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى
استغفاره **ثم تاب عليهم** اي وفقهم للتوبة **ليتوبوا** او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم **ان الله هو
التواب** المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت **الرحيم** المتفضل
عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عم عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم
حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب
فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما ابطأني ولا خلفني الا الضن بك
فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عم
قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي
ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عم لما

راى سوادا فقال كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح عم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عم منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه
الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عم ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة
فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا
وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر يا كعب ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك ثم تلى علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين آمنوا**
خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك
خاصة **اتقوا الله** في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امر المغازي دخولا اوليا **وكونوا مع الصادقين** في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية
وقولا وعملا او في كل شأن من الشئون فيدخل ما ذكر دخولا اوليا والمراد بهم هؤلاء
الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع
المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين
ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم **ومن حولهم من الاعراب** كمزينة وجهينة واشجع
وغفار واضرابهم **ان يتخلفوا عن رسول الله** عند توجهه عم الى الغزو **ولا يرغبوا** نصب وقيل جزم
بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه
بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر
ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة **بانهم** بسبب انهم **لا يصيبهم**
ظمأ اي عطش يسير **ولا نصب** ما **ولا مخمصة** اي مجاعة ما لا يستباح عنده المحرمات
من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسير حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا ذلك منه اولى فلا
حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع
وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط
كلمة لا ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به
في سبيل الله واعلاء كلمته **ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار** اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر

رواحلهم واخفاف رواحلهم دوسا كان ما يداس **ولا ينالون من عدو نيلا** مصدر
كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قتلهم **الا كتب لهم به** بكل واحد من الامور المعدودة
عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجزيل ونيل الزلفى والتنوين
للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الا فان اختلاف العنوان كاف
في ذلك **ان الله لا يضيع اجر المحسنين** على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين
اما المحدث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين
وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون
فيه دخولا اوليا **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو تمرة او علاقة سوط **ولا كبيرة** كما انفق عثمان رضي
والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما
بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل **ولا يقطعون** اي يجاوزون في مسيرهم **واديا**
وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودي اذا سال
ثم شاع في الارض على الاطلاق **الا كتب لهم** اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق
والقطع **ليجزيهم الله** بذلك **احسن ما كانوا يعملون** احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب
علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش **فلولا نفر** فهلا نفر **من كل**
فرقة اي طائفة كثيرة **منهم** كاهل بلدة او قبيلة عظيمة **طائفة** اي جماعة قليلة **ليتفقهوا**
في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها **ولينذروا قومهم** اي
وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم **اذا رجعوا اليهم**
تخصيصه بالذكر لانه اعم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان
يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو
دين ابناء الزمان والله المستعان **لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا عما ينذرون
واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة
تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما لم يبلغ التواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا
الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى
اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة
للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي من قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما
حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم **يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره **وليجدوا فيكم غلظة** اي شدة وصبرا على
القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها **واعلموا ان الله مع المتقين** بالعصمة

والنصرة والمراد به اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال
على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى
ان الله معنا **واذا ما انزلت سورة** من سور القرآن **فمنهم** اى من المنافقين **من يقول** لاخوانه
ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان **ايكم زادته هذه** السورة
ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اى ايكم زادته هذه الخ واراد الزيادة
مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا **فاما الذين آمنوا** جواب
من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اى فاما الذين آمنوا
بالله تعالى وبما جاء من عنده **فزادتهم ايمانا** بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها
والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق **وهم يستبشرون**
بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية **واما الذين في قلوبهم مرض** اى كفر وسوء عقيدة
فزادتهم رجسا الى رجسهم اى كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة
كذلك **وماتوا وهم كافرون** واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه **اولا يرون** الهمزة للانكار و
التوبيخ والواو للعطف على مقدر اى الا ينظرون ولا يرون **انهم** اى المنافقين **يفتنون في كل
عام** من الاعوام **مرة او مرتين** والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور اى يبتلون
بافانين البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى
الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما نزل عليه من الآيات لا
سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم **ثم لا يتوبون**
عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى **ولا هم يذكرون** والمعنى اولا
يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يذكرون بتلك
الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اى الا تنظرون
ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله ثم لا يتوبون
وما عطف عليه معطوف على يفتنون **واذا ما انزلت سورة** بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في
محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لها وهم غائبون عنه **نظر بعضهم الى بعض**
تغامزا بالعيون انكارا لها وسخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم **هل يراكم من احد** قائلين
هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك
فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد
ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر
اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما
انزلت سورة في عيوب المنافقين **ثم انصرفوا** عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة
والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح
او غير ذلك **صرف الله قلوبهم** اى عن الايمان بحسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية

او دعاء عليهم **بانهم** اى بسبب انهم **قوم لا يفقهون** لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم **لقد جاءكم** الخطاب
للعرب **رسول** اى رسول عظيم الشان **من انفسكم** من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء
اى انفسكم وافضلكم **عزيز عليه ما عنتم** اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة **حريص عليكم** اى على
ايمانكم وصلاح حالكم **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم **رؤف رحيم** قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي
هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فان تولوا** تلوين للخطاب وتوجيه له
الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل حسبي الله** فانه يكفيك
ويعينك عليهم **لا اله الا هو** استئناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت** فلا ارجو ولا اخاف الا منه
وهو رب العرش العظيم اى الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله [عليه وسلم]
ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما
انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة يونس عليه السلام وهي مائة وتسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين
بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في
فاتحة سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على
انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق
العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب
كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت
في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ
وكلمة **تلك** اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور
مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من
جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها
بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله تعالى **آيات الكتاب** وعلى
تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم
مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات
الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم
الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب
كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلابد من ملاحظة
كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ عطفا على قوله
اما جميع القرآن العظيم المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على
جميع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم

سورة يونس عليه السلام

يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ايهما اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير اليه الى احدهما
قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في اجزائه
انما هو المجموع النازل من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا
لنزوله جملة الى السماء الدنيا **الحكيم** ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة
ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية
على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة
تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة
عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه كل واحدة منها لا المجموع
من حيث هو مجموع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه
حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بالمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان
اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب
عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا
مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال
الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور مدح تحقق
السورة بكونها بعضا من القرآن العظيم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لا
تنتفي ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف **اكان للناس عجبا** الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب
السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم
مع انه المراد لتعجبهم كما تعرض له في قوله تعالى قال الكافرون الخ لتحقيق ما بينه من الشركة بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم واظهار بطلان
زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع
المشهور في الظرف وقيل بالمصدر واذا كان باسم الفاعل او باسم المفعول جاز تقديم معموله عليه
وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث **ان اوحينا** اسم كان
قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب
تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم
وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة
والمختار ان تجعل كان تامة وان اوحينا متعلق بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث للناس
عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه
بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل
للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى
الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال لا من
عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان
بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر

فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث
الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط
الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة
والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم
في انه عليه السلام في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم
في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال
بها غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
ان انذر الناس ان مفسرة لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان الخبر
والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال و
وجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا
القصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة
من الثقيلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس والمراد
جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الضمير وكون الثاني عين
الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين آمنوا** بما اوحيناه وصدقوه **ان
لهم** اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة **عند ربهم** وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل
السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق
والوجدان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها
وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق
قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف
لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار ولكونه استئنافا مبنيا على سؤال كانه
قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكا
فرون على طريقة التاكيد **ان هذا** يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير **لسحر مبين** اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بانه امر
خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد
كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج **ان ربكم** كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم
المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة عقيب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية
ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير
واحوال التكوين والتدبير وارشادهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من

برزقكم من السماء والارض الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون الله اى ان ربكم ومالك امركم الذى تعجبون
من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحى اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو
الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما من اصول الكائنات فى ستة ايام اى فى ستة اوقات
او فى مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذى هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض
مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التانى فى الاحوال والاطوار واما
تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استاثر بعلمه علام الغيوب جلت قدرته
ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع فى السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة
الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى
استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة
له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن التمكن
والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من
خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر فى ادبار الامور وعواقبها لتقع على
الوجه المحمود والمراد ههنا التدبير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات
والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى
من المناسبات والمباينات فى الذوات والصفات والازمنة والاوقات اى يقدر ما ذكر من امر الكائنات
الذى ما نحن فيه من امر البعث والوحى فرد من جملته ويقيه من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا
وبقاء فى اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا
ثانيا لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشا من ذكر الاستواء على العرش المنبئ
عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
وقوله تعالى ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه فى التقدير والتدبير ونفى للشفاعة على ابلغ الوجوه
فان نفى جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفى الشفاعة على اتم الوجوه كما فى قوله تعالى
لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه
عقيب قوله قل من بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات
اى ما من شفيع يشفع لاحد فى وقت من الاوقات الا من بعد اذنه المبنى على الحكمة الباهرة وذلك
عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله
سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الشان المنعوت بما
ذكر من نعوت الكمال التى عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل
منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الخ لزيادة
التقرير والمبالغة فى التذكير والتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اى وحدوه من

من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبى فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما
انزل اليكم افلا تذكرون اى تعلمون ان الامر كما فصل عن جماد لا يبصر ولا يسمع فلا تتذكرون
ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا
او اشتراكا مرجعكم اى بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه
فاعلا فى المعنى اى اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اى
وعد الله وعدا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل
من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول
انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه
فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اى لانه او هو
كونه منصوبا بما نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب
حقا اى حق حقا بدء الخلق الخ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بالعدل
وهو حال من فاعل يجزى اى ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزى اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم
اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفى به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم
للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزى الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل
الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على
مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل
عن الانتظام فى سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفر على موجب سوء
اختيارهم واما المقصود الاصلى من ذلك فهو الاثابة هو الذى جعل الشمس ضياء تنبيه على
الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد
التدبير الذى اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هو
التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق
الهدى وتعيين مهاوى الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال
من مفعوله اى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان
جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثانى اى جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بمعنى انها
كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين
بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام فى الشمس والضياء اى ذا نور
وقيل بالذات ضوء وبالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اى قدر له
وهيا منازل او قدر مسيره فى منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير و
تخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة
فى تواريخ العرب وتوحيد الضمير لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد

منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثمانية
والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون
مقام القمر في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب
الانواء المستمطرة وهي الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف
• الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانان • الاكليل • القلب • الشولة • النعائم
• البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر
• الرشا وهو بطن الحوت **لتعلموا** بما يتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها
او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل **عدد السنين** التي هي يتعلق بها غرض علمي لاقامة
مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك
مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر
في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان
الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين
له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما
قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من
غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم
خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من
العشرات والمئات والالاف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات
المحسوبة المبني عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق
به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة
اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل
منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا
وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم
يتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل امر آخر حسبما حقق نازل من الحساب
الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك** اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما
حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك
كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا
انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل **الا بالحق** استثناء
مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق
مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين و
الاوقات المنوط به امور معاشهم ومعادهم **يفصل الآيات** اي الآيات التكوينية المذكورة
او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على
ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون

شئون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل
بهم لانهم المنتفعون به **ان في اختلاف الليل والنهار** تنبيه اجمالي على ما ذكر فيهما وكون
كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او
في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس
بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر
فان البلاد القريبة بالقطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما في نفسها فان كروية الارض تقتضي ان تكون بعض الاوقات في بعض الاماكن
ليلا وفي مقابله نهارا **وما خلق الله في السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لآيات**
عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من
جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء **لقوم يتقون**
خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم
الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها
وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن
البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا
وعقابا او تفصيل لبعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث ولقاء
الحساب كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه واما ما كان يفيده مع الالتفات الى ضمير
الجلال من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل
وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع
الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول والى الثاني اشار
بقوله تعالى **ورضوا بالحيوة الدنيا** فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى **واطمأنوا بها** اي سكنوا
فيها سكون من لا براح له منها آمنين من غوائل المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذاب وقيل
المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون من لقائنا بالبعث ولا حياة بالحيوة الابدية
ورضوا بدلا منها وبما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا
بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام
الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضى بالحيوة الدنيا
فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين
للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم
الرجاء **والذين هم عن آياتنا** المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة
المنبهة للانتباه بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على
البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا **غافلون** لا يتفكرون فيها اصلا وان
نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول

للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع
العذاب هذا واما ما قيل من العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين
الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما
لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب
العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد ثم مل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء
مأواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا به من الحياة الدنيا ونعيمها بما
كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات
او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلق
بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين
لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يشهد به الايات التي غفل
عنها الغافلون اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات
اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريها مجرى الاسماء
يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم
يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهوره وانسياق
النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اداهم اليه من الاعمال السيئة ومشاهدة
ما مر من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول
الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار
ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع
بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف
ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا
يخلد صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية
الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا للفظها عليه قطعا كيف لا
وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان
المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره
ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب
تجري من تحتهم الانهار اي من بين ايديهم كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري
على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم
على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على
سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير
والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة
بحسب القوة العملية كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر
آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهديهم فالمراد بالمهدي اليه ما امام

لامام

منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به
وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى
اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج
رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب
العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة
الجليلة اصلها احياك الله بحيوة طيبة او ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام
قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد
لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات
الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي
المخففة من المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى
وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم
وخاتمته للتوسل الى ضم الحكاية بالتحميد بها كما ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق وعلى
كون الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة دعوا بنعوت عظمة الله تعالى وكبريائه ومجدوه
ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الافات والفوز باصناف الكرامات او
حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه باباه اضافة الاخر الى دعواهم وقد
جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الى آخره ايذانا
بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه
فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء
الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة
على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان
تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله
لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه
مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار
التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم
والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به
فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لأدي اليهم الاجل الذي عين
لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على
سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار
صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم
التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل
قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في

بهم

الشرطية ان يكون التالى امرا مغايرا للمقدم فى نفسه مترتبا عليه فى الوجود كما فى قوله تعالى لو
يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فان العنت اى الوقوع فى المشقة والهلاك امر مغاير للطاعة عندهم
مترتب عليها فى الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر يخصه كما فى الاجوبة
المحذوفة فى مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
اى لرايت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما فى قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما
ترك على ظهرها من دابة اذ ليس الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة
قد عبر عنه بما لا مزيد عليه فى الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه فى معرض التالى
للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل
هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى
مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتبه عليه وجودا وعدما مزيد مصلحة
تجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور
وجودا وعدما كما فى قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مؤاخذتهم فان
تعجيل العذاب ليس نفس المؤاخذة او جزئيا من جزئياتها ممتازا عن البقية فليس فى بيان ترتبه عليه
وجودا او عدما مزيد فائدة واما الفائدة فى بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا فى
ترتيب التالى على ارادة المقدم ما ليس فى ترتبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل
الامر والدلالة على ان الامور المنوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة **فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا** بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ
عنه الشرطية كانه قيل لكن لا يفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا **فى
طغيانهم** الذى هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم
الشنيعة **يعمهون** يترددون ويتحيرون وفى وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما
فى حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج **واذا مس الانسان الضر** اى اصابه جنس الضر
من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة **دعانا** لكشفه وازالته **لجنبه** حال من فاعل دعى
بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان اى دعانا
كائنا على جنبه اى مضطجعا **او قاعدا او قائما** اى فى جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص
المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا فى جميع الاحوال من مرض على ان
المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا عاجزا عن النهوض وقائما لا يستطيع
الحراك **فلما كشفنا عنه ضره** الذى مسه عقيب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء **مر** اى مضى
واستمر على طريقته التى كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسى حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة
والابتهال ونأى بجانبه **كان لم يدعنا** اى كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما فى قوله كان
لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية فى محل النصب على الحالية من فاعل مر اى مشبها
بمن لم يدعنا **الى ضر** اى الى كشف ضر **مسه** وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف
بهذه الصفات **كذلك** نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتى وما فيه من معنى البعد
للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك فى لغة العرب

العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اى مثل ذلك التزيين العجيب
زين للمسرفين اى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم
القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة
فلما صرفوها الى ما لا ينبغى وهى راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من
جهة الله تعالى على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل **ما كانوا يعملون**
من الاعراض عن الذكر والدعاء او الانهماك فى الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث
ان فى كل منهما امهالا للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر فى الاولى ومن
الضر المقدر فى الاخرى **ولقد اهلكنا القرون** اى القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد
واضرابهم ومن قوله تعالى **من قبلكم** متعلق باهلكنا اى اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب
لاهل مكة على طريقة الالتفات لما لعله فى تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمى **لما
ظلموا** ظرف للاهلاك اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادى فى الغى والضلال
من غير تاخير **وجاءتهم رسلهم** الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله وجاءتهم رسلهم حال من ضمير
ظلموا باضمار قد وقوله تعالى **بالبينات** متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع
حالا من رسلهم دالة على افراطهم فى الظلم وتناهيهم فى المكابرة اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او متلبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز
ان يكون للعطف على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب
عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس
الظلم منحصرا فى التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق
الترتيب الوقوعى كما فى قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له بل هو محمول على
سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى **وما كانوا ليؤمنوا** على ابلغ وجه واكده
فان اللام لتاكيد النفى اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان
الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار
باحداث التكذيب وهو بالاصرار عليه وعلى الثانى عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين
الفعل وما يجرى مجرى مصدره التشبيهى اعنى قوله تعالى **كذلك** فان الجزاء المشار اليه عبارة عن
مصدره اى مثل ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد الذى هو الاستيصال بالمرة **نجزى
القوم المجرمين** اى كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم
لاولئك المهلكين فى الجرائم والجرائر التى هى تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما
سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة
وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا
بانهم اعلام فى الاجرام ويأباه كل الاباء قوله تعالى **ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم**
فانه صريح فى انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادى احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم
على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم
ببث القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم فى الارض بعد اهلاك اولئك القرون

التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر **لننظر** أي لنعامل معاملة من ينظر **كيف**
تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فإن ما فيه من معنى
الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه أي أي عمل أو على الحالية أي على أي حال تعملون الأعمال
اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن كقوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وفيه إشعار
بأن المراد بالذات والمقصود الأصلي من الاستخلاف إنما هو ظهور الكيفيات الحسنة للأعمال
الصالحة وأما الأعمال السيئة فبمعزل من أن تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا أخبار القرون
المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن أن ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف
وقيل منصوب على أنه مفعول به أي أي عمل تعملون أخيرا أم شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون
في كلمة كيف ح دلالة على أن المعتبر في الجزاءات الأعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل
بل تكون ح مستعارة بمعنى أي شيء **وإذا تتلى عليهم** التفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضا عنهم
وتوجيها للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم
بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون
المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الأخبث حسب تجدد التلاوة **آياتنا** الدالة على
حقية التوحيد وبطلان الشرك والإضافة للتشريف والترغيب في الإيمان بها والترهيب على تكذيبها
بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وإيراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا إلى الآيات
دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا به للفاعل للإشعار بعدم الحاجة إلى تعيين التالي
للإيذان بأن كلامهم في نفس المتلو دون التالي **قال الذين لا يرجون لقاءنا** وضع الموصول
موضع الضمير إشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وأنهم إنما اجترءوا عليها لعدم خوفهم
من عقابه تعالى يوم اللقاء لإنكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك أي قالوا
لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لم يذكر إيذانا بتعينه **ائت بقرآن**
غير هذا إشارة بهذا إلى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا إلى نفسها فقط قصدا إلى إخراج
الكل من البين أي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما
نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها **أو بدله** بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان
الآية المشتملة على ذلك آية أخرى خالية عنه وإنما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا
به إلى الإلزام والاستهزاء به **قل** لهم **ما يكون لي** أي ما يصح وما يستقيم لي وما يمكنني أصلا **أن**
أبدله من تلقاء نفسي أي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب
ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه أولا من
الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها وأن التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجازاة
مع السفهاء إذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة
الأول بالطريق الأولى **إن أتبع** أي ما أتبع في شيء مما آتي وأذر **إلا ما يوحى إلي** من غير تغيير له في
شيء أصلا على معنى قصر حاله عم على اتباع ما يوحى إليه لا قصر اتباعه على ما يوحى إليه كما
هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي وقد مر تحقيق المقام
في سورة الأنعام وهو تعليل لصدر الكلام فإن من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد

بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا
السؤال من أن القرآن كلامه عم ولذلك قيل التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه
عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم**
عظيم فإنه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره عم على اتباع الوحي أي إني أخاف
إن عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والإعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم
عظيم هو يوم القيامة أو يوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه إشعار بأنهم استوجبوا بهذا الاقتراح والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عم لتهويل أمر العصيان وإظهار كمال نزاهته عليه السلام
عنه وإيراد اليوم بالتنوين للتفخيم ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا يساغ
بحمل مقترحهم على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي أن أبدله
من تلقاء نفسي بأنه لا يتسهل لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما أتبع إلا ما يوحى إلي من غير صنع
من الاستدعاء وغيره من قبيل ما لا يرتضيه التعليل المذكور لا لأن المقترح ح ليس فيه معصية أصلا كما
توهم فإن استدعاء تبديل الآيات النازلة لتحسبها بمقتضيه بل لأنه ليس فيه معصية الاقتراح التي هي
المقصودة بما ذكر في التعليل ألا ترى إلى ما بعده من الآيتين الكريمتين فإنه صريح في أن مقترحهم
الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وإن زعمهم في الأصل أيضا كذلك وقوله عز وجل
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى إثر بيان
بطلان ما اقترحوا الإتيان به واستحالته عبارة ودلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه داخلا
تحت الأمر السابق إظهارا لكمال الاعتناء بشأنه وإيذانا باستقلاله مفهوما وأسلوبا فإنه برهان
دال على كونه بأمر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد إخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول
شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله • ولو شئت أن أبكي دما لبكيته •
حيث لم يحذف لفقدان الشرط الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته عم للقرآن عليهم إنما هو
مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى أن الأمر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط
ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته
كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **ولا أدراكم به** أي ولا أعلمكم به بواسطتي
والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي المقدم أعني مشيئته عدم التلاوة ولا يخفى
أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائها حتما وانتفاء عدم مشيئة
التلاوة إنما يكون بتحقق مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها فثبت أن تلاوته عم للقرآن بمشيئته
تعالى وأمره وإنما قيد نفي الإدراء بكونه بواسطته عم لأن عدم الإعلام مطلقا ليس من لوازم
الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عم فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء
إليه تعالى المنبئ عن استناد الإدراء إليه تعالى إيذان بأن لا مدخل له عليه السلام في ذلك حسبما
يقتضيه المقام وقرئ ولا أدرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت
وأرضيت أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وقرئ
ولا أنذرتكم به وقرئ لأدراكم بلام الجواب أي لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا ولأعلمكم به على لسان

غري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن علي
بخصني بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمرا** تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله
عز وجل وامره حسبما بين انفا لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق
بسبب مشيئته عز وجل اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة
من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف
الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي
طرا وتحيطون بما لدي خبرا **من قبله** اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من
حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع **افلا تعقلون**
اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله
العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من
العقل اذا تأمل في امره عليه السلام وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء
في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار
وخوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته
كل بليغ رائق وعلى نظمه كل منثور ومنظوم وحوى بحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار
الغيب من وراء استار الكمون ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من
الكتب المنزلة مهيمنا عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده اشتباه في انه وحي
منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بمبنى الجواب فيما
سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار
حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون
القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد
ههنا على المطلوب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته
عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم
المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا
جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون
ان من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على الله تعالى ويتحكم على كافة
الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي
مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام
انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا
لانكار ان يكون احد اظلم منه غير متعرض لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من افضل من فلان
او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى
كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه صريحا
مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا
اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله **او**

كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته عليه السلام وللفاء
لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره لا مجال لحمل الافتراء على
الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق
كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذا
كذلك من كذب باياته كما تفعلونه اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشأن ومحله النصب اسما لان والجملة بعده
من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان
بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه
قيل ان الشأن هذا اي **لا يفلح المجرمون** اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب و
المراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا **ويعبدون من دون الله**
حكاية لجناية اخرى لهم ناشئة عن جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآيات
عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي
متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا
لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** اي ما ليس من شأنه
الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام
العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة
الضر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان
تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة
وهبل واساف ونائلة **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة
يشفع لي اللات وقيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك
فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم
اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون
الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا
طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم
واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند
الله تعالى **قل** تبكيتا لهم **اتنبئون الله بما لا يعلم** اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون
الاصنام شفعاءهم عند الله اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه
من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى
في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما
فهو منتف عادة **سبحانه وتعالى عما يشركون** من اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن
شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة
القول المأمور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى **وما كان الناس الا
امة واحدة** بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا

وان الشرك وقد وعدها الان ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وتشنيعا لعصى الجماعة واما حمل اتحادهم
على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال
له اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك
من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمان ادريس وقيل الى زمن نوح عم
وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من
لدن ابرهيم عم الى ان اظهر عمرو بن لحى عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب
بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا
بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث
ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس فى ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل
فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافى امتداد زمان
الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق
ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة
فانه يوم الفصل لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك
المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية
اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء
والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من
الايات التى اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد وتماديهم فى المكابرة والعناد لم يعدوا البينات
النازلة عليه عم من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات
المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم فى الجواب
انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمى دون التكوينى فان الغيب والشهادة فى ذلك الاختصاص
سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة
بالله تعالى لا وقوف لى عليه فانتظروا نزوله انى معكم من المنتظرين اى لما يفعل الله بكم
لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف
عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا
اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم
واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما فى قوله تعالى
واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون فى آياته تعالى ويعادون رسوله عليه السلام ويكيدونه
وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر فى آياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال فى
دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجئوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم
وفى متعلقة بالاستقرار الذى يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى عجل عقوبة بناى عذابه
اسرع وصولا اليكم مما ياتى منكم فى دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة مكرهم
وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه

تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن
العليم الخبير وصيغة الاستقبال فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى والجملة تعليل من جهته
تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل فى الكلام الملقن لقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة
الرسل لما يمكرون من مبادى بطلان مكرهم وتخلف اثره عنها بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يخفى
وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد فى التوبيخ وقرئ على لفظ
الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر وللامر هو الذى يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى
مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من
السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وتنقلكم فى البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله
عز وجل بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على زنة اسد
لا على وزن قفل وغاية للتسيير ليست انتهاء كونهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه
ايثارها لكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم بالذين فيها
والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوى
احوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا
كنتم فى الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون فى البر فالضمير الغائب عائد
الى ذلك المضاف المقدر كما فى قوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب
موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب
للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا
لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثانى من غير
عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه
لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل فى بيان استيلائها على ما فرحوا
به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا
حاجة الى فارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج فى الفلك من كل مكان اى من امكنة مجئ
الموج عادة لا يعد فى مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط
بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل فى
الهلاك اصله احاطة العدو بالحى وسدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل
اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل
فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا
مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل بالعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا
يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله
لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التى من
جملتها هذه النعمة المسئولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو
الاولى لاستدعاء الثانى لانحصار دعائهم على ذلك فقط وفى قوله تعالى لنكونن من الشاكرين
من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر مثابرين عليه منتظمين فى سلك المعدودين

بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن **فلما انجاهم** مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة
على سرعة الاجابة **اذا هم يبغون في الارض** اى فاجأوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في
ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد
وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والا
ستمرار وقوله تعالى **بغير الحق** تأكيد لما يفيده البغي ومعناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون
ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى يقتلون النبيين بغير الحق وما قيل
من الاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زرعهم فلا يساعده
النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعته دون ما ذكر
من المعنى اللائق بحال المفسدين **يا ايها الناس** توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد
في التهديد والمبالغة في الوعيد **انما بغيكم** الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى **على
انفسكم** خبره اى عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله
متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم
الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف اى تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار
الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول
الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا
معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى وقت متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر
بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا
يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان
الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاني مناسبة
بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل
على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر
نفس البغي لا كونه على نفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع
الحيوة الدنيا على ان الجملة مستأنفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو
متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم
متاع الحيوة الدنيا محذور وظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام
من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة
الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل
انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف
هو متاع الخ كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه
الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور
على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما
يقتضيه ما حكي عنهم ولم يجر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصودا

مقصودا للافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادئ
ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومن
مبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا
موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي او الضرر العائد اليه من حيث هو هو لا
من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا فعلى ما
مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل الاشتمال وقيل انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه
على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن
ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال احمد بن كعب ثلاث
من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا
بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه عم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر
عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين
وعن ابن عباس رضه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي **ثم الينا مرجعكم** عطف على ما مر من
الجملة المستأنفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير الاسلوب
الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر **فننبئكم بما كنتم تعملون**
في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت
وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض
فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم
قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن
ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي
في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال
والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون
وانما يظهر لهم عند ذلك ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضارة لما كانوا يشاهدونه
على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم **انما مثل الحيوة الدنيا**
كلام مستانف لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه
حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة بغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها
وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما في الارض من انواع النبات في زواله ونفاده
وتصاره بها فجاة وذهابه حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف
بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت
من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله تعالى **كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض** بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب **مما يأكل الناس والانعام** من البقول
والزروع والحشيش **حتى اذا اخذت الارض زخرفها** جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف
النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذت زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد
اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها **وازينت** اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل و

وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم
قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اى ضرب زرعها ما يجتاحه
من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وما عليها حصيدا اى شبيها بما
حصد من اصله كان لم تغن كانه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل
بالامس اى فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل فى ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل
ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اى الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات المنبهة على
احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون فى تضاعيفها ويقفون على
معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر فى اثناء التمثيل
من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكى ايجادا واعداما فانها آيات و
علامات يستدل بها على من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومالا والله يدعوا
الى دار السلام ترغيب للناس فى الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية
الفانية اى يدعو الناس الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهى الجنة وانما ذكرت بهذا
الاسم لذكر الدنيا بما يقابلها من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة
التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها
او يسلم بعضهم على بعض ويهدى من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام
والتزود بالتقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها على الوجه
اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى وزيادة اى وما
يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل
الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
اى اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من
الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اى شئ منهما والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان
فوزهم بالمطالب والثانى وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله تعالى برحمته
وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم للتشريف ولان
الموخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن
عنده فضل تمكن ولان فى الفاعل ضرب تفصيل كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وقوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو
طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن
المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا
السيئات اى الشرك والمعاصى وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اى جزاء

جزاء الذين كسبوا السيئات اى مجازاة سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد فى الحسنة
تقرير للسببية حيث لم يقل والذين كسبوا السيئات السوء لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافى و
التباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم والموصول
معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك فى الدار
زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واى ذلة كما
ينبئ عنه التنوين التفخيمى وفى اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة
بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم
احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفى نفى
العاصم من المبالغة فى نفى العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لان العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل
فى الصفة او معنى الفعل من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال • افتحى لنا
والنظرى فى النجوم كما علينا من قطع ليل بهيم • فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى
وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اى الموصوفون
بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة فى
حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق
لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره فى الذكر مع تقدمه فى الوجود على بعض احوالهم
المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعى الترتيب الخارجى
لعد الكل شيئا واحدا كما مر فى قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية
بمضمر اى انذرهم او اذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات
لان المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثانى بالذكر فى قوله تعالى ثم نقول للذين
اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد افظع
والاخبار بحشر الكل فى تهويل اليوم ادخل وتخصيص اشراكهم بالذكر فى حيز الصلة من بين سائر
ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة
سيئاتهم وقيل للفريق الثانى خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم
نصب على انه فى الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو راى الفارسى
اى الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشئ عن مكانه ازيله اى ازلته
والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار
صيغة الماضى للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل
ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة
اى فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب
العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجى فخابت اعمالهم وانصرمت عرى اطماعهم

وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين
الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد
بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
في قوله تعالى انما كنتم تشركون من دون الله فالوا ضلوا عنا فالواو في قوله تعالى **وقال**
شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير
الاول لاستدعائها المجاورة المحاضرة بالغاية المباعدة وليس في ترتيب التنزيل بهذا المعنى على
الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى
تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المجاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك
بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المجاورة
اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاسيما مع رعاية ما ذكر من النكتة
ولو سلم تأخر جميع مراتبه من المجاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز
ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن
عبدوه من اولي العلم فيتعين تأييده لرجوع الضمير الى الكل وقولهم **ما كنتم ايانا تعبدون** عبارة عن
تبرئهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة
لهم بالاشراك دونهم كقوله سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى
الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها **فكفى بالله شهيدا بيننا**
وبينكم فانه العليم الخبير **ان كنا عن عبادتكم لغافلين** اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور و
للايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم
لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاهم باشراكهم
لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام **هنالك** اي في ذلك
المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان **تبلوا** اي تختبر وتذوق
كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية **ما اسلفت** من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا
لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في
البرزخ فامر مجمل وقرئ بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها
ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب
بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ
تتلو اي تتبع لاعمالها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها
ما قدمت من خير او شر **وردوا** الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله
تعالى هنالك تبلوا الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها **الى الله** اي الى جزائه وعقابه
مولاهم ربهم **الحق** اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على
المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد **وضل عنهم** وضاع اي ظهر ضياعه لا انه
كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا **ما كانوا يفترون** من ان آلهتهم تشفع لهم وما كانوا
يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على

على تبلوا وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان
ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم
الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولكن لا تنفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على
معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتبدل
قطعا فان ما فيه من الضمائر للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة
مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله سبحانه اعلم **قل** اي لاولئك المشركين الذين حكيت
احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك
من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء
والارض **ام من يملك السمع والابصار** ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول
لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته
فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات
مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**
اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان **ومن يدبر الامر** اي و
من يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعدما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر
فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخر **الله** اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله
يفعل ما ذكر من الافاعيل **فقل** عند ذلك تبكيتا لهم **افلا تتقون** الهمزة لعدم انكار الاتقاء بمعنى
انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من
اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية **فذلكم** ذا لكنه لما تقدم اي ذلكم الذي
اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى **الله** خبره وقوله **ربكم** اي مالككم
ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى **الحق** صفة له اي ربكم الثابت
ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه **فماذا** يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب
فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي **بعد الحق** اي غيره
بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق
الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو متصف بما ذكر من النعوت الجميلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها
من اعمال الجوارح لابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة
عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى
فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر
مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير
الثاني **فانى تصرفون** استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة

ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى وجوده على الطريق البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اى
كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو
الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى
سمعتم ضلاله وضياعه فى الآخرة وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق
الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عنه وقوعه بالقسر من جهة صارف
خارجى **كذلك** اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون
عن الحق **حقت كلمة ربك** وحكمه وقضاؤه **على الذين فسقوا** اى تمردوا فى الكفر وخرجوا عن اقصى
حدوده **انهم لا يؤمنون** بدل من الكلمة وتعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب **قل هل من
شركائكم** احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من
استحقاق الالهية ببيان اختصاص من خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم
يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعل
اهلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت فى سلكه حيث
قيل **من يبدأ الخلق ثم يعيده** ايذانا بتلازمهما وجودا وعدما يستلزم الاعتراف به وان
صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر عليه السلام بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له **قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده** اى هو يفعلهما لا غيره كائنا من كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم فى ذلك
كما قيل لان المقول المامور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه
من يبدأ الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول
المامور به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم فى ذلك انما هو وجود من
يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه
مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر
لا مكابرة ولجاجا واعادة الجملة فى الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق
لمزيد التاكيد والتحقيق **فانى تؤفكون** الافك الصرف والقلب عن الشىء وقد يخص بالقلب عن الرأى
وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون **قل هل من
شركائكم** احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم غب الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر
من الدلالة على استقلاله **من يهدى الى الحق** اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية
المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما نفس الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن
الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء
يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل
بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل **قل الله يهدى للحق** اى هو يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من
نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات
والكلام فى الامر والسؤال والجواب كما مر **أفمن يهدى الى الحق** وهو الله عز وجل **احق ان يتبع أمّن**

أمّن لا يهدّى بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها
بحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه
من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع
لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره فى الجملة وادناها كونه قدوة له بان
يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا
وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما
يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع فى بعض المواقع فان ذلك
مختص بالانكارى كما فى قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة فى الاعتبار
وانما تقديمها فى الذكر لاظهار عراقتها فى اقتضاء الصدارة كما هو رأى الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة
أى لأخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فأى الفريقين احق بالامن اثر تقرير ما يلجئ المشركين الى
الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدى بمعنى لا يهتدى لمجيئه لازما
او لا يهدى غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكى والتقدير أفمن
يهدى الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدى الا ان يهدى الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان
وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع فى حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف
المعروف اى بان يتبع **الا ان يهدى** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدى او لا يهدى غيره
فى حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف
شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير وقيل المعنى ام من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا
ان يهدى من التفعيل للمبالغة **فما لكم** اى اى شىء لكم فى اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه والاستفهام
للانكار التوبيخى وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى **كيف تحكمون** اى بما يقضى صريح العقل ببطلانه
انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب
اتباع الهادى الى الحق ان ذلك التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فى حق من يعكس جوابه الصحيح
فيحكم باحقية من لا يهدى بالاتباع دون من يهدى وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك
بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون
وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل فى حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم
والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الناعى عليهم بطلان حكمهم وعدم
تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم ومحاوراتهم
الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة
الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل
لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم فى اثناء ذلك اتباع لفرد

من افراد العلم والتفاوت البين وجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم للاشعار بان بعضهم قد يتبعون
العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة
اليهم اتم من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثرهم عذابا من الفريق الاول لا
يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من
حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه
ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع هو
الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة
المعاندين لهم في ذلك للتلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل
المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع
اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس
فلا حاجة الى التكلف **ان الظن لا يغني من الحق** من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع
شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن الظن وبطلانه
وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد **ان الله عليم بما يفعلون**
وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع
للظنون الفاسدة وانه راجحا اولى وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد **وما
كان هذا القرآن** شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة
في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع
التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك **ان يفترى من دون الله**
اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية
المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه
خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع
على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ **وتفصيل الكتاب** عطف عليه نصبا ورفعا
اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع **لا ريب فيه** خبر ثان داخل في حكم الاستدراك
اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف
لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من
الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه **ام يقولون
افتراه** اي بل يقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة لانكار الواقع واستبعاده **قل** تبكيتا
لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون **فأتوا بسورة مثله** اي في البلاغة
وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني
في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة
من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدا
رهكم الذين تلجأون الى رأيهم في كل ما تأتون وما تذرون **من دون الله** متعلق بادعوا ودون

جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا
سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص
على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه
فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه **ان كنتم صادقين** اي في اني افتريته فان ذلك
مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور
عليه **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن
العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا
عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه
من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه
المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه
او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما
هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له **ولما يأتهم تأويله**
عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة
المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان
منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب
والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان
يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان
التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع
فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا
والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد
وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع
الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ عن عدم التدبر ثم كيف لا وهم لم يتوقفوا
بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه
مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله
تعالى **كذلك** الخ وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب
المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل **كذب الذين من قبلهم** اي فعلوا التكذيب
او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم **فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين** وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان
بكون التكذيب ظلما وبعلية الاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في
زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله تعالى **ومنهم** الخ وصف لحالهم بعد اتيان التأويل
المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به
واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي

ومن هولاء المكذبين **من يومن به** عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعدما سعوا في الغا
ودار وافوظهم بها فتضالت دونها بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد
بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهولاء هم الذين اشير بقصر
اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان
الحقيقي اي سيومن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير باقتصار المذكور على التفسير الثاني الى انهم
سيتبعون الحق كما مر **ومنهم من لا يومن به** اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط
غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة
عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى
على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل كاف في مقابلته لما سبق من
عدم الاحاطة بالمرة وهولاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا
على التفسير الاول او لا يومن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المصرون
على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له **وربك اعلم بالمفسدين** اي
بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي
لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين **وان**
كذبوك اي تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي **فقل لي عملي**
ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بري والمعنى لي جزاء عملي
ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة
كمال المقابلة **انتم بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون** تاكيد لما افاده لام الاختصاص
من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تواخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من
ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** بيان لكونهم
مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى
كما افرد فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف
الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون
اليك عند قراءتك القران وتعليمك الشرائع **افانت تسمع الصم** همزة الاستفهام انكارية والفاء
عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان
يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل الانكار مترتب عليه حسبما
هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة
واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجيه الانكار اليه من تلك الحيثية
ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك
افانت تسمعهم لا انكارا لاستماعهم فانه امر محقق بل انكارا لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب
العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله
تعالى **ولو كانوا لا يعقلون** اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل
الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك** ويعاين

دلائل نبوتك الواضحة **افانت** اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل **تهدي العمي**
لانكار هدايتهم وابراز لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل **ولو كانوا لا يبصرون**
اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة
في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم
الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة ما قبله عليه اي تسمع
الصم وتهدي العمي وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في النحوي كلتاهما في موضع الحال
من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي
العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب
حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشي اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي
فلأن يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان
الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا **ان**
الله لا يظلم الناس اشارة الى ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم
من الادراك ليس لامر مستند الى الله تعالى من خلقهم موفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم
اي لا ينقصهم **شيئا** مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي
ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل
وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشي اصلا **ولكن الناس** وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع
الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له و
اعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب **انفسهم يظلمون** اي ينقصون ما ينقصون
مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم
على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عنه بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية قطعا لا بالمرة
لمراعاة جانب قرينة وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله
تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون حسبما
وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر
المظلومية عليهم على راي من لا يجوز التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما
ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راي من
يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم
وسخافة عقولهم لما ان افتح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل
ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا عنه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر
الاول عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد
من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه
والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة
وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب
المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى الى قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي

لا على نفي الاختصاص وسياق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي
للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم
انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى
الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق **ويوم يحشرهم** منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات
اي اذكر لهم وانذرهم يوم يحشرهم **كأن لم يلبثوا** اي كأنهم لم يلبثوا **الا ساعة من النهار** اي شيئا قليلا
منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل و
الجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في
الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن
بعض آثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ
الا ذلك المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر
طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون
ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من
موجبات عدم التبديل والتغيير فيكون قوله عز وجل **يتعارفون بينهم** بيانا وتقريرا له لان التعارف
مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا
الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور ثم يذهب ما كانوا عليه من المعرفة المتعارفة فيما بينهم
ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال
المبدلة لها من حال الى حال **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** شهادة من الله سبحانه وتعالى على
خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون
المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقائه سبحانه ان كان مطلق
الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم في
اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى **وما كانوا مهتدين** ما كانوا عارفين
باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا
بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرينك وما مزيدة لتأكيد
معنى الشرط ومن ثم اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك **بعض الذي نعدهم** اي وعدناهم
من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة
على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي
تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل
ذلك **فالينا مرجعهم** اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة
فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من
الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم
واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد
التهديد وقرئ ثمة اي هنالك **ولكل امة** من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة
لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه **قضي بينهم** اي بين

كل امة ورسولها **بالقسط** بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من
نتائج اعمالهم او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم **ويقولون متى
هذا الوعد** استعجال لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار حسبما يشير اليه الجواب
لا لطلب التعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك **ان كنتم صادقين** اي في انه يأتينا
والخطاب للرسول عم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب
الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم
صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه قيل **قل لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا** اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار
العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع
للاعتناء بامره والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب
حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود **الا ما شاء الله** استثناء منقطع
اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبري
عن ان يكون له عم دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما شاء الله
ان يملكه عم وجعلها عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة
الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من
الضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى **لكل امة اجل**
بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا
غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة من قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين
خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله **اذا جاء اجلهم** اي حل
الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان
فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هنالك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل
امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها
ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجميع
كأنه قيل اذا جاء آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة
كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها **فلا يستأخرون** عن ذلك الاجل **ساعة** اي
شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على
يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر
بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون

البيان حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور
الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد يجوز ان
يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه
لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء
الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخير واما ما
في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك
بيان سر تاخر عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان
سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف
الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة أرأيتم اي اخبروني ان
اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم
بمعاشكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله تعالى
ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون
موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك
فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبروني
ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة
في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على
تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله
عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال
لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في
انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله
تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به انكار للايمان بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما
قبله من انكار استعجاله بعد اتيانه حكما تحت القول المامور به اي بعد ما وقع العذاب وحل
بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتاخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه
للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف
للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال
او تعرفوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى أثم اذا ما
وقع الخ والاستفهام فيهما والاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على
استقلاله بالاستبعاد وعلى الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدة بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة
للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته
تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند

عدم ايمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك
لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه ولا لشيء آخر مما يعد عذرا في التاخير بل كان
ذلك على طريقة التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من
فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على
الفعل لرعاية الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تاكيد للتوبيخ والعقاب بوعيد
العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب
موضع الايمان والتصديق وظلموا انفسهم تعريضا للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع
الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية الاصابة لما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من
جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء او الانكار
أحق هو خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه الحق او مبتدأ
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضا بانه
باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل وهو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم
مغضيا عما قصدوا بانيا للامر على اساس الحكمة إي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم
في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو القسم انه اي العذاب
الموعود لحق الثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد
تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب لاحق بكم
لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه
من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف
الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها
ومنافعها قاطبة مما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه
واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في
صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم
يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس
وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكورها على اناثها
الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات
حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة
الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب
باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى
ويضن به نفاسة تهكما بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره حين عيل صبره

نكار

وفى بجلاله **وقضي بينهم** اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان
اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق
بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين
من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم
عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا **وهم** اي الظالمون **لا يظلمون** فيما فعل بهم من
العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية **الا ان لله ما في السموات والارض** اي ما
وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء
فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه وتعالى على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته
يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا **الا ان وعد الله** اظهار الاسم الجليل
لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان
فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه
المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فيعم قوله تعالى **حق** على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى
الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما
المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه **ولكن
اكثرهم** لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعقولة **لا يعلمون** في
ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون **هو يحيي ويميت** في الدنيا من غير دخل لاحد
في ذلك **واليه ترجعون** في الآخرة بالبعث والحشر **يا ايها الناس** التفات ورجوع الى استمالتهم نحو
الحق واستنزالهم اليه بتوليه وانبا عما يحذرهم من غوائل الضلال بما يتلى عليهم من القوارع
الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم **قد جاءتكم موعظة**
هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة
من في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع
صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع
ما لا يخفى **وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** اي كتاب جامع لهذه الفوائد
والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى و
مبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك
والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي تحلية رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر و
الضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في
الكل للتفخيم **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس بان
بغيتهم انما هي في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة **بفضل الله وبرحمته** المراد بهما اما ما في
مجيء القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف
واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب
الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية

السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل **فبذلك فليفرحوا** للتاكيد والتقرير ثم حذف
الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية وقيل
الاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا بشيء آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف
الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز
ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم موعظة
بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ ابي فافرحوا وعن ابي
بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب
الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه **هو** اي ما ذكر من فضل الله ورحمته
خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرحوا المؤمنون هو خير
مما تجمعون ايها المخاطبون **قل أرأيتم** اي اخبروني **ما انزل الله لكم من رزق** ما منصوبة المحل
بما بعدها او بارأيتم واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في
السماء محصل هو وما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب كائنة من المطر والكواكب في الانضاج
والتلوين **فجعلتم منه** اي جعلتم بعضه **حراما** اي حكمتم بانه حرام **وحلالا** اي وجعلتم بعضه
حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور
اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه **قل** تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني **آلله
اذن لكم** في ذلك الجعل فانتم فيه متمسكون بامره تعالى **ام على الله تفترون** ام منقطعة
والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل
تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيد
التبكيت مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل
فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على
الافتراء عليه سبحانه وتقرير وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل
بل على الله تعالى خاصة تفترون **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب** كلام مسوق
من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول
في موقع الاضمار لقطع الاحتمال السوق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة
الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما فعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم
ايضا وكلمة ما استفهامية مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله تعالى **يوم
القيامة** ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازات
عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل
هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له لما فيه من الاحوال
لكمال وضوح ما يتعلق به ظنهم اليوم امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم
لما سيقع لهم يوم القيامة ايحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او لا يجازون
جزاء يسيرا او لاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد

العاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كائن لا محالة قد كان **ان الله لذو فضل** اي عظيم لا يكتنه كنهه **على الناس** اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا يستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد **ولكن اكثرهم لا يشكرون** تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه **وما تكون في شان** اي في امر من شان شانه اي قصدت قصده بمعنى المفعول **وما تتلوا منه** الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شؤونه عم او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى **من قرآن** مزيدة لتاكيد النفي وابتدائية او على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب اثر تخصيصه بالكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا عليكم شهودا** استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له **اذ تفيضون فيه** اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثرت في الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي **وما يعزب عن ربك** اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي **من مثقال ذرة** كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء **في الارض ولا في السماء** اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او متعلقا به وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر عنه شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ **الا ان اولياء الله** بيان على وجه التبشير والوعد لما يتبع اعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء

الله خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم **لا خوف عليهم** في الدارين من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله تعالى **الذين آمنوا** اي بكل ما جاء من عند الله تعالى **وكانوا يتقون** اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من رتبة التقوى عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المامور بها في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والتقرب الذي يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معهم تحت الخطاب بقوله تعالى ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة وبحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس

ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكورة لله تعالى والتحاب في الله
سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما بالتخصيص بالذكر لظهور
فوته من افهام الناس قد اورده رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو
ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم
وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها
وحسن عاقبتها ليرعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من ان يغبطهم
الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض بهذه
الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل
الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسير التوليهم اياه تعالى وقوله عز وجل **لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة** تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير
مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك
اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور
لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا
بمحاسن آثارها بل التولي عين نتيجة الولاية باعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف
والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما
شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة
مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم البشرى في الدارين وتقديم
الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين
وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان بين بشارة
الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء
الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات كالنصر
والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء
البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى
كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في
الحيوة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه
قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عم تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل
البشرى مصدر والظرفان متعلقان به واما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين
المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى
له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة
قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما

يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة
المطلوبة لغاياتها لا لذاتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما
لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده
الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع
الاختلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم التبديل
كما نبه ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين
ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر **ذلك**
اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وهذه تفسير لما
ابهم في ما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر وتعظيم شانه وليس من شرطه
ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذه تذييل والسابقة اعتراض **ولا يحزنك قولهم** تسلية للرسول
عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له عم بانه تعالى ينصره
ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك
من احزن وهو في الحقيقة نهي له عم عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم
في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم
للمبالغة في نهيه عم عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي بالمرة وقد توجه النهي الى
اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا اريتك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد
مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عم شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه
عم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى **ان العزة** تعليل للنهي على طريقة
الاستيناف اي الغلبة والقهر **لله جميعا** اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم
ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كل ذلك فهي من جملة البشرى العاجلة
وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون
عليه وهو مكافئهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** اي العقلاء من الملائكة والثقلين و
تخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا
عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكه فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من
التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عم وعدم مبالاته بالمشركين و
بمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان
على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف
لظهوره اي ما يتبعون الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وانما سموها شركاء فاقتصر
على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا
لانفهامه من قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما
موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد
ما بنوه عليه من ظنهم شركاء وهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه وتعالى واما استفهامية اي واي

ثم يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من
دونه الا اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل واي شيء
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين وتقرير لكونهم متبعين لله مطيعين له وتوبيخا لهم
على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف
الكلام من الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة و
النبيون من الحق **وان هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويحزرون ويقدرون
انهم شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه على
تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة
وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به
سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال
كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة
الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم
الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من
الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي
كما في نهاره صائم **ان في ذلك** اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من
معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته **لايات** عجيبة كثيرة او ايات اخر غير
ما ذكر **لقوم يسمعون** اي هذه الايات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الايات التكوينية
الامرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها
منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها **قالوا** شروع في ذكر ضرب اخر من اباطيلهم وبيان
بطلانه **اتخذ الله ولدا** اي تبناه **سبحانه** تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب
من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان
بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض** اي من العقلاء
وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى **ان عندكم من سلطان**
اي حجة **بهذا** اي ما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع
عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على
انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما
بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول
من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله
اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل
مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من
الاعتداد به **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء عاقبتهم
ووخامة عاقبتهم **ان الذين يفترون على الله الكذب** اي في كل امر فيدخل فيه ما نحن بصدده من الافتراء

الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا **لا يفلحون** اي لا ينجون من مكروه ولا
يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من
النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه **متاع**
في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ
الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا
يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى
انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله تعالى **ثم الينا مرجعهم** اي بالموت **ثم نذيقهم العذاب الشديد**
بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من
الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقيل ذلك افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على
ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة
زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندهم
وعده كذلك باعتبار اجرائهم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا
وليس ببعيد كما قيل ان المحذوف هو الجزاء اي لهم متاع والاية اما مسوقة من جهته الله تعالى لتحقيق
عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله ثم نذيقهم
واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه تعالى **واتل عليهم**
على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح
الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد **نبأ نوح** اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين
هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب
الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف
بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم
بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه
واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه تعالى قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم
وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى **اذ قال** معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال
وايا ما كان فالمراد بعض نبائه عم لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى **لقومه** للتبليغ
يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق **عليكم مقامي** اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان ومنه
قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي
وتذكيري بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر
حالهم ويسمع مقالهم **فعلى الله توكلت** جواب الشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز
ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل **فاجمعوا امركم** عطف على الجواب والفاء لترتيب
الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة معترضة والاجماع
العزم قيل متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه
وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى
افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا **وشركاءكم** بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما

يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء
على طريقة التهكم وقيل على انه عطف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل
محذوف اى وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم الذى
تريدون بى من السعى فى اهلاكى واحتشدوا فيه على اى وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة
اى مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرون به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تداركه
من الهرب او نحوه فحيث استحال ذلك فى حقى لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عم بذلك اظهارا
لعدم المبالاة بهم وانهم لم يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته
فكلمة ثم للتراخى فى الرتبة واظهار الامر فى موقع الاضمار لزيادة تقرير يقتضيها مقام الامر بالاظهار
الذى يستلزمه النهى عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عم من الحال
الشديد عليهم المكروه لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخى الزمانى والمعنى لا
يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكى من ثقل مقامى وتذكيرى ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل
ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى ادوا الى اى احكموا ذلك الامر الذى تريدون بى ولا تمهلونى
كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الى ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكى كما يقضى
الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم وابرزوا الى من افضى اذا
خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولى على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث
التولى المخصوص اى ان اعرضتم عن نصيحتى وتذكيرى اثر ما شاهدتم منى مخايل صحة ما اقوله ودلايل
التى من جملتها اباكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بى من السوء غير مبال بكم وبما يأتى منكم واحجامكم
من الاجابة علما منكم بانى على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظى وتذكيرى
من اجر تؤدونه الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياى بالطمع والسؤال واما لثقل دفع
المسؤول عليكم وحتى يضرنى توليكم المؤدى الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولى ببيان عدم
ما يصححه والثانى لاظهار عدم مبالاته عم بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية
لسببية الشرط للاعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس فى مصحح له ولا
تأثير عندى وقوله تعالى ان اجرى الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تأكيد وعلى
الثانى تعليل لاستغنائه عم عنهم اى ما ثوابى على الفطنة والتذكير الا عليه تعالى يثيبنى به
آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره والمسلمين
لكل ما يصيب من البلاء فى طاعته تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما
الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة
العذاب فنجيناه ومن معه فى الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما
وقع فى قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا
الصيحة وغير ذلك من الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين
وللايذان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول عم وتسلية له
ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح عم رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما
ذوى عدد كثير الى قومهم اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى
قوم ما اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك
ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم اى جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى المعجزات الواضحة
الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع
حالا من ضمير جاؤوا اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتى كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة
خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هى فيما بين
ضميرى جاؤوهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا
لعدم استمرار ايمانهم لما مر مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرة اى فاصح وما استقام لقوم من اولئك
الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد
ثم ان كان المحكى اخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور
هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتى وبما اشير اليه فى قوله تعالى بما كذبوا به من قبل
تكذيبهم من حين مجئ الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول
حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم
ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول
لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن
جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد
بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجئ الرسل الخ وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون
الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذى
اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم ما كا
نوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون
بها من بقايا من تقدمهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ الرسل
كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر
العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى
التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عم والمعنى
كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية
اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدى الى
مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو راى الاخفش وابن السراج ليرجع اليها
الضمير وفى ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا فى الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اى مثل

ذلك الطبع المحكم **نطبع** بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه **على قلوب المعتدين**
المتجاوزين على الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد
وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال
واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد **ثم بعثنا** عطف على قوله ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف
قصة على قصة **من بعدهم** اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام **موسى وهرون** خصهما بعينهما
عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجهما في ضمن ما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عم على
اقوامهم وان في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عم
الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة
الكل اليهم في النوازل والملمات **بآياتنا** اي متلبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف
فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة
فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من
عمرك سنين الخ **وكانوا قوما مجرمين** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب
الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنوب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤوا على ما
اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا
يساعده قوله تعالى **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين** فانه صريح في ان المراد باستكبارهم
ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم
وذلك اول ما ظهر عم من الآيات العظام والفاء فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه
قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر
مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر **قال موسى** استئناف
مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى عم فقيل قال على طريقة التوبيخ
الانكاري التوبيخي **أتقولون للحق** الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت **لما جاءكم** اي حين
مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل او تدبر وكلا المعنيين مما ينافي القول
المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه لا ينبغي ان يتفوه به ولو على
نهج الحكاية أتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل او يتكلم به
متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي أتعيبونه و
تطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله تعالى **أسحر هذا** انكار مستأنف من جهته عم لكونه سحرا وتكذيب
لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه
اتيانه انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا أفيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار
السابق الصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة
عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة
على كونه آية باهرة من آيات الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا اي أسحر هذا الذي امره واضح مكشوف

مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان
بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ
والتجهيل بقوله تعالى **ولا يفلح الساحرون** وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو
بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وكقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي أتقولون
للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره
مثلي من المؤيدين من عند الله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور و
وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة
كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عم هذا واما تجويز ان
يكون الكل مقول القول على ان المعنى أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه
دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه وصرف جوابه عم عن صريح ما خاطبوه به الى
ما لم يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض
لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين بأذيال
بعضهم منهم في معارضته عم ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن
زعموه ساحرا على غلبتهم بانه من السحرة واما ثالثا فلان قوله تعالى **قالوا أجئتنا**
الخ مسوق لبيان انه عم ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عم فضلا
عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن
كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عم على طريقة قوله تعالى قال
موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا
قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا **لتلفتنا** اي لتصرفنا فان اللفت والفتل اخوان **عما وجدنا عليه
آباءنا** اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما ينبغي ان يكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام
على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عم خاليا عن التبكيت
الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم أجئتنا الخ وبين انكاره
عم لما حكي عنهم مصحح لكونه جوابا عنه **وتكون لكما الكبرياء** اي الملك والتكبر على الناس
باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى **في الارض** اي ارض مصر متعلقة
بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او
من الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء
عم واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص
صاحب الشريعة اسند الى موسى عم خاصة **وقال فرعون** توحيد الفعل لان الامر من وظائف
فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما
بالقول **ائتوني بكل ساحر عليم** بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار **فلما جاء السحرة**
عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن
الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاؤوا **قال لهم موسى** لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما

قالوا الزعم ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا
ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال
واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما
موصولة وقعت مبتدا والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سبحانه او هو
من جنس السحر تزييفا لهم ان حالهم لا يعبا به كانه قيل ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ السحر
على الاستفهام فما استفهامية مبتدا اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى
له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ولا لهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة
اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا
او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على
الاطلاق فيدخل فيها السحر دخولا اوليا او عملكم من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد
والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته وادامته
اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله
تعالى ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين
لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك
والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما امن لموسى معطوف على مقدر قد فصل
في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك [illegible]
وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه
عدما مستمرا من قبيل ما في قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به
فلم يزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما امن له عليه بمشاهدة تلك الايات القاهرة
الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبابهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبابهم امنوا به [illegible]
فرعون وامراته اسية وخازنه وامراته وماشطته وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف
عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان
علوه في الفساد وعلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر
او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف
فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما مفعول له بعد حذف
اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب ان فرعون لعال في الارض
لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال
موسى لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه

وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه
ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عم من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا
تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما
اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم
وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء
على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوآ ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون بها
وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عم كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في
اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا
اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان
بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللايذان
بان المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة اي ما يتزين به من
اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهي متعلقة باتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق
وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال
قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الدعوة
الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه وتعالى في تعليق الامور بالحكم والمصالح
او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين ولا تتبعا من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو
من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه
يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو

بمعنى التقدير نحو ما وقع فى قول الاعشى كما جوز الكي فى الباب فيتق والا القيل وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر وهذا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المفهوم من الفرق بين اذهب وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اى ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى والعدوان وقرى وعدوا وذلك ان موسى عم خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اى لحقه والجمه قال امنت انه اى بانه والضمير للشأن وقرى بالكسر على الاستئناف بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل لم يقل كما قال السحرة امنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة وانا من المسلمين اى الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطفت على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضى الى ما هو ات وقوله عز وجل الان مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الان وهو الى قوله تعالى اية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول وقابلة بما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخى على تاخره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك من الفعل المذكور وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى عند ما روى من ان جبريل عم دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه ناطق بكون الرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد به الرحمة الدنيوية اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عم حتى يلزم من كراهتها ما لا يتصور فى شان جبريل عم من الرضا بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة الباس واليأس فيحمل دسه عم على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الطرد فتدبر والله الموفق وحق الكمال فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخر الايمان الى الحد يمتنع قبوله فيه اى الان تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله تعالى وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخر الايمان الى هذا الان ببيان انه لم يكن تاخره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر فى دلائله واياته ولا لشئ اخر مما عسى يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما

بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اى نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به وتلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرى ننحيك من الانحاء وننجيك بالحاء من التنحية اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت درعا من الذهب يعرف بها وقرى بابدانك باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او تكون لمن ياتى بعدك من الامم اذا سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرى لمن خلفك فعلا ماضيا اى لمن خلفك من الجبابرة وقرى لمن خلقك بالقاف اى لتكون لمن خلقك اية كسائر الايات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا فى تعليل تنجيته ذكرا ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده فى الاسواق او يدار برأسه فى البلاد واللام متعلقة بننجيك واية بمحذوف وقع حالا من اية اى كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جئ به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكى ولقد بوانا بنى اسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم لشكرها واداء حقوقها اى اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اى اللذائذ فما اختلفوا فى امور دينهم حتى جاءهم العلم الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او فى امر محمد عم الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت فى شك اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شئ بشئ من غير تعرض لامكان شئ منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائره مما انزلنا اليك من القصص التى من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل فاسئل الذين

يقرءون الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد
اظهار نبوته عم بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عم او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو
عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال عم لا اشك ولا اسال وقيل
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من خاطبه بشبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسال الذين يقرءون الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد له
ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من
الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية
بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع
لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في
بيان اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية
على الحكمة البالغة كلمت ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله
تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم الخ لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض
لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب
مثل فرعون باتيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل اية واضحة المدلول مقبولة لدى
العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى مفقود ولكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مستحق
استحقاقهم له بسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الاليم
كداب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستانف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من
حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الاتي بيانا لكون
قوم يونس عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا
وقرئ كذلك اي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها
الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه
العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة
العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعدما اظلهم وكاد
يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء
متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما امنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس عم فيكون قوله تعالى لما امنوا استينافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية
ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي
ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه
خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عم ان اجلكم اربعون

اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء
غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة
وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه
فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما
ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها
واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لامن من في الارض
تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على حسب مشيئته تعالى مطلقا اثر
بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا
وكون مفعولها مضمون الجزاء وان يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه
ايمان من في الارض من الثقلين لامن كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع وفيه
على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشا الله منهم
حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه
قيل ان ربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتب
الاكراه المذكور على مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى
بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور واياما
كان فالمعنى على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئته الايمان خاصة في انكار
الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر
ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء
في المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا
بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي
علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت
النفوس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه
تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص
عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن
فيها حتى تستثنى تلك الحال من غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس
الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او

او الخذلان المودي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل
لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال
والجملة معطوفة على مقدر يستدعيه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ
قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات
الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ
بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه
الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم
الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر
للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام
وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض
والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون
والانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية
ويجوز ان تكون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي شيء اغنى تغني الخ
فالجملة اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي
الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم
اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم
اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على
مقدر يدل عليه قوله تعالى مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد
ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم ننجي رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة
الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن
حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله فانجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في
مواقع عديدة ليتصل به قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل
والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك
حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما
قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع
فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة
هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما
للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله تعالى
وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت
من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا
انه تخصيص العبادة به ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم
ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان

وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته
اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها
على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفيه
تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين
بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما
القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه وان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من الدين
ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان
يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا
يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي هو للتوصل الى وصف
المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة
في الدين والاستبداد فيه باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم
الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا
تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله تعالى
ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما ذكر من
النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسق لا يمكن فصل بعضها عن
بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه
اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون من دون الله استقلالا او
اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب
دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه
من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب
اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما ورد في حيز
الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من
كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع
رفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب
النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة
اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على
جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل
من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام
دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه

او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه
لا بوجه من الدواعي الخارجية بالقصد الاولى واريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا
راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة
ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل **يصيب به**
اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم
لما اراد به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في
موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله تعالى **من يشاء من عباده** فان ذلك ينادي بعموم
الفضل وقوله عز قائلا **وهو الغفور الرحيم** تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه
والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها **قل** مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي
اليك **يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي
من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق
لكم عذر **فمن اهتدى** بالايمان والعمل بما في مطاويه **فانما يهتدي لنفسه** اي منفعة اهتدائه
لها خاصة **ومن ضل** بالكفر به والاعراض عنه **فانما يضل عليها** اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد
تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عم من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء
الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطة **وما انا عليكم بوكيل** بحفيظ موكول الى امركم وانما
انا بشير ونذير **واتبع ما يوحى اليك** على نهج التجدد من الحق المذكور المتأكد
يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين
من التنائي **واصبر** على ما يعتريك من مشاق التبليغ **حتى يحكم الله** بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله
من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس عم وكذب به وبعدد من غرق
مع فرعون والله اعلم

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وعشرون وثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة
يونس عم او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ وعلى تقدير كونه اسما للسورة على ما
عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله **كتاب**
خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية **احكمت آياته** نظمت نظما متقنا لا يعتريه
خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من
النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله او على ثبوت نبوة من نزلت عليه
فالمراد بالآيات جميعها او على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها
كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع عن الفساد اخذا
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح فيفيد ايهام ما لا يكاد يليق بشأن
الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات
الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية ما لا يخفى من حسن الموقع والدلالة على كونه

كونه في اقصى غاية منها ما لا يخفى **ثم فصلت** اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص
او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آيات آيات لا يساعده
المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما
المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات الا محكمة مفصلة لا انها
احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكامها مخصوصة
وآثارا معتدا بها فيها ملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان
حمل جعلها آيات على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابة تستدعي رتبتها
ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل
فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم
فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل **من لدن**
حكيم خبير صفة للكتاب وصفه بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من
حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة
للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها
منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن
الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه **الا تعبدوا**
الا الله مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على
سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت
لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله تعالى وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على
ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة
لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله **انني لكم منه** من جهته تعالى **نذير** انذركم
عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى **وبشير** ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم
في عبادته وفي تقديم ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وايراد
معظم ما نظم في سلك الغاية الامر من التوحيد وترك الاشراك وتوسيط بيانه وبين قرينه اعني الاستغفار
والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات
من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وايد ايجابه
بالخطاب عقيب الكتاب مع التلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته عم كذلك في لا
ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب
من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى
الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عم اغراء لهم على اختصاصه تعالى
بالعبادة كأنه عم قال ترك عبادة غير الله اي الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا
انني لكم من جهته نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير

ابشركم بثوابه على تقدير تركه له وتوحيدكم ولما سبق اليهم حديث التوحيد واكد بخطاب الرسول عم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصفه بالبشير والنذير فقيل **وان استغفروا ربكم** وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا ونهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال **ثم توبوا اليه** عطف على استغفروا والكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة وتستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او استغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله تعالى واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله **يمتعكم متاعا حسنا** اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينقصكم شيء من الكدورات **الى اجل مسمى** مقدر عند الله تعالى وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستئصال **ويؤت كل ذي فضل** في الطاعة والعمل **فضله** جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يتوهم حكمته من بعض من تفاوت الحال بين العاملين وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعطي كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل **وان تولوا** اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة على سنن تقديم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي **فاني اخاف عليكم** بموجب الشفقة والرأفة اي اتوقع **عذاب يوم كبير** هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له **الى الله مرجعكم** رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره **جميعا** لا يتخلف منكم احد **وهو على كل شيء قدير** فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم واجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القى اليهم تحدى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسبق اليهم ما ينبغي ان يبين فيها من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا

فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان ينبه عليه ويتعجب منه **الا انهم يثنون صدورهم** يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحى نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله **ليستخفوا منه** التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في قود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فح يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلام وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ يثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم **وما يعلنون** اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار بان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما هاهنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول

الصورة بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشيا
البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد
الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة
علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنهما قبله من قوله
تعالى انى اعلم غيب السموات ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة
العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته
الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما سبق وتقرير له واقع
موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر
بعنوان صاحبيتها من الروعة ما لا يوصف والموصول كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات
جميع الناس واسرارهم والخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما
يسرون وما يعلنون او يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها **وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها** غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما جئ به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة
وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه **ويعلم مستقرها**
محل قرارها في الاصلاب **ومستودعها** موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما
خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشئها
الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها
الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها
الله تعالى حيث كانت في اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعداد
المتفاوتة المنطوية في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها
من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقيل المستودع اماكنها في الممات ولا يلائمه مقام
التكفل بارزاقها **كل** من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها **في كتاب مبين** اي مثبت في
اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى
الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى
منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل **وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** السموات في يومين والارض في يومين وما عليها
من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه
من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في
تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في ستة اوقات
مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض
ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار

واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلمه
بمقتضى علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها
اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الاثار والاحكام **وكان عرشه** قبل خلقهما **على الماء** ليس تحته شئ
غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء
كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم
بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما
ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب
فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من
تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم **ايكم
احسن عملا** فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسئ وامتازت درجات افراد كل من
الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل
والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان
لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله
كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر
التفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في اياته البينات المنصوبة في الانفس والافاق وما
طاعة تدرون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في
الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان
يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى الذي هو عمل
القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى
اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه
بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الاحسن والحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود
الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا
يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة
وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك
والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في
سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير
مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر
عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** على ما يوجبه
قضية الابتلاء ليترتب عليها الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال **ليقولن الذين كفروا** ان وجه الخطاب

في قوله تعالى ايكم اي جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص ليقولن الكافرون منهم وان
وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم **ان هذا الا سحر مبين** اي مثله في الخديعة
او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم
يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل
موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا
عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث عندهم معدوم بحث وتعلق الاية الكريمة بما قبلها
اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك
ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون
ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديقها هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق
جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان
اخبرتهم بان يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما
يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على انه اسلوب شعر
شاعر وقرئ بالفتح على تضمين ذلك معنى ذكرت او على انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلهم
مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره
او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يدعوا الى اللجاج والعناد وربما قرع اسماعهم
بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه باهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التأمل
والتدبر وما يعلمون فاتلهم الله انى يؤفكون **ولئن اخرنا عنهم العذاب** المترتب على تعنتهم او العذاب
الموعود في قوله تعالى وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم   وعن ابن عباس هو ما نزل
جبريل عم للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه
لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون **الى امة معدودة** الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العدد
قليل **ليقولن ما يحبسه** اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستهزاء
استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزءون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف والاستفسار عن
حابسه **الا يوم يأتيهم** ذلك **ليس مصروفا عنهم** محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب
الاخرة او لا يرفعه عنهم رافع بل هو واقع بهم ان اريد به عذاب الدنيا يوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه
واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه
ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل
كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين
المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها كما قاله ابو حيان وقد تتبعت جملة من
دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية
الكريمة وقول الشاعر فيأبى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم **وحاق بهم** اي احاط
بهم **ما كانوا به يستهزءون** اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير بالموصول تهويل
لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي
وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانهما في تحققهما وتيقنهما بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة

كبير وقيل عذاب يوم بدر

الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى **ولئن اذقنا الانسان منا رحمة** اي
اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها **ثم نزعناها منه**
اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها **انه ليئوس** شديد القنوط
من روح الله تعالى قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم
توكله عليه وثقته به **كفور** عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب
كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله تعالى وتاخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل
على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في
الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا **ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته** كصحة بعد سقم
ووجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما
وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من
مراتبها وفي اسناد الاول الى الله تعالى دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده
تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما
يناله ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تأثير وان نزع الرحمة فانما صدر
عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك ومع كفرانهم بما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع
بها **ليقولن ذهب السيئات عني** اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك
الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش **انه لفرح** بطر واشر بالنعم
مغتر بها **فخور** على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الايتين
الاولى موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط **الا الذين صبروا** على ما اصابهم من الضراء
سابقا ولاحقا ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه **وعملوا الصالحات** شكرا على الايادي السابقة
والانفة واللام في الانسان اما للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع **اولئك** اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة **لهم مغفرة** عظيمة لذنوبهم وان جمت
واجر ثواب لاعمالهم الحسنة **كبير** ووجه تعلق الايات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء
ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم
احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي
الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال منه حسن عمل الا من الصابرين
الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما
فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك** من البينات
الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله تعالى لمن له اذن واعية **وضائق به صدرك**
اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة **ان يقولوا** لان يقولوا
تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على من له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه
الاقتراح **لولا انزل عليه كنز** مال خطير مخزون يدل على صدقه **او جاء معه ملك** يصدقه قيل قال
عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة

اصل

ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكأنه
عليه السلام لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت
تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول
مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله بحال من يتوقع منه ان
يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر مما في لعل من
الاشفاق فقيل **انما انت نذير** ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم
من الرد والقبول **والله على كل شيء وكيل** يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك
فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز **ام يقولون افتراه**
اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات
الظاهرة الدالة على كونه من عند الله تعالى وعلى حقيته بنوع آخر وشروع في ذكر ارتكابهم
لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه
للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل يقولون افتراه وليس من عند الله **قل** ان كان
الامر كما تقولون **فأتوا** انتم ايضا **بعشر سور مثله** في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور
امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف
المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة
في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكأن الجميع واحد **مفتريات** صفة اخرى
لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم
وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي
وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما يتوهم ان المراد هو المماثلة في
الافتراء والمعنى بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من
عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار
وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر **وادعوا** للاستظهار في المعارضة **من استطعتم**
دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة
ومدارسكم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها **من دون الله** متعلق بادعوا
اي متجاوزين الله تعالى **ان كنتم صادقين** في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان
بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور **فان لم يستجيبوا لكم**
اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله لقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى
انه عم على كمال امر من امره كأن امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريدون وقوعه والضمير
في لكم للرسول عم والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين
لانهم اتباع له عم في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه في الجهاد
وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه
قوله تعالى **فاعلموا** اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينا متاخما
لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه ويتضح سرائره اذ كلمة الشك مع

مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل شاية المراد منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة
منزلة الشك فيه واثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم **انما انزل** ملتبسا **بعلم الله** المخصوص
به بحيث لا يحوم حوله العقول والاوهام مستندا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار
بالغيب **وان لا اله الا هو** اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على
ما يقدر عليه احد **فهل انتم مسلمون** اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت
والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول عم
داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر
من اليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة
قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة
من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم
الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فان لم يستجيبوا
لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل ومن
حيث انهم يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان
ذلك بمناط ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة
الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته
وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا
او منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد
وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى
وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما
ستحيط به خبرا **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة
في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال
لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى **نوف اليهم اعمالهم فيها** وادخال كان عليها للدلالة على
استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد
كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة
كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها
الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها
فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله تعالى وتوف
بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله
وان اتاه خليل يوم مسغبة ❊ يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها** اي في الحياة الدنيا **لا يبخسون**
اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شيء يستحقونه فيها او نحوه كما
عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء
للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم

فداخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها
نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق والياس المحقق كما
ينطق به قوله تعالى اولئك الخ فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار
توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء
الحال اى اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها
وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها
المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى
الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها
الاخلاص وباطل اى في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول
من شانه استتباع الثواب والاجور وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان
الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث
وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا
لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان
كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية
وقرئ وبطل على الفعل اى ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية
مما لا طائل تحته وانقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان
ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد
بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله
فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الريا
يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيرهم ممن يعمل اعمال البر
لا لوجه الله تعالى وعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار بان ليس لهم بسبب
اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث
يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه تعالى لما امر نبيه عليه السلام
والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على شيء
اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون
الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شئونهم الموهمة
لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك
بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اى بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن و
التوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اى برهان نير عظيم الشان يدل على
حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير
الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اى يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز

الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما
وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله تعالى غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة
الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا
بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اى من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا
منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من
جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه
المخاطبون بقوله فهل انتم مسلمون دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن
فالضمير في منه لله تعالى او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام او لسان النبي
على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد
للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من
المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم
القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله ومن قبله كتاب موسى على فاعله
مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه و
شاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما
له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اى مؤتما
في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان
المتلو ورحمة اى نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة
وهي الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك به وقد يكون ذلك بطريق
التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به
اى يصدقون به حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به
اى بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله تعالى
ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين
العذاب فلا تك في مرية منه اى في شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل حسبما
شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك
ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم
واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدا خبره لاغناء الحال عن ذكره
وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان
بينهما تفاوتا وتباعدا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة
على ما ذكر من صفاتهما وعدم من هناتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف

يتوهم المنافاة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والاجل كما في قوله تعالى افاتخذتم
من دونه اولياء بعد ما علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بان نسب اليه
ما لا يليق به كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه
كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار
المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من
كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **اولئك**
الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد
العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل **يعرضون** لان عرضهم من تلك الحيثية و
بذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته
على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله تعالى **ويقول الاشهاد**
عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه
وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم
ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون
قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقولون
ويشهد له ويوطئه لما يعقبه من قوله تعالى **الا لعنة الله على الظالمين** بالافتراء المذكور
ويحتمل ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة
ظلمهم الهائل ما هو فوق ذلك من الخزي على رؤوس الاشهاد **الذين يصدون** اي كل من يقدرون على
صده او يفعلون الصد **عن سبيل الله** عن دينه القويم **ويبغونها عوجا** انحرافا اي يصفونها بذلك
وهي ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها ويرتدوا يقال بغيتك خيرا او شرا اي طلبته لك وهذا
شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله **وهم بالآخرة هم كافرون** اي يصفونها بالعوج
والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون انها ليست سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير
الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفرهم ليس شيء عند كفرهم **اولئك** مع ما وصف من
احوالهم الموجبة للتدمير **لم يكونوا معجزين** الله تعالى معلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك
في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب **وما كان لهم من دون الله من اولياء** ينصرونهم
من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي
او باعتبار انهم كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال الهتهم من
سقوطها عن رتبة الولاية **يضاعف لهم العذاب** استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرا
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد **ما كانوا يستطيعون السمع** لفرط تصامهم عن الحق و
بغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه
السمع اشد منه في عدم تدبرهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى

عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال **وما كانوا يبصرون** لتعاميهم عن آيات الله
المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي
من ولاية الالهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب
اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة **اولئك** المنعوتون بما ذكر من القبائح
الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون**
من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان ما في حيزه فاعله
والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق **انهم في الآخرة هم الاخسرون** وهذا مذهب سيبويه
والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم
فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد انهم في الآخرة هم
الاخسرون وايا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآية
الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان
يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور
مماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم
ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة
تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين
ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل **ان الذين آمنوا** اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج
تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل
ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان
كانه يعطي ويمنع **وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم** اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته
بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كاتهم وانجد
دخل نجدا وتهامة **اولئك** المنعوتون بتلك النعوت **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون
وبعد تبيين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل **مثل الفريقين** المذكورين اي حالهما العجيب الشأن
المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات **كالاعمى والاصم والبصير والسميع** اي
كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى و
بالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير
اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل
على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر و
السمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في
قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وايا ما كان فالظاهر ان
المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما لا يلائم الاحوال المذكورة
المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم
والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر

في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر
واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي
المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فرج فيما مر فلا يكون التشبيه تشبيه
لاجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يودي اليه من العذاب المضاعف والخسران اللازم
في احدهما ومن النعيم المقيم في الاخر فان اعتبار ذلك يفضي الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من
حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف
والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري السمع والبصر فتخبط
في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال
مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه **هل يستويان** يعني الفريقين
المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله تعالى افمن كان على بينة الاية
مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان **افلا تذكرون** اي اتشكون في عدم الاستواء
وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار
واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق
ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان
الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين
وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الاية وقوله
تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا
المقام انه كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي
انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من
الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى
وتسلية الرسول عم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران
تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عم والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع
اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء عليهم السلام المشتملة على ما اشتملت
عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما
اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي
لا يتسع في حقيقته كلام اصلا وليتسلى بما شاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد
من جهتهم فقيل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف
الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها
مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس
عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عم على راس اربعين من عمره
ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين

سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين و
خمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة **اني لكم نذير** بالكسر على ارادة القول اي فقال اني
قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام
وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد واقتصر على ذكر كونه عم نذيرا لان دعوته عم كانت بطريق الانذار فقط الا
يرى الى قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ
لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عم **مبين** ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار
اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه **ان لا تعبدوا
الا الله** اي بان لا تعبدوا وعلى ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه
ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عم وهو كونه نذيرا مبينا
ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما
ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل
من اني لكم نذير مبين ونعت لما يوجب ونوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله و
قوله تعالى **اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم** تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور و
تحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي
للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عم في اثناء الدعوة على ما
عزي اليه في سائر السور لم يصدر عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة
على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال المقارن
له او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عم بعد اللتيا والتي
بالفاء التعقيبية فقيل **فقال الملا الذين كفروا من قومه** اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي
بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء
بالاحلام والاراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض
اشرافهم ليسوا بكفرة **ما نراك الا بشرا مثلنا** مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك
من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال
في قولهم **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي** فالفعلان من رؤية العين
وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال اما على حاله
او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهو المفعول
الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط انما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به
واصرارهم عليه مراعاة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك
اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي وتعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك
جواب عما يرد عليهم من انه عم ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر
وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا
مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع اراذل جمع رذل كالاكالب والكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك

ليس لهم رزانة عقل ولا أصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير تعمق من البدو
أو في أوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه أبو عمرو بها وانتصابه على الظرفية
على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم مع كونهم أولي
الألباب الراجحة لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهر الحياة الدنيا كان الأشرف عندهم الأكثر منها حظا
والأرذل من حرمها ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وإنما النعيم إنما هو نعيم الآخرة
والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم أي لك ولمتبعيك فغلب
المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون أن اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة
تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هٰهنا على عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق
باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم أنهم كانوا أراذل قبل اتباعهم لك لا نرى فيهم وفيك بعد
الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة وإياك في
دعوى النبوة وإياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم إلى المجازفة ومجاراة
معه عم بطريق الإرادة على نهج الإنصاف قال يا قوم أرأيتم أي أخبروني وفيه إيماء إلى ركاكة رأيهم
المذكور إن كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة
من عنده هي النبوة ويجوز أن يكون هي البينة نفسها جيء بها إيذانا بأنها مع كونها بينة من الله رحمة
ونعمة من عنده فوجه إفراد الضمير في قوله تعالى فعميت عليكم ظاهر وإن أريد بها النبوة و
بالبينة البرهان الدال على صحتها فالإفراد لإرادة كل واحدة منهما أو يكون الضمير للبينة والاكتفاء
بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة أو التقدير بفعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أخفيت وقرئ
عميت وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي
غيره وفي قراءة أبي فعماها عليكم على الإسناد إلى الله تعالى أنلزمكموها أي أنكرهكم على الاهتداء
بها وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ أبو عمرو بإخفاء حركة الميم ووجب اجتمع ضميران
منصوبان وقد قدم أعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم
الله وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أن كنت على حجة ظاهرة
الدلالة على صحة دعواي إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا أن نكرهكم على قبولها وأنتم
معرضون عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عم بطريق إظهار اليأس
عن إلزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على أن مراده عم ردهم عن
الإعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الإنكار إلى الإلزام حال كراهتهم لها لا إلى الإلزام
مطلقا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز أفراد البشر
بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله تعالى والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به
والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن يكون الضمير للبينة عدم إدراكهم لكونه عم عليها وبالرحمة
النبوة التي أنكروا اختصاصه عم بها بين ظهرانيهم والمعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا ينال إلا من له
فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم أخبروني إن امتزت عنكم بزيادة مزية
ورجاحة وفضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها إلى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها

أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الإقرار
وهو الأنسب بمقام المحاجة حينئذ ويكون كلامه عم جوابا عن شبهتهم التي أدرجوها في خلال مقالهم
من كونه عم بشرا قصارى أمره أن يكون مثلهم من غير فضل وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم
لا أسألكم عليه أي على ما قلته في أثناء دعوتكم مالا تؤدونه إلي بعد إيمانكم واتباعكم لي فيكون
ذلك أجرا لي في مقابلة اهتدائكم إن أجري إلا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه
حين نسب إليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم
وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا من أنه لو اتبعه الأشراف لوافقوهم وأن اتباع الفقراء
مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به كما في قولهم أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فكان ذلك التماسا
منهم لطردهم وتعليقا لإيمانهم به عليه السلام بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد إنهم
ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عم عن طردهم أي إنهم فائزون في الآخرة بلقاء الله تعالى كأنه
قيل لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لأنهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية
لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون
عالمون أنهم ملاقوه لا محالة فكيف أطردهم وحمله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي
من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما
تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي وأيضا فهم ما قالوا إنما اتباعهم لك
إنما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة
غايته أن لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء أن بناء الإيمان على ظاهر الرأي يؤدي إلى الرجوع
عنه عند التأمل فكأنهم قالوا إنهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه
تعسف لا يخفى ولكني أراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله تعالى
وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله تعالى كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف
إيمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى
وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار وتتسافهون على المؤمنين بنسبتهم إلى الخساسة
ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني إن طردتهم فإن ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلما
موجبا لحلول السخط قطعا وإنما لم يصرح به إشعارا بأنه غني عن البيان لا سيما عما تقدم ما يلوح به
من حالهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى إن طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة
والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى أفلا تذكرون أي أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور
فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة
بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت
بيا قوم ولا أقول لكم حين ادعيت النبوة عندي خزائن الله أي رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها
على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أعز من أن تنال بأسباب
دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا أعلم الغيب أي ولا أدعي في قولي إني لكم نذير
مبين إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم علم الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد ولا أقول

لكم إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني أنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئا من ذلك والذي أدعيه لا يتعلق بشيء منها وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر **ولا أقول** مساعدة لكم كما تقولون **للذين تزدري أعينكم** أي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه إذا عابه وإسناده إلى الازدراء إلى أعينهم بالنظر إلى قولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا وإما للإشعار بأن ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك أي لا أقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين **لن يؤتيهم الله خيرا** في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خير الدارين إن قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عم أصالة واستتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عم عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه قلت أي وجه عطف نفيه على نفيها ذلك من جهة أن كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فإنهم زعموا أن النبوة تستتبع الأمور المذكورة أنها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وأن العثور على كنهها واغتنام معانيها ليس من دأب الأراذل فأجاب عم بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه موانع الخير **الله أعلم بما في أنفسهم** من الإيمان وإنما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عم جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الإيمان جريا على سنن الإنصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشادا لهم إلى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما يعلمه يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة **إني إذا** أي إذا قلت ذلك **لمن الظالمين** لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل إذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لأن تبعة تلك الأقوال معنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** خاصمتنا **فأكثرت جدالنا** أي أطلته وأتيت بأنواعه فإن إكثار الجدال إن تحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما ألجمهم عم وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول وألقمهم الحجر ورد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا **فأتنا بما تعدنا** من العذاب المعجل أو العذاب الذي أشير إليه في قوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة **إن كنت من الصادقين** فيما تقول **قال إنما يأتيكم به الله إن شاء** يعني أن ذلك ليس موكولا إلي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا أو آجلا إن تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله تعالى **وما أنتم بمعجزين** بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام **ولا ينفعكم نصحي** النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه من فعل أو قول وحقيقته إمحاض إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو إعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى **إن أردت أن أنصح لكم** شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى **إن كان الله يريد أن يغويكم** والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الأول والجملة جزاء الشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثرت جدالنا قاصدين به إظهار العجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وإيذانا بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإمحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله تعالى لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته مع أنه محقق لا محالة للإيذان بأن ذلك النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بإزائه من إرادته تعالى لإغوائهم وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه تعالى حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد إرادة الله سبحانه لإغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقدم إرادته سبحانه زمانا كتقدمه رتبة ودلالة على تجددها واستمرارها وإنما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله إنما يأتيكم به الله إن شاء ردا عليهم من أول الأمر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم وهلك **هو ربكم** خالقكم ومالك أمركم **وإليه ترجعون** فيجازيكم على أعمالكم لا محالة **أم يقولون افتراه** قال ابن عباس رضي الله عنه يعني نوحا عم ومعناه بل أيقول قوم نوح إن نوحا افترى ما جاء به مسندا إلى الله تعالى **قل يا نوح إن افتريته** بالفرض البحت **فعلي إجرامي** أي وبال إجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعين أن يفسر الأول بالآثام **وأنا بريء مما تجرمون** من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل يقولون مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قضي منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عم وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك** أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عم من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه **إلا من قد آمن** إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى إلا ما قد سلف **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** أي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم **واصنع الفلك** ملتبسا **بأعيننا** أي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله تعالى حفاظا وحراسا يكلؤونه بأعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة **ووحينا** إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح

من أغرق الابه فيجب كونها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عم
انه مهلكهم بالغرق ومنجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا
واما للجنس قيل صنعها عم في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون
حمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن
الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عم وقيل الحمل في
الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق
بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب
عن راسه فقال له عيسى عم اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثمة
شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت
فعاد ترابا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه
من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل
انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة
فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين **ويصنع الفلك** حكاية حال ماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك واقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه
ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى **وكلما مر عليه ملأ من**
قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها و
الانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع
من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما
كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه
من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكارهم ان يكون
لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله
عم في ذلك **قال ان تسخروا منا** مستجهلين فيما نحن فيه **فانا نسخر منكم** اي نستجهلكم فيما انتم
عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عم سخرية من المؤمنين
ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عم ولذلك تعرض الجميع للمجازاة
في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عم اياهم بما فعلوا
من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عم اياهم بذلك والا فعدم علمه السلام اياهم جاهلين
فيما ياتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا
على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة
ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما

اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكانه سئل فقيل فماذا صنع نوح
عم عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التاهب
المبادرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من
الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب
حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله تعالى **كما**
تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفية
والاحوال التي لا تليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم
في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده معا
ملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان
حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتامل **فسوف تعلمون من ياتيه عذاب**
يخزيه وهو عذاب الغرق **ويحل عليه** حلول الدين المؤجل **عذاب مقيم** وهو عذاب النار الدائم
وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب
بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان
مدار سخريتهم استجهالهم اياه عم في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة
على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد
استجهالهم فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب
بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم
للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة **حتى اذا جاء**
امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى
ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل
كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول
لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عم الى جوابهم كلما وقع منهم
ما يؤذيه من الكلام **وفار التنور** نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور
تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عم اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن
معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم عم وكان من حجارة
فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند وفي موضع
بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض
وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر **قلنا**
احمل فيها اي في السفينة وهو ان اد **من كل** اي من كل نوع لابد منه في الارض **زوجين** الزوج
ما له مشاكل من نوعه فالذكر للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة
ذلك الاحتمال قيل **اثنين** كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله
وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام

في تمييز بعضه من بعض وتعيين الأزواج فإنه روي عنه عم أنه قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين
اثنين فحشر الله إليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى
في اليسرى فيحملهما في السفينة وأما البشر فإنما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل أو لأنه
محل مباشرة البشر وهم إنما يدخلونها بعد حملهم إياها **وأهلك** عطف على زوجين أو على اثنين و
المراد امرأته وبنوه ونساؤهم **إلا من سبق عليه القول** فإنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين والاستثناء
منقطع إن أريد بالأهل الإيمان وهو الظاهر كما ستعرفه أو متصل إن أريد به الأهل قرابة ويكفي في
صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة إلى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا
لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله تعالى
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى **ومن آمن** من غيرهم وإفراد الأهل منهم للاستثناء المذكور وإيثار
صيغة الإفراد في آمن محافظة على لفظ من للإيذان بقلتهم كما أعرب عنه قوله تعالى **وما آمن
معه إلا قليل** قيل كانوا ثمانية نوح عم وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن إسحاق كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وعنه أيضا أنهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا
وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نساء واعتبار المعية في إيمانهم للإيماء إلى المعية في مقر الأمان والنجاة **وقال** أي نوح عليه السلام
لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى إن ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير إلى الله سبحانه
لناسب أن يقال إن ربكم ولعل ذلك بعد إدخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل فحمل الأزواج
أو أدخلها في الفلك وقال للمؤمنين **اركبوا فيها** كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم و
الركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم
في جوفها لا فوقها كما ظن فإن أظهر الروايات أنه عم جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل
والأنعام في الأوسط وركب هو ومن معه في الأعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك
والسر فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة
والعجلة ونحوهما فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من
قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال
ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فإذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى إذا
ركبا في السفينة خرقها **بسم الله** متعلق باركبوا حالا من فاعله أي اركبوا مسمين الله تعالى أو قائلين
بسم الله **مجراها ومرساها** نصب على الظرفية أي وقت إجرائها وإرسائها على أنهما اسما زمان أو
مصدران كالإجراء والإرساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم أو اسما مكان انتصبا بما في
بسم الله من معنى الفعل أو إرادة القول ويجوز أن يكون في بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من
مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك أي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير
كقوله تعالى ادخلوها خالدين أو جملة مقتضبة على أن نوحا أمرهم بالركوب فيها ثم أخبرهم بأن
إجراءها وإرساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عم وقيل كان عم إذا أراد أن تجري يقول باسم الله
فجرت وإذا أراد أن ترسو يقول باسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كما في قوله إلى

الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره وقرئ مجريها
ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين
أو زمانين أو مكانين من جرى ورسى **إن ربي لغفور** للذنوب والخطايا **رحيم** لعباده ولذلك
نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست
بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي أهل السنة **وهي
تجري بهم** متعلق بمحذوف دل عليه الأمر بالركوب أي فركبوا فيها مسمين وهي تجري وهم فيها **في
موج كالجبال** وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها
وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت غير
ثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا أو أربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا
الجريان إنما هو قبل أن يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى **ونادى نوح ابنه** فإن ذلك
إنما يتصور قبل أن ينقطع العلاقة بين السفينة والبر إذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عم
وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء إلى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه
بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما
فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فإن جناب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أرفع من أن
يشار إليه بأصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها
حكاية سوغ حذف حرفها وأنت خبير بأنه لا يلائم الاستدعاء إلى السفينة فإنه صريح في أنه لم ييأس من
حياته بعد **وكان في معزل** أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وإخوته وقومه بحيث لم
يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج إلى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن
نوح أنه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه إلى السفينة وقيل كان ينافق أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان
يعلم أنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه عم ظن عند مشاهدة تلك الأهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل
الإيمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى إلا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا
تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الأبوة على ذلك **يا بني** بالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة
من ياء الإضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة أو سقطت الألف
والياء لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة **اركب معنا** قرأ أبو عمرو والكسائي وحفص
بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وإنما أطلق الركوب عند ذكر الفلك لتعينه وللإيذان
بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع إغناء المعية عن ذلك **ولا تكن مع الكافرين** أي
في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لا في الدين وإن كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه
معه عم كونه معه في الإيمان لأنه عم بصدد التحذير عن المهالك فلا يلائمه النهي عن الكفر **قال
سآوي إلى جبل** من الجبال **يعصمني** بارتفاعه **من الماء** زعما منه أن ذلك كسائر المياه في أزمنة
السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود إلى الربا وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا
بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة وأن لا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين فلذلك أراد
عم أن يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وما كان يقتضيه الظاهر أي يجيب
بنطق على كلامه ويتعرض لنفي ما أثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بأن يقول لا يعصمك منه

مفيد النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف أصلاً كأنه عم حيث
قال لا عاصم اليوم من أمر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في
توهمه ليس فيه داع ولا مجيب اى احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما
يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اى عذابه
الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه
في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى عنها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا
للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره
بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير
وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال
عنايته عم بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه عن الفرار وصرفه عن
التعليل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر
الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج اى بين نوح
وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ
هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما
وان لم يحل بينه وبين الملتجي اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك
امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض
ابلعي اى انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد
التدريجي ماءك اى ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام
التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اى امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها
واقلعت الحمى اذا كفت وغيض الماء اى نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اى انجز
ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله واتم الامر واستوت استقرت الفلك على
الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عم ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل في
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم والتعرض
لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها
وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه فحري بنا ان نوجز الكلام في
هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اى اراد ذلك
بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في
الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اى وعدك ذلك
او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم وانت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من

من الدارع وهذا الدعاء منه عم على طريقة دعاء ايوب عم اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عم بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله
نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو
القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك
لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه
منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل
نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان
الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض
كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجى انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير
صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عم مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله
وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام
يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألني اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني
ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن
المسؤول الذي هو مفعول السؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي
هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان
يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد
بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج فيه ما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه
عم انه تعالى ليس استفسارا لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار
عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه
الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل وبأن تذكير الوعد في الدعاء
فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة
الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد
وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عم ان يدعو الى الفلك او
يدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عم ونصحه الى الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور
جواز ان يكون ذلك لجهله باختصاص النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل يجري مجراه او لكراهة الا
حتباس في الفلك بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال نوح عم ولا تكن مع الكافرين
ربما يطمعه عم في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ساوي لعصمتنا فان افراده نفسه بنسبة الفعلين
المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عم الا
انه عليه السلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه
ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين تفسير عن ترك
الاولى بذلك وقرئ فلا تسألني بغير الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغيرها قال رب اني اعوذ
بك ان اسألك اى اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى
الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير

صواب على ما مر وهذه توبة منه عم مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه ومن ذلك مبالغة في التوبة
واظهار للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان
اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى
تعالى وهو يبلغ وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من
السوال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن
شكر الله تعالى لاسيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال
بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره
معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء
وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على
الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ ح
يتصور الدعاء بالانجاء بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من انه [illegible] هو جعل قرابة
الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يتقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين بناء على
ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها
ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه
فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية
التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى
واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة
على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن بصدده
فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة
النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى
مستتبع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عم المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن
الوارد بنزوله عم من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجيء مفصلا
ولا ريب في ان هذه المعاني اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية
عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان
فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين
ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول
الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله
تعالى انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على
الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع
وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان
واستواء الفلك على الجودي وتقضت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في
تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عم قبولها بقوله

تعالى قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره
كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات
نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة
من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي وما يذر
وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم
القيمة وامم سنمتعهم اي ومنهم امم سنمتعهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك
عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من تشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب
منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة وعلى هذا لا يكون
الكائنون مع نوح عم مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عم ومن
كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك
وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فح يكون المراد
بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم
الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففيه دلالة
المذكور على جزء المحذوف تحقيقا لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية وابتدائية
ثم يمسهم منا اما في الاخرة او في الدنيا ايضا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا
والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم
هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة
نوح عم اما للتوقيت بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من انباء الغيب
اي من جنسها اي ليس من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك
خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار
الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عندك
وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها
وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عم لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد
منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله تعالى ما كنت تعلمها انت ولا
قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة
واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلاء في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق
من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة
للمتقين كما شاهدته في نوح عم وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهي اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم
متقون مما يسليه عم ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على
تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منها اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله

تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق
ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا
المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين **والى عاد** متعلق بمضمر معطوف
على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى **اخاهم** اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي
واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل
الذكر وقيل يتعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله
تعالى **هودا** عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص
بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما
جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه **قال** لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة
للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل **يا قوم اعبدوا الله** اي وحده
كما ينبئ عنه قوله تعالى **ما لكم من اله غيره** استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل
للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة
لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه **ان انتم** ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له وتقولكم ان
الله امركم بعبادتها **الا مفترون** عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا **يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان
اجري الا على الذي فطرني** خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة
فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطر
لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان على موجب
امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر **افلا تعقلون** اي تغفلون عن هذه
القضية او لا يتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا
ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء **ويا قوم استغفروا ربكم** اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من
الذنوب بالايمان والطاعة **ثم توبوا اليه** اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون
بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده **يرسل السماء** اي المطر **عليكم مدرارا** اي كثير
الدرور **ويزدكم قوة** مضافة ومنضمة **الى قوتكم** اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم
كانوا اصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فو
عدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة **ولا تتولوا** اي لا تعرضوا
عما ادعوكم اليه **مجرمين** مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة**
اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة
للحصر **وما نحن بتاركي الهتنا** اي بتاركي عبادتها **عن قولك** اي صادرين عن قولك اي صادرا تركنا عن
ذلك باسناد الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا
يفيده الباء او اللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد اباؤنا **وما نحن لك بمؤمنين** اي بمصدقين في شيء مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم
اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو
ما لا يخفى **ان نقول الا اعتراك** اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك **بعض الهتنا بسوء** بجنون

بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم ارادوا العتو كما ينبئ عنه نسبة
ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام
مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه
عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن
التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب
من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة
المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة
مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك
الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له
عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يحتمل
التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون **قال
اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه** اي من اشراككم من دون الله اي
من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من الهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على
اعتقاد كون الهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه السلام في حق الهتهم
من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه به وقد شق عليهم ذلك
وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق
وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على
ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا ببراءته منها ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع الهتهم
جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض الهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم
عن الانظار والامهال في ذلك فقال **فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون** اي ان صح ما لوحتم به من
كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا
انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم
الهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا منفردا
بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد وقد هيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على
التصدي لاسباب المعاداة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك
ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن منيع واعتصم بحبل متين حيث قال **اني توكلت على الله
ربي وربكم** يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون فاني متوكل
على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام واثق بكلائه وحفظه
عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه
بقوله **ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها** اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير
مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك **ان ربي على صراط مستقيم** تعليل لما يدل عليه

التوكل في عدم قدرتهم على اضراره اي هو الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا
يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان
فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه ع م **فان تولوا** اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا
على ما كنتم عليه من التولي والاعراض **فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم** اي لم اعاتب على تفريط في
الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود **ويستخلف ربي قوما غيركم**
استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما اخرين او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا
يعذبني ربي ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين وفي اقتصاره على ذكره عليه ع م رمز الى اللطف
والتدبر للمخاطبين **ولا تضرونه** بتوليكم **شيئا** من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم اسقط منه
النون **ان ربي على كل شيء حفيظ** اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها
او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل **ولما جاء امرنا** اي نزل عذابنا وفي
التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او
ورد امرنا بالعذاب **نجينا هودا والذين امنوا معه** وكانوا اربعة الاف **برحمة** عظيمة
كائنة **منا** وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه **ونجيناهم من عذاب غليظ**
اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج
من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ
منه واشد وهي التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ **وتلك** انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم **عاد جحدوا بايات ربهم**
بعد ما استيقنوها **وعصوا رسله** جميع الرسل مع انهم لم يرسل اليهم غير هود ع م تفظيعا لحالهم
واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له ع م عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين
لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله ويجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره
من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الايات وما تاخر من قوله تعالى **واتبعوا
امر كل جبار عنيد** من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل
عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل
في الشمول لكل فرد فرد منهم فان اتباع الامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل
من عند عندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى **واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة** ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبع
للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة
اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا **ويوم القيامة** اي
اتبعوا يوم القيامة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان
بكون كل من اللعنتين نوعا براسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم
القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة ايذانا باختلاف نوعي

نوعي الحسنيين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية
الثواب والرحمة **الا ان عادا كفروا ربهم** اي بربهم او كفروا نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو
الشكر او جحدوه **الا بعدا لعاد** دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاك تسجيلا عليهم
باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم
والحث على الاعتبار بقصتهم **قوم هود** عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم
والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه **والى ثمود
اخاهم صالحا** عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو
الماء القليل وصالح ع م هو ابن عبيد بن اسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار
بارساله اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف **قال يا قوم
اعبدوا الله** اي وحده وعلل ذلك بقوله تعالى **ما لكم من اله غيره** ثم زيد فيما يبعثهم على
الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله **هو انشاكم من الارض** اي هو كونكم
وخلقكم منها لا غيره فانه قصر قلب او قصر افراد فان خلق ادم ع م منها خلق لجميع افراد البشر
منها لما مر مرارا من ان خلقه ع م لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على
خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى القيامة انطواء اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشاء
مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبروا **واستعمركم** من
العمر اي عمركم واستبقاكم **فيها** او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل من العمرى
بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن خلفكم **فاستغفروه ثم توبوا
اليه** فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما
كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل **ان ربي قريب** اي قريب الرحمة
كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين **مجيب** لمن دعاه وساله وقد روعي في النظم الكريم
نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر
الغائية المتاخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا** اي كنا نرجو
منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في
الامور وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في
ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **قبل هذا** الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة
الالهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على ياس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق
فالان قد انصرم عنك رجاؤنا وقرا طلحة مرجوا بالمد والهمز **اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا**
اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **واننا لفي شك مما تدعونا اليه**
من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة **مريب** اي موقع في الريبة
من اراب ايرابا اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة
وايما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم **قال يا قوم ارايتم** اي اخبروني ان

كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه
رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال
المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم من المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه والعدول
الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة
من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة
والمجاراة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان ممن شانه ذلك ابعد والمواخذة عليه الزم
وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدونه غير تخسير اي غير ان تجعلوني
خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى
الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء
الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يقتضيه من كونه على بينة من ربه وايتاء
النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها
من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله
والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت
لكانت صفتها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
فذروها خلوها وشانها تاكل في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها والاضافة الارض الى الله
تعالى لتربية استحقاقها لذلك وتقابل الامر بتركها وشانها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض
لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها
ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فياخذكم عذاب قريب اي قريب النزول
روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مترجة جوفاء وبراء وقالوا لو ان فعلت
ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع اباقين من الايمان ذواب
بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا فقال صالح لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك
اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد
تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار بلا اتساع المشهور كقوله ويوم

ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الوعد قال له اني بك فان وفي به صدق والا
كذب او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله
وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة اي بسبب
رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورافة
ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من
عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم
وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم
القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف
اليه هنا وفي المعارج في قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره
ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك
الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن الضمير الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعلية
لنزول العذاب الصيحة اي صيحة جبريل عم وقيل اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة
ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم
جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم
انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم و
احمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عم فنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا فيها
اي كانهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم
يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع الضمير لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي
النجم وقرا حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما
مما سبق من احوالهم وتقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى
الا بعدا لثمود وقرا الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم جبريل وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن
محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل
كانوا اثني عشر ملكا وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عم
بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوه لداعية البشرى ولما كان المقصود
في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك
ولم يكن جميع قوم ابراهيم عم ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد
فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل
والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد

من سارة لقوله تعالى فبشرناه باسحق الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم
للبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة
على مجيئها كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عم فى شأنهم والاظهر انها
البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال
السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم **قالوا سلاما** اى سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه
بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما **قال سلام** اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن
من تحيتهم وقرئ سلم كحرم فى حرام وقرأ ابن ابى عبلة قالوا سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما **فما لبث**
ابرهيم **ان جاء بعجل** اى فى المجئ به او ما لبث مجيئه بعجل **حنيذ** اى مشوى بالرضف فى الاخدود
وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال **فلما رأى ايديهم لا تصل
اليه** لا يمدون اليه ايديهم للاكل **نكرهم** اى نكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم
كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا ينكتون
بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عم راجع الى فعلهم المذكور واما
انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من
جنس ما كانوا يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون **واوجس
منهم** اى احس او اضمر من جهتهم **خيفة** لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه
وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لا المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو
الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب
النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن **قالوا لا تخف** ما قالوه بمجرد ما رأوا منه بل بعد
اظهاره له قال تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك **انا
ارسلنا** ظاهره انه استيناف فى معنى التعليل للنهى المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك
فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنه من الخوف اى ارسلنا بالعذاب **الى قوم لوط** خاصة الا
انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
صريح فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عم وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك **وامرأته قائمة** وراء الستر
بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة متحجبة هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى
قائمة تسمع مقالتهم **فضحكت** سرورا بزوال الخوف وبهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر
حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فانى ارى ان العذاب نازل
بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها باسحق اى عقبناها سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا **ومن وراء اسحق يعقوب** بالنصب
على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اى ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره
الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود وموجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة كيحيى او واقع فى الحكاية
بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع ان الاصل فى ذلك ابرهيم عم وقد وجهت اليه
حيث قيل وبشرناه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد
قالت استيناف وقع جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت **يا ويلتا**

اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على
الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم فى رواية وبمعناه يا ويلتى احضرى فهذا اوان حضورك وقيل
هى الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت **أألد وانا عجوز** بنت تسعين او تسع وتسعين سنة **وهذا**
الذى تشاهدونه **بعلى** اى زوجى واصل البعل القائم بالامر **شيخا** وكان ابن مائة وعشرين سنة
ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد
خبر او هو الخبر وبعلى بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى أألد لتقرير ما
فيه من الاستبعاد وتعليله اى أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عم
لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داء وهن عقام
ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة
الى جانب ابرهيم عم وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على استبعاد الولادة من غير تعرض
لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد **ان هذا** اى ما ذكر من
حصول الولد من هرمين مثلنا **لشئ عجيب** بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده
وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقى ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها
فى ضمن الاستعجاب العادى لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى **قالوا أتعجبين من
امر الله** اى قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت
النبوة ومهبط الوحى والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا
يزدهيها ما يزدهى سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه
الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة الذى ليس مرتبتهم
عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله وتحمده والى ذلك اشار بقوله تعالى **رحمة الله** التى
وسعت كل شئ واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها **وبركاته** اى خيراته
النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى
اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عم **عليكم اهل البيت** نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم عم
ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل
به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير ولستم يا اهل
بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شئ وبركاته
اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم **انه حميد**
فاعل ما يستوجب الحمد **مجيد** كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله تعالى
رحمة الله وبركاته عليكم **فلما ذهب عن ابرهيم الروع** اى ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه
بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم عم ببعض غب انفصالها بما ليس
باجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السياق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة
فان بتأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن
وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجئ السرور المجادلة المدلول

عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اى يجادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار
صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان نزلت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها
تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية قال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند
ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون
ابرهيم عم قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على
مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما
هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط عليه السلام على تقديرهم
وتوقفه متكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم
لوط ولا ريب في تقديم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف
فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابرهيم لحليم غير
عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع
الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عم على ما صدر عنه من المجادلة
يا ابرهيم اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اى الشان قد جاء امر ربك
اى قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية
المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء من اوقاتها وهو المعبر بالقدر
وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا
قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط عليهما السلام وبين القريتين اربعة فراسخ
ودخلوا عليه في صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اى ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس
فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام
الكسر الضم روى ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما
مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امرأته فاخبرت بهم قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم
ذرعا اى ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو
الساعد وكانه قدر البدن مجازا اى ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع فيه وقيل الذرع
اسم للخارج من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم
ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مد
ما يناله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون
بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اى لوطا وهو في بيته
اضافه قومه يهرعون اليه اى يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه

اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى ومن قبل اى من قبل هذا الوقت كانوا يعملون
السيئات اى جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى
لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي
هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته
فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة
ابن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان
يزوجهما ابنتيه وايا ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك
القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة
امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما
اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب
بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن
ولا تخزون في ضيفي اى لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاؤه ولا تخجلوني
من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح
قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى
المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرضا سابريا ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من
اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اى لو قويت
بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او كلم به الموتى او اوى الى
ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اى لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى
ناصر عزيز قوي يمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روى انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اى الرسل
لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح
الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عم ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم
فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم
وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا
يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك
بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السري والفاء لترتيب
الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه تعالى اليه عليه السلام
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اى لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منكم ومن
اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا
يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويؤيده انه
قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد كالالتفات

بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القرائتين المتواترتين فان النصب يقتضي
كونها عليه السلام غير مامورة بالاسراء بها والرفع كونها مامورة بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما
هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم التناقض لجواز ان تسري هي بنفسها
كما يروى انه عم لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها وان لم يسر بها عم من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها
لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان ناظر الاستثنا
الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي حمل الاهلية في
احد القرائتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف
كر على ما فر منه من التناقض فالاولى جعل الاستثناء على القرائتين من قوله تعالى لا يلتفت
مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع
على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله تعالى **انه مصيبها ما اصابهم**
من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله مصيبها خبر وقوله ما اصابهم
مبتدأ والجملة خبر ان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع **ان موعدهم الصبح** اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء
والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع **اليس الصبح بقريب** تاكيد للتعليل فان قرب الصبح
داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عم متى موعد هلاكهم
قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا له ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين **فلما جاء امرنا**
اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح **جعلنا عاليها** اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالموتفكات
وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف **سافلها** اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعول
اول لا جعل سافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان
جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان
مستلزما له روي ان جبريل عم جعل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب
لتفخيم الامر وتهويل الخطب **وامطرنا عليها** على اهل المداين واشذاذهم **حجارة من سجيل** من
طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما **منضود** نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل
يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار **مسومة** معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز
عن حجارة الارض او باسم من يرمى به **عند ربك** في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره تعالى **وما هي** اي
الحجارة الموصوفة **من الظالمين ببعيد** فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد
شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عم فقال يعني ظالمي

من كل ظالم

ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي
قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة
بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في
غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه
على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث **والى مدين**
اي اولاد مدين بن ابرهيم عم او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي
باسمه **اخاهم** اي نسيبهم **شعيبا** وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين
اخاهم شعيبا **قال** استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام **يا قوم اعبدوا الله** وحده ولا تشركوا به شيئا **ما لكم من
اله غيره** تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على
المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال **ولا
تنقصوا المكيال والميزان** كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس **اني اريكم بخير** اي ملتبسين
بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تفعلون من التسامح
والتفضل على الناس شكرا عليها او ارايكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي
عقبت بعلة اخرى هي قوله تعالى **واني اخاف عليكم** ان لم تنتهوا عن ذلك **عذاب يوم محيط**
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على
الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا
للامر والنهي جميعا **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط** اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل
الزايد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما مرجحا
بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن
النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم **ولا تبخسوا
الناس** بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما **اشياءهم** التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعد
ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد
الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات
والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ
العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله
الخضر عم من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه لا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح

د بكم بقيت الله اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطى المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف
فان ذلك هباء منثورا بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
لا محالة او ان كنتم مصدقين لى فى مقالتى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله تعالى والباقيات الصالحات
خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهى تقواه عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
من القبائح واحفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل فى ذلك
جهدا وما انا بحافظ مستبق عليكم نعم الله تعالى اذا لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب
اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة
الله وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا فى ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون
والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقل واللب اصلا
وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلواتك
التى هى من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تأمرك بان نترك عبادة الاوثان التى توارثناها ابا
عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع
لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحى وانه كان يعلمهم بانه مأمور بتبليغه اليهم
وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا
بذلك وكانوا اذا رأوه يصلى يتغامزون ويتضاحكون فكانت هى من بين سائر شعائر الدين
ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق
ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اى او ان نترك ان نفعل فى اموالنا ما نشاء من الاخذ
والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء فى الفعلين عطفا على مفعول تأمرك اى اصلواتك
تأمرك ان تفعل انت فى اموالنا ما تشاء ويجوز العطف على ما قيل يستدعى ان يراد بالترك معنيان متخالفان
والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل فى معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام
بل من افعالهم وانما لم يقل عطف على ان نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به
تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلواتك تأمرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا
وحمله على معنى اصلواتك تأمرك بما ليس فى سعتك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا
منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر
ويستدعى ان يصدر عنه عليه السلام فى اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك وقرئ
بالنون فى الاول والتاء فى الثانى عطفا على ان نترك اى وان نفعل نحن فى اموالنا عند المعاملة
ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة
التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقوله للخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز
ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك
واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من
النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء فى جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربى ومالك

ومالك امورى وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لاعتبار
حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه فى نظائره ورزقنى منه اى من لدنه
رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن
كيف وذلك مناط الحياة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اى
اتقولون فى شأنى ما تقولون والمعنى انكم نظمتمونى فى سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عنى
من الاوامر والنواهى من قبيل ما لا يصدر الا عن متفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون
واستهزأتم بى وبافعالى حتى قلتم ان ما امركم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب
عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به امر العاقل ويقضى به قاضى الفطنة وانما يأمر به صلوتك التى
هى من احكام الوسوسة والجنون فاخبرونى ان كنت من جهة ربى ومالك امرى ثابتا على النبوة والحكمة
التى ليس وراءها غاية لكمال ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك رزقا حسنا اتقولون فى شأنى وشأن
افعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذى يستدعيه السباق ويساعده النظم
الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لى ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى
او هل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه
فى امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقدير ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على
معنى اديانك يأمرك ان نكلفنا ترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق فى اموالنا
ويخالفنا فى ذلك ونشق عصانا وهذا مما لا ينبغى ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفائق
والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك
النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذى آتاه
الله تعالى والمعنى اخبرونى ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا استغنى به عن
العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد بنهيى اياكم عما انهاكم
عنه عن البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد
دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على
العكس ان اريد اى ما اريد بما اباشره من الامر والنهى الا الاصلاح اى الا ان اصلحكم بالنصيحة
والموعظة ما استطعت اى مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح
فى الجملة لا عن ارادة ما ليس فى وسعه منه وما توفيقى اى كونى موفقا لتحقيق ما انحيه من
اصلاحكم الا بالله اى بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا
من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة بارادته
من استبداده بذلك عليه توكلت فى ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه
عاجز محض فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به فى
الاستظهار واليه انيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كونى موفقا لاصابة
الحق والصواب فى كل ما آتى واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد
الذاتى والفعلى واليه انيب اى عليه اقبل بشراشر نفسى فى مجامع امورى وايثار صيغة الاستقبال
على الماضى الانسب للتقرر والتحقق كما فى التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار

ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه **ويا قوم لا يجرمنكم** أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته والإسناد مجازي **شقاقي** معاداتي وأصلها أن أحد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر **أن يصيبكم** مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم **مثل ما أصاب قوم نوح** من الغرق **أو قوم هود** من الريح **أو قوم صالح** من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية **وما قوم لوط منكم ببعيد** زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم على إرادة المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه** مر تفسيره مثله في أول السورة **إن ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود** مبالغ في فعل ما يفعل البليغ الودادة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول** الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا **وإنا لنراك فينا** فيما بيننا **ضعيفا** لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والرفع **ولولا رهطك** لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم بأنفسهم لما عونتنا وبمدافعونا **لرجمناك** فإن الرهط وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة مما لا يكاد يبوهم به وقد أبد

وقد أيد ذلك بقوله تعالى **وما أنت علينا بعزيز** مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وإنما نكف عنك للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله تعالى ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين بوحدة كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار **قال** عليه السلام في جوابهم **يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله** فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به تعالى استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيته منه تعالى مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا **واتخذتموه** بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره **وراءكم ظهريا** شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في النسبة إلى الأمس **إن ربي بما تعملون** من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه **محيط** لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الرد والإنكار والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الأذلة **ويا قوم اعملوا** لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي اجترأوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا **على مكانتكم** أي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وإنما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في نيتكم وإخراج ما في أمنيتكم من القوة إلى الفعل **إني عامل** على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق **سوف تعلمون** لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه عليه السلام من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه لا على أنه قسيم له حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه فقيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمترقب كإتيان العذاب بل إنما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن استفهامية معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب

واما موصولة اى سوف تعرفون الذى يأتيه عذاب والذى هو كاذب وارتقبوا وانتظروا ما
أقول انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع في
زيادة معكم اظهار منه عم لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اى عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا وهى الايمان الذى وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في
قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى لدخول الفاء في معلوله
كما في قصتى صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل الى ابه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بان ما اخذهم بسبب ظلمهم الذى فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عم
فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة
ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضى اليها كما مر قبيل فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لابراح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون
من يأتيه عذاب الخ نفس مجرى العذاب بل من يجيئه جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا
عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عم واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة
وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب الذى
يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا فيها اى لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها
متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون
ادل على طغيانهم الذى اداهم الى هذه المرتبة وليكون اشد بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعنى ثمود
وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من
فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما
يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهى
الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلها اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول
احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا
لمصدره المؤكد اى ارسلناه فان كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين
هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالآيات
ما عداها او هما عبارتان عن شئ واحد اى ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا
له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء
كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عم في تضاعيف دعوته حين
قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله
عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الآيات يرده قوله تعالى الى فرعون وملائه فان نزولها
انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون
وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى كان

كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص
ملائه بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة لاصالتهم في الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم
لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله وانهماكه فيما كان عليه من
الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره
بالكفر بما جاء به موسى عم من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك
امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين
هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم واريد بالفاء في اتباعهم الترتب على امر
فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعتهم فرعون
الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت
واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون
معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر
فان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عم من اول الامر
لزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه
لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد
ضد الغى وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد وذى الرشد حقيقة لغوية
والاسناد مجازى وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم
القيمة اى يتقدمهم من قدم بمعنى تقدم وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة اى كما كان قدوة
لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء
عاقبته فاوردهم النار اى يوردهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه
فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه
ثم قيل وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في
هذه اى في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم
اهل الموقف قاطبة فهى تابعتهم حيثما ساروا ودائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون
اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال
فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث
كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس
الرفد المرفود بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى
غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان
كل لعنة منهما معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده
باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء القرى
المهلكة بما جنته ايدى اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص

عليك منها اى من تلك القرى قائم وحصيد اى ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى
منها بالزرع القائم على ساقه وما عفى وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما
ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما
أغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم آلهتهم التى يدعون اى يعبدون وهى من دون
الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شىء فى موضع
المصدر اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اى حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم
اللاتى ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اى هلاك وتخسير فانهم انما هلكوا و
خسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله
أخذ ربك وقرئ أخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا أخذ القرى
اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ أخذ وهى ظالمة حال من
القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم فى الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها
الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان أخذه أليم شديد وجيع صعب
على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فى اخذه
تعالى للامم المهلكة او فى قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر به حيث
يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة
واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شىء من احواله مستندا الى الفاعل
المختار واما ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق فى بعض الاوقات
لا لما ذكر من المعاصى التى يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من
الانكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اى يجمع له
الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك
الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة
عنوان جميع الناس له يوم مشهود اى مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه
باجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه
ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان
سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اى ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود الا لأجل
معدود الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اى حين يأتى ذلك
اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل
اى الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس
اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل فى الظرف او الانتهاء المحذوف فى
قوله تعالى الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى او الضمر المعهود اعنى اذكر الا باذنه
عز سلطانه فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موطن من ذلك اليوم
وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما ان
قوله سبحانه يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخرها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع

عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا
ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقى وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اى ومنهم سعيد حذف
الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول
عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقى لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين
شقوا اى سبقت لهم الشقاوة ففى النار اى مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد
مد التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق ومحشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه
حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ
شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة
المحل على الحالية من النار او من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا انه
اريد حدوث كونهم فى النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اى مدة دوامهما وهذا
التوقيت عبارة عن التابيد ونفى الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام
ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طمى البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد
لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم
فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك
كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفى فى تعليق دوام قرارهم
بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء
من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط غير ان استحالة الامور المذ(كورة)
معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعنى انهم مستقرون
فى النار فى جميع الازمنة الا فى زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة
ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم ولدفع ما عسى يتوهم
من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك
فعال لما يريد يعنى انه فى تخليد الاشقياء فى النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته
قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد و
العدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود من
عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ
منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدرى انا وان سلمنا ان المراد
بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فاخراج عذاب الزمهرير من
تلك الانواع مقارن لعذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهى العقوبات
والآلام الروحانية التى لا يقف عليها فى هذه الحياة الدنيا المنغمسون فى احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على
ما ألفوه من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقى ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القى اليهم

ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المبنية على التهويل وهذه العقوبات وان كانت
تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كالمبدأ في تحقيق معنى
الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو وفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى
الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار معدين للخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم
فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار
من ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك اي الحمل على طريقة
التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله
ففي الجنة خالدين فيها يقتضي عطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اسم مصدر هو الاعطاء
او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى
لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة ويعتبر فان نسبته [illegible] تعالى
يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ وهو رافع للايهام عن السنة
قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي
يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من
انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين ما فيها
من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها
او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع
في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل
الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب
ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى
عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين في العاجل والاجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف
فقيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم الذين قصت عليك قصصهم من قبل اي هم
واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقد قيل
ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله تعالى من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق باباهم
فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة
نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا اباءهم
انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تاخير العذاب عنهم مع
تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله ثم وليتم مدبرين وفايدته دفع
توهم التجوز وجعلها مقيدة لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول
عن كون العامل هو التوفية دون الايتاء بل ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه
اي في شانه وكونه من عند الله تعالى فامن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك

قومك فيما اتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا
كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك
لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز
به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع
اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر
ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع
في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكا
وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف وما مركبة من الجارة
وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذف
اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرى لما بالتخفيف على ان
ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرى لما بالتنوين اي جميعا
كقوله سبحانه اكلا لما وقرى ان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرى به
انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شي من جلائله و
دقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما
يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص توجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان
شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر
وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اوليك
المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى
للتورية وانه لولا سبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم
ما فعل باباهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء
عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين
سائر المؤمنين ولاسيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة
وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما
يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية و
الفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك و
الكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله تعالى فاستقم و
حسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة اذ المعنى و
ليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعنى استقم مصاحبا
لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم
وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا بحال سائر المؤمنين على حاله انه بما تعملون
بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع النصوص فقط

من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد **ولا تركنوا** اي لا تميلوا ادنى ميل **الى الذين ظلموا** اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتحقق لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك **فتمسكم** بسبب ذلك **النار** واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البنا للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله من اولياء** اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لكان ذلك بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام **ثم لا تنصرون** من جهته الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلوة طرفي النهار** اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت **وزلفا من الليل** اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة **ان الحسنات** التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات **يذهبن السيئات** التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال عم انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وبمعنى من قرأ فيها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ذلك** اشارة الى قوله تعالى فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن **ذكرى للذاكرين** اي عظة للمتعظين **واصبر** على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة وما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر اليه الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان الاحتراز عن امثال ذلك من المشقة ما لا يخفى **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى

هو الظاهر المحوج باعتبار جمعية الظالمين وما قيل المراد ان ذلك ...

الطالب

حتى يلزم من تخلفه عنها اضاعتها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان **فلولا كان** فهلا كان **من القرون** الكائنة **من قبلكم** على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم **اولو بقية** من الراي والعقل او اولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانتها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ ولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كانهم ينتظرون نزوله لاتقائهم **ينهون عن الفساد في الارض** الواقع منهم حسبما حكي عنهم **الا قليلا ممن انجينا منهم** استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا القليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية **واتبع الذين ظلموا** مباشرة الفساد وترك النهي عنه **ما اترفوا فيه** اي نعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عيانا **وكانوا مجرمين** اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله تعالى واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء **وما كان ربك ليهلك القرى** اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها وتعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله تعالى **بظلم** اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما يفعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة

اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تع
واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بها وقيل حال من فاعله اعني
بظلم لانه على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في افساده بل مطلقا
عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم
مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في
حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني
الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي افحشها
الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل
من الرسل الذين قصت انباؤهم قومه اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه
والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم
عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على
الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق
ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من
بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق
فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق
والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد
الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس
كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما لا من احدهما وكلا اي وكل نبأ فالتنوين
عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله
تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول
المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله
سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة
يقينه عم وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على
تفاصيل احوال الامم الخالية في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك
في هذه السورة والآيات المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين
اي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في
نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل
لان المقصود بيان منافع السورة او الآيات المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة
لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخر ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن
فيه عند الوروده فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على

على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر
به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب
السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ يرجع على البناء للفا
من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل
على كون مرجع الامور كلها الى الله تعالى وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار
بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيكم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب
المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين
فيها عم وبعدد من كذبهم عليهم السلام وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتع

سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحدى عشر آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات
الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه
من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا
يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام
والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف
والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته من قصة يوسف فانه يروى
ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا لماذا انتقل يعقوب عم من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف عم ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال
لما يأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقبه بما يدل على الشرف الاضافي فقيل
انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر
الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتبادر الى
الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف
والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول
اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه
من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن
نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع
ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلى القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص
احسن الاقتصاص فنصبه على المصدر رد فيه مع بيان الواقع ايهام لما اقتصاص اهل الكتاب من
القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على تعينه من قوله تعالى بما اوحينا اي بايحائنا
اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة مبني عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض
لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من
سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائعة

واعجب الاساليب الفائقة اللايقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين
وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفى كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القران
لما فى قوله تعالى قرانا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل ونقص عليك احسن ما يقص
من الانباء وهو قصة آل يعقوب عم ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمى به
المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى
كال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسمها محذوف واللام فارقة
والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم
بالغفلة لاجلال شان النبى صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف
نصب باضمار اذكر وشروع فى القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص
على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله
عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبرانى لا عربى لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين
وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من اسف
لشهادة المشهور بعجميته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد روى عنه عم
ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا أبت
اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف على قراءة
ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القران لانها
حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض
والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها
حرف صحيح منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رأيت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله تعالى لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياى ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور
البديعة فى عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون نطاقة كبرى لا يخفى على احد
من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رضى الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله
فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى راهن يوسف عم فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عم
فاخبره بذلك فقال عم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى واي والله انها لاسماؤها
وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب
لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما فى عطف جبريل عم وميكائيل عم
وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة
الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عم راى وهو ابن
سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا مركوزة فى الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب
عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتى عشرة

كانت

عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل و
قيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لى ساجدين استيناف
لبيان حالهم التى راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى
العقلاء فى الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعنى السجود وقيل الجار والمجرور للاظهار العناية والاهتمام
بما هو الاهم مع ما فى ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بنى صغره للشفقة اولها ولصغر السن وهو
ايضا استيناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف
يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة
وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباته الكرام خاف عليه حسد اخوته وبغيهم فقال صيانة
لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق
ذلك لا محالة وطمعا فى حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هى ما فى المنام كما ان الرؤية ما
فى اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما فى القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة
هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اى فيفعلوا
لك اى لاجلك وهلاكك كيدا مبينا راسخا لا تقدر على التفصى عنه او خفيا عن فهمك لا
تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عم يعلم انهم ليسوا بقادرين على
تحويل ما دلت الرؤيا عليه ووقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه
دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جئ باللام لتضمنه معنى الاحتيال
المتعدى باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اى فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا
والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بنى علاته الاحدى عشر وهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينة بنو يعقوب عم من ليا
بنت خالته ودان ونفتالى وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار
اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل
التى تزوجها يعقوب عم بعد وفاة اختها ليا او فى حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك
محرما فليس بداخل تحت هذا النهى اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم فى
الرؤيا اذ لم يكن معهم فى السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالوا جهدا فى اغواء اخوتك و
اضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عم قال كيف ذلك يصدر عن
اخوتى الناشئين فى بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نهى عليه السلام
على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره ما عسى يعتريها الى ان يجوم اخوته بينه
وبين ظهور اثارها وحصولها او يرعوا سبيل وصولها شرع فى تعبيرها وتاويلها على و

اجمالى فقال **وكذلك** اى ومثل ذلك الاجتبا البديع الذى شاهدت اثاره فى عالم المثال من
سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وتعبده وعلى وفقه **يجتبيك ربك** يختارك لجناب
كبريايه ويستنبيك انتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلايق وسراة الناس
قاطبة ويبرز مصداق تلك الرويا فى عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه
بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية فى عالم المثال وبين ما وقعت هى صورها و
اشباحها من الكاينات الظاهرة بحسبها فى عالم الشهادة اى كما سخرت لك تلك الاجرام العظام
يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده
بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته **ويعلمك** كلام مبتدا غير داخل
تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبر به على
طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** اى ذلك الجنس من العلوم
او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقى ما
سياتى بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرويا اذ هى احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس والشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم
جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على حدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع
واقطعة واقاطيع وقيل هو تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبيا عليهم السلام والاول هو
الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئى ايلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعا ايه
فكانه عم اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرويا صاحبى السجن ورويا الملك
وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التى عبر عنها باتمام النعمة
وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحى او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور
امره عم على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال
من الشواهد والدلايل امثالها وتميز ما هو اوفى منها مما هو نفسى كيف لا وهى تدل على كمال
تمكن نفسه عم فى عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك
العالم وما يحاكيه من الامور الواقعة بين الصور المعاينة فى احد ذينك العالمين وبين
الكاينات الظاهرة على وفقها وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر
انضف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبى من الانبيا عليهم السلام معجزة يظهر اثاره
ويجرى احكامه **ويتم نعمته عليك** بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتبا الملك ويجعله
تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم لكونه من لوازم النبوة والاجتبا ولرعاية ترتيب
الوجود الخارجى ولما اشرنا اليه من كونه اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرويا
من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة **وعلى
ال يعقوب** وهم اهله من بنيه وغيرهم فان روية يوسف عم اخوته كواكب يهتدى بانوارها
من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من
كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك
بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من العزة والجاه والمال **كما اتمها على ابويك** نصب على

على المصدرية اى ويتم نعمته عليك اتماما كاينا كاتمام نعمته على ابويك وهى نعمة الرسالة والنبوة
واتمامها على ابرهيم عم باتخاذه خليلا وانجايه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجايه من الذبح
وفدايه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة
النبوة ولا يجب فى تحقق التشبيه كون ذلك فى جانب المشبه به مثل ما وقع فى جانب المشبه من
كل وجه **من قبل** اى من قبل هذا الوقت او من قبلك **ابرهيم واسحق** عطف بيان لابويك و
التعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبيا الكرام عم وتذكير
معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبره فى ضمن التعبير الاجمالى لرؤياه والاقتصار فى المشبه
به على ذكر اتمام النعمة من غير تعريض للاجتبا من باب الاكتفا فان اتمام النعمة يقتضى سابقة النعمة
المستدعية للاجتبا لا محالة **ان ربك** استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اى يفعل ما ذكر
لانه **عليم** بكل شى فيعلم من يستحق الاجتبا وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة التامة
على الوجه المذكور **حكيم** فاعل لكل شى حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما
يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين لتربية تحقق وقوع
ذكر من الافاعيل هنا وقد قيل فى تفسير الاية الكريمة اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على
شرف وعزة وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك والاعظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم فى الدنيا انبيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى
فى الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادى **لقد كان فى يوسف واخوته** اى فى
قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علات المعدودون
فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها **ايات** علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله القاهرة
وحكمته الباهرة **للسايلين** لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للايات المعتبرين بها
فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من اية
فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصود او على نبوته عم
لمن سال من المشركين واليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هى عليه من غير سماع من احد
ولا ممارسة شى من الكتب فالمراد بها اختصاص جميع الايات ح للاشعار بان اختصاص كل طايفة
من القصة اية بينة كافية فى الدلالة على نبوته عم على نحو ما ذكر فى قوله تعالى مقام ابرهيم
على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى ايات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا
ومعنى وقرا ابن كثير اية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم
خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما راى من بغى قومه عليه ليتاسى به **اذ قالوا ليوسف واخوه**
اى شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا
يرى الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف
احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه ولا بين المذكر والمونث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران
وفايدة الابتدا فى يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن عصبة** اى والحال انا جماعة
قادرون على الحل والعقد احقا بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك

لان الامور تنصب بهم **ان ابانا** في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية
الامور بالصغر والقلة **لفي ضلال** اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته
مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على ما نزه ما
قص عنهم **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا** من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم
مخاطبا للباقين بقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما روي ان القائل شمعون او دان والباقون
كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون واندرجوا تحت القول المسند الى
الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا
واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصب نصب الظروف
المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر اي يخلص **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى
غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا
على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله تعالى وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم
وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه
اتم واكمل **من بعده** من بعد يوسف اي من الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين**
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
في امور دنياكم بانتظامها بعد خلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** هو يهودا وكان احسنهم فيه
رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استئناف مبني على سؤال من سال وقال
اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضياع ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم **لا
تقتلوا يوسف** اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى
انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم
بقوله **والقوه في غيابة الجب** اي في قعره وغوره سمي به لغيبته عن عين الناظر والجب البير
التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرا نافع في غيابات الجب
في الموضعين كان لتلك الجب غيابات واراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابة
وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على
الضياع **بعض السيارة** اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما
وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف
عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** بمشورتي لم
يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم
له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا
مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستئناف
على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله تعالى واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
فقيل **قالوا يا ابانا** خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة

الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم
بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا **ما لك** اي شيء لك **لا تأمنا** اي لا تجعلنا امناء **على يوسف**
مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا **وانا له لناصحون** مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس
فينا ما يخل بالنصيحة والمقة وقط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن
الشواذ ترك الادغام **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **يرتع** اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع
هو الاتساع في الملاذ **ويلعب** بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو
وانما عبروا عنه باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم
بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر
والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية
وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم
قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال **اني ليحزنني** اللام
للابتداء كما في قوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم **ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
ومع ذلك **واخاف ان ياكله الذئب** لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت
المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه لذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمتاعه
بمصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق
وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر
وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر
بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم
بحفظه **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا
الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم **انا
اذا لخاسرون** جواب مجزئ عن الجزاء اي لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك
اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال
خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل انهم لم نقدر على حفظه وهو اعز
شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام
من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب
فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا **ان يجعلوه** مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم
ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها **في غيابة الجب** قيل هي بئر
بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان
التي هي من نواحي الاردن كما ان مدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده
التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام
وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه

مكر

فذلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا اذ روى انهم لما برزوا الى الصحرا اخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابرهيم عم حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عم بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبريل عم فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤل اليه امره وازالة الوحشة وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اى لتتخلص مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول اوقع في التسلية روى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحا على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق ومستوحش لا انيس له وقرى لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرى عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكا يبكون متباكين روى انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اى نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظايرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اى ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله الذيب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يومن فيه الغوائل لم يعد تركه عم عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لاسيما اذا لم يبرحوا ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمراى منا لانه يبعد ان السباق لا يكون عادة الا بحيث يترااى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمومن لنا بمصدق لنا في مثل هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة

المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من ساير الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اى جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اى مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اى ملابس للكذب وقرى كذبا على انه حال من الضمير اى جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عايشة رضي الله عنها بغير المعجمة اى كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عم صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عم ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على برائة يوسف عم حين قد من دبر قال استيناف مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب عم هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اى زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنه والتسويل تقدير شئ في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخا امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرى ابي فصبرا جميلا والله المستعان اى المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجي من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية يابا تكذيبه عم لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشئ بما ليس فيه كما اشير وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف عم في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيهم والتعبير بالمجي لبيان النسبة الى مكانهم فان كنعان ليس في الجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف عم وفي ايثاره على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامر الاقل البنا فان المتبادر من اسناد المجي الى السيارة

مطابقاً لقوله تعالى وجاءت **سيارة** اى رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وتوحيد باعتبار سيرهم المتتابع
وهو الذى يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان فى قفرة بعيدة من العمران
لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القى فيه فجاءوا
فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعى وانما لم يذكر
منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجئ اعنى الجب للايذان بان ذلك معهود لا يحتاج الى الذكر ضحّى
فادلى دلوه اى ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف عليه السلام فخرج **قال**
استئناف مبنى على سؤال يقتضيه الحال **يا بشراى هذا غلام** كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا
اوانك حيث فاز بنعمة باردة واى نعمة مكان ما يوجد فيها جاء بن الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى واماله حمزة والكسائى اوقرأ ورش بين
اللفظين وقرئ بالبشرى بالادغام وهى لغة وبشراى على نصبه بالوقف **واسروه** اى اخفاه
الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل
الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فأتاه
يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق فاشتروه منهم وسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة** نصب على الحالية اى اخفوه حال كونه **بضاعة**
اى متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اى قطعت للتجارة **والله عليم بما يعملون**
وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف عليه السلام وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا
فى ذلك من الحيل **وشروه** اى باعوه والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم**
بدل من ثمن اى لا دنانير **معدودة** اى غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان
نقصانه فى نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضى الله عنهما
انها كانت عشرين درهما وعن السدى انها كانت اثنين وعشرين درهما **وكانوا** اى البائعون **فيه**
فى يوسف **من الزاهدين** من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس
وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به وعبروا ثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه
منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى
وهم غير راغبين فى شراءه خشية ذهاب مالهم لما ظنّ فى اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة
الانفعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة
كانه قيل فى اى شئ زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول **وقال**
الذى اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه
من مصر لترتيب ما يترتب عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من
الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقى ومات فى حيوة يوسف عليه السلام بعد
ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك فى ايامه
فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل
فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف

الملك

فى مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه
السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فاشتراه قطفير بذلك
المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاثين سنة وتوفى
وهو ابن مائة وعشرين سنة **لامرأته** راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثانى لقبها واللام
متعلقة بقال لا باشتراه **اكرمى مثواه** اجعلى محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسنى تعهده **عسى**
ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا **او نتخذه ولدا** نتبناه وكان ذلك
لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التى
قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما **وكذلك** نصب على المصدرية
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اى مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف فى الارض اى جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اى اثبته فيه ومكن له فيه اى جعل له فيه مكانا
ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما فى محل الآخر قال تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن
مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم اى ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم فى الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى
كريما فى منزل العزيز او مكانا عليا فى قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا
له مكانة رفيعة فى ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحبّبا فى قلوبهم كما قد
كان فى قلب العزيز لانه الذى يؤدى الى الغاية المذكورة فى قوله تعالى **ولنعلمه من تأويل الاحاديث**
اى نوفقه لتعبير بعض المنامات التى عمدتها رؤيا الملك وصاحبى السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمنى
ربى سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومكنا
ذلك التمكين مكنا ليوسف فى الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محالّ محبته ليترتب عليه ما ترتب
مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة
فيؤدى ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات
او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما
ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذى يؤدى اليه هذه الامور انما هو التمكين فى جانب
العزيز واما التمكين فى جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك انما هى باعتبار اشتماله على ذلك
التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو
عبارة عن التمكين فى قلب العزيز او فى منزله وكون ذلك تمكينا فى الارض بملابسة انه عزيز فيها
لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة
الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحمة للدلالة
على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم مثلك
لا يبخل وهكذا ينبغى ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف فى الارض بالامر والنهى فهى
من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى
جعله غاية له ولم يعهد منه عم فى تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل
وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية له او لا بنيه وما وقع من المدارك فى امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا
السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار

بيت

اقام فى منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه فى السجن ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة

الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى ومكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل
ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها او التعليم
الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى
شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح
لان يكون غاية له والله غالب على امره لا ينقضي عليه امر ولا يمانعه شئ بل انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شئونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولي على امر
يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى
له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما
منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله تعالى او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا
فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين
وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى آتيناه حكما حكمة وهو
العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم
حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فيما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة
عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء العمل حيث قيل وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون بعد انقضاء اعماله
الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة
له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد
ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي
تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه
لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في
بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعدما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا
ليوسف الى هنا اعتراض جئ به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن
التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في
حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة
انما هو للتمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراجه الاجمال السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى
وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء عن التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا
جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الداين
ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه
فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب
الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب
الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل
البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة
وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة

الصلوة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما
نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الداين للمماطلة التي هي من جانب
الغريم وهي سبب للمطالبة التي هي من جانب الداين وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب
المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور
مسبباتها التي هي تلك الافعال وبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند
الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة
وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد
وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة
عن التمحل في موافقته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره
وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على
ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم
ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى
معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل
دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها
مع فتح التاء وبنائه كاين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان
اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء
يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني
اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى
للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في
حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله تعالى انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض
الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه
الذاتي الذي لا يكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في
الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عنده وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي
اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى
رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله تعالى وربي خبر ان ثان او هو الخبر والاول بدل من
الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن
عقاب الله تعالى وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها
الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البينات كافية في الدلالة على استحالته وكونه
مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب
تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل في الفلاح كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل

ظلم كاينا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءه والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عم الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها قصدت هنا لك الافعال الاخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عم الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرم ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الاترى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عم تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزما في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد همت به وهم بها او هما بالمخالطة اوهم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله تعالى **لولا ان راى برهان ربه** اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين التي تتجلى هنالك حقايق الاشيا بصورها الحقيقية وتتخلع عن صورها المستعارة التي تظهر في هذه النشاة على ما نطق به قوله عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عم قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفايدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عم لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فلا يحتاج الى جواب سادّ مسدّه ولولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم على تقدير الكيفية فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكنه حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر هم بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وبان البرهان بانه سمع صوتا اياك وايّاها فلم يكترث له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عم وهو يقول يا يوسف انعمل عمل السفهاء وانت مكتوب

في ديوان الانبيا وقيل راى تمثال العزيز وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه او الى مثل ذلك التبصير المعرف عرفناه برهانا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنا لانه مفرط القبح وفيه ايه بينة وحجة قاطعة على انه عم لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية **واستبقا الباب** متصل بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقوله تعالى كذلك الخ اعتراض جي به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته كقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وصل الفعل الى المجرور اوضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق الى الاستباق اليها مع ان مرادها مجرد منع يوسف عم واذا لاقت الابتدا الى الباب لا لمراده يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورايه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقيل في وصف على كرم الله وجهه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف عم ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخر للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح **والفيا سيدها** اي صادفا زوجها وانما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المراة **لدى الباب** اي الباب البراني كما روي كعب انه لما هرب يوسف عم جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **قالت** استينافا مبنيا على سوال سايل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت **ما جزاء من اراد باهلك سوءا** من الزنا ونحوه **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شي جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي يدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيل جمعت فيها غرضيها وهي تبرية ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عم عن رايه في استعصامه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواتاته لها كرها عندما ياست عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف

ام محققا مفروغا عنه عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائه تربيا بناء على حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف عم فقيل فقال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عم لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عم بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عم وانفى للتهمة وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله تعالى فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عم اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان الانشاآت وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمل الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عم عن نفسها عند ارادة المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله تعالى وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها او صدقه عم

لكنه ساق شهادته مساق ما هو من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية بتعليق لصدقه عم بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذن لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر محقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف عم وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن الامر من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك ليلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يمكن تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق فادة الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا يخفى هذا العذر وجدها سجية نفس كل غانية هند ووجه الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ان ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعرب عنه طمعها في يوسف عم يأباه الخبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة للنسوة امرأة العزيز اي الملك يريدون قطفير واضافتهن لها الى ذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن تراود فتاها اي تطالبه بمواتيتها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هنا

فى الحديث لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى اوفتاتى وتعبيرهن عن يوسف عم بذلك مضافا
اليها لا الى العزيز الذى لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع لابانة ما بينهما من التباين
ابين التناسخ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لزيادة ما مر من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من
الازواج لها من النسا او لها زوج دنى قد تعذر فى مراودة الاخدان لاسيما اذا كان فيهم علو الجناب
واما التى لها زوج واى زوج عزيز مصر فراودتها لغيره لاسيما لعبدها الذى لا كفاة بينها وبينه
اصلا وتماديها فى ذلك غاية الغى ونهاية الضلال قد شغفها حبا اى شق حبه شغاف قلبها
وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من
شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما الشغف الحب
القاتل والشعف دون ذلك وكان الشعبى يقول حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال
من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو تكرير للوم وتكرير للعذل ببيان اختلال احوالها
القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الابنية مصير الى الاستدلال
على الاحالى بالانتفا من حيث [illegible] تمهيد العذر من قبلها وليس ذلك المقام وانتصاب
حبا على التمييز المنقول عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنريها اى نعلمها علما
متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فى ضلال عن طريق الرشد
والصواب او عن سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد وطرح لامرها بين الناس
فالجملة مقررة لمضمون الجملتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها فى امرها على خطا
عظيم وانما لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم
ورأى مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء
مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها
كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن
يوسف عم ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت اى
احضرت وهيأت لهن متكأ اى ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او ربت لهن مجلس طعام فان
لاهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان ياكل متكئا
وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اى طعمنا على سبيل الكناية [illegible]
من قبلنا وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عنده للقطع لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بطرح الهمزة وقرئ متكاء بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح فى منتزح
وقرئ متكا وهو الاترج [illegible] واحده متكة [illegible] اوما
يقطع من متك الشئ اذا بتكه وقطعه وآتت كل واحدة منهن سكينا لاستعمالها فى
قطع ما يهمها قطعه مما قدم بين ايديهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات
عرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين
واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشعر الى ان قولها اخرج عليهن
اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه
الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها

كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده
قولها انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك [illegible] فما لابتها ظهر لهن
من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل
جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت
يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على
الماء وقيل [illegible] اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام
اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى [illegible] فان حاضت فى الحدة
العوائق وقطعن ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركة
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن بما عملن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا
يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن [illegible] وقلن حاش لله
تنزيها له سبحانه عن صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله ذات الصنيع البديع واصله
حاشا كما قرأ ابو عمرو فى الدرج فحذفت الالف الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى
باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما كان من جنس التنزيه فوضع موضع التنزيه [illegible]
[illegible] وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما فى سقيا لك والدليل على وضعه
موضع المصدر قراءة ابى السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابى عمرو وحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف
الالف الاولى فان الحذف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما فى قوله
جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها فتنقلب الالف اليا مع الضمير
وقرئ حاش الاله [illegible] حاشا فاعل
من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية من ان يقارف ما رمته به
لطاعته لله ولمكان ما اوجب العصمة لاجل الله تعالى ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهى لغة
اهل الحجاز [illegible] لنفى الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم نفين
عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقرى الذى لم يعهد مثاله فى البشر وقصرنه على الملكية
بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز فى العقول من ان لا احسن من الملك كما ركب فيها
ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا تشبيه بهما كل متناه فى الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى
مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذى
وصفنه به الان من الخروج فى الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم
الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائى عن المراتب
البشرية هو الذى لمتننى فيه اى عيرتننى فى الافتتان به [illegible] الى العزيز و
[illegible] اوبالعنوان الذى وصفنه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت
عبدها الكنعانى فهو خبر لمبتدأ محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن
وقلتن فيه وفى [illegible] ما قلتن فالان قد علمتن من هو [illegible]
بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به [illegible] المقام فان مرادها
[illegible] وتمهيد ما قصدت من تبكيتهن وتنبيههن على ما [illegible] من اللوم وقد فعلت ذلك

بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال نحى المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الحكمة أن
الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو أيضاً لا يلائم قولها
فذلكن الذي لمتنني فيه فإن عنوان العصمة مما ينافي تشنيعهن على مرامها ثم بعد ما أقامت عليهن الحجة
وأوضحت لديهن عذرها وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت **ولقد**
راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن **فاستعصم** استعصاماً طالباً للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك
واستجمع الرأي وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم
وغيره اعترفت لهن أولاً بما كن يسمعنه من مراودتها له وأكدته إظهاراً لابتهاجها بذلك ثم زادت على
ذلك أنه أعرض عنها على أبلغ ما يكون ولم يمل إليها قط ثم زادت عليه أيضاً أنها مستمرة على ما كانت
عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا بإعراض الحبيب فقالت **ولئن لم يفعل ما آمره** به أي أمري
به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير كما في أمرتك الخير فالضمير
للموصول أو أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودته
بالأمر إظهاراً لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بأمرها **ليسجنن** بالنون الثقيلة آثرت
بناء الفعل للمفعول جرياً على رسم الملوك أو إيهاماً لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لأمرها
كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل **وليكوناً** بالمخففة **من الصاغرين** أي الأذلاء في السجن وقد قرئ
الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف واللام الداخلة
على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على
فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق
عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه إلى موافقتها ولما كان هذا الإبراق والإرعاد مما
مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل **قال** مناجياً لربه عز سلطانه **رب السجن**
الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر **أحب إلي** أي آثر عندي لأنه مشقة
قليلة نافدة إثرها راحات جليلة أبدية **مما يدعونني إليه** من مواتاتها التي تؤدي إلى الشقاء
والعذاب الأليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها
بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له شائبة محبة لما دعته إليه وإنما هو
والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن والتعبير عن الإيثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن
المساعدة خوفاً من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من أن الصغار من فروعه ومستتبعاته وإسناد
الدعوة إليهن جميعاً لأن النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه إلى أنفسهن
وقيل إنما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من كان يسأل الصبر **وإلا تصرف** أي إن لم تصرف **عني كيدهن** في تحبيب ذلك إلي وتحسينه
لدي بأن تثبتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة **أصب إليهن** أي أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن
على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف الله تعالى جرياً على
سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى
والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول

المستغيث أدركني وإلا هلكت لا أنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه
داعية تدعوه إلى هواه وأصب من الصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها
وقرئ أصب إليهن من الصبابة وهي رقة الشوق **وأكن من الجاهلين** أي الذين لا يعملون بما يعلمون لأن
من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء أو من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه من القبائح لأن الحكيم
لا يفعل القبيح **فاستجاب له ربه** دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف عني كيدهن الخ فإن فيه استدعاء
لصرف كيدهن على أبلغ وجه وألطفه كما مر وفي إسناد الاستجابة إلى الرب مضافاً إليه عليه السلام ما لا
يخفى من إظهار اللطف **فصرف عنه كيدهن** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة **إنه هو**
السميع لدعاء المتضرعين إليه **العليم** بأحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم** أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصدين
للحل والعقد ريثما اكتفوا بأمر يوسف عليه السلام بالكتمان والإعراض عن ذلك **من بعد ما رأوا**
الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا إما مصدره
أو الرأي المفهوم من السياق أو المصدر المدلول عليه بقوله تعالى **ليسجننه** والمعنى بدا لهم
بداء أو رأي أو سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر
حالاً من ضميرهم وما كان ذلك البداء إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعاً لها منقوداً حيث تشاء قال السدي إنها قالت للعزيز إن هذا العبد العبراني قد فضحني
في الناس يخبرهم بأني راودته عن نفسه فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر إلى الناس وإما أن تحبسه
فحبسه ولقد أرادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت
حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وبأعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب
بأن خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم أو خاطب العزيز ومن
عنده من أصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس **حتى حين** إلى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادئ
الرأي عند العزيز وذويه وأما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس أنه المجرم وقرئ
عتى بلغة هذيل **ودخل معه** أي في صحبته **السجن فتيان** من فتيان الملك ومماليكه أحدهما شرابيه والآخر
خبازه روي أن جماعة من أهل مصر ضمنوا لهما مالاً ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجابوهم إلى ذلك
ثم إن الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل أيها الملك
فإن الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه
فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجرب بدابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلا معه وتأخير
الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ليتمكن عند النفس حين
وروده عليها فضل تمكن ونظمه تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فأوجس في
نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لإيهام العكس أن يكون الظرف خبراً مقدماً على المبتدأ ويكون
الجملة حالاً من فاعل دخل فتأمل **قال أحدهما** استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد
ما دخلا معه السجن فأجيب بأنه قال أحدهما وهو الشرابي **إني أراني** أي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار
الصورة الماضية **أعصر خمراً** أي عنباً سماه بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة
عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أعصر عنباً **وقال الآخر** وهو الخباز **إني أراني أحمل**
فوق رأسي خبزاً تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفاً وقوله تعالى **تأكل الطير منه** أي تنهش منه صفة

المخبر او استئناف مبني على السؤال **نبئنا بتأويله** بتأويل ما ذكر من الرؤيين وما روي باجراء الضمير
مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق
لانها في الجلد توليع البهق او كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا
حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض
لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار
اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا
واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من
جهتهما لبعد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة
في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك
دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به **انا نراك** تعليل لعرض رؤياهما عليه
واستفسارهما منه عليه السلام **من المحسنين** من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل
السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من
المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان
اذا مرض منهم احد قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن
ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا فقالوا بارك الله عليك ما
احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي
الله بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن لو استطعت خليت
سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه
فقال الشرابي اراني في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في
كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع
الطير تنهش منها **قال لا ياتيكما طعام ترزقانه** في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة **الا
نبأتكما بتاويله** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال
قبل ان ياتيكما بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل
عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما
روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا
يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان
يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع
وكان عليه السلام يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك
بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك
بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استفسراه من الرؤيين المتعلقتين بالشراب
والطعام وقد جعل الضمير لما قصاه من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما
الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال
في التنبئة وانت خبير بان النظم ظاهر في تعدد ايتان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما

وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا
اوليا والتام لا يكتفي عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما اعتقداه عليه السلام بالانتظام
في سمط المحسنين وانما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى
قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير ما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك
مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك
الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتما علي في طرف الثمام
حيث رايتما مثاله في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم تكن هناك
مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما
بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه
للنبوة فقال **ذلكما** اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى
علو درجته وبعد منزلته **مما علمني ربي** بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي
لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها
وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة اباءه الانبياء العظام وامتناعه
عن الشرك فقال **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له اي لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتاديته الى معنى انه مما علمني
ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل
المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لما ذا علمك ربك تلك
العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان
والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها
وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى
بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما زعمهم
الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح **وهم بالآخرة** وما فيها من الجزاء **هم كافرون** على
الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر **واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب** يعني انه انما
حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة ابائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ
والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في التوحيد والايمان وتنفيرا لهما عما كانا عليه من
الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة ابائه لان التخلية متقدمة على التحلية
ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع **لنا** معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا **ان
نشرك بالله من شيء** اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت **ذلك** اي التوحيد
المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء **من فضل الله علينا** اي ناشئ من تاييده
لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد
ورد واعيته نعمة جليلة وفضل عظيم بالذات **وعلى الناس** كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك
بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا
يوحدون فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما

وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم
اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها
ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل ذلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون
بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث
اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والافاق وقد اعطى سائر
الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا
يستعملونها فيما ذكر من دلائل التوحيد الافاقية والانفسية والعقلية والنقلية **يا صاحبي السجن** اي
يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان
التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق
عندهما حق اتضاح فقال **أأرباب متفرقون** لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم
حسبما اراد عن مراقبة للاخرين مع عدم استقلاله **خير لكما ام الله** المعبود بالحق **الواحد** المتفرد
بالالوهية **القهار** الغالب الذي لا يغالبه احد وبعدما نبههما على فساد تعدد الارباب
بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب
لهما ولمن على دينهما **ما تعبدون من دونه** اي من دون الله شيئا **الا اسماء** فارغة لا مطابق لها
في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك
الاسماء فقط **سميتموها** جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها
عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا
معبود **انتم وآباؤكم** بمحض جهلكم وضلالكم **ما انزل الله بها** اي بتلك التسمية المستتبعة
للعبادة **من سلطان** من حجة تدل على صحتها **ان الحكم** في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية **الا لله**
عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره **امر** استئناف
مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل
امر على السنة الانبياء عليهم السلام **الا تعبدوا الا اياه** حسبما تقتضي به قضية العقل ايضا **ذلك**
اي تخصيصه تعالى بالعبادة **الدين القيم** الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا
ونقلا **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي ذلك هو الدين القيم لجهلهم تلك البراهين او لا يعلمون
شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان
النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيان لهما مقدار الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في
تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال **يا صاحبي السجن اما
احدكما** وهو الشرابي وانما لم يعينه لعدم الالتباس ولتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذرا من مشافهته
بما يسوؤه **فيسقي ربه** اي سيده **خمرا** روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ فيسقي ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى **واما الآخر** وهو الخباز **فيصلب فتأكل الطير من رأسه**
روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث فهي ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل **قضي** اي تم واحكم
الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا مرد له الذي هو عبارة عن نجاة

نجاة احدهما وهلاك الاخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في
حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا
الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا
ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله
بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما
لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستفتاء
مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد
القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك
الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله
لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتياه فيه ولا فيما هو صورته بل فيما
هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر
رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود
من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه **وقال** اي يوسف عليه السلام
للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده
قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال
للذي ظنه ناجيا **منهما** من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية عند الملك
وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان له دخل في ذلك وادعى لتحقق ما وصاه به لكن
يوصف فارق بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف
لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين
كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فان التعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر
الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي **اذكرني** بما انا عليه
من الحال والصفة **عند ربك** سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها **فانساه الشيطان**
اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر فالانساء في الحقيقة لله تعالى
والقاء الشيطان انما هو للتسبب فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر
من الانساء **ذكر ربه** اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار
ربه **فلبث** اي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء والقول **في السجن بضع سنين** البضع ما
بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي
انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم **وقال**
الملك اي الريان **اني ارى** اي رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **سبع بقرات**
سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام **يأكلهن** اي باكلهن
والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها **سبع عجاف**
اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به

عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك ولا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اى وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبنا على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتونى فى رؤياى هذه اى عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهى الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة فى المنام الى ما هى صور وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية الواقعة فى الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اذا ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او للتقوية لتأخر العامل او لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر قالوا استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هى اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها فى المنام والاحلام جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هى اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التى لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهى رؤيا واحدة مبالغة فى وصفها بالبطلان كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اى المنامات الباطلة التى لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير فى تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف فى ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله تعالى انا انبئكم بتأويله وقال الذى نجا منهما اى من صاحبى يوسف وهو الشرابى وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اى تذكر يوسف عم وشؤونه التى شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد امة اى مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره فى الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدرى ان

ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل فى سلك الصلة انا انبئكم بتأويله اى اخبركم بالتلقى عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسى ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اى الى يوسف عم وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة فى الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه فى عالم الشهادة اى بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عم فى الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتأويله وفى قوله افتنا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه فى ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال لعلى ارجع الى الناس اى الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن فى الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول فى ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل الناس ما دون مآبه اذ لا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبنى على سؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عم فى التأويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب فى العمل اذا وجد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اى دائبين او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عم البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذى هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم فى تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اى فى كل سنة فذروه فى سنبله ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عم استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتأويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين وفيه ارشاد منه عم الى التقليل فى الاكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد تمام ما امرهم به شرع فى بيان بقية التأويل التى يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم يأتى وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة فى الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اى من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اى سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة فى سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن اسناد مجازى كما فى نهاره صائم وفيه تلويح بانه تأويل لاكل العجاف السمان واللام

في سنبله ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل
والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون اي تحرزون لبذور الزراعة
ثم يأتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال وتثنيها من اول
الامر على ان اختلاف الحال بينه وبين السوابق الموخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن
المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على ان اختلاف الحال بينه وبين السوابق
فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من
الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه
ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر
مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما
لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مباد اخرى
غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون
يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو
ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام
تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في
ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان
يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول
من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث
الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت
السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل
على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما
تلقاها عم من جهة الوحي فبشر بها بعد ما اول الرؤيا وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة
لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل فانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام
على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله
واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عم في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام
وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من
علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف عليه السلام الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي
سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاسأله
ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما
يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه
ولا يبالى به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان
محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما
النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم
ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء

بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك
وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما
خطبكن اي ما شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن
يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة
قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي
جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت
النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الان حصحص
الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة
من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الارض وغيرها وقيل بان
وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص
البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى
نوأة ثم صمما والمعنى ان الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن
من مطلق نزاهته عم فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما
وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو
متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن
نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترته عليه هي راودتني
عن نفسي وارادت بالان زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى
فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء
وانما تصدى عم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لاسيما عند
العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عم لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك
اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعم
لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من
نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان
ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك
لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشانه عليه السلام في
الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول
اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد
اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل
يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهؤن
قول الذين كفروا اي يضاهيهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في

خيانة أمانة الله تعالى حين ساعد على حبسه بعدما رأوا الآيات نزاهته عم ويجوز أن يكون ذلك
لتأكيد أمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله تعالى أمره وأحسن عاقبته **وما أبرئ نفسي** أي لا أنزهها
عن السوء قاله عم هضماً لنفسه الكريمة البريئة عن السوء وربأً بمكانها عن التزكية والإعجاب بحالها
عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله عم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أو تحديثاً بنعمة الله تعالى
عليه وإبرازاً لسره المكنون في شأن أفعال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي ولا أسند هذه
الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى **إن النفس** البشرية التي من جملتها نفسي
في حد ذاتها **لأمارة بالسوء** مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل إنما
ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله تعالى **إلا ما رحم ربي** من النفوس التي يعصمها
من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي أو إذ هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته
لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم
ينقذون إلا رحمة **إن ربي غفور رحيم** عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها و
مبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التعرض
لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل إنه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك
الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو
الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت
إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا نفساً رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف إن ربي
غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه في الخروج من السجن لعدم رضاه
عم بملاقاة الملك وأمره بين بين فيفعل ما فعل حتى تتبين نزاهته وأنه إنما سجن بظلم عظيم مع ماله
من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الإعظام والإجلال وقد وقع **وقال
الملك ائتوني به أستخلصه** أجعله خالصاً **لنفسي** وخاصاً بي **فلما كلمه** أي فأتوا به فكلمه وحذف
للإيذان بسرعة الإتيان به فكأنه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلاً والضمير
المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك أي فلما كلمه يوسف عم إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد
منه ما شاهد **قال إنك اليوم لدينا مكين** ذو مكانة ومنزلة رفيعة **أمين** مؤتمن على كل شيء
واليوم ليس معياراً لمدة المكانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازاً عن احتمال كونهما
بعد حين روي أنه عم لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل ولبس ثياباً
جدداً فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من
شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف
سبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع منك رؤياي فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه زليخا فوجدها عذراء وولدت له أفراثيم وميشا
ولعل ذلك إنما كان بعد تعيينه عم لما عين له من أمر الخزائن كما يعرب عنه قوله تعالى **قال
اجعلني على خزائن الأرض** أي أرض مصر أي ولني أمرها من الإيراد والصرف **إني حفيظ**
لها ممن لا يستحقها **عليم** بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن

يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد أنه أسلم
الملك على يده ولعل إيثاره عم لتلك الولاية خاصة إنما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطنة
إذ ذاك من تدبير أمر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم
الفائدة وجموم العائدة كما قيل وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على
خزائن الأرض إيذاناً بأن ذلك أمر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته
أحكام السلطنة بحذافيرها من قوله إنك اليوم لدينا مكين أمين وللتنبيه على أن كل ذلك
من الله تعالى وإنما الملك آلة في ذلك وقيل **وكذلك** أي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا
ليوسف** أي جعلنا له مكاناً **في الأرض** أي أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين
وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسنداً إلى ضمير العظمة من تشريفه عم والمبالغة
في كمال ولايته والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر لا أنه حصل بعد السؤال ما لا يخفى
يتبوأ منها ينزل من بلادها **حيث يشاء** ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها
ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير
بالنون روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً
بالدر والياقوت فقال عم أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس
من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من
أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر
وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا ما رأينا كاليوم
ملكاً أجل وأعظم منه ثم أعتقهم وردّ إليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل
بعير تقسيطاً بين الناس **نصيب برحمتنا** عطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم
من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة **ولا نضيع أجر المحسنين** بل نوفيه بكماله وفيه إشعار
بأن مدار المشيئة المذكورة إحسان من تصيبه الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار
ثمرات الإحسان فيما ذكر من الأجر العاجل قيل على سبيل التوكيد **ولأجر الآخرة** أي أجرهم في الآخرة
فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له **خير** أي للمحسنين المذكورين وإنما وضع
موضع الموصول فقيل **للذين آمنوا وكانوا يتقون** تنبيهاً على أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمان
والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل **وجاء إخوة يوسف** ممتارين
لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعاً
غير بنيامين **فدخلوا عليه** أي على يوسف وهو في مجلس ولايته **فعرفهم** لقوة فهمه وعدم
مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين
ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى
تعرفوا له **وهم له منكرون** أي والحال أنهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عم في
نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم أنه هلك وحيث كان إنكارهم له أمراً مستمراً في حالتي المحضر و
المغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عم إياهم **ولما جهزهم بجهازهم** أي أصلحهم بعدتهم

من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم **قال ائتوني باخ
لكم من ابيكم** لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم
سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل من انهم
لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا
الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير
صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم
انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن
يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا
الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان مما في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير
عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان بطريق المراودة
ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع
لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال **الا ترون اني اوفي الكيل** اتمه لكم وايثار صيغة
الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة **وانا خير المنزلين**
جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم
وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان
في الانزال فقد مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخرج عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق
الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته معهم
في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس بها حق فخصهم في ذلك بما شاء
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه **ولا تقربون** بدخول بلادي
فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل
على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد الاخرى وان كان ذلك معلوما له عليه السلام **قالوا سنراود عنه
اباه** اي سنخادعه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب
وصعوبة مناله **وانا لفاعلون** ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعايا به
وقال يوسف **لفتيانه** غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له **اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم** فانه وكل بكل رجل رجلا يعبئ بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك
لتحقيق ما يترجاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله تعالى **لعلهم يعرفونها** اي يعرفون حق
ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله تعالى **اذا انقلبوا الى
اهلهم** فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها
فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به **لعلهم يرجعون**
حسبما امرتهم به فان التفضيل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي

الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام
حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة
لانهم لا يستحلون امساكها فادرة حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا
يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف
جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما سيحيط به خبرا
فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع **يا ابانا منع منا الكيل** اي فيما بعد
وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام **فارسل معنا
اخانا** بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم **نكتل** بسببه من الطعام
ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع
اكتيالنا **وانا له لحافظون** من ان يصيبه مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
من قبل** يوسف وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم
وانما افوض الامر الى الله **فالله خير حافظا** وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة
الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان يرحمني بحفظه
ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من
المصلحة **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة
الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل وكيل **قالوا** استئناف مبني على السؤال كانه
قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح **يا ابانا ما نبغي** اذا فسر
البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة فالمعنى فاذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك
الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا
على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى
هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته
كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من
المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن
طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب
المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار
صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه
بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل **ونمير اهلنا** اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف
على مقدر يستدعيه رد البضاعة اي نستظهر بها ونمير اهلنا **ونحفظ اخانا** من المكاره حسبما
وعدنا فما يصيبه من مكروه **ونزداد** اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الامتيار
والمزيد **كيل بعير** اي وسق بعير زائد على وسق اباعرنا على قضية التقسيط **ذلك** اي ما
تحمله اباعرنا **كيل يسير** اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق
كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك
او سهل عليه لا يتعاظمه واي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به

الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب ومتمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وفيه ما ينبئ على خطاب يعقوب عم اي اي شيء نبتغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه والجملة الاسمية بتمامها موضحة لذلك او اي شيء نبتغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبتغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبتغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله تع ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه نحصل امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا ونشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شأن الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج وان قوله تعالى ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل **قال لن ارسله معكم** بعد ما عاينت منكم ما عاينت **حتى تؤتون موثقا من الله** اي ما توثق به من جهة الله تعالى وانما جعله موثقا منه تعالى لان تأكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا **لتأتنني به** جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به **الا ان يحاط بكم** اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو وفقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لا تأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عم مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها فآل المعنى الى التأويل المذكور **فلما آتوه موثقهم** عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عم **قال الله على ما نقول وكيل** اي على ما قلنا في اثناء طلب الموثق

الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبيتهم ومحافظتهم على مراعاته وثباتهم **وقال** ناصحا لهم لما ازمعوا على الرحلة جميعا **يا بني لا تدخلوا** مصر **من باب واحد** نهاهم عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مظنة لتوق كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عم ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال **وادخلوا من ابواب متفرقة** بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية وايذانا بان المراد بالامر المذكور تحقق شيء آخر **وما اغني عنكم** اي لا ادفع عنكم بتدبيري **من الله من شيء** اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عم الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله وهرب منه اليه **ان الحكم** مطلقا **الا لله** لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء **عليه** لا على احد سواه **توكلت** في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل **وعليه** دون غيره **فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله تعالى غير مغترين بما وصاهم به من التدبير **ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه **ما كان** ذلك الدخول **يغني** فيما سيأتي عند وقوع ما وقع **عنهم** عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المحقق ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل **من الله** من جهته **من شيء** اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع

كونها متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني
شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا
بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع
كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عم
في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد
ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل **الا
حاجة** استثناء منقطع اي ولكن حاجة وحزازة كائنة **في نفس يعقوب قضاها** اي اظهرها
ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير
الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي
ارادة ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة
الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع
ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم
تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم **وانه لذو
علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع
القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر او حيث
بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام و
تنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عم
وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اسرار القدر ويزعمون انه
يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر
فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه**
بنيامين اي ضم اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا
قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى
مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف عم
بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال
هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال
لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عم وقام اليه وعانقه
وتعرف اليه وعند ذلك **قال اني انا اخوك** يوسف **فلا تبتئس** اي فلا تحزن **بما كانوا يعملون**
بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قال ابن عباس رضي الله عنه و
وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى
منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي
فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا
لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم

معهم قال افعل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل
من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه
يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر **في رحل اخيه** بنيامين وقيل وجعل على حذف وجواب
لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن مؤذن** نادى مناد **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الا[حمال]
لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير واصلها
فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله عم يا خيل الله
اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف عم حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر
بهم فادركوا ونودوا **انكم لسارقون** هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة
اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه
والاول هو الاظهر الاوفق للسباق وقرئ انكم سارقون بلا لام **قالوا** اي الاخوة **واقبلوا عليهم**
جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم **ماذا تفقدون**
اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة
المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول
عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا
ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة
حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذ[لك]
غيروا كلامهم حيث **قالوا** في جوابهم **نفقد صواع الملك** ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع
وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها في الصياغ ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم
وازاحة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا **ولمن جاء به** من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش **حمل
بعير** من الطعام جعلا له على نية تحقق الوعد بجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى
من اخذ من وجد في رحله **وانا به زعيم** كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن **قالوا تالله**
الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف
الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها
وايا ما كان ففيه تعجب **لقد علمتم** علما جازما مطابقا للواقع **ما جئنا لنفسد في الارض** اي
لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان مما عز او هان فضلا عما نسبتمو[نا]
اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا
لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لا
لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما
يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي
الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كان ظلاما مفرطا
في الظلم فكأنهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال
نزاهتهم عنه بعنوان انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من

الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انا لا نصدر
عنا ادنى فساد **وما كنا سارقين** اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حلفوا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم
الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم
بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم **قالوا** اى اصحاب يوسف عم **فما
جزاؤه** الضمير للصواع على حذف المضاف اى فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم **ان كنتم
كاذبين** لا فى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون
الصواع فيهم كما يؤذن به قوله تعالى **قالوا جزاؤه من وجد** اى اخذ من وجد الصواع
فى رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وان كان مستلزما لها فى اعتقاد
المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا بان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق
دون من وجد فى يده مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رايه فانه
اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله تعالى **فهو جزاؤه** تقرير لذلك الحكم اى فاخذه
جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى
خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو على ان الاول لنفى
والثانى للظاهر الذى وضع موضعه **كذلك** اى مثل ذلك الجزاء الاوفى **نجزى الظالمين**
تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم منه وهم
عما فعل بهم غافلون **فبدأ** يوسف عم بعد ما رجعوا اليه للتفتيش **باوعيتهم** اى اوعية
الاخوة العشرة اى بتفتيشها **قبل** تفتيش **وعاء اخيه** بنيامين لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة
الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا **ثم استخرجها** اى السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث **من وعاء اخيه**
لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه قصدا الى زيادة كشف
وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما فى اشاح وشاح **كذلك** نصب على المصدرية والكاف مقحمة
للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو
عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين
من حيث لم يحتسبوا ومعنى قوله تعالى **كدنا ليوسف** صنعنا ودبرنا لاجل تحصيل غرضه
من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كالتى فى قوله تعالى فيكيدوا لك
كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى **ما كان لياخذ
اخاه فى دين الملك** استيناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه او تفسير وبيان له كانه قيل
لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله فى دين الملك فى امر السارق اى فى
سلطانه قاله ابن عباس رضى الله عنهما او فى حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق
فى دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعتهم
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بما صنعه فى حال من الاحوال **الا ان يشاء الله**
اى الا حال مشيئته التى هى عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه

الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف عم
وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد
من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا
معنى لتعليله بعجز يوسف عم عن اخذ اخيه فى دين الملك فى شان السارق قطعا اذ لا علاقة
بين مطلق الكيد ودين الملك فى امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد
البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه فى دين الملك
بالاحوال ... مشيئتنا له بايجاد ما يجرى مجرى الجزء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته
الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغى ان يحمل القصر فى تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف
بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اى مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون
بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون
من اعم العلل والاسباب اى لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل او سبب من الاسباب الا لعلة
مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان
ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك فلا علينا
فتفسير ... بالاتصال وارادة مطلق ما يندرج ... مما يحدث تفضى الى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه ولم يتعلق المشيئة
بالحيل المذكورة من احوال عجزه مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة
من احوال عجزه عم مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور وقد جوز الانقطاع اى
لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه فى دين غير الملك **نرفع درجات** اى رتبا كثيرة عالية من العلم
وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله تعالى **من
نشاء** اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا ليوسف عم وايثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من
الاعراب **وفوق كل ذى علم** من اولئك المرفوعين **عليم** لا ينالون شأوه واعلم انه ان حمل
الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عم ما اعتبر فيه بالمرتبة او الشرطية من
ارشاده عم الى دس الصواع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه
مما يترتب عليه والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه
او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه
لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك
على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شئ بل انما
نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يبلغ درجة علمه ولا تكتنه كنهه
نرفعه الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عم الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ... دائرة علمه لا تفى بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان
وكان ذلك لانه لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان
ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفى صيغة

لما فيه مع التشكيك والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقداره وعلمه المحيط
ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم و
الافتاء وان لم يكن داخلا تحت تدبيره لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى
مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله تعالى نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله
كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف عم برفعها
وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه
وفوق كل منهم عليم هو اعلا درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي
العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات
من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى
درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من
اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم **قالوا ان يسرق**
يعنون بنيامين **فقد سرق اخ له من قبل** يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته
على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة
وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عم فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة
فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل
كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه **فاسرها يوسف** اي الحزازة الحاصلة مما قالوا **في نفسه**
لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا **ولم يبدها لهم** لا قولا ولا فعلا
صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق **قال** اي في نفسه وهو استئناف مبني على سوال نشأ من
الاخبار بالاسرار كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال **انتم شر
مكانا** اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا **والله اعلم بما تصفون** اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان
الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل
علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم **قالوا** عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا
الاخبار بان له **شيخا كبيرا** في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالته يتعلل به عن شقيقه الهالك
فخذ احدنا مكانه فليس له عنده منزلته من المحبة والشفقة **انا نراك من المحسنين** الينا فاتمم احسانك
بهذه النعمة او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك **قال معاذ الله** اي نعوذ بالله معاذا من **ان
ناخذ** فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار **الا من
وجدنا متاعنا عنده** لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار
صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى جانب

جانب المولى او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط باراء اولي الحل
والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن
الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة
انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه **لظالمون** في مذهبكم وما
لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الجواب وله معنى باطن هو ان الله عز وجل
انما امرني بالوحي ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله تعالى في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما
وعاملا بخلاف الوحي **فلما استيأسوا منه** اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد ياس بدلالة
الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من الياس لما شاهدوه من عوذه بالله تعالى مما طلبوه
الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه
بالله تعالى ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون **خلصوا** اعتزلوا وانفردوا عن الناس
نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي او متناجين على ان يكون المناجي
كالعشير والسمير بمعنى العاشر والسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي
كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل
او في العقل وهو يهودا او رئيسهم وهو شمعون **الم تعلموا** كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب
جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا **ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله**
عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكونه الحلف باسمه الكريم
ومن قبل اي من قبل هذا الميثاق **ما فرطتم في يوسف** قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد
ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب
عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان
يوسف عم ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا
على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان
يوسف عليه او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف عم وقع من قبل وفيه ان مقتضى
المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف
كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني
على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما
تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او مو
ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه
في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله **فلن
ابرح الارض** متفرع على ما ذكره وذكرهم اياه من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط
بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق **حتى ياذن لي ابي** في البراح بالانصراف
اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام **او يحكم الله
لي** بالخروج منها على وجه لا يودي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا
العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل

الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا
يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف عم لابنه قم الى جنبه فمسه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق
والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سُرِّق اي
نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما
كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الحال كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا
عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق وانا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها
واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا
قوما من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال
اي يعقوب عم وهو استيناف مبني على سوال نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف
لاخوته ماذا قال فقيل قال يعقوب عم عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف
للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه
جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضطراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك
بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر عنهم ما يؤدي الى ذلك من قول
او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك
فتياهم باخذ السارق برقبته فصبر جميل اي فامري صبر جميل اي فصبر جميل اجمل عسى الله ان
يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم
يبتليني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفا على يوسف
الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء لتداداه اي يا اسفي تعال فهذا
اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء
عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه لانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا
في ايابهما واما يوسف عم فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي
الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
عم حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما
يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى اثاقلتم
الى الارض ارضيتم وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها
وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى
بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عم
من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من
يعقوب عم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عم ما بلغ من وجد يعقوب على
يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى
ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت

تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده
ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما
الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق
الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول
الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل
بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل
كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي
كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه
هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد
قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث
اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق
التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو
همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا الذي بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين
واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم
وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف عم قيل رأى ملك الموت عم في المنام فسأله
عنه فقال هو حي وقيل من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا
فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف
واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح
الله اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد وهذا ارشاد
لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف
لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر
ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى
الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة
الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب وقيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك
سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة

او بالزيادة على ما يساوي بها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن
بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا عليه السلام وانما لم يبدوا بما امروا به استجلابا للرافة
والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان
قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المعنيين فلعله عليه السلام حمله على
المحمل الاول ولذلك قال مجيبا لهم عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف
لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم عن يوسف واذلالهم بذلك حتى كان لا
يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد
لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم
وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض
عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عم بطريق الوحي والالهام على وصية
ابيه وارساله اياهم للتجسس عنه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل
اعطوه كتاب يعقوب عم وقد كتب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في
النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه
الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه
ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من
امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا
نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما
ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد بان واللام قالوا استغرابا
وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ
اينك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه
زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة
في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتما
بتبيينه قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد
الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا
وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في
جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات
او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين له اجرهم وانما وضع المظهر موضع

موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين
المتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار
ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش
ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية
الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او
بالمقدر خبرا اي لا اثربكم ولا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله تعالى يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى جريرتهم بما فعلوا من التوبة
وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عم
ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك بما فرط منا فيك
فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل الذي كان عليه وقيل
هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح
الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا او يات الي بصيرا
ويشهد قوله واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء
والذراري قيل يحمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه
كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت
العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وعن
ابن عباس رضي الله عنه انفصلت العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده
الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون
اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني
قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط
محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير
وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي على وجه يعقوب او القاه يعقوب على
وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد
ريح يوسف فالخطاب لمن عنده بكنعان او قوله ولا تياسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب
بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من
جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر و
امرتكم بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته
قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين

ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عم ولذلك اقتصروا
على التماس الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو
الغفور الرحيم هو ليشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى
وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عم او يعلم انه قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرطه
المغفرة ويعضده انه روي انه استقبل القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما
اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عم فقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبائهم وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف
وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي
على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اني قد غفرت لك
ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز
اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب
وهو يمشي متوكئا على يهوذا فانظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا
ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى
ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني
وبينك وقيل ان يعقوب عم وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وكانوا حين خرجوا
مع موسى عم ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومايتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب
في قوله تعالى واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق ولان يعقوب عم تزوجها بعد امه وقال الحسن
وابن اسحق كانت امه في الحياة فلا حاجة الى التاويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكان عم
ضرب المضرب او نزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين
من القحط والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر
على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه
كان التحية عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات
الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وقيل باه الخرور
وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها
وقصصتها عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه ولا عذر لا يجعل
يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قول النبي ولمن صلى لقبلتكم نفسه لا يخفى وتاخره عن الرفع
على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب على كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل
تاخره عنه ليتصل بذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال
الاحسان بالي وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هنا يتضمن لطف
وهو لا يتعدى بالي كما يوذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فايدة لا تخفى اي لطف
بي محسنا غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من

من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خروجهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله
تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا
واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عم في
الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق
حتى يجي على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه
المصالح الحكيم الذي يفعل كل شي على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام
فطاف به في خزاينه فادخله في خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين الثياب وخزاين السلاح
وغير ذلك فلما ادخله خزاين القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي
على ثماني مراحل قال امرني جبريل عم قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فساله فقال جبريل
امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عم اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه
ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم تاقت
نفسه الى الملك الدايم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد اتيتني من الملك اي بعضا منه
عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم
تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب
ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر
لانه بمقام تعداد النعم الفايضة عليه من الله سبحانه والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور
وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك
وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان نحمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا
فمجرد التاخر في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض
مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى اخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية
مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والاخرة او الذي
يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني بالصالحين
من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعى توفاه الله عز وجل
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا له
تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في
التبرك به وولد له افرايم وميشا ولافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى عليهما السلام ولقد توارث
الفراعنة من العمالقة بعده مصر وبنو اسرايل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف واباءه الى ان
بعث الله موسى عم ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف عم وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من الدلالة على بعد منزلته وكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول عم وهو مبتدأ
خبره من انباء الغيب الذي لا يحوم حوله احد وقوله تعالى نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال
من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه
اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم

يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرًّا وتحيط بما لديهم خبرًا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضًا وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله تعالى وهم يمكرون والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضًا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضًا إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر **وما أكثر الناس** يريد به العموم وأهل مكة **ولو حرصت** أي على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك **بمؤمنين** لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روي أن اليهود وقريشًا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك **وما تسألهم عليه** أي على الإنباء أو على القرآن **من أجر** من جعل كما يفعله حملة الأخبار **إن هو إلا ذكر** عظة من الله تعالى **للعالمين** كافة لا أن ذلك مختص بهم **وكأين من آية** أي وكأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها **في السموات والأرض** أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب الفائتة للحصر **يمرون عليها** أي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبه على معنى ويطئون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر **وهم عنها معرضون** غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها **وما يؤمن أكثرهم بالله** في إقرارهم بوجوده وخالقيته **إلا وهم مشركون** بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا أو بقولهم باتخاذه تعالى ولدًا سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا أو بالنور والظلمة وهي جملة حالية أي لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم قيل نزلت الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** أي عقوبة تغشاهم وتشملهم **أو تأتيهم الساعة بغتة** فجأة من غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** بإتيانها غير مستعدين لها **قل هذه سبيلي** وهي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص وفسرها بقوله تعالى **أدعو إلى الله على بصيرة** بيان وحجة واضحة غير عمياء أو هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة **أنا** تأكيد للمستكن في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة **ومن اتبعني** عطف عليه **وسبحان الله وما أنا من المشركين** مؤكد لما سبق من الدعوة إلى الله **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا** رد لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة **نوحي إليهم** كما أوحينا إليك وقرئ بالياء **من أهل القرى** لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم

الجهل والجفاء والفسوق **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك **ولدار الآخرة** أي الساعة والحياة الآخرة **خير للذين اتقوا** الشرك والمعاصي **أفلا تعقلون** فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيريتها وقرئ بالياء على أنه داخل تحت قل **حتى إذا استيأس الرسل** غاية لمحذوف دل عليه السياق أي لا يغررهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع **وظنوا أنهم قد كذبوا** أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فإنه يوصف بالصدق والكذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا **جاءهم نصرنا** فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنه وظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر فإن صح ذلك فلعله أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وإنما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الأمة فما ظنك بالأنبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل إليهم وقيل الأول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد أي ظن الرسل أن القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على أن الضميرين للرسل أي ظنوا أنهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرًا أو على أن الأول لقومهم **فنجي من نشاء** هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** إذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئة **لقد كان في قصصهم** أي قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف وإخوته ويؤيده قراءة من قرأ بكسر القاف **عبرة لأولي الألباب** لذوي العقول المبرأة عن شوائب أحكام الحس **ما كان** أي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة **حديثًا يفترى ولكن** كان **تصديق الذي بين يديه** من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه **وتفصيل كل شيء** مما يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بواسطة **وهدى** من الضلال **ورحمة** ينال بها خير الدارين **لقوم يؤمنون** أي يصدقونه لأنهم المنتفعون به وأما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلمًا

سورة الرعد وآيها أربعون وأربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحله إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء إذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارًا وقوله تعالى **تلك** على الوجه الأول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الأول أشير إليه إيذانًا بفخامته وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فتلك مبتدأ كما إذا جعل المر مسرودًا على نمط التعديد أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

والجر على التقادير قوله تعالى **آيات الكتاب** اى الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل
حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت
وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما لو جعل
عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح
بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا
يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس **والذي انزل اليك من ربك** اى الكتاب
المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها **الحق** الثابت المطابق في كلها لتعلق به التحقيق بان يخص
به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة
لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول
واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عم من
الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه
الحكم ما لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم
ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد
على طريقة الوصف دون الاخبار **الله الذي رفع السموات** اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم
سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ما لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو
الذي مد الارض **بغير عمد** اى بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اى يسند
يقال عمدت الحائط اى دعمته وقرئ عمد على انه جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة
الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد **ترونها** استئناف واستشهاد به على ما
ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية مع قدرة الله
سبحانه **ثم استوى** اى استولى **على العرش** بالحفظ والتدبير واستوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه
فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة **وسخر الشمس والقمر** ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد
منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها
تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري على مدار معين من المدارات اليومية ينتهي
فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان
لحكم تسخيرهما **يدبر** بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة **الامر** امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته **يفصل الآيات** الدالة على كمال
قدرته وبالغ حكمته اى يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من
الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب
التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر من
تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاول حال منه والثاني من الضمير فيها او كلاهما من ضماير
الافعال المذكورة وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله تعالى

تعالى خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما
في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول **لعلكم** عند معاينتكم
لها وعثوركم على تفاصيلها **بلقاء ربكم** بملاقاته للجزاء **توقنون** فان من تدبرها حق التدبر
ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات
المتقنة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على ألسنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك
ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء. ولما قرر الشواهد
العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال **وهو الذي مد الارض** اى بسطها طولا وعرضا
قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها
وجعل فيها رواسي اى جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة
ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك واختصار مجيء فواعل جمع الفاعل في نوادر
وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى
اياما معدودات وقوله تعالى الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفرده
صفة جمع القلة اعني اجبلا ويعبر في جمع الكثرة اعني جبالا لانتظامها لطائفة من جموع القلة
وتنزيل كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتهما لا باعتبار انتظام جمع القلة
للافراد واشتمال جمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة
ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما
ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان
لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها **وانهارا** مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي
نظمها مع الجبال في سلك جعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبيانا لفائدة اخرى
للجبال في كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة
على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلأ **ومن كل الثمرات** متعلق بجعل في قوله تعالى **جعل
فيها زوجين اثنين** اى اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج للآخر واكد
به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك
الاثنينية اعتبارية اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين
اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير
او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل ويكون الثاني استئنافا
لبيان كيفية ذلك الجعل **يغشي الليل النهار** استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة
نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب وان
احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة
الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان
كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما
فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج
على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشي من التغشية **ان في ذلك** اى فيما ذكر من

مد الارض وابقاها بالرواسي واجرا الانهار وخلق الثمرات واغشا الليل والنهار وفي الاشارة
بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه **لايات** باهرة وهي اثار تلك الافاعيل البديعة
جلت حكمة صانعها فخفي على معناها فان تلك الاثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز
ان يشار بذلك الى تلك الاثار المدلول عليها بتلك الافاعيل في تحريك بها **لقوم يتفكرون**
فان التفكر فيها يودي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرايق والاسلوب اللايق
لابد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد **وفي**
الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طايفة اخرى من الايات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف
من طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك **متجاورات** اي متلاصقات
وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا **وجنات من اعناب** اي بساتين
كثيرة منها **وزرع** من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعات اصله ولعل تقديم ذكر الجنات
عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسايرها ورسوخ ذلك فيها
وتاخير قوله **ونخيل** لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله **صنوان وغير صنوان** فاصلة و
الصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلات التي لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد
على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات ولعل
عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك
القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها
للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على
اعناب او جنات **تسقى** اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة
للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي **بماء واحد** لا اختلاف في طبعه سوا
كان السقي بماء الامطار او بمياه الانهار **ونفضل** مع تحقق اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا
بعضها على بعض اخر منها **في الاكل** فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل
ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان
عدم احتمال اسناد الفعل الى فعل اخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل **ان في ذلك** الذي
فصل من احوال القطع والجنات **لايات** كثيرة عظيمة **لقوم يعقلون** يعملون على قضية عقولهم
فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدايع وخلق
تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروايح في تلك القطع المتباينة المتجاورة
وجعلها حدايق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال
وان كانت هي الايات انفسها الا انها فيها الايات قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها
اية ففي تجريد مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والايات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحادها الواقعة في الاقطار والاماكن المشاهدة
لاهلها فخفي على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق
كونها ايات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لامر تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر
لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل

تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين **وان**
تعجب يا محمد من شيء **فعجب** لا عجب فهو حقيق بان يقصر عليه التعجب **قولهم** بعدما شاهدوا هذه
ما عدد ذلك من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير **اءذا كنا ترابا** على طريقة
الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم
على انه بمعنى المفعول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلا
وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى **اءنا لفي خلق جديد** وهو
بعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير
الهمزة في قولهم اءنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل
عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في التكرر ما لا
يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب في قولهم والمال وان تعجب في موضع التعجب
وقيل وان تعجب من انكارهم للبعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل
من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر هذه
الدلالة على قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة
هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا المقدر والتسجيل من الاول كون قولهم ذلك امرا عجيبا
ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب
الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه على الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب فوقه **اولئك**
مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث رغما عاينوا ما فصل من الايات
الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون **الذين كفروا بربهم** وتمادوا في ذلك فان انكارهم
لقدرته عز وجل كفر به واي كفر **واولئك** مبتدا خبره قوله تعالى **الاغلال في اعناقهم** اي مقيدون
بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة **واولئك** الموصوفون بما ذكر من الصفات
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكر
البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم **ويستعجلونك**
بالسيئة بالعقوبة التي انذرتها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب
استهزاء منهم بانذاره **قبل الحسنة** اي العافية والاحسان اليهم بالامهال **وقد خلت من قبلهم المثلات**
اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية
لبيان ركاكة رايهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين
لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين
والمثلة بوزن الثمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال
للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون التاء كما يقال السمرة
والمثلات بضم الميم وسكون التاء تخفيف المثلات جمع مثلة كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة**
عظيمة **للناس على ظلمهم** انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل
فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها
وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه صلى الله عليه وسلم

٤٣

بل كونهم
فقد تعجب

ت ا
ى
ب

لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد **ويقول الذين كفروا** وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم وبيانا عليهم كفرهم بايات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا **لولا انزل عليه اية من ربه** مثل ايات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففي ادنى ما انزلت عليه عليه الصلوة والسلام غنية وعبرة لاولي الالباب **انما انت منذر** مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كذاب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما امرت به وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الايات **ولكل قوم هاد** معين لا بالذات بل يهدون الهدى لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم الابعاد الا الله تعالى اولكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المنبئين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من يشاء مشيئته التابعة للحكم استأثر بعلمها فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اي تحمله فما موصولة اي يعلم ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعائد محذوف او الى واحد اوی شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا او هي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية **وما تغيض الارحام وما تزداد** اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او بحملها نقصها وازديادها لما بينهما فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير ولازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما بينها **وكل شيء** من الاشياء **عنده بمقدار** بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في نفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل **عالم الغيب** اي الغائب عن الحس **والشهادة** اي الحاضر له عبر عنهما بالغيب والشهادة مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ **الكبير** العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته والمنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال والاسرار بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال **سواء منكم من اسر القول** في نفسه **ومن جهر به** لغيره **ومن هو مستخف** مبالغ في الاختفاء كانه مختف **بالليل** وطالب للزيادة **وسارب** بارز يراه كل احد **بالنهار** من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله

فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذيب يصطحبان

كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل لكن في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى وكانه في التعلق بالخفيا اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء لما عرفته انفا **له** اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب **معقبات** ملئكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه** من جميع جوانبه اومن الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باسه حين اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى **ان الله لا يغير ما بقوم** من النعمة والعافية **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاعمال الصالحة او الملكات التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها **واذا اراد الله بقوم سوءا** لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك **فلا مرد له** فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال** يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله تعالى بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان خلاف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه **هو الذي يريكم البرق خوفا** من الصاعقة **وطمعا** في المطر ووجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المرتقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراف والحراث وكذا في الزبيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مرتقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل على مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل العلل هي الرؤية التي تتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة • وحلت بيوتي في يفاع ممنع • تخال به راعي الحمولة طائرا • حذارا على ان لا ينال مقادتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا • اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم **وينشئ السحاب** الغمام المنسحب في الهواء **الثقال** بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام **ويسبح الرعد** اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين **بحمده** يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد مجاز وقيل الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان

يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود
سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك **والملائكة** اي تسبح الملائكة **من خيفته** من
هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** فيهلكه
بذلك **وهم** اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا
باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه
قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال
الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او
الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم
اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع دلهم وهوانهم وحقارة شأنهم **يجادلون في الله** اي في شأنه
تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو
لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق او على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل
الخ واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى يعلم الخ
استئناف لبيان بطلانه فوهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده
على ما قبله وقيل للحال فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن
ربيعة اخا لبيد وانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل
فدخلا المسجد وهو صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا
لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد اذا رايتني اكلم محمدا صلى الله عليه وسلم
فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عم فدار اربد من خلفه عم فاخترط من سيفه شبرا
فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال
فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو فاحرقته
وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه فركب فرسه
فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد
وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب
فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن
الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى
الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومما هو من ذهب او من فضة ام من نحاس
ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما
راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله تعالى منه فقال عم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فزاد
على مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عم فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة
ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه عم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب

وركبه

فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم **وهو شديد
المحال** اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محل بمعنى القوة وقيل
محول من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من
حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
ساعد الله اشد وموساه احد **له دعوة الحق** اي الدعوة الثابتة الواقعة ومحلها المجابة
عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان
والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته
كما في قوله عم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية
لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال
وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان هلاك اربد وعامر من محال من الله تعالى واجابة
لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الاية نزلت في شأنهما او من حيث انه
وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة
دعوته عليهم **والذين يدعون** اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه
من دون الله عز وجل **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **الا كباسط كفيه الى الماء** اي الا استجابة
كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما
يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون لهم بشيء ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف
الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا
وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة
من بسط كفيه الى الماء كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان • لم تدع من المال الا مسحتا او
مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحتا او مجلف **ليبلغ** اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الالات
فاه وما هو اي الماء **ببالغه** ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط
يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراد من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم
في دعاء الهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه
من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان
الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم
بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها
شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء كباسط
بالتنوين **وما دعاء الكافرين الا في ضلال** اي ذهاب وضياع وخسار **ولله** وحده
يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد **من
في السموات والارض** من الملائكة والثقلين **طوعا وكرها** اي طائعين وكارهين او انقياد
طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله وانقياده لاحداث ما اراده فيهم
من احكام التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون
مما لا يخفى على احد **وظلالهم** اي تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف

على ما يشيدونه تابعة لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال **بالغدو والآصال** ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقضى في جمع قضاة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور وكذا لو حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل على انقياد غيرهم على انه يبين ذلك بقوله عز وجل **قل من رب السموات والارض** فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امورهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله تعالى **قل الله** امر بالجواب من قبله اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره **قل** الزاما لهم وتبكيتا **افاتخذتم** لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا للانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة **افاتخذتم من دونه اولياء** عاجزين **لا يملكون لانفسهم نفعا** يستجلبونه **ولا ضرا** يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا ذاك المعطوف عليه لا يشمون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجود ما يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو اتخاذه وذريته اولياء من دوني وصف الاولياء هنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره **قل** تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس **هل يستوي الاعمى** الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها **والبصير** الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء **ام هل تستوي الظلمات** التي هي عبارة عن الكفر والضلال **والنور** الذي هو عبارة

عبارة التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة ان تكون منشأ لغلطهم وخطئهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل **ام جعلوا لله شركاء** اي بل جعلوا له شركاء **خلقوا كخلقه** سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله تعالى خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه **فتشابه الخلق عليهم** بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم **قل** تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه **الله خالق كل شيء** كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة **وهو الواحد** المتوحد بالالوهية **القهار** لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدوس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها بملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي بشارتها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها النافع حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها انواع الآلات والادوات ويبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل **انزل من السماء** اي من جهتها **ماء** اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر **فسالت** بذلك **اودية** واقعة في مواقعة لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو موضع بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا وجدان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه **بقدرها** اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عند الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موردها الماء وكثرتها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من مورد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها كذلك

الاودية على نحو ما عرفته **فاحتمل السيل** الجاري في تلك الاودية اي حمل معه اورفعه بضمير هامياهها
بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين **زبدا** اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك
بقوله تعالى **رابيا** اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المتحمل لكون الحمل غير طافٍ كالاشيا
الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية
مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبينها مثل به في الباطل الذي
شانه الظهور في مبادي الراي من غير مداخلة في الحق **ومما يوقدون عليه في النار** اي
يفعلون الايقاد عليه كما في النار والضمير للناس مضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ
بالخطاب **ابتغاء حلية او متاع** اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة
من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد
وغير ذلك من الفلزات **زبد** خبث **مثله** مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله
تعالى زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدا وناشيا منه لا تبعيضية
معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول وجعل
الوقود لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء لظهور اللهاون به كما في قوله
تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه وتأتيه وفي
زيادة النار اشعار بالمبالغة في الاعتماد للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض
لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا
فيه حسبما فصل فيما سلف بل لاخلال ذلك بذلك **كذلك** اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على
نكت رائقة **يضرب الله الحق والباطل** اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانبا عن كمال التماثل
بين المثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل في الايمان في
تضاعيف ذلك الى وجود المماثلة على ابدع وجوه واتقنها حسبما اشير اليه في مواقعها بين
عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقا تتميما
للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزايل فقيل **فاما الزبد**
من كل منهما **فيذهب جفاء** اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد **واما ما ينفع الناس** منهما كالماء الصافي
والفلز الخالص **فيمكث في الارض** اما الماء فيثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق
الارض الى العيون والقنا والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه
اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في
الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع
في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملايمة بين حالتي الذهاب والبقا وبين
ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله **كذلك يضرب الله** اي مثل
ذلك الضرب العجيب يضرب بقاء الباقي في **الامثال** في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد
والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل اما
باعتبار ابتنا هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعدما بين شان كل
من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مالا تكميلا للدعوة رغبا

ورهبا **للذين استجابوا لربهم** اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب
الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا
وهو تصوير المعقول بصورة المحسوس وابراز الاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى
منه بالاستجابة والقبول **الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة **والذين لم يستجيبوا له** وعاندوا
الحق الجلي **لو ان لهم ما في الارض** من اصناف الاموال **جميعا** بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها
او مجموعها غير متفرق بحسب الازمان **ومثله معه لافتدوا به** اي بما في الارض ومثله معه جميعا
ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي
خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى ووقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى
لمراعاة حسن المقابلة تصاركانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت
على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول
او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في ذلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى **اولئك**
لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع
مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة وبيانا
لابهام الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا
لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم
حسن المقابلة على احسن وجه واكمله ثم بين مؤدى ذلك فقيل **وماواهم** اي مرجعهم **جهنم** وفيه نوع
تاكيد لتفسير الحسنى بالجنة **وبئس المهاد** اي المستقر المخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى
للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله تعالى يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى
صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول
الاول وقوله تعالى لو ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب
والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين
وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الانسب
للتبعيض دخول اللام على من يقصد بذكره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه
ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ونظايره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير
الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ بجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا
بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى
المستجيبين وغير المستجيبين فتامل **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك** من القران الذي مثل
بالماء النازل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى **الحق** الذي لا حق وراءه والحق الذي
اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له **كمن هو اعمى** عمي القلب لا يشاهده وهو نار على علم
ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم يبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال
اولا يتذكر بما ضرب من الامثال اي لا يستوي من يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حال من عبر عنه بالاعمى
وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال
وبين حال كل من الفريقين وماليهما بتوهم المماثلة بينهما ثم استونف فقيل **انما يتذكر** بما ذكر من

المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي **أولو الألباب** أي العقول الخالصة المبرأة
عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم **الذين يوفون بعهد الله** ما عاهدهم الله تعالى عليهم في كتبه
ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على أنفسهم وتناولوه من الإيمان بالله تعالى وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد الاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء
المجمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق
كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج **ويخشون ربهم** خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه
فيما أمر به **ويخافون سوء الحساب** فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته
حسبما ذكر فيما قبل **والذين صبروا** على كل ما تكرهه النفس من الأفعال والتروك **ابتغاء وجه ربهم**
طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء أو سمعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجبا
وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة
أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فإن ذلك مما لا بد منه إما في
نفس الصلات كما في ما عدا الأولى والرابعة والخامسة أو في إظهار أحكامها كما في الصلات الثلاث
المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية
والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه **وأقاموا الصلاة**
المفروضة **وأنفقوا مما رزقناهم** أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه **سرا** لمن لم يعرف بالمال أو لمن
يتهم بترك الزكاة أو عند إنفاقه وإعطائه من يمنعه المروءة من أخذه ظاهرا **وعلانية** لمن لم يكن
كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض **ويدرؤون بالحسنة السيئة** أي يجازون الإساءة
بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار
كمال العناية بالحسنة **أولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة أو الملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الظرف
أعني قوله تعالى **لهم عقبى الدار** أي عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أمر أهلها وهي الجنة وقيل
الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وأيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن
بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالوصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر
للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات إن جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلات المذكورة
مدخل في التذكر **جنات عدن** بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره **يدخلونها** والعدن الإقامة ثم صار
علما للجنة من الجنان أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة **ومن صلح من آبائهم** جمع
أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم **وأزواجهم وذرياتهم** وهو عطف على
المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من
صلح من أهليهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة
وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول

الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب **والملائكة**
يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين **سلام عليكم**
بشارة بدوام السلامة **بما صبرتم** متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم
أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة لما أنه مما له دخل في كل
منها ومزية زائدة من حيث أن ملاك الأمر في كل منها وأن شيئا منها لا يعتد به إلا أن يكون
لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس **فنعم عقبى الدار** أي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون
والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا
عن الخلفاء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين **والذين ينقضون عهد الله** أريد بهم من يقابل
الأولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم **من بعد ميثاقه** من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف
والقبول **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل** من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث
يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا
يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا
لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلأنه إنما اعتبر تحققه في
ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما
لا وجه لنفي الصلاة والزكاة عمن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وإن
أريد بالإنفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما درء السيئة بالحسنة
فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فإن من يجازي إحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر
ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وعلا **ويفسدون في الأرض** أي بالظلم وتهييج الفتن
كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلا في الإفضاء إلى العقوبة
التي ينبئ عنها قوله تعالى **أولئك** الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح **لهم** بسبب ذلك
اللعنة أي الإبعاد من رحمة الله تعالى **ولهم** مع ذلك **سوء الدار** أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب
جهنم فإنها دارهم لأن ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على
أكثر التفاسير فإن مجازاة السيئة بمثلها أو ما دونها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الإعطاء عند
المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر اندراجه تحت
الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا أثر له في ذلك لأن اعتباره من حيث إنه
من مستتبعات الإخلال بالعزائم بالكفر ببعض الأنبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق
وتكرير لهم للتأكيد والإيذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت **الله يبسط الرزق** أي
يوسعه **لمن يشاء** من عباده **ويقدر** أي يضيق على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد
مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر إملاء واستدراجا وربما يضيق على المؤمن زيادة
لأجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن **وفرحوا** أي أهل مكة فرح أشر وبطر لا فرح
سرور بفضل الله **بالحياة الدنيا** وما يبسط لهم فيها من نعيمها **وما الحياة الدنيا** وما يتبعها من

النعم **في الاخرة** في جنب نعيم الاخرة **الا متاع** الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى
انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه شيء
قليل النفع سريع النفاد **ويقول الذين كفروا** اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع
ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم **لولا**
انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كأنما انزل عليه عليه السلام من الآيات
العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد
ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى **قل ان الله يضل من يشاء** اضلاله
مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه
لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة
الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية **ويهدي اليه** اي الى جنابه العلي
الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من
تشريفهم ما لا يوصف **من اناب** اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة
حقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى
للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث
للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية
لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار
مكابرتهم **الذين آمنوا** بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان
موديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى
هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى فان الايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي
هم الذين آمنوا او منصوب على المدح **وتطمئن قلوبهم** تستقر وتسكن **بذكر الله** بالامر المعجز الذي لا
ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان
وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها **الا بذكر الله** وحده **تطمئن القلوب** دون غيره
من الامور التي تميل النفوس الى الدنيويات وهذا ظاهر اما المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة
الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها
كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة هواء حيث لم
يطمئنوا بذكر الله ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالطمأنينة دوامها
واستمرارها **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل
حسبما رمز اليه قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب ومبتدأ خبره الجملة
الدعائية على التأويل اعني قوله تعالى **طوبى لهم** وخبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم
حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر

وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع
على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله
تعالى **وحسن مآب** بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك **كذلك** مثل ذلك الارسال
العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة **ارسلناك في امة قد خلت** اي مضت **من قبلها امم**
كثيرة قد ارسل اليهم رسل **لتتلو** لتقرأ **عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب** العظيم الشأن وتهديهم
الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده
عليها **وهم** اي والحال **يكفرون بالرحمن** بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به
نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسال
مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن **قل هو** اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته
ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله تعالى **لا اله**
الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل
ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا
يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية **عليه توكلت** في
جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه **واليه** خاصة **متاب** اي توبتي كقوله تعالى
واستغفر لذنبك امر عليه الصلاة والسلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله
تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عم حيث امر
بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر
والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم
بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل **ولو ان قرآنا** اي قرآنا ما وهو اسم ان
والخبر قوله تعالى **سيرت به الجبال** وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه
السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم
يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام
واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور
لموسى عليه السلام **او قطعت به الارض** اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه
بعصاه او جعلت قطعا متصدعة **او كلم به الموتى** اي بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت
لعيسى عليه السلام لكان ذلك هو القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة
الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف

لاختصاصها بالعقلاء مع ان الاعلام لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة
المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الاهتمام ثم التشويق
لزيادة التقرير لان تقديم ما حقه التاخير يبقي النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ما
ذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع وانتراحهم
وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عم لا بظهورها بواسطة القرآن
لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في
بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم في شان هذا الرفيع
كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهره هذا القرآن الذي
لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى **بل لله الامر جميعا**
اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو اليه
من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه
ومؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الكلام
ذلك هذا الشان الآن لان الامر كله لله وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه
بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على
الاختيار **أفلم ييأس الذين آمنوا** اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال
الياس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
رضوان الله عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا
عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا **ان لو يشاء الله** على حذف ضمير الشان وتخفيف ان
لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الآيات العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين
جميعا او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب
المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار
انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم
تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم
علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشاها وذلك
لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل
به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب
حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر
جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد
عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى
احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم
فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار
على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم
قنوطهم منهم مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي فلم ييأسوا من

ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشا ذلك اي افلم يقنط الذين آمنوا
بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم
تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار ياسهم وقيل
ان اباجهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع فقد سخرت لداود عم فلست باهون على الله تعالى
منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عم لنتجر عليها الى الشام فقد
شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت
فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل
المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله
تعالى وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو في الحقيقة دال على الجواب والتقدير
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في
كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره **ولا يزال الذين كفروا** من اهل مكة **تصيبهم بما
صنعوا** اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه للقصد الى تهويله او استهجانه
وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من
الايذان برسوخهم في ذلك **قارعة** داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع
البلايا من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة
التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم
اثر ذي اثير **او تحل** تلك القارعة **قريبا** اي مكانا قريبا **من دارهم** فيفزعون منها ويتطاير
اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى
ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح **حتى ياتي وعد الله** اي موتهم او القيامة فان
كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية
الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى **ان الله
لا يخلف الميعاد** اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثق لاستحالة ذلك
على الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول
من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول عم
مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة **ولقد استهزئ برسل** كثيرة
خلت **من قبلك فامليت للذين كفروا** اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة
كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من
التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو
مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة
الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين
كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اي عقابي اياهم وفيه من

الدلالة على التناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى **أفمن هو قائم** أي رقيب مهيمن **على
كل نفس** كائنة من كانت **بما كسبت** من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله
وهو الله سبحانه والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك إنكارا لذلك وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار
إلى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ الشديد
ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع
على الكفرة إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء
حتى لتشركوه به فالإنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه
المقدر أعني كون الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعا
كما إذا قلت ألا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى **وجعلوا لله شركاء** جملة مستقلة جيء بها للدلالة
على الخبر وحالية أي أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا ومعطوفة
على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر
موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة
مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى **قل سموهم**
تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هم وما ذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به
العبادة ويستأهلون الشركة **أم تنبئونه** أي بل أتنبئون الله **بما لا يعلم في الأرض** أي بشركاء
مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ
بالتخفيف **أم بظاهر من القول** بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له
معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الأساليب
البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق
القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين **بل زين للذين كفروا** وضع الموصول موضع
المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر **مكرهم** تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم **وصدوا
عن السبيل** أي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرئ بفتحها
أي صدوا الناس أو من صد صدودا **ومن يضلل الله** أي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره أو
يخذله **فما له من هاد** يوفقه للهدى **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** بالقتل والأسر
وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم **ولعذاب الآخرة أشق**
من ذلك بالشدة والمدة **وما لهم من الله** من عذابه المذكور **من واق** حافظ يعصمهم
من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد **مثل الجنة** أي صفتها العجيبة
الشأن التي في الغرابة كالمثل **التي وعد المتقون** عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف
عند سيبويه أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى **تجري من تحتها الأنهار**
تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أي وعدها
وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل
الجنة جنة تجري الخ **أكلها** ثمرها **دائم** لا ينقطع **وظلها** أيضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ
ظلال الدنيا **تلك** الجنة المنعوتة بما ذكر **عقبى الذين اتقوا** الكفر والمعاصي أي مآلهم ومنتهى

أمرهم **وعقبى الكافرين النار** لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين **و
الذين آتيناهم الكتاب** هم المسلمون من أهل الكتاب هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن
واثنان وثلاثون بالحبشة **يفرحون بما أنزل إليك** إذ هو الكتاب الموعود في التورية والإنجيل
ومن الأحزاب أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب أسقفي نجران وأتباعهما من ينكر بعضه وهو
الشرائع الحادثة إنشاء أو نسخا لما يوافق ما حرفوه وإلا فنعي عليهم في أول الأمر فمدار ذلك
إنما هو جنايات أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلا ينكرونه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد
بالموصول الأول عامتهم فإنهم أيضا يفرحون بما يكون مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون
قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تتمة بمنزلة أن يقال ومنهم **من ينكر بعضه قل** إلزاما لهم وردا
لإنكارهم **إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** أي شيئا من الأشياء أو لا أفعل الإشراك
به والمراد به قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على عبادته خاصة
أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله تعالى وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم إلى
إنكاره لإطباق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى
كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح
وقرئ ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به **إليه** إلى الله تعالى خاصة
على النهج المذكور من التوحيد أو إلى ما أمرت به من التوحيد **أدعو** الناس لا إلى غيره ولا إلى شيء
آخر مما لا يطبق عليه الكتب الإلهية والأنبياء عليهم السلام فما وجه إنكاركم **وإليه** إلى الله تعالى
وحده **مآب** مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا
أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك إلزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد إنكارهم لفروع
الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل **وكذلك
أنزلناه** أي ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه أو أنزل إليك ومحله النصب
على المصدرية أي مثل ذلك الإنزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع متشعبة إلى موافقة
ومخالفة حسبما يقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه **حكما** حاكما يحكم في القضايا والوقائع
بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته
وتحتم المحافظة عليه **عربيا** مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك
إحدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل فهمه وإدراك
إعجازه والاقتصار على اشتمال الإنزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله
تعالى إنما أمرت أن أعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والإثبات وأن
لكل أجل كتابا فإن المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع **ولئن اتبعت أهواءهم**
التي يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل إليك من الحق كالصلوة إلى بيت المقدس
بعد التحويل **من بعد ما جاءك من العلم** العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي أو العلم
بمضمونه **ما لك من الله** من جنابه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم

الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا
ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك الله على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع
السوء وحيث لم يستلزم الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل امالك من باس الله تعالى من
ناصر ولا واق لا اتباع على اهواهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج
المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم
لقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما
جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه عليه عم بالازواج والاولاد كما كانوا يقولون
ما لهذا الرسول يأكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم
يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته
المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام وفي
الالتفات لما ذكر مناه وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت
من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع
كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم
المرضي بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه
الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت
ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة ديدنهم كتبة
كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او
يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسد من العالم الجسماني ويثبت الكائن او يمحو الرزق
ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم
والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا
وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب
والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى
الشرط ومن ثم ألحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم
والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة
من انذار غب انذار وفي ابراد البعض رمز الى ارادة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك
فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد
الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما
دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما
عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا
يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عم بطلوع تباشير
الظفر فقال اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أنكروا نزول
ما وعدناهم واشكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفرة

على المعطوف حرف الجر للتاكيد كقولك مالك دينار ولا درهم م

ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها
بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك وقوله عز سلطانه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها افهم الغالبون وقوله تعالى ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها
بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى
كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء
وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والاثار
وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة
وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد
فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل
جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على
راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد
والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع
الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين عذابهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما
يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم
من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير ولا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد
من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا وهو عبارة
عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله
تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل يعلم ما
تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه
ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله حيث يؤاخذهم بما كسبوا
من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم
على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون
ومن حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس
جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل اللام
للتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفرة
والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا
منها او للدلالة على تجدد واستمرار منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على
رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده
علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين
اسلموا لانهم يشهدون بنعته عم في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ
والله سبحانه اذ كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته

وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح المحفوظ من الاشيا الكاينة التي من جملتها رسالتي وقرى من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبنا المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله عرضة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كون الر مبتدا او المبتدا مضمر على تقدير كونه خبر المبتدا محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدا المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقايد الحقة وقرى ليخرج الناس اي ليخرج به الناس من الظلمات من عقايد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت باذن ربهم بتيسيره وتوفيقه ولا ابا عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشي الى كماله المتوجه اليه وتعلق الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والبا متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يا باه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل او البيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف مبني على سوال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين وتخصيص الوصفين بالذكر عقيب سلوكه بيان لما فيه من الامن والعافية فيتنا كحميته الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرى بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف الصراط لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتدا بجعل الموصول خبرا مبناه الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب كساير المصادر

للصاد ثم رفع رفعها لله لا للدلالة على اثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يوثرونها استفعال من المحبة فان الموثر للشي على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الاخرة اي الحيوة الاخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله الذي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرى يصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا تنكب وهو غير فصيح كاوقفه فان في صده وقوفه مندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شي من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزايغة غير مستقيمة ومحل الموصول من هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبي عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كونه سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مامونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتدا والخبر قوله تعالى اوليك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بنا الحكم على الموصول اي اوليك الموصوفون بالقبايح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الاخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيم ووصفها بالاعوجاج وهي منه بنزه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضلال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول ملتبسا الا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرى بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يومر به وحيث لم يكن مراد هذه القاعدة في شان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجا وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبي عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوايد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاديه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتوهم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين

عاة

الأمم أجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربية ثم
ترجمها جبريل عليه السلام أو كل من نزل عليه من الأنبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى
ليبين لهم فإنه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي رجوعه إلى قوم كل نبي
كما قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه
الذين أرسل إليهم ما لا يخفى من التكلف **فيضل الله من يشاء** إضلاله أي يخلق فيه الضلال
لمباشرته لما يؤديه إليه أو يخذله ولا يلطف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الألطاف **ويهدي**
بالتوفيق ومنح الألطاف **من يشاء** هدايته لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق والالتفات بإسناد
الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة
مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فأضل الله فأضل
الله منهم من شاء إضلاله لما لا يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف
للإيذان بأن مسارعة كل رسول إلى ما أمر به وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سننه أمر
محقق غني عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على
التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على
الهداية إما لأنه إبقاء ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو للمبالغة في بيان أن لا تأثير
للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلالة
على ذلك أسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات إلى النور
بإذن الله تعالى **وهو العزيز** فلا يغالب في مشيئته **الحكيم** الذي لا يفعل شيئا من الإضلال و
الهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما
الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ولقد أرسلنا موسى**
شروع في تفصيل ما أجمل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم
الآية **بآياتنا** أي ملتبسا بها وهي معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل **أن أخرج قومك** بمعنى أي أخرج
لأن الإرسال فيه معنى القول أو بأن أخرج كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك فإن صيغ الأفعال
في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك إخراج بني إسرائيل بعد
مهلك فرعون **من الظلمات** من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا
إلها كما لهم آلهة **إلى النور** إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به **وذكرهم بأيام الله**
أي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم
وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من
قبلكم الآيات أو بأيامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله تعالى إذ أنجاكم والالتفات من
التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص
ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد وقيل بأيام الله وقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم وأيام العرب وقائعها
وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائعه التي دهمت الأمم الدارجة ويؤيده ما تصدى له عليه السلام
بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك

عليك **إن في ذلك** أي في التذكير بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها **لآيات** عظيمة أو كثيرة
دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد
بها أنفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثاني
عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثالث فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء
والمشار إليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى فيها
دار الخلد **لكل صبار** على بلائه **شكور** لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن
الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر والإيمان ويصير أمره إليها
لا لمن اتصف بها بالفعل لأنه تعالى بل الأمر بالتذكير المذكور والسابق على التذكير المؤدي إلى تلك
المرتبة فإن من تذكر ما نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لما قبله الشكر والصبر
أو الإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم
فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعني
البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر **وإذ قال موسى لقومه** شروع
في بيان تصديه عليه السلام لما أمر به من التذكير للإخراج المذكور وإذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما
وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة أي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه **اذكروا نعمة الله
عليكم** بدأ عليه السلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهي إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة
إن جعلت مصدرا أو بمحذوف وقع حالا منها إن جعلت اسما أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا
نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة إذ في قوله تعالى **إذ أنجاكم من آل فرعون** أي اذكروا إنعامه عليكم
وقت إنجائه إياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت إنجائه إياكم منهم أو بدل
اشتمال من نعمة الله مرادا بها الإنعام أو العطية **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا إذا
أولاه ظلما وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** السوء مصدر ساءه يسوءه والمراد جنس
العذاب السيء أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا
يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم **ويذبحون أبناءكم** المولودين وإنما عطفه على يسومونكم إخراجا
له عن مرتبة العذاب المعتاد وإنما فعلوا ذلك لأن فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة إن مولودا
منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا **ويستحيون نساءكم**
أي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل أحوال من آل فرعون
أو من ضمير المخاطبين أو منهما جميعا لأن فيها ضمير كل منهما **وفي ذلكم** أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة
بلاء من ربكم أي ابتلاء منه لا أن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا أن يجعل في تجريدية ونسبته إلى الله
تعالى إما من حيث الخلق أو الإقدار والتمكين **عظيم** لا يطاق ويجوز أن يكون المشار إليه الإنجاء
من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الأول
يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له **وإذ تأذن ربكم**
من جملة مقالة موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين
تأذن ربكم أي آذن إيذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف

المعمول في حقه سبحانه على غاية ما يليق التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي
اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري
الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه
تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بتذكر ما جرى من الله
سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير
الاوقات تذكر ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها
كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك
من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام
التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا
للجواب المحذوف اي لأعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد
جوابي الشرط والقسم والجملتان اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او القول مقدر بعده كأنه
قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني
اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد
مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد ومحمود يحمده الملائكة بل كل
ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان
ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم
فانه تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل
الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب
تذكيرهم بما ذكر من اقوال الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع
في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا
ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمنين والكافرين فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل
هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتخصيص تذكير موسى عليه السلام
بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد
وايضا لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب
اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلق قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف
بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين
عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ
ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها
عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبئهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين
كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم

افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على
تلقيها والمحافظة عليها او اقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه
انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم كقوله
تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم اي فعضوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها
في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم
تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا
بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية لانهم لما كذبوها
فلم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من
الايمان بالله تعالى والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات
فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا
بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب
الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال
ينساق اليه المقال كأنه قيل فماذا قالت رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين
من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس
نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على
كلام الكفرة بان يقولوا أانتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان
عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته
ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله
في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات
وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما
هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر
فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد
بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده
على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي
اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله
ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه
او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم
مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد
المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة
على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول
الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه

تعالى وجعل منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اى ما انتم الا
بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على
المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اى تريدون بما تتصدون له من الدعوة
والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اى عن
عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شئ يوجبه فاتونا اى ان لم يكن الامر كما قلنا
بل كنتم رسلا من جهة الله سبحانه كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد
كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون
ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارادة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه
السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام
بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكارهم وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام
وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان
من غير داعية توجبها قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم
في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات والاستعدادات
على من يشاء المن بها وما بنا ذلك الا لعلمه باستحقاقنا لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات
هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان
اى بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله
فانه امر يتعلق بمشيئة الله تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل
المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه آثر ذي اثير الا ترى الى قوله عز وجل
وما لنا اى اى عذر لنا ان لا نتوكل على الله اى في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط
بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اى والحال انه قد فعل بنا
ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اى ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب
عليه سلوكه في الدين حيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل
قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح
الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اى فليثبت المتوكلون
على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل
دون غيره وقال الذين كفروا ولعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر
من اولئك الامم الكافرة نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم
ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيان
الرسل ومعاندتهم الحق بعدما راوا البينات الحاسمة لهم حتى اجترؤوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا
تكاد تحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد المحالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة

الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى
اليهم اى الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي الكفر بالكفرة وبلوغهم في العتو الى غاية لا مطمع
بعدها لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا ولنسكننكم
الارض اى ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اى من بعد اهلاكهم وقرئ
ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا للوحي كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى
الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت لمن
خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين
او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدي بالعذاب او عذابي
الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اى
استنصروا الله تعالى على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا او سالوا
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق والضمير
للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على
اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم لنهلكن وقال لهم
استفتحوا وخاب اى خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اى فنصروا
عند استفتاحهم وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة
بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم
على الحق واستفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم
وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة واستفتحوا جميعا
فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفي اسناد
الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه فانه مرصد لها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى
معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء
مخصوص كالمياه المعهودة صديد وهو قيح اى دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد
وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لما ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا
لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء
او حال منه والاظهر انه استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى
يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا
يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب والحدار
الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه
وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة والانسب وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما
جميعا ويأتيه الموت اى اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان
من جسده حتى اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر

من مجى اسبابه لاستما من جميع الجهات حتى لم يبق له ما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين
يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه رفع ما يتوهم من
الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل
المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته
وخيبتهم في ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم
صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم
كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب او هو استئناف مبني على سؤال من
قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى
واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا
المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكون لريحها شبهت
صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها
البديع برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره
محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله تعالى اعمالهم جملة مستأنفة مبنية
على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام
وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله تعالى كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا
من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد
المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها
عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم
ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد
عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به
امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان
الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة
بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم
بعدكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته
تعالى على ذلك على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال
فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك
قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق
بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار او لانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببروزهم من قبورهم لامر الله
تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على

على الله سبحانه وتعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم فقال الضعفاء اي
الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في
تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة
او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية
الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من
الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء
الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله
والاعراب كما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون
عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من
النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا
الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا
لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له
ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام
صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية
كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى
ضمير المتكلم المتناول للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية
لهم ويجوز ان يكون قوله تعالى سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك
ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان
عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من
محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت
والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من
الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهم
عندما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعد
كم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح
ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته
جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان
لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم
اليه وتسويلي وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم
ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد

الدعاء من بابه وتجويز كون الاستثناء منقطعاً فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي
اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات
كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختيا[ركم]
حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق
المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها
منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون
لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله
حسبما يختار وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل
الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي
مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم
وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر
الجملة الاسمية فكان ما مضى جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغا[ثتهم]
بي في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتموني من قبل
اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم
يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني
معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه
ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله
عز وجل كما في قوله سبحانه ما يشركون لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه
بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم
اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم
انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم واظهار رمز بما لطف بهم والمدخلون هم الملائكة وقرئ على صيغة
التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم
الملائكة بالسلام باذن ربهم ألم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما بعده
من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة
منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد وكل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها الا انه تعالى صرح بها مثلها في الخارج وهو
تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي

مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة
وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك [رضي الله عنه]
كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينته اعني قوله تعالى وفرعها
اي اعلاها في السماء اي في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع
تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد
بالشجرة المنعوتة اما النخلة لما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل
كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة
كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث
ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه
كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة
قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة
الدنيا فلا يزالون عنها اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في المواقف ولا يدهشهم اهوال القيمة
وعند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان
فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال لايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره
اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي
الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هارون في منامي بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت
بلحيتي البيضاء فقلت لهما الا لمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل
الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت الله المؤمنين عليه حسب ارادتهم و
اختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل مقابلته ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير
موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا
الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا
يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون
في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة
فيما اريد بالشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما
يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين
من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال
فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر

ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد
تصدر عمن له ادنى ادراك اى الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اى شكر نعمته تعالى بان
وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا
مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذى يجبى اليه ثمرات
كل شئ وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبى النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله عنهما
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين كانهما بيّنا ولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية وأحلوا اى انزلوا
قومهم بارشادهم واياهم الى طريقة الزلة والاضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال
عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار
دار الهلاك الذى لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من
التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مستأنف لبيان كيفية
الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل
والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على
حذف المخصوص بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم
على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما فى حيز الصلة
وحكم التعجب اى جعلوا فى اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذى ليس كمثله شئ وهو الواحد
القهار اندادا اشباها فى التسمية او فى العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما
ضلوا عن سبيله القويم الذى هو التوحيد ويوقعوهم فى ورطة الكفر والضلال ولعل تقييد
الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى
باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره
وللايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد
للاضلال امر يقضى منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الهنات
الثلاث كما فى قصة البقرة وقرئ ليَضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم
من اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة
التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول
الحق وفرط انهماكهم فى الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال حقيقا بان يضرب عنهم صفحا ويعطف
عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بما ترتبه مبالغة فى التخلية
والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التى من جملتها
كفران النعم العظام واستتباع الناس فى عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا
فلابد لكم من تعاطى ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هى فى الحقيقة صورة لدخولها
ومثال لدخولها يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المأمور وفيه
من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصوير الحالهم وتعبير عما يحبهم

اى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم فى التمتع بما هم فيه من غرض ما رفق بلويهم ولا عاطف يثنيهم
مامورون بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب مامور رسابح فى
طاعة امر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار تعليلا للامر بل هو شرط يستحب عليه
الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه من التهديد والوعيد
لا فى الامر قل لعبادى الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لوظايف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما
باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا
وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اى يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعة
الرسول عم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا
بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف فى قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا
ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس
بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اى انفقوا انفاق
سر وعلانية والاحب فى الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على
الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو
صنيع الكفرة من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره ويفتدى به نفسه
والمقصود نفى عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة فى نفى العقد اذ انتفاء
البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاءه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع
ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بمال يفتدى به نفسه او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع
فيه بما هو مناط منه البيع والمخالة ولا اقتدار على الانتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق
لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا او تذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما
فى سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع
اثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعى الى الاتيان بما
تبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك
انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك فى الاخرة ولا وجه لادخاره
الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة
به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ
بالفتح فيهما على ارادة النفى العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه فى جواب
هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذى خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض
وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة
مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع فى تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر و
الطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين به الواضعين
موضعها الكفر والمعاصى وفى جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة

عنهم
ق
ع
من

من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية الهها بتوالد الالد على فوق السلطان **وانزل من السماء** اى السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدى الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية **ماء** اى نوعا منه هو المطر وتقديمه المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبتدأ لنزوله او لتشويقه كما فى قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر **فاخرج به** بذلك الماء **من الثمرات** الفا بيته للحصر اما لان صيغ المجموع يتعاور بعضها موقع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستان فلان **رزقا لكم** تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كانت بمشيته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب واودع فى الماء قوة فاعلية وفى الارض قوة قابلية يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى فى انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجددها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك فى ابداعها دفعة وقوله تعالى لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم **وسخر لكم الفلك** بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك **لتجرى فى البحر** جريا تابعا لارادتكم **بامره** بمشيئته التى نيط بها كل شىء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يترائى من ظاهر الحال **وسخر لكم الانهار** ان اريد بها المياه العظيمة الجارية فى الانهار العظام كما يومى اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** يدأبان فى سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها فى جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانتها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفى التعبير عن التعريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعى لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذى من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادى عن توهم كون الكل اعنى خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما فى

فى سورة البقرة **وآتاكم من كل ما سألتموه** اى اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينوط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كلها سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شىء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شىء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثانى لدلالة ما ابقى على ما القى وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحال اى آتاكم من كل غير سائليه **وان تعدوا نعمت الله** التى انعم الله بها عليكم **لا تحصوها** لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فمعناه لا تقدرون على بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان فى اقصى مراتب الفقر والافلاس مبتلى باصناف العناء ومبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته الفيته متقلبا فى نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطى كل ساعة واوان من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت فى ريب من ذلك فقدر انه ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته الاسرة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما فى الدنيا من اصناف الاموال من غير ان يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من نقد مشروب او مطعوم فى حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشترى وهو فى تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة ترويه من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس فى صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما فى الدنيا بالف رتبة انهما فى طرف التمام بينا لهما مع ما فيهما من شأن الليالى والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا يدخل منه ما خرج ولا يخرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد اتيح له كل آن من آناء الليالى والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل جل من اسراره ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا فى مطمورة العدم والبوار ومهاوى الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس فى كل زمان يمضى وكل آن يمر وينقضى من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه

جميع انحاء عدمه الطارى لان الاستمرار والدوام فى خصائص الوجود الواجبى وانت خبير بان ما يتوقف
عليه وجوده من الامور الوجودية التى هى علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهى
ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التى لها دخل فى وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة
فى ان يكون للشئ الواحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة فى دخولها تحت الوجود فارتفاع
تلك الموانع التى لا تتناهى اعنى بقاءها على العدم مع امكان وجودها فى انفسها فى كل آن من
آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال فى جودات علله وشرائطه القريبة
والبعيدة ابتداء او بقاء وكذا فى كمالاته التابعة لوجوده فاتضح ان نعمه تعالى على كل انسان
نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم شانك لا يكاد تحيط العيون
بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن
فى معرفتك حائرون وفى اقامة مراسم شكرك قاصرون نسالك الهداية الى مناهج معرفتك
والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها فى غير موضعها او يظلم نفسه
بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة
يجمع ويمنع واللام فى الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه
من افراده ويدخل فى ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى دخولا اوليا واذ قال ابرهيم
اى اذكر وقت قوله عم والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عم على نهج التفصيل
والمراد بتاكيده ما سلف من تعجيبه عم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة
بهم بعد ما كفروا بالنعمة العامة وعصوا اباهم ابرهيم عليه السلام حيث اسكنهم مكة شرفها الله تعالى
لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله وسأله ان يجعله بلدا امنا
ويرزقهم من الثمرات وتهوى قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله
حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار
البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعنى مكة شرفها الله تعالى
آمنا اى ذا امن وامنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر فى سورة البقرة والفرق بينه وبين ما
فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط
حيث جعل هو المفعول الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال
فلعله عم سال اولا كلا الامرين فاستجيب له فى احدهما وتاخر الآخر الى وقته المقدر لما
يقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسؤول
اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان
هو المسؤول فيهما واجيب اليه ايضا لكن السؤال الثانى للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه
المقصود الاصلى او لان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على
وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكى اولا واقتصر
ههنا على حكاية سؤال الامن المجرد اذ نعمة الامن ادخل فى استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام
تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل او لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس

رضى الله عنهما

الناس تهوى اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد
حكى بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت
تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت
اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا
انى اسكنت الاية وانما فصل بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة
لشكر كثير واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب بعيد اى
ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبنى من
الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبنى شره واجنبنى شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه
اولاده لصلبه فلا احتجاج به لابن عيينة على ان احدا من اولاد اسمعيل عم لم يعبد الصنم وانما
كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار
فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعرى كيف ذهب عليه ما فى
القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر
منه رب انهن اى الاصنام اضللن كثيرا من الناس اى تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحياة
الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبة فى استجابته فمن
تبعنى منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه منى اى بعضى قاله عليه السلام مبالغة
فى بيان اختصاصه به او متصل بى لا ينفك عنى فى امر الدين ومن عصانى اى لم يتبعنى والتعبير عنه
بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه
لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توفيقه
وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا
اتى عم بضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذريته والا لراعاه فى قوله رب انهن الخ بل لان
الدعاء المصدر به وما اورده بصدد مبادى اجابته من قوله انى اسكنت الآية متعلق بذريته
فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل فى القبول واجابة المسؤول من ذريتى اى بعضهم
او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهو اسمعيل عم ومن سيولد له فان اسكانه حيث كان
على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روى ان هاجر ام اسمعيل عم كانت لسارة فوهبتها
من ابرهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عم غارت فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم بواد غير ذى زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادى
مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة
لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب
الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة
الملتجا وعصمته عن المكاره فى قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او منع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك يسمى عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن بناء وانما كان نشزا

مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما يسول اليه الامر
من بناء ابرهيم عم فانه يرجع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان
تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كيفية عدده وقد ذكرناها في سورة
البقرة بفضل الله سبحانه **ربنا ليقيموا الصلوة** متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت
وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير الندا وتوسيطه لاظهار كمال
العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد
الاقصى والمطلب الاسنى وكل لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسوله الذي لا يتيسر ذلك
المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفا فقال **فاجعل افئدة من الناس** اي افئدة من افئدتهم
من للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم واما ما زيد عليه
من فوقهم وحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ السوال توجيه القلوب اليهم لمساكنة
معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعا بالبلدية فحكى بعبارة
اخرى كما مر والابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آدئدة على القلب
كادور وآدر وعلى انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة
بطرح الهمزة من الافئدة او على التخفيف من افدة **تهوي اليهم** تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على
البنا للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع
واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل
فقالوا ان هذا الطائر لطائف على الما فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك
وانسناك والما ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر
فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور **وارزقهم** اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم
من الناس وانما لم يخص الدعا بالمومنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله
واليوم الاخر اكتفا بذكر اقامة الصلوة **من الثمرات** من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى
يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الطائف كانت من ارض فلسطين فرسنة من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم
لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام
في ليقيموا الصلوة زائدة لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعا من الله بتوفيقهم
لها ولا يناسبه الفا في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عم من مراعاة حسن الادب
والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا
يخفى فانه عم يذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسوول ويذكر كون
اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم ويعرض كون
ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت عهد
جميع مبادي اجابة السوال ولذلك قررت دعوته عم بحسن القبول **ربنا انك تعلم ما نخفي**
وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سوا تعلق به الاخفا او لا اي تعلم

اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه متعلق بما لا يخطر ببال مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن
اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه
بما نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفا متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا
وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده
عليه السلام اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما
هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال
لنيل اياديك وتكرير الندا للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه
تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض **وما**
يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء لانه عالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود
كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما
قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله
تعالى ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفا بالنسبة الى علمه تعالى
كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اي من شئ كائن
فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض
على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على
نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن
يتعلق به من ذريته بل بجميع الاشيا فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو من كلام الله
عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عم كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق
على الوجهين **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما
للنعمة واظهارا لشكرها **اسمعيل واسحق** روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد
له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة **ان ربي** ومالك امري **لسميع الدعاء**
لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله
او فاعله باسناد السماع الى دعا الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى
بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعيف
النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعا بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترن الهبة بقبول الدعوة وتوحيد
ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم
رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال
ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير بسيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي
وذريته اتباع لهم وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانه
مع عدم تحققه بالاصالة بسكنه لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعا الذي هو مخصوص
بذريته وانما خص هذا الدعا ببعض ذريته لعلمه من جهة الله ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك **ربنا وتقبل دعاء** اي دعائي هذا المتعلق بجعلي

وجعل بعض ذريتي مقيمين الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء ببعض
الجماعة **ربنا اغفر لي** اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه
البشر **ولوالدي** ذكرى بالتوحيد والابوي وهذا الاستغفار منه عم انما كان قبل ارادة بوالديه
ادم وحوى وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه وقد مر في سورة التوبة
نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل **وللمؤمنين** كافة من ذريته و
غيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة **يوم يقوم الحساب** اي يثبت
ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة
ومنه قامت الحرب على ساق والمراد دهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما
في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عم من الادعية والاذكار وما يتعلق به ليس بصادر عنه على
الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء
حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لصالحهم الدينية
والدنيوية **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين
ونظايره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه
منه او بتبعيدهم عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي
والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم
لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عنها بوجه من اعمال الحسن وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعد له ووعيد للكفرة وساير الظالمين شديدا ولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم
للجهل بصفاته تع والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا
بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن
عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به
التعرض لحكمة التاخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في
الحكم دخولا اوليا **انما يؤخرهم** يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد
وهو استيناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما انت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم
ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ ولا تحسبه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا والمراد من التاخير انما هو هذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع
التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى
العذاب مرصدون لامر فالانهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال
بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو
قيل انما يؤخر عنهم عذابهم لم يحصل ذلك **ليوم** هائل **تشخص فيه الابصار** ترفع ابصار اهل الموقف
فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما
يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين وانما يجعل
الصيغ من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف

بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان
ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل **مقنعي رؤسهم** اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات
الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها وقيل اقنع راسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان
مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال مترادفة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية
فلا ينافي الحالية **لا يرتد اليهم طرفهم** لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل
تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا يرجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى
الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل
واسم جامع العين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا
حال او بدل من مقنعي الخ او استيناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو
من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى
وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل
ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو
اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة
مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامر
بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب
والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم
لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار
عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان
كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم **يوم ياتيهم العذاب** المعهود وهو الذي وصف
بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء
الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق **فيقول الذين ظلموا**
اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من
الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف
في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى
تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او فيقول كل
من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما
يشعر به وعدهم باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** اي امد
وحد من الزمان قريب **نجب دعوتك** اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة
الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى **ونتبع الرسل** فيما جاؤنا به
اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد
وكون عصيانهم للرسول عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم
جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار القول
معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك

بالسنتكم بطرًا واشرًا وجهلًا وسفهًا **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنياوية او بلسان
الحال حيث بنيتم مشيدًا واملتم بعيدًا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار
بامتداد زمان التأخير وبعد مداه وما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لرعاية حال الخطاب
في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا لرعاية حال
المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في
اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدًا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل
فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل
فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين فيجيبهم الله اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها
ابدًا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك ينقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم
جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك **وسكنتم** من السكنى
بمعنى التبوء والاوطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل **في مساكن الذين ظلموا انفسهم** جريًا على
الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي هو ضد التحرك بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم
مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوه
من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى
صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق
بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما بعده باعتبار
حال اواخرهم **وتبين لكم** بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار **كيف فعلنا بهم** من الاهلاك والعقوبة
بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قال بعض
الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه
وقرئ نبين **وضربنا لكم الامثال** اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب
بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما
فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم
على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما
كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع
الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم و
تبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل **وقد مكروا مكرهم**
حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم
الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق و
تقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا به كل حد معهود بحيث

لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور
في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارة
ثم
عند قدرة الله **وعند الله مكرهم** اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او آخذه
تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه
في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل
و
كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه
او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا ما يحقق ما يوجب تركه **وان
كان مكرهم** في العظم والشدة **لتزول منه الجبال** اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة
وعبر عن ذلك بكونه مسويا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان
الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن
مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة
واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة
يدور ما في ان الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى
وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا لا من
قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها
عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام
التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر
القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين
وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال
في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا مكرهم المعهود
وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك
وان شان الآيات والشرائع مانع من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها
الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء
مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في ساعة الشدة وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه
الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وعزمهم على انواع مكرهم برسول الله (صلى الله عليه وسلم)
ولعل الوجه ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال
انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور ومع ما بينا فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم
وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي يجوابه بل
اجترءوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا واحيا ذكرنا من
قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هنالك وعلى تقدير كون ان نافية

فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم
ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والايات التي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة
واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه
لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير
فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل قلنا ثم **فلا تحسبن الله**
مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله
تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخروي بل
ما سلف آنفا من وعده تعالى بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الاية كما يفصح عنه
الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى واليقين
بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم
الخالية بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن
العظيم وكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد
وبما يسالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم في احوال من سبقهم من
الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم
اخلافنا رسلنا وعدنا **ان الله عزيز** غالب لا يماكر وقادر لا يدافع **ذو انتقام** لاوليائه
من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له حيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم
خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين
بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر **يوم تبدل الارض غير الارض**
ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي يخزيهم يوم الخ او معطوف عليه نحو وارتقب يوم
تبدل الارض غير الارض او الانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل
مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود
من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم
العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من
الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل
هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم
ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا
غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى
يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه تبدل الارض بارض كالفضة
بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها وانشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التي كنت تعلم •
وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل
عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض ولا امتا **والسموات**

اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبدلها
اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم
من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا
تظهر ويعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم
باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب
والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق
الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير
كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا
يمار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول
الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار
فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم
على تقدير كونه يخزيهم **يومئذ** يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ
يخزيهم وعده **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع
الشياطين الذين اغووهم او قرنوا ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال
السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين **في الاصفاد** في القيود والاغلال
وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين **سرابيلهم** اي قمصانهم
من قطران جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين
رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ
فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو
اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في
جلودهم واللون الوحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا
يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهد منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ و
بكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية
والهيئات الوحشية فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه
في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستتبعة لاشتداد
العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب متناه
حره **وتغشى وجوههم النار** اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران
وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة و
اشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت
لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل

المعرفة وتدملوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة أو لخلوها عن القطران المغني عن
ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحيانا ويتضاعف عذابهم
بالخزي على رؤس الأشهاد وقرئ تغشى أي تتغشى بحذف إحدى التائين والجملة نصب على الحالية
لا على أن الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء **ليجزي الله**
متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزي **كل نفس** مجرمة **ما كسبت** من أنواع الكفر والمعاصي
جزاء موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله تعالى وبرزوا على تقدير كونه
معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله تعالى وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق أي برزوا
للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة
تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة **إن الله سريع الحساب**
إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن
قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب
هذا أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله تعالى وهو سريع الحساب
بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن
المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم في قوله
تعالى وأنذر الناس أو لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وإن كان ما شرع مختصا
بالظالمين **ولينذروا به** عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا
وينذروا به أو هذا إبلاغ ليفهموا ولينذروا به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما في قوله
تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف ولينذروا به كما في قوله تعالى
أنزل أو تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء إذا علمه وحذره واستعد له **وليعلموا**
بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم
وغيرهما مما سبق ولحق **أنما هو إله واحد** لا شريك له وتقديم الإنذار لأنه الداعي
إلى التأمل المؤدي إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله **وليذكر**
أولوا الألباب أي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون
الله عز وجل ومعاملاته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف
بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفي
تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على
أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها
وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده
البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة إحداثا
وبالنسبة إلى أولي الألباب الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن
الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه
وتعالى أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضوانه في الأولى والعقبى
آمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم عليه السلام أعطي من الأجر عشر

عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد وبالله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تقدم الكلام فيه في محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها **تلك** إشارة إليه أي تلك السورة
العظيمة الشأن **آيات الكتاب** الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من
بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص
فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل إذ ذاك إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق
وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيف إليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن
السورة إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف
على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا
يخفى كما ذكر في سورة الرعد **وقرآن** أي قرآن عظيم الشأن **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من
الحكم والأحكام أو لسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم
شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين إحداهما اشتماله
على صفات كمال جنس الكتب الإلهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا
وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه
عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح لئلا يتوهم من
أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب
الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا أنه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر
هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى حسن تلقي
ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تتضمنه فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف
الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح
الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء أيضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل إلا
على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه أن يدخل على الماضي ودخوله على قوله
تعالى **يود الذين كفروا** لما أن المترقب في أخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع
فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى
لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لأمره وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجحود بعدما
علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم وعند معاينة أحوالهم
وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله
تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم
معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من
كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين

فيدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم وانما قيس الودادة
فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على
ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما
يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم
عندي فارسا وعنده جم من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد
اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل لعله وهمته كثيرا عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه
طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار الى هضمه
لتحقق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين الاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخرة وان
ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة
مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جانب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن
الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية
او ذهابا الى ان الاشعار بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد قليلا ما
يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يعارض ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك
ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو
الوجود بلا تيقن به وقليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل
وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف
كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على
ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم
يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا
ومقاما فمن خلطهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه **ذرهم** دعهم عن النهي عما هم عليه
بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما
يتعاطونه **يأكلوا ويتمتعوا** بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل
تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او
تمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث
يصلح ان يكون مرتبا على تخليتهم وشأنهم **ويلههم** ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم
يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك **الامل** والتوقع
لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال
الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة
المجاز وعلى ان يكون المراد بالافعال المرقومة ما يتمتعهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها
غير سامعين لما ينغصها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من
ارتكاب القبائح مما ينوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامره صلى الله عليه وسلم بتركه
ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيلهيهم ما يلهيهم وهم عنه غافلون **فسوف يعلمون**
سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك

ذلك من حينئذ وهو مع كونه وعيدا لهم ووعيدا وتهديدا بل غب تهديد تعليل للامر بالترك فان
علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد
الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء
وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك
الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا **من قرية** من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل
ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرى **الا ولها** في ذلك الشأن **كتاب**
اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة
المقتضية له **معلوم** لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ
خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في حكم المعرفة
كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب
اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم
والتأخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال
الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او
صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم
طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على
انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم
طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم
واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان
الواو شأنها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي
وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين
لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن
غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل **ما تسبق من امة** من الامم
المهلكة وغيرهم **اجلها** المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل
مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق
زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر
في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني
فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده
بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار
ما يوجبه من الاهلاك **وما يستأخرون** اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة
الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما
الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية

مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر
عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار
تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخر عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد
الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار و
المجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما أشير اليه بيانا وداعيا
للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخير آجالهم المقدرة
لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم
القيمة **وقالوا** شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما
يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي **يا ايها الذي نزل عليه
الذكر** خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا بل استهزاء به صلى الله عليه وسلم
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كدأب آل فرعون اذ قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك
الدعوى او بسبب شهادة ما يعتريك عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على
القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا
انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه
رسول الله وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار
الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل **لوما تأتينا** كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد
ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادة
لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند
البصريين والمراد ههنا هو الثاني اي هلا تأتينا **بالملائكة** يشهدون بصحة نبوتك او يعضدونك
في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتت
الامم المكذبة لرسلهم **ان كنت من الصادقين** في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما
لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك وكنت من جملة
تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم **ما ننزل الملائكة** بالنون على
بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة
البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن الانزال وهو
كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل
ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما
تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد
جادلتنا كما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس
يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح
وهو ان يقال ما نأتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح وان

وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة
المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان
يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون
ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل **الا بالحق** اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة
التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة
والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي
الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال الكفرة اللئام
وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل
باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة **وما كانوا اذا منظرين** جزاء الشرط
مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك
اذ جئتني ثم ضم اليه ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه
انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم
لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة
بازدياد عذابهم وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه
مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد وهذا هو الذي يستدعيه
اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون
مصدقين عن اضطرار ولا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
وان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء
الكفار انهم لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا
فمع اخلال كل من ذلك بقطعية الثاني لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذن منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة
لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى ان ما ننزل الملائكة للتعذيب الا
تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلنا
حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم
القيمة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب
الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر
الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة
لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب **انا نحن نزلنا
الذكر** رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له
اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك

ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا
فاعل له **وانا له لحافظون** من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا
اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص واشباهها فليس
بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته
ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله
لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء
والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على
دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ردا له لما ذكر
آنفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى **ولقد ارسلنا** اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده
عليه **من قبلك** متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة
من قبلك **في شيع الاولين** اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة
ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء
ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم
رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين **وما يأتيهم من رسول**
المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع
جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان
ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال
اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها **الا كانوا به يستهزؤن** كما يفعله هؤلاء الكفرة
والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه
او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزؤن
واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان
يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع
على البدلية وهو كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء
عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول
استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل **كذلك** اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي
مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا
به من الكتب **نسلكه** اي الذكر **في قلوب المجرمين** اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون
فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك
السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة
فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لتقبل الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما
في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك
ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون **لا يؤمنون به** اي بالذكر

بالذكر حال من ضمير نسلكه غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء
فيتعين البيانية ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم
حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء
كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **وقد خلت سنة الاولين** اي قد مضت
طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به
تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد **ولو فتحنا عليهم** اي على هؤلاء المقترحين المعاندين
بابا من السماء اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه
فظلوا فيه في ذلك الباب **يعرجون** بالة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده
الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا
مستوضحين طول نهارهم **لقالوا** لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق **انما**
سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما
يعضده قراءة من قرأ سكرت اي حارت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد كما قالوه عند
ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك
وان ما يرونه اي لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على
دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم
وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون
ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار **ولقد جعلنا في السماء بروجا** قصورا ينزلها
السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورات المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد
والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر
فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا
بروجا كائنة في السماء **وزيناها** اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات
كانت او ثوابت **للناظرين** اليها فمعنى الزينة ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك
على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة
وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها
ويتصرف فيها ويقف على احوالها **الا من استرق السمع** محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر
الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع
ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من
المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع **فاتبعه** اي تبعه ولحقه **شهاب** لهب محرق
وهي شعلة نار ساطعة وقد تطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق **مبين** ظاهر
امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم
وان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود

الى مكانه قال افرايت قوله تعالى اناكنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام ولكن لم يكن في شدة
الحراسة كما بعد مبعثه عم قال ابن عباس رض ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا
ليسترقون السمع من الملئكة فيرمون بالكواكب فلا يخطى ابدا فمنهم من يقتل ومنهم من يحرق وجهه وجنبه
ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبل فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا
في ان الشهب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن
وطائفة يقتل قال والاول اصح **والارض مددناها** بسطناها وهو بالنصب على الحذف على
شريطة التفسير ولم يقل بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد
جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعنى قوله تعالى **والقينا فيها رواسي** اى جبالا ثوابت وقد مر بيانها
في اول الرعد **وانبتنا فيها** اى في الارض او فيها وفي رواسيها **من كل شيء موزون** بميزان
الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن
مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة **وجعلنا لكم فيها معايش** ما تعيشون به من
المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم
برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا
العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الرزاق يرزقهم واياهم
او جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين **وان من شيء** ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في
محل الرفع على الابتداء اى ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا **الا عندنا
خزائنه** الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ
الاول والخزائن جمع خزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك
والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته
الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها
ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها
وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية
وما ننزله اى ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء **الا بقدر معلوم** اى
الا ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشية التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان
ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه
ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص
كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن
القدرة وهو ما عطف على مقدر اى ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اى عندنا خزائن كل شيء
والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان
انشاء ذلك بطريق التفصيل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة

للدلالة على الاستمرار **وارسلنا الرياح** عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما
سبق وترشيح ما لحق اى ارسلنا الرياح **لواقح** اى حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب
ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح المطيحات في
قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس **فانزلنا من السماء** بعد
ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا **ماء فاسقيناكموه** اى وجعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من
سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاءوا **وما انتم له بخازنين**
نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على
ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد
ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع طبيعة الماء تقتضي
الغور **وانا لنحن نحيى** بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها **ونميت** بازالتها عنها وقد يعم
الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدأ
خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان
النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق
بل لانه لم يقع بين الاسمين **ونحن الوارثون** اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك
عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك
المجازي وفيه تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال **ولقد علمنا
المستقدمين منكم** من تقدم منكم ولادة وموتا **ولقد علمنا المستأخرين** من تأخر ولادة وموتا
او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطا
ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال
قدرته فان ما يدل عليها دليل وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على
كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها
وتأخر اخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى **وان ربك
هو يحشرهم** اى للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا
غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اى هو يحشرهم
لا غيره وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم
دلالة على اللطف به صلى الله عليه وسلم **انه حكيم** بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم
بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي **عليم** وسع علمه كل شيء ولعل
تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء **ولقد خلقنا الانسان** اى هذا النوع بان
خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا
كما مر تحقيقه في سورة الانعام **من صلصال** من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند
نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو
تضعيف صل اذا انتن **من حمإ** من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال

أي من صلصال كائن من حمأ مسنون أي مصور من سنة الوجه وهو صورته أو مصبوب من سن الماء
صبه ومفرغ على هيئة الإنسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمأ
وعلى الأولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخر عن حمأ تنبيهًا على أن ابتداء مسنونيته ليس في
حال كونه صلصالًا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه أفرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال إنسان أجوف
فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين والجان أبا الجن وقيل
إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق
من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقًا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو
أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الإنسان ومن هذا يظهر جواز كون
المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من
نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا
امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلًا عن الأجساد المؤلفة التي غالب أجزائها الجزء الناري
فإنها أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله
تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء
خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد
للجمع والإحياء وإذ قال ربك للملائكة نصب بإضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارًا من أنه أدخل
في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله
اللائق به شيئًا فشيئًا مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم
أي اذكر وقت قوله تعالى إني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه
تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرًا أي إنسانًا قيل ليس هذا عين العبارة
الجارية وقت الخطاب بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم إني خالق خلقًا من صفته كيت وكيت ولكن
اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسمًا كثيفًا يلاقي ويباشر وقيل خلقًا بادي البشرة بلا صوف
ولا شعر من صلصال متعلق بخالق أو بمحذوف وقع صفة لمفعوله أي بشرًا كائنًا من صلصال
كائن من حمأ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرًا من
طين فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين
لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته أنه لم يتعرض له هنالك اكتفاء بما شرح
هاهنا فإذا سويته أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاءه بتعديل
طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس
ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا
كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من أمري فقعوا له أمر من وقع يقع
وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيمًا
أو اسجدوا لله تعالى على أنه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى
وحكمته كقول حسان رضي الله عنه أليس أول من صلى لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد
الملائكة أي فخلقه فسواه فنفخ فيه فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم أحد أجمعون بحيث لم

لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضًا
فإن الاشتقاق الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل في الخطاب التنزيل
على أكمل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معًا أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدًا وأقيم مقام
كل في إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من
مراعاة الأصل صونًا للكلام عن الإلغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما سجودهم
هذا هل ترتب على ما حكي من الأمر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على
الأمر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير
سورة البقرة إلا إبليس استثناء متصل إما لأنه كان جنيًا مفردًا مغمورًا بألوف من الملائكة فعد
منهم تغليبًا وإما لأن من الملائكة جنسًا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين
استئناف مبين لكيفية عدم السجود فإنه قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل
به ما بعده أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج في معصية واحدة ثلاث
معاص مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في
سلك أولئك المقربين الكرام قال استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك
فقيل قال يا إبليس ما لك أي أي سبب لك لا أي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك ألا
تكون في أن لا تكون مع الساجدين لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ
وقت عدم مجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الأعراف
قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وفي سورة ص قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن
اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر وإشعارًا بأن كل واحدة من تلك
المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسًا في سورة البقرة
وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال أي إبليس وهو أيضًا استئناف مبني على السؤال الذي
ينساق إليه الكلام لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي ينافي حالي ولا يستقيم مني لأني مخلوق
من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد لبشر أي جسم كثيف خلقته من صلصال من حمأ مسنون
اقتصر هاهنا على الإشارة الإجمالية إلى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا
خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كون عنصره من التراب الذي هو
أخس العناصر وأسفلها بل تعرض لكونه مخلوقًا منه في أخس أحواله من كونه طينًا متغيرًا وقد اكتفى في
سورة الأعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين
وكذا في سورة بني إسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينًا وفي جوابه دليل على أن قوله تعالى ما لك
ليس استفسارًا عن الغرض بل هو سؤال عن السبب في عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي
عن المناقشة وأنى له ذلك كأنه قال لم أمتنع عن امتثال الأمر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل
عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل
عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات
الردية التي أقبحها التكبر والاستعصاء على أمر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها أي من
زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فإن وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة إنما كانت بعد هذا الطرد وقوله

وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا فى ذلك فان الخروج من بين الملا الاعلى هبوط واى هبوط او من الجنة على
ان وسوسته كانت بطريق الندا من بابها كما روى عن الحسن البصرى او بطريق المشافهة بعد ان احتال فى
دخولها وتوسل اليه بالحية كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا ينافى طرده على رؤس الاشهاد ولما
تقتضيه من الحكم البالغة **فانك رجيم** مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم
ملعون **وان عليك اللعنة** الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله تعالى وان كان جاريا
على السنة العباد قيل فى سورة ص وان عليك لعنتى **الى يوم الدين** اى يوم الجزاء والعقوبة وفيه
اشعار بتاخير عقابه وجزايه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك
يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه
عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هى كالزايل وقيل انما حد به لانه
ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير
العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الاخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكى
عنه بقوله تعالى **قال رب فانظرنى** اى امهلنى واخرنى ولا تمتنى والفاء متعلقة بمحذوف
ينسحب عليه الكلام اى اذ جعلتنى رجيما فامهلنى **الى يوم يبعثون** اى آدم وذريته للجزاء بعد
فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم
البعث **قال فانك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين
على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء
لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين
والفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قوله فان ترحم فانت
لذلك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة
الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير
الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه فى ذلك فى سلك من اخرت عقوبتهم
الى الاخرة فى علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة
ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته فى السؤال الى البعث كما عرفته وفى
سورة الاعراف قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء
فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب
متعددة غير عزيز فى الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون
لمقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة
فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقته
بتوفيق الله تعالى فى سورة الاعراف **الى يوم الوقت المعلوم** وهو وقت النفخة الاولى التى
علم انه يصعق عندها من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ويجوز ان يكون المراد بالايام
واحدا والاختلاف فى العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين
به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر فى الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر اولا وللاستيثار تعالى بعلمه

بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم فى يوم واحد يموت اللعين فى اوله ويبعث فى
اواسطه ويعاقب فى بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين
النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضى الله عنه
فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب
سيشمت بى عدوى ابليس اذا رآنى ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة
ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه
الموت فلما وصفه قال يا رب حسبى فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله
سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات والارضين السبع وانى
البستك اليوم اثواب السخط والغضب فانزل بغضبى وسطوتى فانزل على رجيمى ابليس فاذقه الموت
واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية
سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها
وانزع روحه اللعين بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك
الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهى الى ابليس فيقول
قف لى يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم فيهرب
اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص
البحار فتنزمنه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب فى الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم فى وسط
الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ فى التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى
اذا كان فى الموضع الذى اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض
كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى فى النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى
ويقال لآدم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه
من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك **قال رب بما اغويتنى** الباء للقسم وما
مصدرية والجواب **لازينن لهم** اى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم المعاصى **فى الارض** اى فى
الدنيا التى هى دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله تعالى المفسرة بسلطانه
وقهره لا ينافى اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا
فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى
بسبب تسبيبك لاغوائى اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بى من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصى
وتسويل الاباطيل والمعتزلة لما اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى والتسبب له بامره اياه بالسجود لآدم
واعتذروا عن امهال الله له وتسليطه على اغواء بنى آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم
يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب **ولاغوينهم اجمعين** لاحملنهم على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** الذين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرئ بكسر اللام اى الذين اخلصوا
نفوسهم لله عز وجل **قال هذا صراط** اى حق **على** ان اراعيه **مستقيم** لا عوج فيه والاشارة الى
ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدى الى

الوصول من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من العلو **ان عبادي** وهم المشار اليهم بالمخلصين **ليس لك عليهم سلطان** تسلط وتصرف بالاغواء **الا من اتبعك من الغاوين** وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم **وان جهنم لموعدهم** اي موعد المتبعين والغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في انقطاعه **اجمعين** تاكيد للضمير او حال والعامل فيه الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان **لها سبعة ابواب** يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب منهم** من الاتباع والغواة **جزء مقسوم** ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها **ان المتقين** من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة **في جنات وعيون** اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم **ادخلوها** على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال **بسلام** سالمين طيبين اي سالمين او مسلما عليكم **آمنين** من الآفات والزوال **ونزعنا ما في صدورهم من غل** اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **اخوانا** حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى **على سرر متقابلين** ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم **لا يمسهم فيها نصب** اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين **وما هم منها بمخرجين** ابدا لان تمام النعمة بالخلود **نبئ عبادي** وهم الذين عبر عنهم بالمتقين **اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** فذلكة لما سلف من الوعد

والوعيد وتقرير لهما وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج **ونبئهم** عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط عليه السلام من العذاب ونجاته مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم **عن ضيف ابراهيم** عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملكان معه عليهم السلام وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره **اذ دخلوا عليه** نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او بنفس ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل **فقالوا** عند ذلك **سلاما** اي نسلم سلاما او سلمت سلاما **قال انا منكم وجلون** اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انهم اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر هاهنا عليه اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر هاهنا رده عليه السلام لسلامهم **قالوا لا توجل** لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله **انا نبشرك** استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا **بغلام** هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض هاهنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود **عليم** اذا بلغ وفي موضع آخر بغلام حليم **قال ابشرتموني على ان مسني الكبر** واثر فيّ تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في مباينة الولادة وزاد في ذلك فقال **فبم تبشرون** اي باي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية **قالوا بشرناك بالحق** اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى **فلا تكن من القانطين** من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه **قال ومن يقنط** استفهام انكاري اي لا يقنط **من رحمة ربه الا الضالون** المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته وانما

الذي اقول انها منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية
والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المقاولة من الملائكة
مع ابرهيم عليهم السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك
ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما انه لم يذكر هنالك اكتفاء بما ذكر ههنا **قال** اي ابرهيم عليه السلام
وتوسيط بين قوله الحق وبين قوله **فما خطبكم** اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم
سوى البشارة **ايها المرسلون** صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في
قوله تعالى قال أسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير
ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال
بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم
خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره
بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر
لاجله ارسلوا فكأنه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو ولا حاجة الى الالتجاء
الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا
تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها تأمل **قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين** هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم **الا آل
لوط** استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال
شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين
ويدل عليه قوله تعالى **انا لمنجوهم** اي لوطا وآله **اجمعين** اي مما يصيب القوم فانه استئناف
للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان
ذلك قد يكون لكون حالهم بين بين او لتعذيبهم بعذاب اخف فان من تعلق بهم التنجية من شمول العذاب او منقطع من
قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى **الا امرأته**
استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل
انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف **قدرنا انها لمن الغابرين** الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه
معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم
له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص **فلما جاء آل لوط المرسلون**
شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل
نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس
المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله **قال انكم قوم منكرون**
انما قاله بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته
الشدائد ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة
والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه انكار الخذلان وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له

لسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم
قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم لخوفه ان
يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**
اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد فسروا له عليه السلام
جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه
من ترك النصرة والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي
كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل
المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة
ابرهيم عليه السلام بما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى
ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في
مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله
عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به **وآتيناك بالحق** اي
باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى **وانا لصادقون**
تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام
فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله تعالى **فأسر باهلك**
شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في
الليل وقرئ فسر من السير **بقطع من الليل** بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا قطع ليل يهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح **واتبع ادبارهم** وكن على اثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك
اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر
والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى **ولا يلتفت منكم** اي منك ومنهم **احد** فيرى ما وراءه من الهول
فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل
نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان
الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء والالتفات لا يستدعي
عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر **وامضوا حيث تؤمرون**
الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي
الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف
من الغابرين **وقضينا** اي اوحينا **اليه** مقضيا ولذلك عدي بالى **ذلك الامر** مبهم يفسره **ان دابر
هؤلاء مقطوع** على انه بدل منه وفي ايراد اسم الاشارة على الضمير دلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي
مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل
في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره
عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى

وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد **مصبحين** داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري
هؤلاء **وجاء اهل المدينة** شروع في حكاية ما صدر من القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من
الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سذوم منزل
لوط عم **يستبشرون** اي مستبشرين باضيافه طمعا فيهم **قال ان هؤلاء ضيفي** الضيف حيث كان
مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده
عم لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بهم ايثارا
وتشمير لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء لذلك قال **فلا تفضحون** اي عندهم بان تتعرضوا
لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه
فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار **واتقوا الله** في مباشرتكم
لما يسوءني **ولا تخزون** اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لهم بعد ان نهاهم عم عن ذلك بقوله
فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عم واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك
يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذلك اعظم العار عبر عم عما
يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله
في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد
تقوى الله في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عم
وذلك قوله تعالى **قالوا او لم ننهك عن العالمين** اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد
من الغرباء بالسوء وكان عم ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عم عن ان يجير احدا فكانهم
قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تتصدى له لما
اعتراك تلك الحالة ولما راهم لا يقلعون عما هم عليه **قال هؤلاء بناتي** يعني نساء القوم فان كل
نبي ابو امته بمنزلة ابيهم وبناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم
وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود
ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم **لعمرك** قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم
او من الملائكة بحياة لوط عم والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة
لكثرة دورانه على الالسنة **انهم لفي سكرتهم** غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
الخطأ والصواب **يعمهون** يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام **مشرقين** داخلين
في وقت شروق الشمس **فجعلنا عاليها** على المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله
سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر **وامطرنا عليهم** في
تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب **حجارة** كائنة **من سجيل** من طين متحجر او طين عليه كتاب
وقد فصل ذلك في سورة هود **ان في ذلك** اي فيما ذكر من القصة **لآيات** لعلامات يستدل بها
على حقيقة الحق **للمتوسمين** اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة

الشيء بسمته **وانها** اي المدينة او القرى **لبسبيل مقيم** اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها
ان في ذلك اي فيما ذكر من المدينة او القرى وفي كونها بمرأى من الناس يشاهدونها ويعتبرون في ذهابهم
وايابهم **لآية** عظيمة **للمؤمنين** بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي
ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع
الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هاهنا بقية الآثار لا كل القصة
كما فيما سلف **وان كان** ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة
اي وان الشان كان **اصحاب الايكة** وهم قوم شعيب عم والايكة والليكة الشجرة الملتفة
المتكاثفة وكانت عامة شجرها المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم **لظالمين** متجاوزين عن
الحد **فانتقمنا منهم** بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجؤا
اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة **وانهما** يعني
سذوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عم كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطر البناء واللوح الذي
يكتب فيه لانها مما يؤتم به **ولقد كذب اصحاب الحجر** يعني ثمود **المرسلين** صالحا فان من كذب
واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم
والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير
واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه **وآتيناهم آياتنا** وهي الآيات المنزلة
على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم **فكانوا عنها معرضين**
اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا **وكانوا ينحتون من الجبال**
بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك
يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا
تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم
زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها **فاخذتهم الصيحة مصبحين** وقت الصبح و
هكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة
هود **فما اغنى عنهم** ولم يدفع عنهم ما نزل بهم **ما كانوا يكسبون** من بناء البيوت الوثيقة و
الاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب
حسبما كانوا يرجونه لا لعدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما**
الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور
ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب
العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى **وان الساعة لآتية** فينتقم الله
تعالى لك فيها ممن كذبك **فاصفح** اي اعرض عنهم **الصفح الجميل** اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام
منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف **ان ربك** الذي يبلغك الى

غاية الكمال **هو الخلاق** لك ولسائر الموجودات على الإطلاق **العليم** بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها
فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي
خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للأمر
بالصفح على التقدير بن وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للتقليل والتكثير
والخلاق مختص بالكثير **ولقد آتيناك سبعا** سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود
وأبو هريرة رضي الله عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله
وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع **من المثاني**
بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في
الصلوة وأما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولأنها تثنى بما يقرأ بعدها
في الصلوة وأما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني
إذ السورة مكية بالاتفاق وإن كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني أن كلا من ذلك يكرر قراءته
وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة
ومثنية صفة للآية وأما السور والأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد
والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها تثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى
ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أو لأنه مثني عليه بالإعجاز أو كتب الله تعالى كلها فمن للتبعيض
وعلى الأول للبيان **والقرآن العظيم** إن أريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض
أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله
إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم أي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك **إلى ما متعنا به**
من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها **أزواجا منهم** أصنافا من الكفرة فإن ما في
الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا وفي حديث أبي بكر
من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه
وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب
والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها في سبيل الله تعالى فقيل
لهم أعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** حيث لم يؤمنوا ولم
ينتظموا في سلك أتباعك لتتقوى بهم ضعفة المسلمين وقيل أو أنهم المتمتعون به والباء كلمة
على فإن تمتعهم به لا يكون مدار الحزن عليهم **واخفض جناحك للمؤمنين** أي تواضع لهم وارفق
بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الأغنياء **وقل إني أنا النذير المبين** أي المنذر المظهر
لنزول عذاب الله وحلوله **كما أنزلنا على المقتسمين** قيل إنه متعلق بقوله ولقد آتيناك الخ أي
أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب **الذين جعلوا القرآن عضين** أي قسموه إلى حق
وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتورية والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما
واقتسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا

وهكذا أو اقتسموا ما قرءوا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن
عينيك ولهذا أوتي صلى الله عليه وسلم ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل إنه متعلق بقوله تعالى
وقل إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإنذار كأنه قيل أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين
يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وأنت
خبير بأنه يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين إذ به
يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الإنذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم
وقوعه إذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع
لموقع جليل من الإعجاز لكن إذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا
مبينا ونظيره على أن اختصاص الاقتسام باليهود بمجرد الاختصاص العذاب المذكور بهم مع
تركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام تخصيص
من غير تخصيص وقد جعل الموصول مفعولا أول لأنذر أي أنذر المعضين الذين يجزءون
القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة أيام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفر الناس عن الإيمان برسول الله صلى
يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب
فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم
كون العذاب شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه
لا داعي إلى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم في
ذلك فإن وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع
على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو إلا نفس التعضية ولا إلى إخراجهم من حكم الإنذار على أن
ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما
لكل الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود
بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثاني على
الأول كما ترى وقيل مهلك أكثر المقتسمين يوم أنه وصف المفعول النذير إقامة مقامه والمقتسمون
هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه ما مر من أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه
من قول الله تعالى لا من قول الرسول عم والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقول بعض خواص الملك
أمرنا بكذا وإن كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين تعسف
لا يخفى وإن إعمال الوصف الموصوف مما لا يجوزه البصريون فلا بد من الهرب إلى مسلك الكوفيين
أو المصير إلى جعله مفعولا غير صريح أي أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل
المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عم فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري
أن عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع
مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين نحو
جعلناه مفعولا أول للنذير ولما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في
حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك

إنما يكون للإشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه
يشهد وعليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن المقتسمين عزل من
التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا
يصحح وقوع أحدهما في جانب الآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر
المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا
دلالة لعنوان المقتسمين على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره
الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب
من الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلته
صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث جلالة المقام عن
التشبيه من لوائح النظر الجليل فالمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم إيتاء مماثلا
لإنزال الكتابين على أهلهما وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان
المماثلة بين الإيتاءين لا بين متعلقيهما والعدول إلى الكتابين على أهلهما وعدم التعرض لذكر ما
أنزل عليهم عن التطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتيناه
المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الإيتاءين من
التنافي فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان شتان بينه وبين الثاني ولا يقدح في ذلك
في وقوعه مشبها به فإن ذلك إنما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية
تعود إلى ذاته كما في الصلوات الجليلة فإن التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة
على إبراهيم عليه السلام والدائم وأكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ذلك للتقدم
في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه
به من المشبه فضلا عن إيهام أفضلية ما تعلق به الثاني وإنما ذكروا بعنوان الاقتسام إنكارا
لاتصافهم به مع تحقق ما يقتضيه من الإنزال المذكور إيذانا بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكله حسب
إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط
قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم
لتبيين أو لاعلو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه
به عما سواه ثم نهى عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إيتائها لأهلها بالتمتيع المنبئ عن
وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم إيمان المنهمكين فيها وأمر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء
بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما أوتي
من القرآن العظيم ثم رجع إلى كيفية إيتائه على وجه أدمج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم
من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب
هذا وقد قيل المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا على أن المقتسمين
أهل الكتاب انتهى يريد أن ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة
وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على
أهل الكتابين أي موافقا لذلك فلا اسف في حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا

قد

تعريض بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عضين جمع عضة وهي اسم
أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء وإنما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف
كعزين وعزة والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذوي الأرواح المستلزم
لإزالة الحياة وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من
المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته
وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم
أجمعين** أي لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا
يعملون** في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا أوليا
ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد
على أعمالهم التي ذكر بعضها في التعرض لوصف الربوبية مضافا إليه عليه السلام إظهار اللطف به
عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو افرق بين الحق والباطل
وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي ما تؤمر به من الشرائع
المودعة في تضاعيف ما أوتيت من المثاني السبع والقرآن العظيم **وأعرض عن المشركين**
أي لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم **إنا كفيناك المستهزئين** بقمعهم
وتدميرهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس ابن
الطلاطلة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب يبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال له أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص فدخلت
فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي
وإلى أنف الحارث فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح
رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله إلها آخر** وصفهم بذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء
به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما يأتون
ويذرون **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات الشرك والطعن في القرآن
والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة
الاستقبال لإفادة استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك**
فافزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من إظهار اللطف
به صلى الله عليه وسلم والإشعار بعلة الحكم أعني الأمر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين**
المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على أن هداك للحق المبين
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما أنت عليه
من عبادته تعالى وإيثار الإظهار بالعنوان السالف آنفا لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به
عليه السلام والإشعار بعلة الأمر بالعبادة **حتى يأتيك اليقين** أي الموت فإنه متيقن اللحوق

طل

بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الخلق طالب للوصول اليهم والمعنى
دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم
والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة
عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد
حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع والاتصال به وتكميل
لحسن موقع التفريع في قوله تعالى فلا تستعجلوه فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على
قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل
الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة
على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بطريق
التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه
لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة وما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان
استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة
والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا
يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انها لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان
القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا
فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا
مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزل
فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما نتوهم من ان الضمير في اطمانوا
فانه بمعزل من ابائه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان
هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما
ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم
لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه
دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها
عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود
للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان
استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبته الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى
الغير واعتقاد ان احدا يحميهم عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه ان صح
مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا منه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه
وتعالى عما يشركون اي تنزه وتقدس بذاته عز وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور وامثال هذه

هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال
للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض
عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنايعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين
تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل
الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نطق به تنزيها اجماليا بيانا تقدس جناب الكبرياء وتعالى
عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذانا بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام
وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على
طريق علم الله عز وجل باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عز وجل بذلك
واظهارا لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة
مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا
كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف
احدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي من جملته القران
على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء
متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذي اريد به
الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا او مبتدأ منه او صفة له على راي من جوز حذف
الموصول مع بعض صلته او بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء
مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره على من يشاء من عباده اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم
بصفات تاهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول
والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملائكة نقلة
للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى
القول لانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية
بجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها
الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه
فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا
الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن
التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة
تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما
يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايثار
مضمونه عن المحذور وليس لذاته بل من حيث اتصافه للمنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك
كاف في كون اعلامه انذارا وقوله تعالى فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات
والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام
وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة

ما ابنا فيه من الاشراك ومن وعد النبي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد
شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه من
الوجه اللائق والنمط اللائق **تعالى** وتقدس بذاته لاسيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين
المخلوقين **عما يشركون** عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا
يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه
فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال **خلق الانسان** جادلا اي هذا النوع غير الفرد الاول منه **من
نطفة** جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق
مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين** لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على
الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام
وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه
بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** وهي الازواج
الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى **خلقها** او بالعطف على
الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفسير لذلك وقوله تعالى **لكم** اما متعلق بخلقها
وقوله تعالى **فيها** خبر مقدم وقوله تعالى **دفء** مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال
من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة
ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب
بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى **ومنها تأكلون**
اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل
كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت
محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل
مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان
يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان
نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها** مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية **جمال** اي زينة في اعين
الناس ووجاهة عندهم **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون**
تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل
وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف وتجاوب ثغائها
ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع
اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم
الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من
الجمال وانم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن
ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على
ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل اثقالكم** جمع ثقل وهو
متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم **الى بلد** قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام

والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى اثقالهم واحمالهم
عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق **لم تكونوا
بالغيه** واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل **الا بشق الانفس** فضلا عن استصحابها
معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه
شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كأنه يذهب نصف القوة لما
ينال من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء
مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق
الدال على كون الانعام مدار النعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار
بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في
الاحيان المعهودة بمثابة النعم السابقة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين
في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة
في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات **ان ربكم لرءوف
رحيم** ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة **والخيل** هو اسم جنس
للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل **والبغال والحمير لتركبوها**
تعليل لمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه **وزينة** عطف على محل
لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره لان الركوب
اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها
ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا
بها **ويخلق ما لا تعلمون** اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون
كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار
الصورة اي يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم
ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه
يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما
الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم
كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم
القيامة **وعلى الله قصد السبيل** القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كأنه يقصد الوجه الذي
يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق
المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال
الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها

وتعديلها اى جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لا بعد ما كانت فى نفسها منحرفة عنه بل ابدعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التى كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحى الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادى الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم المنجية عن فيافى الضلالة ودويها وبوادى الردى الابرى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحى على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسمانى ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه فى معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى تبيان لسبيل التوحيد عقب بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى **ومنها** فى محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما فى قوله تعالى وما دون ذلك وقد مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر الخ اى بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر **جائر** اى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التى لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثانى نفس السبيل المستقيم والضمير منها راجع اليها بتقدير المضاف اى من جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان فليس فى النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن عدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما فى قوله سبحانه الذى يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذى يسقينى ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناده الى جائر اليه فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك فى مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة الهادية الى السبيل ولا امكان لاسناده مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضى الحال دفعه بذلك بان يقال لا جائرها انه يعزى سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراض جىء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعى تسوية المحسن والمسئ والمطيع والعاصى بحسب الاستعداد والى ذلك اشير بقوله تعالى **ولو**

ولو شاء لهداكم اجمعين اى لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة فى تلك المشيئة لما ان الذى عليه يدور فلك التكليف واليه يستتب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذى عليه يترتب الاعمال بها ينوط الجزاء هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلى من غير ان يكون هناك استعلاء لشئ عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما فى قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم اجمعين الى الاول وانت خبير بان هذا حق فى نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق وانما يليق الطريق السمعى للتوحيد على وجه اجمالى وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان ان الله داع اليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقى لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل **هو الذى انزل** بقدرته القاهرة **من السماء** اى من السحاب او من جانب السماء **ماء** اى نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه نزل من السماء شيئا هو الماء لا الاخبار بانه نزل من السماء ماء والترتيب ما سلف من ان عدة تأخره ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له متشوقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن **لكم منه شراب** اى ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثانى نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس فى تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وقوله تعالى فاسكناه فى الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثانى خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثانى منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل **ومنه شجر** ابتدائية اى ومنه يحصل شجر رعاه المواشى والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان يسقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال فى ربابه يعنى به المطر الذى ينبت به الكلا **فيه تسيمون** ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض **ينبت** اى الله عز وجل وقرئ بالنون **لكم به** بما انزل من السماء **الزرع والزيتون والنخيل والاعناب** بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانما سننا اجاريه على مرالدهور والاعصار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر انفا مع ما فى تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى **ومن كل الثمرات** للاشعار بفضلها

وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان
مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين
من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما به تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان
وهو ارفع الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه **ان في ذلك** اي في
انزال الماء وانبات ما فصل **لآية** عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة
والحكمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع
ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة
الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية
مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه
افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص
صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه
الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان
خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها **والشمس والقمر** يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة
واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل وجعل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم
وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا
ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من
قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ
بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره
والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما
مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة
ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بارادة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها
تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية
المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر
ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على
المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها
مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع
لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر
من تكوين النبات حركات الافلاك واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل فبناؤه حسبما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري
ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من
هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية **ان في ذلك**
اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا **لآيات** باهرة متكاثرة **لقوم يعقلون** وحيث
كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالتها لما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية
اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم
يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ عجائب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير
التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر
وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق **لكم في
الارض** من حيوان ونبات حال كونه **مختلفا الوانه** اي اصنافه فان اختلافها غالبا باختلاف اللون
مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف
لتنتفعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المصنوعات وعقب بان ذكر الخالق
لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم
عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله تعالى مختلفا
الوانه حال من مفعوله **ان في ذلك** الذي ذكر من التسخيرات ونحوها **لآية** بينة الدلالة على
ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد **لقوم يذكرون** فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما
عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع وقد عرفت
حقيقة الحال فان اريد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال
عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة حتى به للاستدلال بها على ما تقتضيه ضرورة
من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية **وهو الذي سخر البحر** شروع في تعداد
النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع
به بالركوب والغوص والاصطياد **لتأكلوا منه لحما طريا** هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه
حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على
وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان
بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وفي اطلاق اللحم عليه ذهب مالك
والثوري الى ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه
لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا
يرى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث
بركوبه من حلف لا يركب دابة **وتستخرجوا منه حلية** كاللؤلؤ والمرجان **تلبسونها** عبر في مقام
الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم **وترى الفلك** السفن **مواخر
فيه** جوارى مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو
صوت جري الفلك **ولتبتغوا** عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد
مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك

ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقه بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه
بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها بالطاعة
والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال
ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك
وعدم توسيط الفلك بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما
معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما
خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما
خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال وانهارا اي جعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى
مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة
يشمون التراب ويعرفون الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا
علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين
وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل
الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وحرف النظم
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا
يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات
العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو هاتيك
للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه
وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب
توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة
كذلك فيما بينهم حسبما يوذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سالتهم الآيتين والاقتصار على
ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا
اي ابعد ظهور اختصاصه بمبدئية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده
بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة
كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان
نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتنبيها
على توسط عدم تباينهما وبين جريانها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان
ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه
افحش من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء
للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق
وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة

والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على
الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا
تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله
تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وان كان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها
على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا
يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة
الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ولانها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور
دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى
استغنى عن التصريح بها ثم بين ما لها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم بما ذكر
وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها اي
لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه
في سورة ابرهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال
بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم
للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق
وغيره وكل من ذلك نعمة وايا نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على
نعت الرحمة لتقديم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال
وما تعلنون اي تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه
المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والانذار والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا
يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود ومن تحقيق المساواة بين علميه
المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك
مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين تدعون
شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب
بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن
البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة
الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون
شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم
بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شانهم ومقتضى
ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق
التضاد والتقابل بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم
الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني
عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم
واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة
عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة

أصلا ولما أن إثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل
أموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل أو خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الأموات مما يعتريه
الحياة سابقا أو لاحقا كأجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير أحياء
أي لا يعتريها الحياة أصلا فهي أموات على الإطلاق وأما قوله تعالى وما يشعرون أيان يبعثون أي
ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لأن شعور الجماد بالأمور الظاهرة
بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بما لا يعلمه إلا العليم الخبير وفيه إيذان بأن البعث من لوازم التكليف
وأن معرفة وقته مما لا بد منه في الألوهية إلهكم إله واحد لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص
للنتيجة عقيب إقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه
من الجزاء المتلازم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها وهم
مستكبرون عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للإيذان بأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم
على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما فصل من الحجج
والبينات اختصاص الألوهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على ما ذكر من الإنكار والاستكبار
وبناء الحكم المذكور على الموصول للإشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من
البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي إلى قصر النظر على العاجل
والإعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجبة لإنكارها وإنكار مدلولها والاستكبار عن اتباع
الرسول عم وتصديقه وأما الإيمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة إلى التأمل في الآيات والدلائل رغبة
ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لأمر الله تعالى لا جرم أي حقا وقد مر تحقيقه في
سورة هود أن الله يعلم ما يسرون من إنكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم
للقرآن أساطير الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك إنه لا يحب المستكبرين تعليل لما
تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أي عن الآيات الدالة عليه أو لا يحب
جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر وإذا قيل لهم أي لأولئك المنكرين وهو بيان إضلالهم بعد
بيان ضلالهم ماذا أنزل ربكم القائل الوافدون عليهم أو المسلمون أو بعضهم منهم على طريق التهكم
ماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شيء أنزل أو ما الذي أنزله قالوا أساطير الأولين أي ما
تدعون نزوله أو المنزل بطريق السخرية أحاديث الأولين وأباطيلهم وليس من الإنزال في شيء قيل
هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عم ليحملوا متعلق بقالوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا أوزارهم الخاصة
بهم وهي أوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين
يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن أوزار الذين يضلونهم وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال
لأنهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الأمر من غير أن يكون
غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الإضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير
علم حال من الفاعل أي يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير
عالمين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والإضلال على أن يكون لقائل في الحال قالوا وتأبيده
بما سيأتي من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث إن حمل ما ذكر من أوزار الضلال

والضلال والإضلال من قبيل إتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل المذكور إنما هو يوم القيامة
والعذاب المذكور إنما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه أو حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم
أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذي لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة
والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذرا إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق
الحقيق بالاتباع وبين المبطل ألا ساء ما يزرون أي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر
الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم إلى أنفسهم كدأب من قبلهم من الأمم الخالية الذين
أصابهم من العذاب العاجل أي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فأتى الله أي أمره
وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الأساطين التي تعمده
أو أساسه فضعضعت أركانه فخر عليهم السقف من فوقهم أي سقط عليهم سقف بنيانهم إذ لا
يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات
التي أرادوا بها الإيقاع برسل الله سبحانه وفي إبطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله إياها
أسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى ذلك من قبل أساطينه بأن ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين وأتاهم العذاب أي الهلاك
والدمار من حيث لا يشعرون بإتيانه منه بل يتوقعون إتيان مقابله مما يريدون ويشتهون
والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير الأولين سيأتيهم من العذاب مثل ما
أتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيامة يخزيهم فإنه
معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام أي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء وما هو
مثله وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم أي يذلهم بعذاب الخزي
على رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للإيماء إلى ما بين الجزاءين من التفاوت مع ما
يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيامة
كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لأن الإخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء
أخرويا فيبقى النفس مترقبة إلى وروده سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها بأنه في الآخرة فسيق
الكلام على وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر إخزاؤهم لا كونه يوم القيامة والضمير للمفترين في
حق القرآن الكريم أو لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير وتخصيصه بهم يأباه السياق والسباق
كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا وهو عطف على يخزيهم بيان للخزي أين شركائي أضافهم إليه سبحانه حكاية
لإضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ إثر توبيخ مع الاستهزاء بهم الذين تشاقون فيهم أي تخاصمون
الأنبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة والمدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت ولا استفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بأنه يجوز أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوهم في ساعة علقوا بهم الرجاء
فيها أو بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون
أنهم متصفون به من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أماكنهم على أن قوله ليتفقدوه ليس بسديد
فإنه قد تبين عندهم الأمر وترجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر
النون تشاقون على أن مشاقة الأنبياء والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وعلا

قال الذين أوتوا العلم من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد
وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي يقولون توبيخاً لهم وإظهاراً لهم
للشماتة وتقريراً لما كانوا يعظونهم وتحقيقاً لما أوعدوهم به وإيثار صيغة الماضي للدلالة على
تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في أخباره سبحانه وتعالى كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة
ونادى أصحاب الأعراف إن الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى
إعمال المصدر باللام أو بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف إلا أنه
مغتفر في الظروف وإيراده للإشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على
الكافرين بالله تعالى وبآياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتاء الفعل وقرئ بتذكيره
وبإدغام الثاني الت والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم إياهم لما فيها من الهول
والموصول في محل الرفع على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو في محل النصب أو الرفع على الذم وفائدة
تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره أي على الكافرين
المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم أي حال كونهم مستمرين على الكفر فإنه
ظلم منهم لأنفسهم وأي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلاً فألقوا السلم أي
فيلقون والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول
أين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقاً لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الأشهاد
أي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين
ما كنا نعمل في الدنيا من سوء أي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
وإنما عبروا عنه بالسوء اعترافاً بكونه سيئاً لا إنكاراً لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز
أن يكون تفسيراً للسلم على أن يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله
سبحانه أين شركائي كما في سورة الأنعام لا عن قول أولي العلم إدعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من
الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل أولي العلم وإثبات لما نفوه أي بلى كنتم تعملون ما تعملون إن
الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه فادخلوا أبواب جهنم أي كل صنف بابه
المعد له وقيل أبوابها أصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة إن أريد بالدخول حدوثه
فالحال مقدرة وإن أريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين أي عن التوحيد كما
قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للإشعار بعليته لثوائهم فيها
والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بأنا ما كنا عاملين ذلك في
اعتقادنا روماً للمحافظة على أن كذبهم يرده الرد المذكور وما في سورة الأنعام من قوله تعالى
انظر كيف كذبوا على أنفسهم وقيل للذين اتقوا أي المؤمنين وصفوا بالتقوى إشعاراً بأن ما صدر
عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير
تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى أي أنزل خيراً فإنه جواب مطابق للسؤال سبكاً والواقع في نفس الأمر
مضموناً وأما الكفرة فإنهم حين خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس من ذلك
غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير روماً لما مر من إنكار النزول روي أن
أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد المقتسمين

المقتسمين وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيراً لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي
دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة
الحال فهم الذين قالوا خيراً للذين أحسنوا أي أعمالهم أو فعلوا الإحسان في هذه الدار الدنيا حسنة
أي مثوبة حسنة مكافأة فيها ولدار الآخرة أي مثوبتهم فيها خير مما أوتوا في الدنيا من المثوبة
أو خير على الإطلاق فيجوز إسناد الخيرية إلى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين أي دار الآخرة
حذفت لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي
من جملة إحسانهم ووعدهم بذلك ثوابه في الدنيا والآخرة فلا محل له من الإعراب أو بدل من خير
وتفسير له أي أنزل خيراً هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيباً للسائل جنات عدن خبر مبتدأ
محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم جنات ويجوز أن يكون هذا هو المخصوص بالمدح يدخلونها
صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الأنهار وكلاهما حال على تقدير
علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤون الظرف الأول خبر لما والثاني حال منه والعامل
ما في الأول أو متعلق به أي حاصل لهم فيها ما يشاؤون من أنواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز
عن توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مر مراراً من أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن
عنده فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الأوفى يجزي الله المتقين أي كل من
يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولاً أولياً ويكون فيه بعث لغيرهم
على التقوى وللعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى
طيبين أي طاهرين من دنس الظلم لأنفسهم حال من الضمير وفائدته الإيذان بأن ملاك الأمر في
التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم
على تحصيله وقيل فرحين طيبين النفوس ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس يقولون حال من الملائكة أي قائلين لهم سلام عليكم قال
القرطبي إذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ
عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد أي جنات عدن الخ ولذلك جردت
عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لا دخول القبر
الذي هو روضة من رياضها إذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون
بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر
لأن الأمر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون أي ما ينتظرون كفار مكة المار ذكرهم إلا أن
تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين الانتظار
لأنه يلحقهم البتة لحوق الأمر المنتظر لمباشرتهم لأسبابه الموجبة له المؤدية إليه فكأنهم يقصدون
إتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل أو يأتي أمر ربك التعرض لوصف الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عم إشعار بأن إتيانه لطف به عم وإن كان عذاباً عليهم والمراد بالأمر
العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لأن انتظارها يجامع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائم العطف
بأو لأنها ليست نصاً في العناد إذ يجوز أن يعتبر منع الخلو ويراد بترديدها كفاية كل واحد
من الأمرين في عذابهم بل لأن قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم الآية

مرجح فان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي **كذلك** اى مثل ذلك فعل هؤلاء من الشرك والظلم
والتكذيب والاستهزاء **فعل الذين** خلوا **من قبلهم** من الامم **وما ظلمهم الله** بما سيحل من عذابهم
ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك **انفسهم يظلمون** كان الظاهر ان
يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة
ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع
اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس **فاصابهم** عطف على قوله تعالى
فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم **سيئات ما عملوا** اى
اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف
وحاق بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع **ما كانوا به يستهزؤن**
من العذاب **وقال الذين اشركوا** اى اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول الى الاضمار
الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر **لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء** اى لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك **نحن ولا آباؤنا**
الذين نقتدي بهم في ديننا **ولا حرمنا من دونه من شيء** من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا
ذلك تكذيبا للرسول عم وطعنا في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ
يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقول الرسول وينقلونه
من جهته الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك
ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل **كذلك**
اى مثل ذلك الفعل الشنيع **فعل الذين من قبلهم** من الامم اى اشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطاء وهدوهم الى الحق **فهل على الرسل** الذين
يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه **الا البلاغ المبين** اى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة
تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئته
تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس
ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يدور عليها امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم
ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى به فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب
من الافعال لا بد ان يكون بمباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فانما
للتعليل كما تقبل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا التبليغ وامر الله تعالى
ونواهيه لا تبليغ مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم
في ذلك مامورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله
الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب **ولقد بعثنا في كل امة رسولا** تحقيق
لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من
باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية اى بعثنا في
كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم **ان اعبدوا الله** يجوز ان تكون ان مفسرة لما في

في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده **واجتنبوا الطاغوت**
هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة **فمنهم** اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به
من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم **من هدى الله** الى الحق الذي هو
عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله **ومنهم من حقت
عليه الضلالة** اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى
تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر
والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده **فسيروا**
يا معشر قريش **في الارض فانظروا** في اكنافها **كيف كان عاقبة المكذبين** من عاد وثمود
ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون بما تشاهدونه في منازلهم وديارهم
من آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير
اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير
لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء **ان تحرص** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة **على
هداهم** اى ان تطلب هدايتهم بجهدك **فان الله لا يهدي من يضل** اى فاعلم انه تعالى لا يخلق
الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع
الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليهم الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة
للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله تعالى لا يهدي من يضله
وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول اى لا يقدر احد على هداية من يضله الله وقرئ
لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ
يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل **وما لهم من ناصرين** ينصرونهم في الهداية
او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع
تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم **واقسموا
بالله** شروع في بيان فن من اباطيلهم وهو انكارهم البعث **جهد ايمانهم** مصدر في موقع
الحال اى جاهدين في ايمانهم **لا يبعث الله من يموت** ولقد رد الله عليهم ابلغ رد بقوله الحق
بلى اى بلى يبعثهم **وعدا** مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه وتعالى
اى وعد بذلك **وعدا عليه** صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في
وعده او لان البعث مقتضيات الحكمة **حقا** صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا
ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال
وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث
مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته تعالى بمراعاتها **لا يعلمون** انه يبعثهم فيبتون القول
بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين **ليبين لهم** غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين

يعلم المؤمنين ايضا بانهم وان كانوا عالمين بذلك لكونه عندهم عيانا بحقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم
الى مرتبة عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي وبما
يصورها بحقيقة الشأن **الذي يختلفون فيه** من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به
الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا **وليعلم الذين كفروا** بالله سبحانه بالاشراك وانكار
البعث وتكذيب وعده الحق **انهم كانوا كاذبين** في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من
يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللايذان بعلمية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين
وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين
وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق
فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره
كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه
كما تقول لمن ينكر ان تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على
وقوع الفعل المغيا بها وانما لم يعد الغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى
لخلق العالم المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع [illegible] وانما
لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل حكى
بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك
بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل انما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة
عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين
الاية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا **انما قولنا** استيناف لبيان كيفية التكوين
على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا
مبتدأ وقوله تعالى **لشيء** اى اى شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في
قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اى لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار
وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك **اذا اردناه** ظرف لقولنا اى وقت
ارادتنا لوجوده **ان نقول له كن** خبر للمبتدأ **فيكون** اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب
عليه الكلام اى فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب
الشرط محذوف اى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى
يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان قضيته
انحصار قوله كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره
في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته
تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى
انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان يوجد في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص
وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الاية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه

فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر **والذين هاجروا**
في الله اى في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه **من بعد ما ظلموا** ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى
المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** اى مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما
قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية واما ما
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي
جندل بن سهيل رضي الله عنهم اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال
لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه
ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الاية الى آخر
السورة مدنية فيحمل ما نقل آنفا عنه من نزول الاية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة
بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه
الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة
واهل الشرق والغرب كافة **ولاجر الآخرة** اى اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة **اكبر** مما يعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه
هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار اى لو
علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اى لو
علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها **الذين صبروا** على
الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح
وعلى ربهم خاصة **يتوكلون** منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما
معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال
للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** وقرئ
بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى
قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اى جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل **فاسألوا اهل الذكر**
اى اهل الكتاب وعلماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك **ان كنتم لا تعلمون** حذف
جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة
رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها
اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** اى بالمعجزات والكتب والباء
متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا
تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا
بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند

من يجوز ان يختص ما قبل الا بما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات ويوحى
على المفعولية او كائنين من القائم مقام فاعل يوحى وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض وبقوله لا
تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي **وانزلنا اليك الذكر** اي
القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين **لتبين للناس** كافة ويدخل فيه اهل مكة دخولا اوليا
ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب
حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين
لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد
الى ما يدل عليه دخل تحت القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل
ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا
عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب **أفأمن الذين مكروا السيئات** هم اهل مكة مكروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا
لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من
فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت
عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات وقوله تعالى **ان يخسف الله**
بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اي أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله
تعالى ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي
انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في
ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار
الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه
الصلة اي أمكروا فأمن الذين مكروا الخ **او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** باتيانه اي في
حالة غفلتهم ومن مأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين
او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين** بممتنعين او
فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء لتعليل الاخذ او لترتيب عدم
الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه
لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام **او يأخذهم على تخوف** اي مخافة
وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون
وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة
الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد
بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها **فان ربكم**
لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها **أولم يروا** استفهام انكار وقرئ
على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين **الى ما**
خلق الله من شيء اي من كل شيء **يتفيؤ ظلاله** اي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه الخالق

تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتاء تأنيث الفعل **عن اليمين والشمائل** اي ألم يروا الاشياء التي
لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان
وشماله **سجدا لله** حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على
مشيئة الله تعالى وتأتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله
تعالى **وهم داخرون** اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد
الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب
بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك
على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه
تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى
ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بها مغن عن وصف ظلالها
بها ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي تتبين ظلالها اثر سوى
التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله
يتحرك بحركته وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب
منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في
اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب
واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة
في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء
كانت لها ظلال او لا فقيل **ولله يسجد** اي له وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا
او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن
به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين **ما في السموات** قاطبة **وما في الارض** كائنا
ما كان **من دابة** بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل
والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش
هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله **والملائكة** عطف على ما في
السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي
يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم
وهم اي الملائكة مع علو شأنهم **لا يستكبرون** عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم
الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم
بذلك **يخافون ربهم** اي مالك امرهم ومدبر تربيتهم للمهابة واستشعار بعلو الحكم **من فوقهم** اي
يخافونه عز وجل خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده
او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته **ويفعلون ما يؤمرون** اي يؤمرون من الطاعات
والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح

بالفاعل لاستحالة اسناده الى عزته سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبين
ما بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث
لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين
عن الاشراك فقيل **وقال الله** عطف على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة
بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق
اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين **لا تتخذوا الهين اثنين**
وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها
منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى **انما هو اله واحد** للدلالة على
المقصود واثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه
اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى في تحقق الالتفات
بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه **فاياي فارهبون**
التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر
الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا او فارهبون لا غير فان ذلك الواحد الذي يسجد له ما في
السموات والارض **وله ما في السموات والارض** خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه
خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص
كذا في قوله تعالى **وله الدين** اي الطاعة والانقياد **واصبا** اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر
انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء الدائم
بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر **افغير الله تتقون** الهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود
به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي عن ذلك لتخصيص
التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون **وما بكم** اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم
من نعمة اية نعمة كانت **فمن الله** فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار
الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى **ثم اذا**
مسكم الضر مساسا يسيرا **فاليه تجأرون** تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ
تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية
المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة
لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن
ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل
ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقيق وقوع الجواب **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرئ كاشف الضر
وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة
على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه **اذا فريق منكم**
بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا

فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم
ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية
ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران **ليكفروا بما**
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وعلا
فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا
على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد **فسوف تعلمون** عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن
اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف **ويجعلون** لعله عطف على ما سبق بحسب
المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن
الاشراك به عند كشفه ويجعلون **لما لا يعلمون** اي لالهتهم التي لا يعلمون حقيقتها وقدرها الخسيس من الجماد
التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما
موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا
والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم ووصفوها
بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه **نصيبا**
مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها **تالله لتسألن** سؤال توبيخ وتقريع **عما**
كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى **ويجعلون لله**
البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه وتقديس له عز وجل
عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة **ولهم ما يشتهون** من
البنين وما مرفوعة المحل على انه مبتدا والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في
حال وقوعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من
البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار **واذا بشر احدهم بالانثى** اي اخبر بولادتها
ظل وجهه اي صار او دام النهار كله **مسودا** من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية
عن الاغتمام والتشويش **وهو كظيم** مملوء حنقا وغيظا **يتوارى** يستخفي **من القوم من سوء ما بشر**
به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء **ايمسكه** اي مترددا في امره محدثا
نفسه في شانه ايمسكه **على هون** ذل وقرئ هوان **ام يدسه** يخفيه **في التراب** بالوأد والتذكير
باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهوان
والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار
الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز
ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى اذا في قسمة ضيزى **للذين لا يؤمنون بالآخرة** ممن ذكرت
قبائحهم **مثل السوء** صفة السوء الذي كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم
وايثار المذكور للاستظهار بهم والبنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز
والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح

هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اى الصفة العجيبة الشان التى هى مثل فى العلو مطلقا
وهو الوجوب الذاتى والغنا المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين يدخل فيه علوه
تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مواخذتهم بذنوبهم الحكيم الذى
يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة ولو يواخذ الله الناس
الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تفريع بما افاده قوله تعالى
وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوا من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها
على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اى ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل
اهلكها بالمرة بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان
الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون فى الارض دابة لما انها
مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولكن لا يواخذهم بذلك بل
يوخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى
لا يستاخرون عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع
طلبهم له ساعة فذة وهى مثل فى قلة المدة ولا يستقدمون اى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره
مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجى الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستيخار بنظمه فى سلك ما يمتنع
كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم فى سمط من لم يقبل
توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة يونس ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه
وينسبون اليه فى زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة
لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون لله تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم
الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرى
الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حق
ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التى ليس وراء عذابها عذاب وهى علم فى السوء وانهم
مفرطون اى مقدمون اليها من فرطته اذا قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا اذا خلفته
ونسيته وقرى بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات
وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكونان ح من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك
اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة
فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه
على طريقة حكاية الحال الماضية او فى الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الآتية
وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة
فى نفى الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو

فهو ولى هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم فى الآخرة عذاب
اليم عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اى القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل
اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اى للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد
والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اى وللهداية
والرحمة لقوم يومنون وانما نصبتا لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث
لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة
بالمومنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا
تقرير لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء
هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض
بما انبت فيها من انواع النباتات بعد موتها اى بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادى لا
ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان فى ذلك اى فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة
به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير
ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم فى الانعام لعبرة عظيمة
واى عبرة يحار فى دركها العقول ويهيم فى فهمها الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان
ما ابهم اولا من العبرة مما فى بطونها اى بطون الانعام والتذكير لمراعاة جانب اللفظ
فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاكياس واخلاق كما ان
تانيثه فى سورة المومنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للتبعيض فان ليس لجميعها
ادلة على المعنى فان المراد به الجنس وقرى بفتح النون ههنا وفى سورة المومنين من بين فرث
ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى الكرش المنهضمة بعد الانهضام وكثيف ما يبقى فى
المعاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله
فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم
الذى يغذو البدن لان عدم تكونهما فى الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها
مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فتجرى على كل حقه على ما يليق
بتقدير العزيز العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغدوية البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر فى بدائع صنع
الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير
القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى
رأفته فمن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما فى بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول

لامر مرارًا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند ورود ‌ه
عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف منافٍ لوصف المؤخر كالذى نحن فيه فان بين وصفى
المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف
الى المؤخر كما فى قوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره
والتنبيه على انه موضع العبرة **خالصا** عن شائبة ما فى الدم والفرث من الاوصاف من الفرث
القاهرة الحاجزة عن بغى احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له **سائغا للشاربين** سهل المرور فى
حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين **ومن ثمرات
النخيل والاعناب** متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب
فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اى من عصيرها وقوله تعالى
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير
الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اى من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وحذف الموصوف اذا كان فى الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعنى العصير او لان المراد هو الجنس والسكر
مصدر سمى به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم **ورزقا حسنا** كالتمر والدبس والزبيب والخل
والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
ان فى ذلك لاية باهرة **لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم فى الايات بالنظر والتامل فيها
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف فى قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ
بفتحتين **ان اتخذى** اى بان اتخذى على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما فى الايحاء من معنى
القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز
من الجبال بيوتا اى اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء **ومن الشجر ومما يعرشون**
اى يعرشه الناس اى يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذى
لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذى ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض
لما انها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا فى كل مكان منها **ثم كلى من كل الثمرات** من
كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها **فاسلكى** ما اكلت منها **سبل ربك** اى مسالكه التى برأها بحيث يحيل
فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او
فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس **ذللا** جمع ذلول وهى حال من السبل
اى مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى اسلكى منقادة لما
امرت به **يخرج من بطونها** استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله
تعالى التى هى موضع العبرة بعدما امرت بما امرت **شراب** اى عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى
كلى من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء
ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها فى
بيوتها فاذا اجتمع منها شئ كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه **مختلف الوانه** ابيض واسود
واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل والذى اخذت منه العسل **فيه شفاء للناس** اما

اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره فى سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون لا يكون فيه
عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله
فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال عم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل
الضمير للقران او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء لكل داء
والقران شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقران **ان فى ذلك** الذى ذكر من اعاجيب
اثار قدرة الله تعالى **لاية** عظيمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر فى اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقدر عليها
حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا
قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه جل جلاله **والله خلقكم** لما ذكر سبحانه من عجائب احوال
ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوره
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر فى اربع الاولى سن النشوء والنماء والثانية سن الوقوف
وهى سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهى سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهى
الشيخوخة **ثم يتوفاكم** حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا
وشبابا وشيوخا **ومنكم من يرد** قبل توفيه اى يعاد **الى ارذل العمر** اى اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة على ما روى عن على رضى الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس
وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع
فى الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم
الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوة **لكى لا يعلم بعد علم** كثير **شيئا** من العلم او من المعلوم
او لكى لا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشئ وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا **ان الله عليم** بمقادير
اعماركم **قدير** على كل شئ يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت
الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** اى جعلكم
متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم **فما الذين فضلوا** فيه على غيرهم **برادى
رزقهم** الذى رزقهم الله **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم الذين هم شركاؤهم فى المخلوقية
والمرزوقية **فهم** اى الملاك والمماليك **فيه** اى فى الرزق **سواء** اى لا يردونه عليهم بحيث يتساوون
فى التصرف ويشاركونهم فى التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوى على الرد اى لا يردونه عليهم
منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون لمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم فى البشرية والمخلوقية لله عز
سلطانه فى شئ لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذى هم اسوة لهم فى استحقاقه فما بالهم
يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية المختصة به تعالى لذاته
بعض مخلوقاته الذى هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله
المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية
افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضى ان يضيفوا

راته
مات

نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم فيجحدوا كونها من الله تعالى او من حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اذ ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي رزقتهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين وعلى تعللهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوا عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت **والله جعل لكم من انفسكم** اي من جنسكم **ازواجا** لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عم **وجعل لكم من ازواجكم** وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره **بنين** وبان نتيجة الازواج هو التوالد **وحفدة** جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ ومن الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة **افبالباطل يؤمنون** وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل وابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه **وبنعمة الله** الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان **يكفرون** حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه **ويعبدون من دون الله** الجملة عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه **ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا** لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا للا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك **ولا يستطيعون** ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا

لا حس له **فلا تضربوا لله الامثال** التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شأن من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به سبحانه بمعزل من ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد **ان الله يعلم** تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح **وانتم لا تعلمون** ذلك ولو علمتموه لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وقفوا مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال **ضرب الله مثلا** اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا **عبدا مملوكا لا يقدر على شيء** بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وفيه اوضح دليل ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة **ومن رزقناه** من موصوفة معطوفة على عبدا اي ورزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق **منا** من جنابنا الكبير المتعالي **رزقا حسنا** حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا **فهو ينفق منه** تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما بدل عليه النظم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي **سرا وجهرا** اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين **هل يستوون** جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام

الحمد لله اى كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدى بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع اليه سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه **بل اكثرهم لا يعلمون** ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفى العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون **وضرب الله مثلا** اى مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتتطلع النفس الى وروده وترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن بين فقيل **رجلين احدهما ابكم** وهو من ولد اخرس **لا يقدر على شىء** من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه **وهو كل** ثقل وعيال على **مولاه** على من يعوله ويلى امره وهذا بيان لعدم قدرته على مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شىء مطلقا وقوله تعالى **اينما يوجهه** اى حيث يرسله مولاه فى امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضى من التوجه **لا يأت بخير** بنجح وكفاية مهم البتة **هل يستوى هو** مع ما فيه من الاوصاف المذكورة **ومن يأمر بالعدل** اى ومن هو منطيق فهم ذو رأى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل **وهو** فى نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام **على صراط مستقيم** ومقابلة الصفات المذكورة لعدم استحقاق المأمور به وملخص هذين استحقاق كمال الامر به المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الخ لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضى بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوى بينه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضى **ولله** تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا **غيب السموات والارض** اى الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك فى نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضورى فان تحقق الغيوب فى انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض **وما امر الساعة** التى هى اعظم ما وقع فيه من المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها اى وقت وقوعها بعينه من الغيوب التى نصبت عليها الادلة اى ما شأنها فى سرعة المجئ **الا كلمح البصر** اى كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها **او هو** اى بل امرها فيما ذكر **اقرب** من ذلك واسرع زمانا بان يقع فى بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة ابنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابلا للانقسام اى ابعاض هى ازمنة ايضا بل فى آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او امرها الا كالشىء الذى يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها فى فاتحة السورة الشريفة بالاتيان **ان الله على كل شىء قدير** ومن جملة الاشياء ان يجئ بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك

ذلك او وما امر اقامة الساعة التى كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهى اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان فى سرعة من الوجهين ان الله على كل شىء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه مخصوص غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة **والله اخرجكم من بطون امهاتكم** عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه فى سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع ام زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق من اراق وشذت زيادتها فى الواحد قال امى خندف والياس ابى **لا تعلمون شيئا** فى موقع الحال اى غير عالمين شيئا اصلا **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن **لعلكم تشكرون** كى تعرفوا ان ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقى الوحى او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا فى الاصل **الم يروا** وقرئ بالتاء **الى الطير** جمع طائر اى الم ينظروا اليها **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشىء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى **فى جو السماء** اى فى الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه فى جانبها من الناظر واظهار لكمال القدرة **ما يمسكهن** فى الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن **الا الله** عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر فى مسخرات او من الطير واما مستأنف **ان فى ذلك** الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير **لآيات** ظاهرة **لقوم يؤمنون** اى من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به **والله جعل لكم** معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياق من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله

تعالى **من بيوتكم** اى من بيوتكم المعهودة التى تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التنوين **سكنا** فعل بمعنى مفعول اى موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اى جعل بهم بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** اى بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط **تستخفونها** تجدونها خفيفة سهلة المأخذ **يوم ظعنكم** وقت ترحالكم فى النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين **ويوم اقامتكم** ووقت نزولكم فى الضرب والبناء **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** عطف على قوله تعالى من جلود والضماير للانعام على وجه التنويع اى وجعل من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز **اثاثا** اى متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث **ومتاعا** اى شيئا يتمتع به يتمتعون التمتع **الى حين** الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه فى معرض البلاء والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل **والله جعل لكم مما خلق** من غير صنع من قبلكم **ظلالا** اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها سبحانه وتعالى بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة **وجعل لكم من الجبال اكنانا** مواضع تكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام فى الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذى مر غير مرة **وجعل لكم سرابيل** جمع سربال وهو كل ما يلبس اى جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر او لان وقايته هى الاهم عندهم لما مر آنفا **وسرابيل** من الدروع والجواشن **تقيكم باسكم** اى الباس الذى يصل الى بعضكم من بعض فى الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفايضة على جميع نعمه الفايضة على جميع الطوايف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأوى الا الى الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه فى الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال **كذلك** اى مثل ذلك الاتمام البالغ **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اى ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شئ قليل وقرئ تسلمون اى تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع **فان تولوا** فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اى فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القى اليهم من البينات والعبر والعظات **فانما عليك البلاغ المبين** فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هى البلاغ الموضح والواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب **يعرفون نعمت الله** استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى **ثم ينكرونها** بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد

الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه **واكثرهم الكافرون** اى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر الموذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافى كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هنا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل والتفريط فى النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف **ويوم نبعث من كل امة شهيدا** يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها **ثم لا يؤذن للذين كفروا** فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبى عن الاقناط الكلى وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم واطم **ولا هم يستعتبون** يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى **واذا رأى الذين ظلموا العذاب** الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم **فلا يخفف عنهم** ذلك **ولا هم ينظرون** اى يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم **واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم** الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه وقارنوهم فى الغى والضلال **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك** اى نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا فى توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه **فالقوا** اى شركاؤهم **اليهم القول انكم لكاذبون** فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم كانوا راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عم بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم **والقوا** اى الذين اشركوا **الى الله يومئذ السلم** الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه فى الدنيا **وضل عنهم** اى ضاع وبطل **ما كانوا يفترون** من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم **الذين كفروا** فى انفسهم **وصدوا** غيرهم **عن سبيل الله** بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر **زدناهم عذابا فوق العذاب** الذى كانوا يستحقونه بكفرهم قيل فى زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار **بما كانوا يفسدون** متعلق بقوله زدناهم اى زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور **ويوم نبعث** تكرير لما سبق تثبيته للتهديد **فى كل امة شهيدا عليهم** اى نبيا **من انفسهم** من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفى قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم **وجئنا بك** ايثار

ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا عليك
الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد
تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون
كالدليل على كونه عم شهيدا عليهم وكذا من جملة ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء
وبعثه الشهداء وبعثه عم شهيدا عليهم عم والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء
من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا
ووطؤوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر
في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية قيل في قوله تعالى وما
انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين
من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا
من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة ويجوز ان يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك
ان الله يامر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما
بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل لمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو
رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة
والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة
القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية
التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد
والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسطة
بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي
الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما
يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء
ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشأنه وينهى
عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا
من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم
وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين
الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم
يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى
وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا

تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه
لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما
عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها
عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد
مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به
محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا
فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة
متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكثت فتلها
جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او مع انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة
مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار
والمجرور الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة اي بان تكون جماعة
هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم
نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من امة اي
يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بالوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم
او تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم
القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر
والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية
الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي
من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون
في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه
وتمهيد لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد
القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم
فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم
غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده
وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او بآياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان
ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون
لهم على الارتداد من حطام الدنيا ان ما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي

هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون أي إن كنتم تعلمون من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة
التحقيق كما أن قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف أي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا
وإن جل بل الدنيا وما فيها ينفد وإن جم عدده ينقص وإن طال أمده وما عند الله من
خزائن رحمته الدنيوية والأخروية باق لا نفاد له أما الأخروية فظاهرة وأما الدنيوية فحيث
كانت موصولة بالأخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي إيثار الاسم
على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة
الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إن ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي
في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن
ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أي والله لنجزين الذين صبروا
على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات
أجرهم مفعول ثان لنجزين أي لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور
المذكورة بأحسن ما كانوا يعملون لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه
الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على
الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك مما لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم ولنجزينهم
بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة
الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي
الحسن منها بالأجر الحسن والأحسن بالأحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في
تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير
بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجح تركه أيضا كالمحرمات والمكروهات على أن ذلك
هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على
ما هم عليه من الأعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لإخراج بعض أعمالهم
من مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا أي عملا
صالحا أي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم
في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور
وقوله تعالى من ذكر أو أنثى مبالغة في بيان شموله وهو مؤمن قيد به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وتخفيف العذاب كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وإيثار إيراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لإفادة وجوب دوامه ومقارنته
للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا أما إن كان موسرا فظاهر وإن
كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة
نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات
أن يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس
فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد فيما
سلف لرعاية جانب اللفظ وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب

للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للإفراد وإذ
قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه الإرشاد إلى ما به يحسن
العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته عبر بها عن إرادتها
على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذانا بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله
فاسأله عز جاره أن يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة
فإن له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته وتوجيه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال
الصالحة أهم فإنه عم حين أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
فما ظنك بما عداه وعم فيما عدا القراءة من الأعمال والأمر للندب وهو مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب
وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين
وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه الضمير للشأن أو للشيطان ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون أي إليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون
في كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وإيثار
صيغة الماضي في الصلة الأولى للدلالة على التحقق كما أن اختيار صيغة الاستقبال في الثانية
لإفادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعاذة المتوكلين والجملة
تعليل للأمر بالاستعاذة أو لجوابه المنوي أي يعيذك أو نحوه إنما سلطانه أي تسلطه وولايته
بدعوته المستتبعة للإجابة لا تسلطه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية
عنه وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقد أفصح عنه قوله تعالى على الذين
يتولونه أي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المؤمنين بمعزل من ذلك والذين
هم به سبحانه وتعالى مشركون أو بسبب الشيطان مشركون إذ هو الذي حملهم على الإشراك بالله سبحانه
وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة في الخارج بين التوكل
على الله تعالى وبين تولي الشيطان وإن كان بينهما واسطة في المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى
ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على
التوكل والتحذير عن مقابله وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الأولى لما مر من إفادة
الاستمرار التجددي كما أن اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول
للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مقيدة لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان
تحت سلطانه وتقديم الأولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية المقارنة
بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين
عما يقابلها وإذا بدلنا آية مكان آية أي إذا نزلنا آية من القرآن مكان آية منسوخة وجعلناها بدلا
منها بأن نسخناها بها والله أعلم بما ينزل أولا وآخرا وبأن كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت
إلا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت

آخر مصلحة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرايع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حيثما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال **قالوا** اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ **انما انت مفتر** متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة عن نزغات الشيطان وانه وليهم **بل اكثرهم لا يعلمون** اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من لا يعلم ذلك وانما ينكر عنادا **قل نزله** اي القرآن المدلول عليه بالآية **روح القدس** يعني جبريل عم اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو المطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفضيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة **من ربك** في اضافة الرب الى ضميره عم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عم ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض **بالحق** اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق **ليثبت الذين آمنوا** على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال **وهدى وبشرى للمسلمين** المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار **ولقد نعلم انهم يقولون** غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء **انما يعلمه** اي القرآن **بشر** على طريق البث مع ظهور انه نزله روح القدس عم وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجدد في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون به غلاما جبرا روميا غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطئهم ليس بنسبته عم الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عم معدنا لعلوم الاولين والآخرين **لسان الذي يلحدون اليه اعجمي** الالحاد الامالة من لحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا لحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان **وهذا** القرآن الكريم **لسان عربي مبين** ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن بامثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم **ان الذين لا يؤمنون بآيات الله** اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر **لا يهديهم الله** الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك

ذلك لسوء حالهم **ولهم** في الآخرة **عذاب اليم** وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم قوله تعالى **انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس من كلامه تعالى كلامه تع والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة **واولئك** الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله **هم الكاذبون** على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر **من كفر بالله** اي تلفظ بكلمة الكفر **من بعد ايمانه** به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله تعالى بعد ما آمن بها وبعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء او الخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبرهما معا والنصب على الذم **الا من اكره** على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى **وقلبه مطمئن بالايمان** حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع لاكراه لا لانفس الاكراه لان اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب **ولكن من** لم يكن كذلك بل **شرح بالكفر صدرا** اي اعتقده وطاب به نفسا **فعليهم غضب** عظيم لا يكتنه كنهه **من الله** اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب **ولهم عذاب عظيم** اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين

كما فعل ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد عم قال رسول الله
قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله
قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما
الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق **ذلك** اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد
المذكور **بانهم** بسبب انهم **استحبوا الحيوة الدنيا** اثروها **على الاخرة وان الله لا يهدي** الى
الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء **القوم الكافرين** في علمه المحيط فلا يعصمهم
عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على
الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان
هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع
واليه اشير بقوله تعالى **اولئك** اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح **الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم** فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه **واولئك هم الغافلون** اي الكاملون في
الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب **لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون**
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد **ثم ان ربك للذين هاجروا**
الى دار الاسلام وهم عمار بن ياسر واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوهمه
ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي عليه
ويجوز ان يكون ذلك خبرها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم
هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة
لا عن رتبة حال الكفرة **من بعد ما فتنوا** اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان
قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد
ثم اسلما وهاجرا **ثم جاهدوا** في سبيل الله **وصبروا** على مشاق الجهاد **ان ربك من بعدها** من بعد
المهاجرة والجهاد والصبر وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة
المذكورة وهو بيان لعدم اخلال ذلك بالحكم **لغفور** لما فعلوا من قبل **رحيم** ينعم عليهم مجازاة على ما
صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره
عليه السلام مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عم واشعار بان افاضة
اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له **يوم تاتي كل نفس**
منصوب برحيم او بما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين **تجادل عن
نفسها** عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي **وتوفى كل
نفس** تعطى وافيا كاملا **ما عملت** اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا
بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان
باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد **وهم لا يظلمون** لا ينقصون اجورهم
او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم **وضرب الله مثلا قرية** قيل ضرب
المثل صنعه واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي
الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين

صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه
التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان
المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل
تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله
عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
كانت امنة ذات امن من كل مخوف **مطمئنة** لا يزعج اهلها مزعج **ياتيها رزقها** اقوات اهلها صفة
ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة ثابت
مستمر **رغدا** واسعا **من كل مكان** من نواحيها **فكفرت** اي كفر اهلها **بانعم الله** اي بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن
المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفر
نعم كثيرة **فاذاقها الله** اي اذاق اهلها **لباس الجوع والخوف** شبه اثر الجوع والخوف وضررهما
المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال
المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها
لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء
اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير
لما كان الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء
المستعار للمعروف تجريدا ويشبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة
باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة او اللزوم تشبيه معقول بمحسوس
فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع والناشئ من فقد الرزق
بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة
الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان
الرزق على الخوف او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه
ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف **بما كانوا
يصنعون** فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور واسند ذلك الى اهل القرية
تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنع
ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة **ولقد جاءهم** من تتمة التمثيل جيء بها
لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
لحجة الله تعالى على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية **رسول منهم** اي من جنسهم يعرفونه
باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون
فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب
من غير تلعثم **فاخذهم العذاب** المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك **وهم ظالمون**
اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين
عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم

في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله حسبما يرشد اليه قوله
سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او
لمن سار بسيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة
فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت
تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم
ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس
الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما
اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام
المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا
هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير
في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه **فكلوا مما
رزقكم الله** مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان
لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا وآخرا
فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق
الله حال كونه **حلالا طيبا** وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها **واشكروا نعمة
الله** واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت
على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا
طيبا وقد دمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل
متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر
بالاكل والشرب وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل
الوقوع يأباه التصدي لاستنصالهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين
مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم
يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل **ان كنتم اياه
تعبدون** اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى **انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** تعليل لحل ما امرهم باكله مما
رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها **فمن
اضطر** بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك **غير باغ** اي على مضطر آخر **ولا عاد** اي
متجاوز قدر الضرورة **فان الله غفور رحيم** اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض
لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف
به وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية

الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال **ولا تقولوا لما تصف السنتكم**
اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه
السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه
الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى **هذا حلال وهذا حرام** بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف
على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر
حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا
تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له
في المسامع كأن السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه
للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف
الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب
بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم
كذب كذابا ذكره ابن جني **لتفتروا على الله الكذب** فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى
فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام
للعاقبة **ان الذين يفترون على الله الكذب** في امر من الامور **لا يفلحون** لا يفوزون بمطالبهم
التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال
الجاهلية منفعة قليلة **ولهم** في الآخرة **عذاب اليم** لا يكتنه كنهه **وعلى الذين
هادوا** خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين **حرمنا ما قصصنا عليك** اي بقوله
تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية **من قبل** متعلق بقصصنا
او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود
وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا **وما ظلمناهم** بذلك التحريم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعي عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على
نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم
من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على ان الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة** اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل
بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره **ثم
تابوا من بعد ذلك** اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة **واصلحوا**
اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح **ان ربك من بعدها** من بعد التوبة **لغفور** لذلك السوء

رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية
بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة
آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر **ان ابرهيم
كان امة** على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل
اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات ظاهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة
والحجج الدامغة او لانه عم كان موحدا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده واقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى
انى جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عم عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في
النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت
لا ريب فيه **قانتا لله** مطيعا له قائما بامره **حنيفا** مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير
زائل عنه بحال **ولم يك من المشركين** في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره
لا ردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين
بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم
والسبت سابقا ولاحقا **شاكرا لانعمه** صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة للايذان
بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف
ما هم عليه من الكفر بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل **اجتباه** للنبوة **وهداه الى صراط
مستقيم** موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع
ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء **وآتيناه في الدنيا حسنة** حالة حسنة من الذكر
الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة
وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم
مكانه عم **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله
والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم **ثم اوحينا
اليك** مع علو طبقتك وسمو رتبتك **ان اتبع ملة ابرهيم** الملة اسم لما شرعه الله لعباده على
لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة
له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه
ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا
تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها
والمراد بملته عليه السلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم **حنيفا** حال من المضاف اليه لما ان المضاف
لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قائمة والمامور
به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة
للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عم **وما كان من المشركين** تكرير لما سبق لزيادة

لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته عم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه **انما جعل السبت**
اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى
يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون
ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم عليه السلام كان محافظا عليه اي ليس السبت من شعائر ابرهيم
وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عم وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع
ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذانا بعدم
الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك
بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت **على الذين
اختلفوا فيه** للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في
شانه قبل الوقوع ايثارا لهم على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية
لطرفي الاختلاف وعموم القابلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من طرف المخالف
للحق وذلك ان موسى عم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون
ذلك اليوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض
وهو يوم السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم
الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد
فمسخهم الله سبحانه وتعالى قردة دون اولئك المطيعين **وان ربك ليحكم بينهم** اي بين الفريقين
المختلفين فيه **يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف
فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد
الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز
التنزيلي وقيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه
تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه وفسر الحكم
بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه
انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة المخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت
بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف
وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة
ابرهيم عم وبين امره عم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل **ادع** اي من
بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل
الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان
وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص **الى سبيل ربك** الى الاسلام الذي عبر عنه تارة
بالصراط المستقيم واخرى بملة ابرهيم عم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ
الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر
بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة من الدلالة على ظهور اللطف به صلى الله
والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى **بالحكمة** الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة

والموعظة الحسنة اى الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما
ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون
المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اى ناظر معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة
التى هى احسن طرق المجادلة والمناظرة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات
المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
الذى امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ
والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله سبحانه
وتعالى اعلم اسلك فى الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوى
عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير
جبلى فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى يقتضيه الحكمة فانه كاف فى هداية المهتدين وازالة
عذر الضالين واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم
بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى اليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لان
مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التى
فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن
الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جئ به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات
وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وماليهما من العقاب والثواب وبعد
ما امر عم فيما يختص به من شأن الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له
ولمن تابعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اى اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب
للمحتمى ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب
على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود
ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين مال الجدال الى القتال وادى النزاع الى
القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن
القبلة المعبودة وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما
يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم
لما رأى حمزة رضى الله عنه يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
نزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ ان عقبتم فعقبوا اى وان تتبعتم بالانتصار فاتبعوا
بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة فى المثلة من غير تجاوز
لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل
ولئن صبرتم اى عن المعاقبة بالمثل لهو اى لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما
قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر ووصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز
عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم فى جنس الصابرين
دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزايم

بعزايم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اى على ما اصابك من
جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء
مفرغ من اعم الاشياء اى وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشئ من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق
فى مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته صلى الله عليه وسلم وتهوين مشاق الصبر
عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة
فالتسلية من حيث اشتماله على غايات حميدة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهى من حيث تسهيله
وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اى على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو
فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم
الكريم ولا تك فى ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اى لا تكن فى ضيق صدر
وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اى فى امر ضيق مما يمكرون اى من مكرهم
بك فيما يستقبل فالاول نهى عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثانى عن التألم بمحذور من جهتهم
آت والنهى عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لاسيما على الوجه الاول لزيادة
التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بسراير
نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فينكف عن
الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد بالمعية الولاية
الدائمة التى لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والخوف وضيق الصدر وما يشوبه دخول
كلمة مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال فى قوله سبحانه
ان الله مع الصابرين ونظايرهما كافة والمراد بتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة
التوقى عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعنى التنزه عن كل ما يشغل سره
عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقى المورث لولاية الله تعالى المقرونة ببشارة قوله
سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولى الذين تبتلوا اليه
بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب او محذور فضلا
عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل
التقريب ويتم التعليل كما فى قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق فى
مقامه والا فمجرد التوقى عن المعاصى لا يكون مدارا للنهى من العزايم المرخص فى تركها فكيف بالصبر
المشار اليه ورديفيه وانما مدار المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه
النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر والتنبيه على انه من خصايص اجل النعوت الجليلة ورواد
كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون
على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى
من قبيل الاحسان فى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان
الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره
عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية
كل من الصلتين فى ولايته سبحانه من غير ان يكون احدهما تتمة للآخر وايراد الاولى فعلية

لله لا لة على الحدوف كما ان ابراد التابية اسمية لافادة كون مضونها اسمية راسخة فيهم وتقديم التقوى
على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو
داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن تابعه عبر عنهم بذلك مدحا وثناء عليهم
بالنعتين بجملتين وفيه رمز الى ان صنيعه عم مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس
عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس عن هرم بن حيان انه قيل له
حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها
او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا
وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار
تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من
السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل
ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة
من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبته تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله
سبحانه وتعالى كما قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى **ليلا**
لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية
من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سراك من الليالي يفيد بعضيته من
فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا
للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعض وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام
في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح
به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة
للمضاف فان ذلك من دلائل كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين **من
المسجد الحرام** اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه انه
قال بينا انا في المسجد الحرام والحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عم بالبراق وقيل
هو في دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم
كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هاني
بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عم خشية ان
يكذبه القوم قال عم وان يكذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عم بحديث الاسراء فقال ابو جهل
يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد
ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا

قالوا اتصدقه على ذلك قال اصدقه على ذلك واني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان
فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه
والله الشمس قد اشرقت فقال اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد
ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن
انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام
واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا
انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
عرج بروحه وعن معاوية قال عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا بناء على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه
وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة
ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه والاستحالة مدفوعة فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف
قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك
الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه وتعالى قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان
فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله
ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة **الى المسجد الاقصى** اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه
مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى **الذي باركنا حوله** ببركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام **لنريه** غاية الاسراء **من اياتنا** العظيمة
التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد
ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات
الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء **انه هو السميع** لاقواله عم بلا اذن
البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء
المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة بافعاله واقواله حاصلة من غير حاجة
الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة **واتينا موسى الكتاب** اي التوراة وفيه
ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى
ولم يذكرها هنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيها مما لا يكتنه كنهه حسبما
نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى دخول السماء معنى اي اتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى
الطور **وجعلناه** اي ذلك الكتاب **هدى لبني اسرائيل** يهتدون اليه بما في مطاويه **ان لا
تتخذوا** على ان لا تتخذوا ونحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى
آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا **من دوني وكيلا** اي ربا تكلون اليه اموركم
والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى **ذرية من حملنا مع نوح** نصب على الاختصاص
او النداء على قراءة النهي والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء

ابائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا وعلى قراءة النفي ومن دوني حال
من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف او بدل من واو ولا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغادة
وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي نوحا كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان
انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجرهم عن الشرك الذي
هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عم وقضينا اي تممنا وحكمنا منزلين الى بني اسرائيل
او موحين اليهم في الكتاب اي في التورية فان الانزال والوحي الى موسى عم انزال ووحي اليهم
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا
لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيا عم
وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن
في ذلك افراطا مجاوزا الحد فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت
حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجنايتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس
شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر
عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد
وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم
وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية الظالمين
بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة لتحتم لا صارف عنه
ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا
بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ
بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك
من جده كشتاسف ابن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود جالوت
وامددناكم باموال كثيرة بعد ما نهبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت
لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد
ان تكون الاعمال حسنة في انفسها وان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها
وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على وجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة
فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا
جاء وعد الاخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم
متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا اثار
المساءة والكآبة بادية في وجوههم كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير

لله او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب
اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وقرئ ليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطفا
على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه
عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل فقال لم تصدقوني فقتل
على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان تصدقوني والا ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد
المرة الاخرة ان تبتم توبة اخرى وازدجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم عليه
من الفساد مرة اخرى عدنا اي الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط
عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله
تعالى عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما
يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لهم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك
واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناكه يهدي اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة
منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى للتي للطريقة التي هي اقوم اي اقوم الطرائق و
اسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة
ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما
بعد ذكر الهداية التي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا
تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ح ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الاحكام
والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت ان لهم اي بان لهم
بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها
بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان ولمراعاة التناسب بين اعمالهم
وجزائها الذي انبئ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم
فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب
من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان
لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار
حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير
المؤمنين ببشارتين بثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدي
اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال
بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير

الذي لا اجر فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه
وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا
كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانهم بمعزل من الدعاء
به وفيه رمز الى ان اللائق بحاله وكان الانسان اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا
يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا
محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادي في استيجاب
العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما
عند الغضب يدعو ويدعو الشر لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته
عجولا ضجرا لا يتانى الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه
رحمة لانينه بالليل من الم القيد فهرب فلما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عم اني سالت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي
عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في اموره حق
التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار
آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات
والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من نحاه فان
الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت الهدايات التكوينية
لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة
الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها
من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بالواسطة اى جعلنا
الملوين بهيآتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة تحار في فهمها العقول
آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة
الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة فيها بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود
اى محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة
لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى
انشاهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين
آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا آية النهار اى الآية التي هي النهار على نحو ما
مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقة
وآيتا الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اذا خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده
من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة
بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير
اليه اى جعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم اى رزقا

رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة
الربوبية وعن الكسب بالابتغاء والتعرض المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس
للعبد في تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه
بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة
لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اى لتعلموا بتفاوت الجديدين
او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما وحركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما
عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اى
الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من
المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصيلها من عدة
اشهر قد تحصل كل واحدة منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها اى بعينها من غير ان يعتبر في
ذلك تحصيل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة
بتكرر امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما
اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرر امثاله من غير ان يتحصل منه شيء كذلك ولما ان السنين
لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما
اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات
والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان
الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب في
تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا
او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكرنا نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين
وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا
اى بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره اى عمله
الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة
الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه لتصوير شدة
اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق
لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان
الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة اى للبعث للحساب كتابا
مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول
المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه اى يلقا

الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منه وقرئ يلقاه
من لقيته كذا اي يلقي الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن
يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى
اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اي فيقال له
ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار
اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى
ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن
قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى
العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره
وهذا معنى الكتاب والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء زائدة واليوم
ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسبت عليه كذا او
بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما
يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرورة
فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون
القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه
من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد
ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه
ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين
العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل
انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في
الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل
لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء
الضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا
يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان
للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي عن
ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا
المبنية على الحكم البالغة وما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل
الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث رسولا يهديهم الى الحق ويردهم عن الضلال
ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب
الاستئصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي

والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته
المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا
لا يحصل بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح عم كيف تأخر عنهم ما حل
بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب
بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه
المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي
بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان
نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما
ذكرنا شأنه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنونا بمقتضى
الحكمة من غير ان يكون لاحد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها
وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع
لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور ان المراد به الحق والخير لان
الله تعالى لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن بما يهدي اليه واما لان المراد وجد
منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق
عليها القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها
بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز عن الحمل
على الفسق والتسبب له بان صبت عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال
امرت الشيء فأمر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج
ويعضده قراءة آمرنا وامّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل
ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فانه مؤدي ذلك ان طغيانهم منوط
بارادة الله تعالى وانعامه عليهم وافراد بطرهم وحملهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر
وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من
الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد
بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من
بعد نوح من بعد زمنه عم كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن
لم يقص وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ما ذكر من
عليه السلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها
وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي
الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر
وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك
وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب
المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعماله
الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر

للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد
من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبإرادتها
إرادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحيوة
العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله تعالى عجلنا له
فيها أي في تلك العاجلة فإن الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فالأنسب بذلك كلمة من
كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء أي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما
يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول
المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله سبحانه وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك
وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والإرادة لما أن الحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب إلى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلب بتمامه
وأما ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل إلى نتيجة أعماله فقد أشير إلى تحقيق
القول فيه في سورة هود وبتفضيل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من
أصناف العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور أو من جهنم أو استئناف مذموما
مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون
معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال إن السورة مكية سوى آيات
معينة ومن أراد بأعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها
أي السعي اللائق بها وهو الإتيان بما أمروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام
اعتبار النية والإخلاص وهو مؤمن إيمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وإيراد الإيمان بالجملة
الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته في حيز الصلة فأولئك إشارة إلى الموصول بعنوان اتصافه
بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة
جانب المعنى إيماء إلى أن الإثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أي أولئك الجامعون لما
مر من الخصال الحميدة أعني إرادة الآخرة والسعي الجميل والإيمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند
الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق الشكر بالسعي دون قرينيه إشعار بأنه العمدة فيها
كلا التنوين عوض عن المضاف إليه أي كل واحد من الفريقين لا الفريق الأخير المريد للخير الحقيق
بالإسعاف فقط نمد أي نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الإمداد ما
عجل لأحدهما من العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية
السعي وإنما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة وإشارة كما
ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه أي نمد هؤلاء المعجل لهم
وهؤلاء المشكور سعيهم فإن الإشارة متعرضة لذات المشار إليه بما له من العنوان لا للذات فقط
كالإضمار وفيه تذكير لما به الإمداد وتعيين للمضاف إليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد الفريق
الآخر وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك أي من عطائه الواسع
الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنبه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق

بطريق الاستحقاق بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك دنيويا كان أو أخرويا
وإنما أظهر إظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض
على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد منه ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى
التعليل لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للإشعار بمبدئيتها لما
ذكر من الإمداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا
على الحالية والمراد توضيح ما مر من الإمداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب
الأحياء أي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة
من وضيع ورفيع وضالع وظليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا
العاجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى
كما أوضح عنه قوله تعالى وللآخرة أكبر أي هي وما فيها أكبر من الدنيا وقرئ أكثر درجات
وأكبر تفضيلا لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا
يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز
أن يراد بما به الإمداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على توهم اختصاصها بالفريق
الأول فإن تخصيص إرادتهم بها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين
الفريق الثاني إرادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كل واحد من الفريقين
نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريقين الأول من عطاء ربك الواسع
وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من أحد ممن يريده ومن يريد غيره انظر كيف فضلنا في
ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الأبد واعتبار عدم المحظورية
بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقا لشمول الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه عن
عصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الإمداد الدنيوي بالفريق الثاني مع أنه لم
يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن إيهام اختصاصه لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وهو من باب التهييج والإلهاب أو لكل أحد ممن يصلح
للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كأنها حربة أو بمعنى العجز من قعد عنه أي عجز عنه مذموما مخذولا خبران أو حالان أو حال
على تفسير الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه إشعار بأن الموحد جامع
بين المدح والنصرة وقضى ربك أي أمر أمرا مقطوعا وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك أن لا
تعبدوا أي بأن لا تعبدوا إلا إياه على أن أن مصدرية ولا نافية أو أي لا تعبدوا على
أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية
الإنعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين أي وبأن تحسنوا بهما أي وأحسنوا بهما إحسانا
لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التوكيد ومعنى عندك
في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار
تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول

احد العطايين والاستدلال
بها على شأنهم ح
جلة
من ح
ص
ت

الكلام وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل
الى جعل كلاهما تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع
للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تافيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع
او بالتثنية لم يحصل هذا المرام **فلا تقل لهما** اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع **اف**
وهو صوت ينبئ عن تضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما
تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص
بالذكر بعضها اظهارا للاعتناء بشانه فقيل **ولا تنهرهما** اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي
والنهر والنهم اخوات **وقل لهما** بدل من التافيف والنهر **قولا كريما** ذا كرم او هو وصف له
بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب
ويستدعيه النزول على المروة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كداب ابرهيم عم اذ قال لابيه
يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودأب الدعاة وسئل
الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما
ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه **واخفض لهما جناح الذل** عبارة عن الانة الجانب
والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك
الذليل وجعل للذل جناح كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد
الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها
وشفقة واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما جعله القفال فلا يناسب المقام **من
الرحمة** من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق
الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية **وقل
رب ارحمهما** برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك
كفرهما **كما ربياني** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي
او مثل رحمتهما علي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في
احد الجانبين والاخر في الاخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب
ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني **صغيرا** ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما
لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع
الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما
حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر مما لا يكاد يدخل تحت
الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل
الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني
الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك

وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه
لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عم وقال ان هذا الشيخ قد انشا في ابنه هذا ابياتا ما قرع سمع بمثلها
فاستنشدها الشيخ فقال ● غذوتك مولودا ومنتك يافعا ● تعل بما اجني عليك وتنهل ●

اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ● لسقمك الا باكيا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي ● طرقت به دوني وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي ● اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ● كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ● فعلت كما الجار بالجار يفعل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انت ومالك لابيك **ربكم اعلم بما في نفوسكم**
من البر والعقوق **ان تكونوا صالحين** قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد **فانه**
كان للاوابين غفورا اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر **غفورا**
لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة
حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجا اوليا **وآت ذا القربى**
اي ذا القرابة **حقه** توصية بالاقارب اثر الوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة
كما ينبئ عنه قوله تعالى **والمسكين وابن السبيل** فان المامور به في حقهما المواساة المالية لا محالة
اي وآت حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض و
البسط فان الكل من التصرفات المالية **ولا تبذر تبذيرا** نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحق
فان التبذير تفريق في غير موضعه ماخوذ من تفريق الحبات والقائها كيفما كان من غير تعهد لمواقعها
عن الاكثار في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم **ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين** تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين
والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا
بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او اصدقاءهم او قرناءهم اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما
ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في
السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي والمقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد
وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تعالى لان شانه ان يصرف
جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض
واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به
وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة
عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى
ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية
من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان **واما تعرضن عنهم** اي
ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين **ابتغاء رحمة من ربك** اي لفقد رزق
ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء **ترجوها** من الله تعالى لتعطيهم وكان عليه السلام

اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم وحشة
بسكوته عم فقيل **فقل لهم قولا ميسورا** سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر كسعد او قل اللهم
رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا**
تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد
كالاطراف في قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشيء مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في
التصدير بافتح الصور ولما كان غائلة الاسراف في اخرته تبعه في اثره فقيل **فتقعد ملوما** اي
فتصير ملوما عند الله وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت **محسورا** نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه
انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ اتاه صبي فقال له ان امي تستكسيك درعا فقال
عليه السلام من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال فانتظروا
فلم يخرج للصلوة فنزلت ينافيه ان السورة مكية خلا ايات في اخرها وكذا ما قيل انه اعطى الاقرع
بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشد يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة
القلوب فنزلت **ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه
على اخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة ... ذلك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك **انه كان**
بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان
يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات و
الارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب
مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله تعالى **ولا تقتلوا اولادكم**
خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم خوف الفقر فنهاهم عنه
نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان
وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع
في سورة الانعام للاشعار بان لهم في افاضة الرزق اولا او لان الباعث على القتل هناك الاملاق
الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل
نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا **ان**
قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل اخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى
ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك **ولا تقربوا الزنا**

بمباشرة مباديه القريبة والبعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق
من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه لان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن
قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب
فان من لم يثبت نسبه ميت حكما **انه كان فاحشة** فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد **وساء**
سبيلا اي بئس طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلاط الانساب وهيجان الفتن
كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان راسه كالظلة فاذا
انقطع رجع اليه وقال عم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه قال عم
اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما الذي في الدنيا
فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود
في النار **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد **الا بالحق** الا باحدى
ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فان الاستثناء مفرغ اي لا
تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون
نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق **ومن قتل مظلوما** بغير حق
يوجب قتله ويبيح القاتل حتى انه لا يعتبر اباحته بغير القتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له
القصاص من يقتص له ولا يفيده قول الولي اني امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا **فقد جعلنا لوليه**
لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث **سلطانا** تسلطا واستيلاء على القاتل بمؤاخذته
بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة **فلا يسرف** وقرئ لا تسرف **في القتل** اي لا
يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل
من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في
مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي **انه كان منصورا** تعليل للنهي و
الضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص والدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء
حقه فلا يبلغ ما وراء حقه ولا يستزيد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على ان معنى
انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر
وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل
عائدان الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك
العاجل والاجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم **ولا تقربوا مال اليتيم** نهي عن قربانه لما
ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تع
الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة التي هي احسن الخصال والطرق وهي حفظه واستثماره
حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه
المذكور فقط **واوفوا بالعهد** سواء جرى بينكم وبين ربكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد
والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء
الحسي كايفاء الكيل والوزن **ان العهد** اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه

اولان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود **كان مسؤلا** اى مسؤلا عنه على حذف الجار وجعل الضمير
بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود فيه ونظيره في قوله تعالى
تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد
انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كان يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث
كما يقال للموءودة باى ذنب قتلت **واوفوا الكيل** اى اتموه ولا تبخسوه **اذا كلتم** اى وقت كيلكم للمشترين
وتقييد الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية **وزنوا بالقسطاس** هو
القرسطون وقيل هو كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام
المعربات في سلك الكلم العربية وقرى بضم القاف **المستقيم** اى المعدل السوى ولعل الاكتفاء باستقامته
عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع
التطفيف مع استقامة الالة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور
بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط **ذلك**
اى ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوى **خير** في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر
الجميل بين الناس **واحسن تاويلا** عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤل اليه **ولا تقف** ولا
تتبع من قفا اثره اى تبعه وقرى ولا تقف من قاف اثره اى قفاه ومنه القافة في جمع القايف
ما ليس لك به علم اى لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله
الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من
سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج ومنه قول الكميت • ولا ارمى البرئ بغير ذنب • ولا اقفو الحواصن ان رمينا •
ان السمع والبصر والفؤاد وقرى بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء **كل اولئك**
اى كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على
اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذى يعم القبيلين جاء لغيرهم
ايضا قال • ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام • **كان عنه مسؤلا** اى
كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور
وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤلا وقيل
الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب
في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام
الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار
من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤلا مسندا
الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل
ابن جني ابا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اى فيك يرغب
الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان
او فاعله كل بحذف المضاف اى كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤلا صاحبه **ولا تمش في الارض** التقييد

التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشى عليها مما لا يليق بالمرح **مرحا** تكبرا وبطرا واختيالا
وهو مصدر وقع موقع الحال اى ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرى بالكسر **انك لن تخرق
الارض** تعليل للنهى وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اى لن تخرق
الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرى بضم الراء **ولن تبلغ الجبال** التى هى بعض اجزاء الارض **طولا**
حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض
بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه **كل ذلك** اشارة الى ما علم في تضاعيف
ذكر الاوامر والنواهى من الخصال الخمس والعشرين **كان سيئة** الذى نهى عنه وهى اثنتا عشرة خصلة
عند ربك مكروها مبغضا غير مرضى وغير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام
الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته وهو تتمة لتعليل الامور المنهى عنها جميعا
ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى
كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها
اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه
مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية
الليل وآية النهار وقرى سيئه على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهى عنه من الامور المذكورة ومكروها
بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف
مذكر اى امرا مكروها او اجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في
كان او في الظرف على انه صفة سيئه وقرى شانه **ذلك** اى الذى تقدم من
التكاليف المفصلة **مما اوحى اليك ربك** اى بعض منه او من جنسه **من الحكمة** التى هى علم الشرائع
او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التى لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان هذه الآيات الثمانى عشرة كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله
الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات في التورية ومن اما
متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره
المحذوف في الصلة اى كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار **ولا تجعل مع الله
الها آخر** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور صدوره منه عنه وقد
كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه
الامر علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو
غاية الاشراك اولا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه هنا نتيجته في العقبى فقيل
فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك **مدحورا** مبعدا من رحمة الله تعالى وفي
ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها
آخذ بكفه فيطرحها في التنور **افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا**
خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشئ جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر ينبئ عنه المذكور اى افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر
لذاته اخسها وادناها كما في قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم

البنون وقد قصد هاهنا بالتعريض لعنوان الربوبية تشديد التكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام
وايراد الاناث مكان البنات اى كفرهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل
الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا
العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء
هو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم
بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيالها
من خصلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن
على وجوه من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا
فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى
للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان
مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا
له اى اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم
البنات اليه تعالى وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن وتبابعها وما يزيدهم اى والحال انه ما
يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المودي الى معرفة
بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى
آلهة كما يقولون اى المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اى كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة
الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للعبر اى لطلبوا الى ذي
العرش اى الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو
ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقيل بالتقرب اليه تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر
الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من
حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا
هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اى تنزه بذاته تنزهها حقيقا به
وتعالى متباعد عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا
تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه
في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في
ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب
الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه
ليس مجرد اتخاذ الولد وان يكون معه آلهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد
الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود وانما هو بالنسبة الى
ان من شأنه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع

والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان
المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا
الا يسبح ملتبسا بحمده اى ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان
ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا
عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه
كان حليما ولذلك لا يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر من
الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم
واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض
الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص
بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم
ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك
حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا
على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها
فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله
لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك قال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر
ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا
ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا
كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان
ان يفقهوه مفعول لاجله اى كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان
يقفوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه
اللائق وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان
عدم فقههم تسبيح لسان الحال او ايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم
فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم ان
لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار مما اعتقدوه في حق القرآن سحرا وشعرا واساطير
وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال
بينهم وبين ادراكه حايل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال
اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اى هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن

لكم

أعلم بما يستمعون به ملتبسين من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن روي انه كان يقوم
عن يمينه عم رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفايدته تأكيدا لوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع
المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى
لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن
أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما
بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو
نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل
على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به واذ وضع الظالمون موضع الضمير اشعارا بانهم في ذلك
ظالمون مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للاخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم
الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة
يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون
فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون
ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد
وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا استفهام
انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم
به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام
واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا
نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع الى الانكار وتقييده
بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار
للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان
واللام لتأكيد الانكار لا الانكار للتأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما
ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار
البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا
جديدا نصب على المصدر من لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا
لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا اخر مما يكبر في صدوركم اي يعظم عن قبول الحيوة
لكمال المباينة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا
وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا
لهم الى طريق الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال

تمثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه ولم تزالوا ما شئتم رائحة الحياة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر ان يعيد
العظام البالية الى حالتها المعهودة بل انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها
نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك
قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في
حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عايد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان
يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه
قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا
على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير
المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من جوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير
• وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم • فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما تعلق
من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة
التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين
له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها
او معاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي لا تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة
ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي
اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم
كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد
ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشادة والمشارة والمعارة والمضارة فلعل
ذلك الى تأكيد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء ان الشيطان
كان قدما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ
بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر
وهو تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى
الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول
آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افراط اذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا
يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة
التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد
عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون
ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر
من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضايل النفسانية والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع

وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عم فإن ذلك إيتاء الزبور لا إيتاء الملك والسلطنة وفيه
إيذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فإن نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور
وأن المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى أن الأرض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم
وأمته وتعريف الزبور تارة وتنكيره أخرى إما لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب أو مصدر
بمعناه كالقبول وإما لأن المراد آتينا داود زبورا من الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم
وقرئ بضم الزاي على أنه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه من الملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو
ذلك ولا تحويلا أي ولا تحويله إلى غيركم أولئك الذين يدعون أي أولئك الآلهة الذين يدعوهم
المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لأنفسهم إلى ربهم ومالك أمورهم الوسيلة القربة بالطاعة
والعبادة أيهم أقرب بدل من فاعل يبتغون أي موصولة أي يبتغي من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة
فكيف بمن دونه أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إليه تعالى بالطاعة
والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف
الضر فضلا عن الإلهية إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل
عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير
من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وإن من قرية بيان لتحتم حلول عذابه بمن لا يحذره
إثر بيان أنه حقيق بالحذر وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من
ذلك وكلمة إن نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة أي ما من قرية من قرى الكفار
إلا نحن مهلكوها أي مخربوها البتة بالخسف بها أو بإهلاك أهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم
الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وإن كانت بمعنى المستقبل ما ليس في غيرها من الدلالة
على التحقق والتقرر وإنما قيل قبل يوم القيامة لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بقرى الكفار
ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا أو معذبوها أي معذبوا أهلها على الإسناد
المجازي عذابا شديدا لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنهه
من فنون العقوبات الأخروية أيضا حسبما يفصح عنه إطلاق التعذيب عما قيد به الإهلاك من
القبلية بيوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة كان
ذلك الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب في الكتاب أي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا
لم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى
والعذاب للطالحة
الصالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة ويهلك
المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فهلاكها
ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ أبو عمرو الداني في كتاب الفتن إنه روي عن وهب بن منبه
أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى
تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية
على يد رجل من بني هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب إفريقية من قبل الأندلس وخراب
مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو

عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق
وخراب الأيلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل
التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب
مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال آخر قرية في الإسلام خرابا المدينة وقد أخرجه العمري من هذا الوجه وإن جبر بن نعيم القرية
لا يساعده السياق ولا السباق وما منعنا أن نرسل بالآيات أي الآيات التي اقترحتها قريش من
إحياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك إلا أن كذب بها الأولون استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي
وما منعنا إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم إرساله تعالى
بها وإن كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب أو غيره لاستحالة العجز
عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الإلهية واستلزامه لتكذيب
الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وإفضائه إلى أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجرائم
لما كان منافيا للإرسال لما اقترحوه من الآيات لتعيين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما
جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الأمة إلى الآخرة بحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من إيمان
بعض أعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة إيذانا بتعاضد مبادي الإرسال لا
كما زعموا من عدم إرادته تعالى لتأييده صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وهو السر في إيثار الإرسال على
الإيتاء لما فيه من الإشعار بتداعي الآيات إلى النزول لولا أن تمسكها يد التقدير وإسناد هذا المنع
إلى تكذيب الأولين لا إلى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا
لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون لإقامة الحجة عليهم بإبراز الأنموذج وللإيذان بأن مدار
عدم الإجابة إلى إيتاء مقترحهم ليس إلا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه
النظم الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا
من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل أي بينة
ذات إبصار أو بصائر يدركها الناس وأسند إليها حال من يشاهدها مجازا أو جاعلتهم ذوي
بصائر من أبصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية
وقرئ بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين أي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها
بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر أو ظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها
بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم
ورودا وصدورا أو لأنها من جهة أنها حيوان أخرج من الحجر دليل على تحقق مضمون قوله تعالى
قل كونوا حجارة أو حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفا لمن أرسلت هي عليهم مما
يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة
من الإعراب ويجوز أن يكون حالا من ضمير ظلموا أي ظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أنا ما نرسل
بالآيات التي من جملتها الناقة إلا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل وإذ قلنا لك إن
ربك أحاط بالناس أي علما كما نقله الإمام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه
شيء من أفعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب ووفقه تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك

إلا فتنة للناس إلى آخر الآية تنبيه على حصرها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات
لاشتراك الكل في كونها أمورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات
المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما
ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤيا أو لأنها وقعت
بالليل أو لأن الكفرة قالوا لعلها رؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا مع كونها آية
عظيمة وأية آية حقيقة بأن لا يتلعثم في تصديقها أحد ممن له أدنى بصيرة إلا فتنة افتتن بها
الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها
على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإنها تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي وما جعلناها
إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد
ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحماة فلا تضرها ويرون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل
شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم
بذلك وبنظائرها من الآيات فإن الكل للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للتجدد والاستمرار
فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة
لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الإحاطة
على الإحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الإجابة إلى
إنزال الآيات التي اقترحوها لما أن إنزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث قالوا لو
كنت رسولا حقا لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
فكأنه قيل اذكر وقت قولنا إن ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا
يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة
ألا يرى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت
ضعفا لأمرك وفتورا في حالك وقد فسر الإحاطة بإهلاك قريش يوم بدر وإنما عبر بالماضي
مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في أخباره وأول الرؤيا
بما عسى رآه عليه السلام في المنام من مصارعهم لما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما ورد ماء بدر
قال والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومي إلى الأرض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
فتسامعت قريش فاستسخروا وقد يؤول بما رآه صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه
فتوجه إليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون الوحي بإهلاكهم
وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خبير بأنه يلزم منه أن
يكون افتتان الناس بها واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول
الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى إذ يريكهم
الله

الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما
جعلت فتنة للناس وإذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الأمر ومن الملائكة من الامتثال
والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ببعض من حال
الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة
العذاب ومن حال إبليس حال من يعاند الحق ويخالف الأمر أي واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم
تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا من غير تلعثم امتثالا بالأمر وأداء لحقه
عليه السلام إلا إبليس وكان داخلا في زمرتهم تحت الأمر بالسجود قال عندما وبخ بقوله عز
سلطانه يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين وقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك
وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير إليه في سورة الحجر أأسجد وأنا
مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض أي من طين أو حال من الراجع إلى
الموصول أي خلقته وهو طين أو نفس الموصول أي أسجد له وأصله طين والتعبير عنه بالموصول لتعليل
إنكاره بما في حيز الصلة قال أي إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الإنظار المرتب على
استنظاره المتفرع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعن المؤبد وإنما لم يصرح بذلك اكتفاء
بما ذكر في مواضع أخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول
وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله قال ومن يقنط من
رحمة ربه إلا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل
لها من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي
أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه
حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي أخبرني أهذا
من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به
عقيبه لئن أخرتني حيا إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لأحتنكن
ذريته أي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا أو لأقودنهم حيث
شئت ولأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها
الأسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين وإنما علم تسني ذلك
المطلوب لهم تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام واستنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء وتوسما من خلقه إلا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال
اذهب أي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك
منهم فإن جهنم جزاؤكم أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب رعاية لحق المتبوع جزاء
موفورا أي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة أي وفر وهو نصب على أنه مصدر مؤكد
كما في قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفورا
واستفزز أي استخف من استطعت منهم أن تستفزه بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب
عليهم أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل

من أهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتعب بمعنى تاعب وبضمها مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما أي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجّالك ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار وقع على قوم فصوّت بهم صوتا يزعجهم من أماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم **وشاركهم في الأموال** بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي **والأولاد** بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة **وعدهم** المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان حاله للناس ومن الإسناد إلى الظاهر للإشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب **إن عبادي** الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من يتبعه ليس منهم وأن الإضافة لـ ثبوت الحكم في قوله تعالى **ليس لك عليهم سلطان** أي تسلط وقدرة على إغوائهم كقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **وكفى بربك وكيلا** لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن إغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى لهم أعني سلب قدرته على إغوائهم **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر** مبتدأ وخبر والإزجاء السوق حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنفعكم الفلك ويجريها في البحر **لتبتغوا من فضله** من رزقه الذي هو فضل من قبله أو من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة أو تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية **إنه كان بكم** أزلا وأبدا **رحيما** حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجليلة والحقيرة **وإذا مسكم الضر في البحر** خوف الغرق فيه **ضل من تدعون** أي ذهب عن خواطركم كل من تدعونه من دون الله تعالى من الملائكة أو المسيح أو غيرهم **إلا إياه** وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا أو اشتراكا أو ضل كل من تدعونه عن إغاثتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله تعالى على الاستثناء المنقطع **فلما نجاكم** من الغرق وأوصلكم **إلى البر أعرضتم** عن التوحيد واتسعتم في كفران النعمة **وكان الإنسان كفورا** تعليل لما سبق من الإعراض **أفأمنتم** الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم **أن يخسف بكم جانب البر** الذي هو مأمنكم أي يقلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة

إلى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة **أو يرسل عليكم** من فوقكم وقرئ بالنون **حاصبا** ريحا ترمي بالحصباء **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** من ذلك أو يحفظكم منه فإنه لا راد لأمره الغالب **أم أمنتم أن يعيدكم فيه** في البحر أوثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه **تارة أخرى** إسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى ذلك وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا **فيرسل عليكم** وأنتم في البحر وقرئ بالنون **قاصفا من الريح** وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرته وجعلته كالرميم أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر **فيغرقكم** بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الإسناد إلى ضمير الريح **بما كفرتم** بسبب إشراككم أو كفرانكم لنعمة الإنجاء **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** أي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها **ولقد كرمنا بني آدم** قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وما قيل من ترك القرد لذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده **وحملناهم في البر والبحر** على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نغرقهم بالماء وأنت خبير بأن الأول هو الأنسب بالتكريم إذ جميع الحيوانات كذلك **ورزقناهم من الطيبات** أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم **وفضلناهم** في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح **على كثير ممن خلقنا** وهم من عدا الملائكة عليهم السلام **تفضيلا** عظيما فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد هاهنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه فإن قيل أي حاجة إلى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فإن استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة إذ ليس من الأفراد الفاجرة للبشر تفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه أصلا بل هم أدنى من كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا **يوم ندعو** نصب على المفعولية بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول وندعو بقلب الألف واوا على لغة من يقول في أفعى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله

تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل لا مقدر والنون محذوف وقد لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى **كل اناس** من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم
والتفضيل وهو الشروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا **بامامهم**
اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال
يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كتاب كذا يا اهل كتاب كذا وقيل
الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عم وتشريف الحسنين رضي الله عنهما
والستر على اولاد الزنا **فمن اوتي** يومئذ من اولئك المدعوين **كتابه** صحيفة اعماله **بيمينه** ابانة
لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه **فاولئك** اشارة الى
من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعار بان قراءتهم لكتبهم تكون على
وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من معنى البعد للاشعار برفعة
درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور **يقرؤن كتابهم** الذي
اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات **ولا يظلمون**
اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة **فتيلا** اي قدر فتيل
وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة **ومن كان** من
المدعوين المذكورين **في هذه** الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل **اعمى**
فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكريم والتفضيل فضلا عن شكرها
والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف
الحقة **فهو في الآخرة** التي عبر عنها بيوم ندعوا **اعمى** كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما
يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في
الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما **واضل سبيلا**
اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه
بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع ان
الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له
كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين
للرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب ودل بالمذكور في كل منهما
على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **وان كادوا ليفتنونك** نزلت في ثقيف اذ قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا
نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وتمتعنا باللات سنة
وان تحرم وادينا وجنا كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني وقيل في قريش
حين قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك ان يخدعوك فاتنين **عن الذي اوحينا**

اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك
مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل **واذا لاتخذوك خليلا** اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا
ولخرجت من ولايتي **ولولا ان ثبتناك** على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك **لقد كدت تركن اليهم**
شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من
الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب
الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته **اذا** لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة **لاذقناك ضعف**
الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا
الفعل غيرك لان خطا الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في
الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل
الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب **وان كادوا** الكلام فيه كما في الاول اي كاد
اهل مكة **ليستفزونك** اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم **من الارض** اي الارض التي انت فيها وهي
ارض مكة **ليخرجوك منها واذا لا يلبثون** بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب
باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك **خلافك** اي بعدك فانه

خلت الديار خلافهم فكانما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا

اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك **الا قليلا** الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حين حسدوا مقام
محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل **سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا** نصب على المصدرية
اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى
واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل **ولا تجد لسنتنا تحويلا**
اي تغييرا **اقم الصلوة لدلوك الشمس** لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عم
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينيه
وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام
للتأقيت مثلها في قولك لثلاث خلون **الى غسق الليل** اي اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة
العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي
عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه عم ولعل الاكتفاء ببيان
المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوة من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة
فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع
احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
والتحديد المذكور بيان لمبدأ وقته ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله
تعالى **وقرآن الفجر** اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قال الزجاج وانما

سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك
لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر لدل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن حثا على تطويل القراءة في صلاة
الفجر ان قرآن الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام كان مشهودا يشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلام بالضياء والانتباه بالنوم الذي هو اخو
الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال
جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو عطف
على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل ان يكون الظرف حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها
التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على
الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل واترك الهجود اي النوم فان صيغة التفعل
تجي للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد
اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان
الباء بمعنى في وقيل منصوب تهجدا اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واياي فارهبون
نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه
في تاخر ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع عدم وقتها على وقتها او تطوعا لانها زيادة له عليه السلام
في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه ع م مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون
تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل
الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة
بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونه
صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل
في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك الى كمالك اللايق بك من
بعد الموت الاكبر لما انبعثت من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة مقاما نصب
على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في
مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك
ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي
اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف
فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه
يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك
لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني
اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي عند البعث مخرج صدق اي اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المحمودة الى الكرامة

كرامة توفيها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة ويغير ترتيب الوجود لكون الادخال
هو المقصود وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى
ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع
• من المال الا مسحتا او مجلف • اي لم تدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من يخالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته
بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل
اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل
كائنا ما كان كان زهوقا اي شأنه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء
بالسلطان النصير الذي لقنه عنه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة
يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة كانت في يده في عين واحد
واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ ننزل
من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين
به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمريض ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وتبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا
ننزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله فيتبع ذلك فمن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم
الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير
تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقق التبعيض
باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين
الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الاشياء في غير
مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما
قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول
البعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب
بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك
المعتريه في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت
والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك لسوء صنيعهم
باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره من حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى تباعد عن
طاعتنا بجانبه الثاني بالجانب ان يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض

او بجانب عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين **وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ** من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك **كَانَ يَؤُوسًا** شديد اليأس من روح الله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة لانه لا ينافي قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شأن بعض آخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه بمعنى نهض **قُلْ كُلٌّ** اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم **يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه **فَرَبُّكُمْ** الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة **أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا** اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ** الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية **قُلِ الرُّوحُ** اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه **مِنْ أَمْرِ رَبِّي** كلمة من بيانية والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب قال عم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لقصور عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وما له انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي بها يعرف ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وحمل الجواب على اخبار الحدوث اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني فمع عدم ملائمته لحال السائلين لا يساعده النظم لبيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يفي به علمهم وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عم وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر

وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشأنه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ** اي بالقرآن **عَلَيْنَا وَكِيلًا** من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا **إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها **إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا** كارسالك وانزال الكتب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك **قُلْ** للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفقهون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر **لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ** اي اتفقوا **عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ** المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة **لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلقا الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل **وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد لما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحالة المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى لا تجد لك به علينا

وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداده فنفيه نفي الشيء انما يقرره
نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بعزايمه تعالى من الاتيان بمثله مما لا اشتباه
فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى الكافرين من
قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان
ووكادة رسوخ واطمينان للناس في هذا القران المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول
فابى اكثر الناس وزيادة الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا الا جحودا وانما صح الاستثنا
من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه منفي معنى كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة
ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف
في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم
ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة و
جوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من
عب الماء اذا زخر او يكون لك جنة اي بستان تستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند
سقيها او ادامة اجرائها بقوة كما ينبي عنه الفعل لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من
السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت
يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي
مقابلا كالعشير والمعاشر بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال من الملائكة محذوفة
لدلالة هذه عليها اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون
حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او
ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة
ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل علينا كتابا
فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها
وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون
بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات
ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها
صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يليق بها من مثل
هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد تنفطر منها او عن طلبات ذلك وتنبيها على بطلان ما
قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي
في السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر

الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره تعالى على ايديهم حسبما يلايم حال قومهم ولم يكن امر
الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله تعالى بشرا خبر لكنت ورسولا
صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله تعالى اذ جاءهم
الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية
للايمان ان يؤمنوا بالقران وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان
قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله
تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا اخر منهم بل المانع هو
الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه
بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم
موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى
هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من
شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه
حاسما لمواد شبههم ملجيا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من
قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا لتحقق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض
بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان
يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع
والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة
بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما
يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل
ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا
رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم
ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي
من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة
الى كونه صلى الله عليه وسلم رسولا باظهار المعجزات على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله
تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة
للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا
بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله
وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ مفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة
العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى
ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال
لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من كما اوثر في مقابله
الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال

صلى الله عليه وسلم

وكنزع الضلال **أولياء من دونه** من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم
الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى
لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد
ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر **يوم القيامة على وجوههم**
حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال
ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم **عميا** حال من الضمير في الحال المحرور
في الحالة السابقة **وبكما وصما** لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه
ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم
يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه **مأواهم
جهنم** اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى **كلما خبت زدناهم سعيرا** اي كلما سكن
لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم
جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد
الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تع
ذلك اي ذلك العذاب **جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا** العقلية والنقلية الدالة على
صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم
خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف **وقالوا**
منكرين اشد الانكار **أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا** اما
مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين
أولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا **ان الله الذي خلق السموات والارض** من غير مادة مع
عظمها **قادر على ان يخلق مثلهم** في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر
عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا **وجعل لهم اجلا** عطف على اولم يروا فانه في قوة قد
رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من
الانس وجعل لبعثهم اجلا محققا **لا ريب فيه** هو القيامة **فأبى الظالمون** وضع موضع الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة **الا كفورا** اي جحودا **قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي** خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول
حاتم او ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص **اذا لأمسكتم**
لبخلتم **خشية الانفاق** مخافة النفاد اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو
آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعرض يفوته فاذا هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه **وكان
الانسان قتورا** مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة لما يحتاج اليه وملاحظة
العوض عما يبذله **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما
جاء به من عند الله تع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون

والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل
الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما
اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال
لا تشركوا به شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا
الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا لعل جوابه صلى الله عليه وسلم بذلك لما انه المهم للسائل
للسائل وقبوله لما انه كان في التورية مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا من جهة الوحي **فاسأل بني اسرائيل** وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل
معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاسألهم عن تلك
الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك **اذ جاءهم** متعلق بقلنا او بسال على القراءة
المذكورة وباذكر او بمضمر هو يخبروك واذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما
ارسل به فقال له فرعون **اني لأظنك يا موسى مسحورا** سحرت فتخبط عقلك **قال لقد
علمت ما انزل هؤلاء** يعني الآيات التي اظهرها **الا رب السموات والارض** خالقهما
ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الآيات العظام
الا خالقهما ومدبرهما **بصائر** حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك
تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه م
على كمال رجاحة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت
بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر **واني
لأظنك يا فرعون مثبورا** مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن
فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين **فأراد** اي فرعون **ان يستفزهم** ان
يستخفهم ويزعجهم **من الارض** ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم **فأغرقناه ومن معه جميعا** فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه
بالاغراق **وقلنا من بعده** من بعد اغراقه **لبني اسرائيل اسكنوا الارض** التي اراد ان
يستفزكم منها **فاذا جاء وعد الآخرة** الكرة الآخرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة
او قيام القيمة **جئنا بكم لفيفا** مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** اي وما انزلنا القرآن الا
ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء
الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد عدم اعتراء
البطلان اول الامر وآخره **وما ارسلناك الا مبشرا** للمطيع بالثواب **ونذيرا** للعاصي من العقاب
وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن **وقرآنا** منصوب بمضمر

يفرقه فقوله تعالى **فرقناه** وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه **لتقرأه على الناس على مكث**
مهل وتثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه **ونزلناه تنزيلا** حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة ويتفق من الحوادث والواقعات **قل للذين كفروا آمنوا به أو لا**
تؤمنوا فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا **إن الذين أوتوا العلم**
من قبله أي العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات
النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل أو رأوا نعتك ونعت ما أنزل عليك
إذا يتلى أي القرآن **عليهم يخرون للأذقان** أي يسقطون على وجوههم **سجدا** تعظيما
لأمر الله تعالى أو شكرا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان
بالذكر للدلالة على كمال التذلل إذ ح يتحقق الخرور عليها وإيثار اللام للدلالة على اختصاص
الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أو لا
تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم
ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل
بإيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم **ويقولون** في سجودهم **سبحان ربنا** عما يفعل الكفرة
من التكذيب أو عن خلف وعده **إن كان وعد ربنا لمفعولا** إن مخففة من الثقيلة
واللام فارقة أي أن الشأن هذا **ويخرون للأذقان يبكون** كرر الخرور للأذقان
لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو للشكر لإنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من
مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى **ويزيدهم** أي القرآن بسماعهم **خشوعا**
كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** نزل حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو
إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة والمراد على الأول
هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وإن اختلف الاعتبار والتوحيد إنما
هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود
وهو أوفق لقوله تعالى **أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى** والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى
إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه
وما مزيدة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في له للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل
الكلام أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما
هو الدليل عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الكمال من الجلال والجمال والإكرام **ولا تجهر بصلاتك** أي بقراءة صلاتك
بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها **ولا تخافت بها** أي بقراءتها بحيث
لا تسمع من خلفك من المؤمنين **وابتغ بين ذلك** أي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور
سبيلا أمرا وسطا مقتصدا فإن خير الأمور أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه
أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم إلى المطلوب وروي أن أبا بكر
رضي الله عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول

العلماء عن إيمان

ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بأسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلواتك بدعائك وذهب قوم
إلى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ**
ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **ولم يكن له شريك في الملك** أي الألوهية
كما يقوله الثنوية القائلون بتعداد الآلهة **ولم يكن له ولي من الذل** ناصر ومانع
منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها بموالاته وفي التعرض
في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة إيذان بأن المستحق للحمد من هذه
نعوته دون غيره إذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الإيجاد
وما يتفرع عليه من إفاضة أنواع النعم وما عداه ناقص مملوك
أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وكبره**
تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ
في التنزيه والتحميد واجتهد في
الطاعة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم
كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار
في الجنة والقنطار
ألف أوقية
ومائتا
أوقية

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

احرزه ملكاً امير الامرا ۞ الفاضل العادل من غير مرا

والي ولاية الشام مولانا مراد ۞ اتاه ربي ما يشاء وما اراد

ورقيه اللهم اعلى المراتب ۞ بالمصطفى وآله والصحب

في عام وثلاث الف قد مضت

من هجرة المختار طه قوبلت

على يد الفقير المرب السلام

محمد سبط المفتي الطيبي للامام